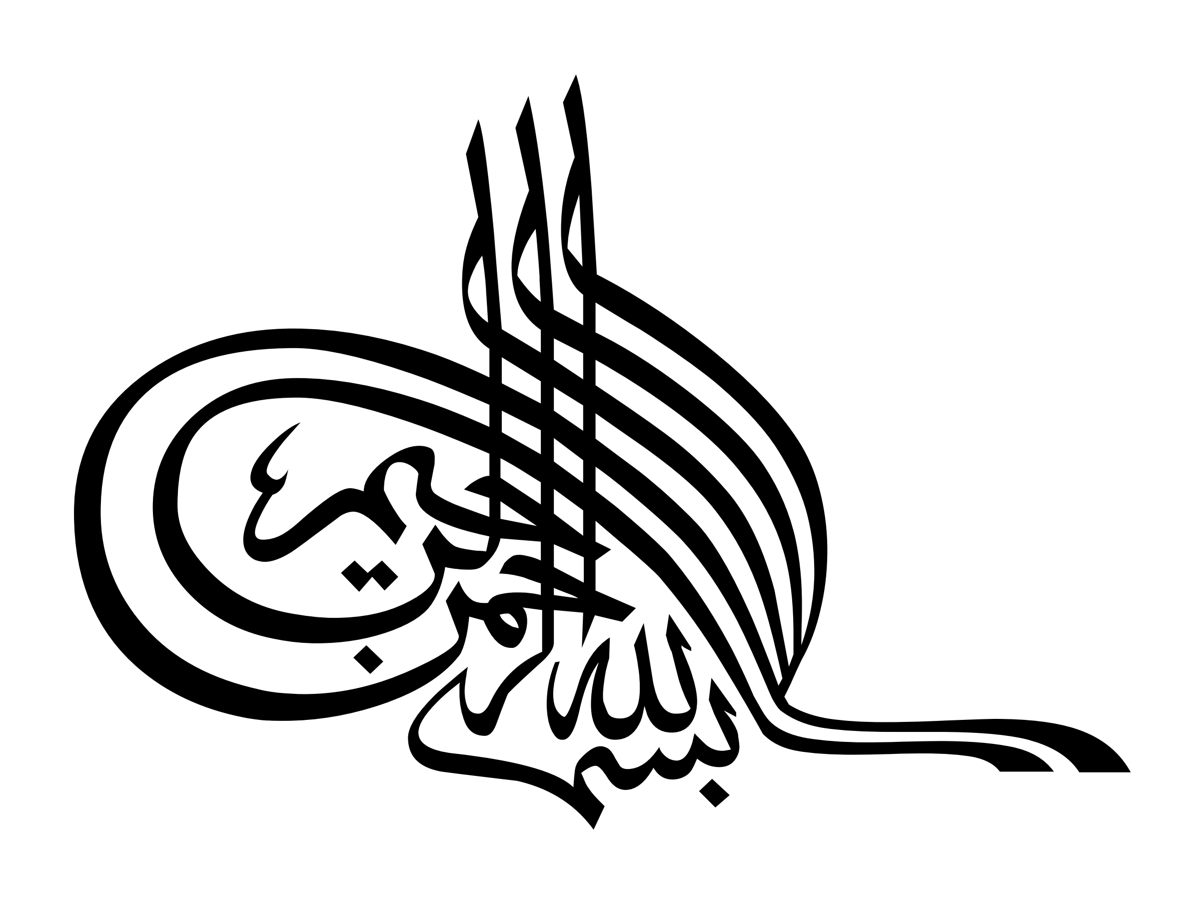

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير

ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير

من آية(٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد

جمعًا ودراسة وموازنة

" من خلال تفسيره البحر المحيط "

أطروحة علمية مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي

الرقم الجامعي: ٤٢٤٧٠٠٩٧

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جمال مصطفى بن عبد الحميد بن عبد الوهاب النجار

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

الجزء الأول

العام الجامعي ١٤٢٩-١٤٣٠هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير

ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير

من آية(٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد

جمعًا ودراسة وموازنة

" من خلال تفسيره البحر المحيط "

أطروحة علمية مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالبة:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي

الرقم الجامعي: ٤٢٤٧٠٠٩٧

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جمال مصطفى بن عبد الحميد بن عبد الوهاب النجار

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

الجزء الثاني

العام الجامعي ١٤٢٩-١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة دكتوراه

بعنوان: " ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية(٤٦) من سورة يونس إلى آية(١٠) من سورة الرعد. جمعا ودراسة وموازنة من خلال تفسير البحر المحيط."

تتكون الرسالة من مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

أما التمهيد: فيتعلق بحياة أبي حيان الأندلسي وترجمته، حيث أبان البحث عن أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه، وفي سائر علوم العربية من خلال ذكر تأليفه.

أما القسم الأول: فكانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج أبي حيان الأندلسي في التفسير وصنيعه في تفسيره البحر، وكذا منهجه في الترجيح في التفسير، وتأصيله لقواعد الترجيح في التفسير وتطبيقه لها، كذلك شمل ذكر الصيغ والأساليب التي استخدمها في الدلالة على القول الراجح.

أما القسم الثاني: فقد عني بترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد والتي بلغت (مائتي موطن)، ودراسة هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من مفسرين وغيرهم.

وقد أبان البحث عن قوة ترجيحات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلدا في اختياراته العلمية التفسيرية، بل كان مجتهدا يعتمد الدّليل والنظر.

ثم أنهيت البحث بخاتمه، وفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة.

والحمد لله على توفيقه وامتنانه.

الباحثة | المشرف على البحث

جوهرة بنت عبدالرحمن الصبيحي | أ.د. جمال مصطفى بن عبد الحميد النجار

In the Name of Allah, Most Gracious Most Merciful

Synopsis of PHD Dissertation

The title of dissertation is (Studying Abu Hayyan Al-Andalusi's Methodology of choosing the Preferred Scholars Opinions in his Interpretation of the Holy Quran "Albahr Almohet", from Ayah (٤٦) from Sort Yonos (Yonos Chapter) to the Ayah (١٠) from Sort AlRaad (AlRaad Chapter).

The dissertation consists of an Introduction, a Preface, two chapters, a conclusion and Appendices.

The Preface is about Abu Hayyan Al- Andalusi's life and biography.

The research shows the most important milestones of his life. It shows his superior Knowledge and his major contribution to the science of interpretation of the Holy Quran Known as ' Tafseer'. It also shows his contribution to other fields relate to Arabic language.

The First Chapter illustrates the methodology of Abu Hayyan Al-Andalusi's in his inte rpretation of the Holy Quran "Albahr Almohet". It also sheds some lights on his methods in choosing the preferred opinions of the famous scholars as he establishes and applies the basics of this kind of Knowledge. This Chapter also points out the wording and styles he uses in indicating the preferred opinions.

The Second Chapter deals with Abu Hayyan Al- Andalusi's methodology in indicating the preferred opinions of famous scholars in his interpretation of the Holy Quran from Ayah (٤٦) from Sort Yonos (Yonos Chapter) to the Ayah (١٠) from Sort AlRaad (AlRaad Chapter).His methods have been illustrated in (٢٠٠) locations. The chapter studies locations thoroughly comparing them with what other famous scholars have indicated.

The research shows clearly the solid standing of this famous scholar, and that he was innovating rather than imitating others.

I end my dissertation with a conclusion and intensive appendices.

Researcher:	**Supervisor:**
Joharh Alsobehey.	D. Jamal Mustafa Alnajar

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فإنه من المعلوم بالضرورة حاجة ا لناس إلى منهج كامل شامل جامع، ينهلون منه ويغرفون، يتعلمونه، ويحفظونه، وبه يعملون.

حتى تسير حياتهم على هذه البسيطة بالسعادة والهناء، بعبادة الله تعالى رب الأرض والسماء، على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه ، والناظر بعين البصيرة يعلم أنه لا أشمل ولا أكمل ولا أعدل من منهج الإسلام، المتمثل في الوحيين الكتاب والسنة ، فالحمد لله الذي فضلنا بالقرآن على الأمم أجمعين، وآتانا به ما لم يؤت أحداً من العالمين .

أنزله للثقلين هداية .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن:١-٢].

وجعله للكتب السماوية مصدقاً وخاتمة .

قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾[آل عمران:٤].

وهو معجزة خالدة تالدة إلى قيام الساعة .

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[الواقعة: ٧٧ - ٨٠] .

و قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢

محفوظ بحفظ الله تعالى له.

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩ .

وبقي لنا شرف العلم به، والعمل به، وتعلمه وتعليمه.

وحتى يتحقق ذلك لابد من النظر في العلوم التي تصل بنا إلى هذا الشرف العالي، والاطلاع على الكتب التي ألفت في الزمن الحاضر والماضي.

ومن ذلك العناية بعلم تفسير القرآن العظيم والاطلاع على كتبه.

"فالتفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرا، وهو من أشرف العلوم موضو عاً وغرضاً وحاجة إليه، لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقة، وإنما اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لابد أن يكون موافقا للشرع وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله."[1] .

والباحث في المكتبة التفسيرية يجد كتبها متوافرة وكثيرة، وكل مفسر له منهج معين وطريقة.

ومن هؤلاء: الإمام المفسر أثير الدين محمد بن يوسف بن على الغرناطي . المعروف **بأبي حيان الأندلسي**.(٦٥٤-٧٤٥)هـ.

صاحب كتاب **البحر المحيط** ، وهو بحر، وهو محيط .

ومؤلفه علم من الأعلام، برع في العلم، وتميز بالفهم والإفهام، مع أسلوب محكم وبيان رصين .

وقد طرحت « دراسة ترجيحات أبي حيان في تفسيره البحر المحيط » لتكون منظومة وسلسلة متصلة من الأطروحات العلمية الأكاديمية في صرح جامعة أم القرى، زادها الله رفعة وحبوراً .

وقد نالني من ذلك ما أشرف به وافخر، وهو دراسة جزء من هذا السفر الكبير في مرحلة نيل درجة الدكتوراه بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى برسالة عنوانها « ترجيحات أبي حيان الأندلسي » من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد ، جمعاً ودراسة وموازنة من خلال تفسير " البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي " .

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

---

(١) – مباحث في علوم القرآن ص٣٢٧ لمناع القطان.

ومن أسباب إقدامي على اختيار الموضوع:

محرّم. شرف علم التفسير وما يناله المتعلم من النظر في كتبه .

صفر. مكانة تفسير أبي حيان وجلالة قدرة وعلو شأنه بين كتب التفسير .

ربيع أول. ما بذله أبو حيان من جهد كبير في تأليف هذا التفسير .

ربيع ثان. ما ضمه البحر المحيط من شتى العلوم والفنون التي تخدم كتاب الله وتعين على فهمه وتدبره .

جمادى أول. ما تميز به أبو حيان من منهج، وأسلو ب، وترتيب، ودقة العبارة، وجودة التنظيم، وحسن العرض والتحرير والتعليق، مع اعتماد الدليل في الاختيار والترجيح.

جمادى ثان. الحاجة إلى تحقيق أقوال المفسرين، وأخذ ما له صلة بعلم التفسير، وطرح ما سواه من الحواشي التي لا طائل منها .

رجب. جدة الطرح في موضوع دراسة ترجيحات أبي حيان حيث لم يسبق دراسة ترجيحاته .

شعبان. حصول الباحث على جرعة مكثفة وملكة قوية من خلال دراسة أقوال المفسرين، وترجيح ما يقويه الدليل والبرهان.

الدراسات السابقة

اهتم عدد من الباحثين بكتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ،من عدة نواح، عدا ما يتعلق بجمع ودراسة اختياراته في التفسير ، ومن هذه الدراسات ما يلي:

محرّم. منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث : عبد المجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة دكتوراه/ ١٩٦٨م.

صفر. القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال، للباحث: أحمد شكري،الجامعة الإسلامية،رسالة ماجستير١٤٠٤هـ

ربيع أول. البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير/ ١٩٨٥م.

ربيع ثان. القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي

حيان النحوي لسورة البقرة، للباحث : محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب،رسالة دكتوراه/ ١٩٩٠م.

جمادى أول. اختيارات أبي حيان ال نحوية في البحر المحيط جمعا ودراسة، للباحث: بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير/ ١٤١٢هـ.

جمادى ثان. منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث : بوشعيب محمادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه/ ١٩٩٣م .

رجب. تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط، للباحث معوضة محمد حكمي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير ، ١٤١٥هـ.

٨. تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث محمد القرشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، ١٤١٦هـ.

٩. المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف، للباحث: ناجي عبد الجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧هـ.

١٠. أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، للباحث: بدر بن ناصر البدر.ط١٤٢٠هـ

١١. القراءات في تفسير البحر المحيط . للباحث عبد اللطيف الخطيب، كلية الآداب جامعة الكويت، رسالة دكتوراه.

١٢. مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعا ودراسة، للباحث : عبدالله العمير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠هـ.

١٣. دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤته، الأردن، رسالة ما جستير٢٠٠٠م.

١٤. اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث: عبد الله الطريقي، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.

١٥. مواقف أبي حيان الأندلسي النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعا ودراسة .للباحث: على بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراه.

خطـة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد:

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده وطلبه للعلم.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ووفاته.

القسم الأول: وفيه فصلان.

الفصل الأول: منهج أبي حيان في تفسيره.

أولا: التمهيــد.

ثانيا: منهجه في التفسير بالمأثور، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن، وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطنب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنايته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد.

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض.

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المبحث الثالث : عنايته بأسباب النزول.

المبحث الرابع: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المبحث الخامس: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المبحث السادس: موقفه من الإسرائيليات.

ثالثا: منهجه في التفسير بالرأي، وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: عنايته بالمناسبات.

المبحث الرابع: عنايته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية.

المبحث الخامس: موقفه من بعض الفرق (المعتزلة، الصوفية، الفلاسفة).

الفصل الثاني: منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير، وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : التصريح بالقول الراجح أو بعبارة تشبه التصريح.

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الضعف أو أن غيرها مقدم عليها.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان، وفيه أحد عشر مطلبا.

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات.

المطلب الرابع : الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الخامس : الترجيح بأسباب النزول.

المطلب السادس : الترجيح بالناسخ والمنسوخ .

المطلب السابع : الترجيح بالعموم.

المطلب الثامن : الترجيح بالمطلق.

المطلب التاسع : الترجيح بالمفهوم.

المطلب العاشر : الترجيح بالسياق .

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة.

القسم الثاني: ترجيحات أبي حيان من آية(٤٦) من سورة يونس إلى آية(١٠) من سورة الرعد.

أولاً: ترجيحات سورة يونس من آية (٤٦) إلى آخر السورة.

ثانياً: ترجيحات سورة هود.

ثالثاً: ترجيحات سورة يوسف.

رابعاً: ترجيحات سورة الرعد من أول السورة إلى آية(١٠).

الخاتمـة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتضمن الفهارس الآتية:

مُحَرَّم. فهرس الآيات القرآنية.

صَفَر. فهرس القراءات.

ربيع أول. فهرس الأحاديث.

ربيع ثاني. فهرس الآثار.

جمادى أول. فهرس الأعلام.

جمادى ثاني. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

رجب. فهرس الفرق والقبائل.

شعبان. فهرس الأماكن والبلدان.

٩. فهرس الشواهد الشعرية.

١٠. فهرس المصادر والمراجع.

١١. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

- استخرجت ترجيحات أبي حيان – رحمه الله تعالى- التفسيرية من خلال تفسيره البحر المحيط ضمن القدر المحدد لي.
- أصدّر المسألة بكتابة الآية كاملة بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.
- ثم أضع عنواناً لكل مسألة يدل على مضمونها.
- ثم أذكر كلام أبي حيان بنصه كاملاً في المسألة غالباً، أو أكتفي بمحل الشاهد فقط من الاختيار، حسب ما تقتضيه مصلحة الدراسة.
- أقوم بدراسة المسألة، مبتدئة بجمع أقوال المفسرين الواردة في تفسير الآية المختلف فيها من المصادر التي اعتمدتها، وأحاول الاستقصاء ما استطعت.
- بعد دراسة المسألة أفند الأقوال المرجوحة وأصدّ ر الدراسة بعددها، ثم أذكر كل قول ومن قاله من المفسرين بذكرهم جملة في المتن، وتفصيلاً في الحاشية إن كان عددهم أكثر من ثلاثة، فإن كانوا ثلاثة فأقل أذكرهم بأسمائهم في ا لمتن وأشير إلى المصدر في الحاشية؛ وأذكر عبارة "واختاره أبو حيان" ضمن القول المختار[١]، ثم أذكر نص ثلاثة من أصحاب كل قول غالبا حسب الأقدم تأريخا، وإن تطابق النص المنقول مع من سبقه، لأن بعض المفسرين ينقل عمن تقدمه نصا في الغالب دون الإشارة إليه.
- بعد الانتهاء من سرد أقوال المفسرين، أناقشها تحت عنوان "نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي" وتهدف المناقشة إلى الإشارة إلى الرأي الراجح، ورد ما سواه بعبارة تدل عليه. وقد أذكر أحيانا في المناقشة نصوصاً لأقوال بعض المفسرين في بيان رد أو تضعيف القول حسب الحاجة إلى ذلك، مما أراه يساعد في بيان القول أورده.
- الترجيح أصدّره بعنوان ظاهر، يضم تحته بيان القول الراجح، فإن كان مما اختاره أبو حيان فإنني أذكر ذلك بعبارة « وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه » وإن كان

---

(١) – إن كان قول أبي حيان ظاهرا في الاختيار في الغالب، وإن رأيت عدم ظهور وجه الاختيار فإني أشير إلي بيان ذلك في الحاشية.

غير ذلك؛ فأذكر القول الراجح فقط، ثم أذكر أدلة الترجيح حسب ما ظهر لي وظننت صوابه د ونما تعصب أو ميل أو هوى بل أجتهد وأسأل الله التوفيق باتباع القواعد العلمية والآداب الشرعية والعبارات الواضحة في البيان، مع إدراج نص لأقوال العلماء حسب الحاجة.

- راجعت نص المسائل الترجيحي ة على النسخة الخطية لتفسير البحر المحيط الموجودة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية [1] ، وأشير إلى مواضع الخلاف والسقط بين المخطوط والمطبوع إذا كان الخلاف مؤثراً ، أما إذا كان غير مؤثر فلا أذكره، مع التزام ما جاء في المخطوط إلا إذا كان هناك سقط ، أو دعت الحاجة إليه، فإني أثبته من المطبوع مع الإشارة إلى ذلك.
- عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في صلب الرسالة.
- خرّجت القراءات من كتب القراءات ما استطعت.
- خرّجت الأحاديث من مظانها من كتب السنة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي به، وإن في غيرهما أذكر من أخرجه مع بيان حكم أهل الحديث في ذلك .
- أما الآثار فأذكر من أخرجها من المفسرين ممن اهتم بذلك، مع ذكر السند في الحاشية، وإن وجدت قولا يتعلق بصحته أذكره مع الإشارة إلى من قاله.
- وثقت النصوص التي أنقلها من مصادرها الأصلية ما أمكنني ذلك.
- عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة.
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمة موجزة ، ولم أستثن أحداً، خلا الخلفاء الأربعة، والأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الست ة، ولا أحيل إلى الترجمة إيجازاً.
- عرّفت بالفرق والطوائف والأماكن غير معرفة من كتبها المعتمدة.
- عند الإحالة إلى صفحة المنقول، فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته في

(١) – وقد وصلت إليّ بعد الانتهاء من درا سة المسائل والحمد لله.

الغالب، وإن كان النص هذا النص من عدة صفحات.

- أذكر طبعات المصادر والمراجع في الفهرس الخاص بذلك في آخر الرسالة، تخفيفاً للحواشي.
- التزمت طبعة لكل كتاب في الغالب، وعند الحاجة لطبعة أخرى، لفائدة أو وجود سقط ..الخ ، فأذكرها في ذلك الموضع.
- ذيلت الرسالة بفهارس فنية، تسهل للقارئ الرجوع إلى المطلوب عند الحاجة.
- أذكر جملة المفسرين في صلب الرسالة بالإشارة إليهم بقول : وهو قول كثير من المفسرين وما في معناها، أو جماعة من المفسرين، أو بعض من المفسرين.

وأذكر مصادر التفسير في الحاشية بذكر المؤلفين فقط في الغالب.

مثال : الطبري وأعني به في تفسيره جامع البيان . الماوردي في وأعني به النكت والعيون.وهكذا كل مفسر أحلت عليه أعني به تفسيره. إلا إن رجعت إلى أكثر من كتاب للمؤلف فإني أميزه.

مثال: الواحدي في الوجيز، والواحدي في الوسيط.

وبعـــــد:

فهذا جهد المقل مع كبد ومشقة ملازمة لعمل الإنسان وحاله .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[البلد: ٤] .

و لا يشعر الإنسان بأهمية ما قدم ما لم يتخلل عمله صعوبة وكدر.

وفي الختام هذا شكر وعرفان ، لمن كان سببا في الإنعام والأفضال، في خروج هذه الرسالة في أنضر وجه وأحسن حال.

فالشكر أولاً وأخيراً للمتفضل بالإنعام والإكرام على الدوام، الذي لا تحصى مننه، ولا يحد كرمه، فلك الحمد يا ربي حمداً يليق بجلالك، ولك الشكر شكراً يزيد من نعمائك.

أوليتني نعماً أبـوح بشكرهـــا وكفيتني كـل الأمور بأسرهـا
فلأشكرنك ما حييت وإن أمـت فلتـشكرنك أعظمي في قبرهـا

ثم أثني بالشكر والدعاء لوالدي الكريمين، أبي وأمي ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء: ٢٤.

فلك يا والدي واسع الرحمة من الله الرحمن الرحيم، ولك يا أمي الدعاء بالصحة والعافية وأن يكتب لك الأجر والصبر والشكر.

والثناء العاطر لصاحب الفضيلة أ.د. جمال مصطفى بن عبد الحميد النجار، لتفضله وتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة.

أشكر له نصحه وتصويبه وتقويمه ومتابعته ورحابة صدره وكريم طبعه ورفيع خلقه، وله مني الدعاء بظهر الغيب فربي خير من يجازيه.

ولأبي أولادي كل تقدير وشكر جزيل ووفاء لما قدم وأعان.

ولإخوتي وأخواتي كل شكر، وأخص العزيز عبد الله لما بذل وتكبد.

ولثمرات الفؤاد سمية وأحمد وأوس وصهيب وسفانة وسديم ، كل حب ودعاء.

ولجامعتي كل عز وفخر وارتقاء.

ولمن علمني فيها كل دعو ة خير من رب الأرض والسماء . وأخص منهم الوالد د . عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم، لما أرشد وأفاد، فبارك الله سعيه وأمده في عمره بالصحة والعافية والسداد.

ولقسم الكتاب والسنة أقدم وافر الشكر والثناء.

ولقسم القراءات أقدم أزكي تحية وأعطر ثناء، أخص بها رئيس القسم د .فيصل غزاوي لتعاونه وطيب أصله.

وأستاذتي الفاضلة د.سعاد بابقي أخصها بوافر الشكر والدعاء بالبركة بالنفس والعلم والخلق والأدب الرفيع أسدل الله عليها عفوه ورحمته وغفرانه.

ولأخواتي في القسمين كل شكر ودعاء .

وللأخ محمد بن ناصر أول طالب في دراسة ترجيحات أبي حيان، فقد استفدت من رسالته.

ولمن تعاون معي ولو بمق اسمتي الفرح والسرور والهم والنصب كل دعوة صادقة بالتوفيق والسداد.

ولكما يا من تفضلتما عليّ بقراءة رسالتي وإبداء النصح والتوجيه الذي أنا في أمس الحاجة إليه لتتكامل الرسالة وتظهر في أحسن حالة، كل شكر ودعاء مع طلب الصفح

والرفق فما كان الرفق في شيء إلا زا نه، وهذا جهد ممن الضعف فيه مركب . والحكمة ضالة المؤمن يأخذها كلما وجدها .

" بنفسي، العلماء هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء"[1] .

العلم كنز وذخر لا نفاد له نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العل م مغبوط به أبداً فلا يحاذر فوتاً لا ولا هربا

ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به دراً ولا ذهبا[2]

فأسألك ربي قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وعلماً نافعاً، ورزقاً واسعاً حلالاً طيباً، وتوبة نصوحاً وعملاً خالصاً صواباً متقبلاً، وختاماً حسناً في كل أمر وحين. وصلاة وسلاماً على الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين.

وكتبته:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي.

١٥/١٠/١٤٢٩هـ

(١) – وهو قول ميمون بن مهران انظر ، جامع بيان العلم وفضله ١/٢٢١. تحقيق الشيخ حسن أبي الأشبال ، وانظر صلاح الأمة في علو الهمة (١/١٥٢).

(٢) – هو من قول أبي الأسود الدؤلي ، انظر الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/٥٢).

التمهيد

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده وطلبه للعلم.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ووفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه ومولده وطلبه للعلم(1)

اسمه ونسبه :

هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (2) النفزي(3) الجياني (4) ،أبو حيان .

مولده :

ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

طلبه للعلم :

عاش أبو حيان في بيت علم فوالده من أعلام المفسرين (5) وهذا يدل

١- نكت الهميان ص ٢٨٠،الوافي بالوفيات (٢٧٧/٥)،طبقات الشافية الكبرى (٢٧٦/٩) نفح الطيب (٥٣٥/٢) ، الإحاطة في أخبار غرناطة (٤٣/٣)،معرفة القراء الكبار ص٣٨٧،الدرر الكامنة (١٨٧/٤)، النجوم الزاهرة (١١١/١٠)، غاية النهاية (٢٨٥/٢)،فوات الوفيات(٤/ ٧١)،المختصر في أخبار البشر(١٤٢/٤)، حسن المحاضرة (٤٣٨/١)،طبقات المفسرين للداوودي(٢٨٧/٢)،طبقات المفسرين للأدنهوي ص ٢٧٩،شذرات الذهب (١٤٥/٦)، هدية العارفين (١٥٢/٢)، الأعلام (١٥٢/٧).

٢- نسبة إلى غرناطة ،وهي قاعدة بلاد الأندلس ومن أقدم بلادها .وأجملها ومعناها بلسان الأندلسين رمانة .انظر معجم البلدان (١٩٥/٤)،الدرر الكامنة (١٨٧/٤).

٣- نفزة - بكسر النون وسكون الفاء - قبيلة من البربر . انظر معجم البلدان (٢٩٦/٥)،شذرات الذهب (١٤٥/٦).

٤- جَيّانُ : بالفتح ثم التشديد، وآخره نون: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس في شرقي قرطبة، انظر معجم البلدان(١٥٩/٢).

٥- انظر مقدمة محقق البحر المحيط (٢٨/١) فقد ذكر أن أبا حيان ذكر ذلك في تفسيره في سورة الكهف، ولم أجده.

على البيئة العلمية التي نشأ فيها وظهر تأثره بها .فنشأ الفتى على ما كان عوده أبوه.

وما زال هذا التأثر ينمو مع أبي حيان في مراحل حياته فعلت همته وكبر طموحه وأخذ ينهل من العلوم من حين بلغ سن التمييز ، فقال واصفاً ذلك : " وما زلت من لدن ميّزت أتلمذ للعلماء و انحاز للفهماء وأرغب في مجالسهم وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم ،واتبع فريقهم،فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام ....،فكم من صدر أودعت علمه صدري،وحبر أفنيت في فوائده حبري ، وإمام كثرت به الإ لمام ، وعلام أطلت معه الاستعلام ، أشنف المسامع بما تحسدها عليه العيون ..."[1] .

ومع بيت العلم وجد مجتمعا وبيئة تهتم بالعلم وتقدر العلماء فلا يخلو مسجد من حلقة علمية ، يدرس فيها التفسير وعلومه والحديث وعلومه والفقه واللغة والأصول ..الخ.

ومع انتشار المدارس المهتمة بالعلوم الدينية واللغوية وغيرها من العلوم .

وكان ذلك العصر عصر نهضة العلوم والفكر عصر مملكة غرناطة في أواسط القرن السابع الهجري .

فقرأ أبو حيان القرآن بالروايات وتعلم القراءات والنحو واللغة والحديث حتى بلغ شيوخه نحو أربعمائة وخمسين شيخا . مع حرصه على أخذ الإجازات .

قال أبو حيان في ذلك :" وعدة من أخذت عنه أربع مائة وخمسون شخصاً وأما من أجازني فكثير جدا"[2] .

وتنقل أبو حيان في أرجاء الأرض لطلب العلم والسماع من الشيوخ ،

١- تفسير البحر المحيط (١٠١/١) مقدمة المؤلف.

٢- الدرر الكامنة (١٨٩/٤) .

فذكر أنه طاف بلاد الأندلس ومصر وتونس والجزيرة العربية وبلاد السودان.

قال الداوودي[1]:"وسمع الحديث بالأندلس ،وإفريقية ،ومصر ،والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخا ...،وأجاز له خلق من المغرب والمشرق .."[2]

.

وبعد هذه الرحلة الطويلة استقر في القاهرة سنة ٦٨٠هـ.

(١) والداوودي هو: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين، العلامة الحافظ المفسر،شيح أهل الحديث في عصره توفي سنة ٩٤٥هـ. شذرات الذهب (٨/ ٢٦٤)،والأعلام (٧/ ١٨٤)،ومعجم المؤلفين (١٠/ ٣٠٣).

٢- طبقات المفسرين (٢/ ٢٧٨) .

المبحث الثاني

مكانته العلمية

أبو حيان نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقريه ومؤرخه وأديبه[1] ...

إنسان يشار إليه بمثل هذه الألقاب العلمية عند استفتاح ترجمته فما عسانا أن نجد في ثنايا الحديث عنه في كتب تراجم الأعلام والرجال ... ؟!

بل ماعسانا أن نجده في ذلك العصر في وسطه العلمي والاجتماعي عصر النهضة الفكرية والعلمية في بلاد الإسلام ....!!

قال الصفدي :" لم أره قط إلا يسمع أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب ولم أره على غير ذلك وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم ، وكان كثير النظم من الأشعار والموشحات ، وكان ثبتاً فيما ينقله عارفاً باللغة وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم وخصوصاً المغاربة وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته وأقرأ الناس قديما وحديثا حتى ألحق الصغار بالكبار وصارت تلامذته أئمة وأشياخاً وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها ، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب [2] : هذه نحو الفقهاء . والتزم أن لا يقرئ أحداً إلا في كتاب سيبويه[3] أو في التسهيل لابن مالك[4] أو في

١- شذرات الذهب (٦/١٤٥).

٢- عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدُّوينُّي الأصل، المالكي، الإمام العلامة المقري الأصولي، الفقية النحوي ، كان رأسا في العربية، وسارت بمصنفاته الركبان، توفي سنة ٦٤٧هـ. سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٦٤)، تذكرة الحفاظ للذهبي(٤/١٤٥٩)، شذرات الذهب(٥/٢١٨).

٣- عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، البصري، أبو بشر، إمام النحو، توفي سنة ١٨٠هـ.سير أعلام =

مصنفاته " (١) .

وقال ابن خلكان (٢) في ترجمته :" محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمّة الأدب أثير الدين أبو حيان الأندلسي " (٣) .

وقال ابن الجزري (٤) :" الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة."(٥)

وقال الأسنوي :"إمام زمانه في علم النحو ،وصاحب التصانيف المشهورة فيه،وفي التفسير شرقا وغربا ،والتلاميذ المنتشرة ،كان أيضا إماما في اللغة ، عارفا بالقراءات السبع والحديث،شاعراً مجيداً ،وكان صادق اللهجة ،كثير الإتقان والتحري ملازما على الاشتغال والأشغال إلى آخر الوقت ،كثير الاستحضار ."(٦)

وقال الذهبي (٧) :"أبو حيان ذو فنون ،حجة العرب ،وعالم الديار المصرية

=

النبلاء (٣٥١/٨)، البداية والنهاية (١٧٦/١)، شذرات الذهب (٢٥٢/١).

١- محمد بن جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الدمشقي، بدر الدين النحوي المالكي، توفي سنة ٦٧٢هـ . هدية العارفين(١٣٥/٦)، الأعلام(٢٣٣/٦).

٢- نكت الهميان ص ٢٨٠،والدرر الكامنة .و ترجمة الصفدي ستأتي في تلاميذ أبي حيان .

٣- أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، الأديب توفي سنة٦٨١هـ. النجوم الزاهرة(٣٥٣/٧)، الأعلام(٢٢٠/١).

٤- الأعيان ،حرف الميم .

٥- محمد بن محمد العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي، شمس الدين، أبو الخير، له مؤلفات في القراءات، توفي سنة٨٣٣هـ. غاية النهاية (٢٤٧/٢)،طبقات الحفاظ للسيوطي(٥٧٥).

٦- غاية النهاية في طبقات القراء (٢٨٥/٢) .

٧- طبقات الشافعية (٢١٨/١).وستأتي ترجمة الأسنوي في تلاميذ أبي حيان .

٨- الذهبي هو: محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ،شمس الدين ،أبو عبد الله ،حافظ مؤرخ ،علامة محقق .انظر :ذيل تذكرة الحفاظ (٢٢/٥)،البداية والنهاية (٦٤٩/١٤)،شذرات الذهب (٢٦٤/٨).

..... وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم،تخرج به عدة أئمة ."[1]

وقال أيضا :"ويمكن أن نذكر في كل طبقة بعد ذلك أئمة على هذا النمط ... ورأس العربيۃ أبو حيان الأندلسي،... ففي الناس بقايا خير ولله الحمد ."[2]

وقال ابن العماد الحنبلي [3] :"وكان ثبتا صدوقاً حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال و مال إلى مذهب أهل الظاهر ...كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن .."[4]

وما تقدم سرده من شهادة أهل العلم بتراجم الرجال لهو غيض من فيض في حق كوكبة أضاءت للسائرين طريقهم ونورت للسالكين دربهم ...وهذا حق لمن أفنى عمره وثنى ركبتيه في مجالس العلم وسهر الليالي في مذاكرته وأقام الحلقات في تدريسه وتعليمه .....وأبو حيان له من اسمه نصيب ... وكتبه وعلمه خير شاهد ودليل ...وماقيل عنه قليل من كثير ...... فرحمة الله عليه وعلى معلمي الناس الخير إلى يوم الدين.

١- معرفة القراء الكبار ص٣٨٧.

٢- سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٠).

٣- عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، ابو الفلاح، مؤرخ، فقيه، توفي سنة١٠٨٩هـ. الأعلام(٣/ ٢٩٠).

٤- شذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

أولا: شيوخه :

تقدم ذكر عدد الشيوخ الذين سمع أبو حيان فكانوا أربعمائة وخمسين ، ومن الصعب في هذه العجالة أن نحيط بهم علماً أو سرداً ،وإنما اقتصرت على ما يفي بالغرض ويقوم به الواجب لهذه الشموس الساطعة في التراث الإسلامي ؛ ترجمة موجزة بين الإسهاب والتقصير ، وهم كما يلي :

١ - أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي الجياني الغرناطي ، أبو جعفر ،كان عالماً مشهوراً في عدة علوم إلا أنه برع بالنحو وبه اشتهر ؛ قال عنه تلميذه أبو حيان :"كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومؤرخاً ...وكان كثير الإنصاف ناصحاً في الإقراء." وله مؤلفات عدة .توفي سنة ٧٠٨هـ.[١]

٢ - أحمد بن علي بن محمد ،أبو جعفر ،المعروف بابن الطبّاع الرّ عيني الغرناطي ،كان إماماً حاذقاُ مشهوراً ثبتاً ،برز بين أقرانه منذ الصغر ، وقال عنه تلميذه أبوحيان :"وقد قرأت القرآن بقر اءة السبعة ...على الخطيب أبي جعفر أحمد بن على بن محمد الرّعيني،عرف بابن الطباع بغرناطة ."توفي سنة ٦٨٠هـ[٢] .

٣ - أحمد بن عبد النور بن أحمد ، أبو جعفر المالقي النحوي ، اشتهر بمعرفة علوم اللغة العربية ،مع معرفة علوم أخرى، قال عنه تلميذه أبو

١- انظر غاية النهاية (٢٣١/١)،بغية الوعاة (٢٩١/١) وفيه قول أبو حيان عنه،شذرات الذهب(١٤٦/٦).

٢- انظر البحر المحيط لأبي حيان (١٠٩/١) ففيه قوله ،الوافي بالوفيات (٢٤٠/٧)،غاية النهاية (٨٧/١).

حيان :" كان عالما في النحو ."

قال ابن الخطيب :"كان قيماً على العربية ؛ إذ كانت جل بضاعته ، يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين ، وعروض الشعر ، وفرائض العبادات من فقه ...".توفى سنة ٧٠٢هـ.(1)

٤ - إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ،أبو طاهر ،من كبار الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو حيان في القراءات ،قال عنه تلميذه أبو حيان :" وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر ..على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ." توفي سنة ٦٨١هـ.(2)

٥ - حازم بن محمد بن حسن الأنصاري ،أبو الحسن القرطاجني ، أديب كبير اشتهر بالبلاغة والأدب ،كان من أشهر شيوخ أبي حيان ،قال عنه تلميذه :" كان أوحد زمانه في النظم ، والنثر ، والنحو ، واللغة ، والعروض وعلم البيان ،روى عن جماعة يقربون ألفاً ..". توفي سنة ٦٨٤هـ (3).

٦ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص ، أبو علي القرشي الفهري ، الأستاذ المجوّد المعروف بابن النّاظر ؛من فقهاء المحدثين ،ومن القرّاء والنّحاة والأدباء ، قال تلميذه أبو حيان :"رحلت إليه قصداً من غرناطة ؛لأجل الإتقان والتجويد ." توفي سنة

١- انظر الإحاطة (١/١٩٦)، غاية النهاية (١/٧٧)، بغية الوعاة (١/٣٣١).

٢- انظر البحر المحيط (١/١٠٩) ففيه قول أبي حيان ،الوافي بالوفيات (٩/٢٣٥)، معرفة القراء الكبار ص ٣٥٧ ، النجوم الزاهرة (٧/٣٥٦).

٣- انظر البحر المحيط (١/١٠٧)،الوافي بالوفيات (٥/٢٧٩)،درة الحجال (١/٢٥٤)،بغية الوعاة (١/٤٩١).

٦٨٠هـ.[1]

٧ - عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري ،أبو محمد الغرناطي ،كان خطيب جامع مُطخَشَارش بغرناطة ،وشيخ القراءات السبع فيها ،من كبار شيوخ أبي حيان ؛قال عنه :"قرأت عليه السبع في نحو من عشرين ختمة إفراداً وجمعاً،وعليه تعلمت الهجاء ، ولازمته نحواً من سبعة أعوام ، وذلك في مدة آخرها سنة ٦٦٩هـ." [2]

٨ - عبد الكريم بن علي ،علم الدين المعروف بابن بنت العراقي ، مفسر فقيه ، كثير التلاميذ ، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ، توفي سنة ٧٠٤هـ . [3]

٩ - عبد النصير بن علي بن يحي المريوطي ، أبو محمد الهمداني ، قال تلميذه أبو حيان :" قرأت القرآن بالقراءات الثمان بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح رشيد الدين أبي جعفر عبد النصير بن علي بن يحي الهمداني ." وقال الذهبي :"وقرأ عليه بالتجريد وتلخيص العبارات أبو حيان ."توفي سنة ٦٨٠هـ.

١٠- عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي ،أبو محمد المالكي ، يعرف بالبائع .

قال ابن الخطيب :"كان إماما في القراءات ،ماهرا في صناعة النحو ، فقيهاً أصولياً ،مقسوم الأزمنة على العلم وأهله ."قال تلميذه أبو حيان :" صاحبنا الأستاذ المقرئ النحوي ."توفي سنة ٧٠٥هـ.[4]

١- انظر الإحاطة (٤٦٣/١)،غاية النهاية (٢٤٢/١)، بغية الوعاة (٥٣٥/١).

٢- انظر البحر المحيط (١٠٩/١)، غاية النهاية (٢٤٢/١)، بغية الوعاة (٥٣٥/١).

٣- انظر لبحر المحيط (١٠٨/١و١٨٤)،نكت الهميان ص١٩٥، الدرر الكامنه (٢٤٢/٢).

٤- انظر الديباج المذهب ص٢٧٨ ،غاية النهاية (٤٧٧/١)،بغية الوعاة (١٢١/٢).

١١- محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، أبو عبد الله بهاء الدين النحاس الشافعي ، شيخ العربية والأدب بالديار المصرية ، قرأ عليه أبو حيان كتاب سيبويه فقال ابن النحاس عند ختمه :"لم يقرأه أحد عليّ غيره ."سنة ٦٩٨هـ.[1]

١٢- محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ،أبو عبد الله المعروف بابن النقيب ،مفسر فقيه ،له كتاب (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) في خمسين مجلداً .قال عنه تلميذه أبو حيان :"واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا - أي البحر المحيط - على كتاب (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير)[2] من جمع شيخنا الصالح القدوة الأديب جمال الدين أبي عبد الله محمد ابن سليمان بن حسن المقدسي ،عرف بابن النقيب رحمه الله تعالى ،إذ هو أكبر كتاب رأيناه صنف في علم التفسير ،يبلغ في العدد مائة سفر ،أو يكاد ،إلا أنه كثير التكرير ،قليل التحرير ،مفرط الإسهاب ..." توفي سنة ٦٩٨هـ.[3]

١- انظر الوافي بالوفيات (٢/ ١٠)، فوات الوفيات (٣/ ٢٩٤)،بغية الوعاة (١/ ١٣).

٢- وقد طبعت مقدمة تفسير ابن النقيب باسم آخر وهو : (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن) منسوب خطأً إلى ابن القيم ونبه على ذلك أحمد شاكر رحمه الله في مجلة المنار عام ١٣٣٤ هـ ، فقال : " يظهر أن مؤلفه من الكتاب المنشئين لا العلماء المحققين أمثال إمامنا ابن القيم" .

٣- انظر البحر المحيط(١/ ١١٤)، فوات الوفيات (٢/ ٣٨٢)،الجواهر المضيئة (٢/ ٤١٠)، شذرات الذهب (٥/ ٤٤٢).

ثانياً

تلاميذه

عرف أبو حيان بكثرة الشيوخ فهل التلاميذ كذلك، لنستعرض ما سطره المترجمون له في سيرته ، قالوا :

"اشتهر اسمه وطار صيته وأخذ عنه أكابر عصره وتقدموا في حياته "[1] .

"وأقرأ الناس قديماً وحديثاً وألحق الصغار بالكبار وصار ت تلامذته أئمة وشيوخاً في حياته ."[2]

"التزم أن لا يقرئ أحدٌ إلا في كتاب سيبويه أو مصنفاته ."[3]

"كان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ."[4]

"هو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض لهم في لججها ."[5]

"تولى تدريس التفسير بالمنصورية والإقراء بجامع الأقمر."[6]

"كان الشيخ أبو حيان منتفعاً به، اتفق أهل العصر على تقديمه وإمامته ،ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته ،وآباؤهم على النظر في م بسوطاته ،وضربت الأمثال باسمه."[7]

مما سبق إيراده من الأقوال يدل دلالة واضحة ع لى كثرة تلاميذ أبي حيان مما لا يطاق معه حصرهم ولا يستطاع جمعهم وعدهم في هذا الموضع ف أكتفي

١- انظر طبقات المفسرين (٢/٢٨٧) .

٢- انظر الدرر الكامنة (١٨٥/٤) .

٣- انظر الوافي بالوفيات (٢٧٧/٥) .

٤- انظر نكت الهميان ص٢٨٠ .

٥- انظر نفح الطيب (٥٣٥/٢).

٦- انظر طبقات الشافعية للسبكي(٢٧٦/٩).

٧- انظر شذرات الذهب (١٤٥/٦).

ببعض من اشتهر منهم :

١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي ،أبو إسحاق السّفاقسي النحوي ،ألف كتاب في إعراب القرآن الكريم ، جرده من البحر المحيط ،ويعد كتابه من أجل كتب الأعاريب وأكثرها فائدة ،توفى سنة ٧٤٩هـ.[1]

٢ - أحمد بن عبد القادر بن مكتوم الحنفي النحوي ،لازم شيخه أبي حيان ، ألف كتاب (الدر اللقيط من البحر المحيط) مطبوع بهامش البحر المحيط ،تقدم في علم النحو واللغة، توفي سنة٨٤٩هـ[2] .

٣ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي النحوي المعروف بالسّمين ،لازم أبي حيان ،وفاق الأقران ،برع في النحو والقراءات ،مع إلمامه بالفقه والأصول .توفي سنة٧٥٦هـ.[3]

٤ - الحسن بن القاسم بن عبدالله المرادي ،الشهير بابن أم قاسم،أخذ النحو عن جماعة آخرهم أبو حيان . صنف وتفنن ،توفي سنة ٧٤٩هـ.[4]

٥ - خليل بن أيبك بن عبدالله ،صلاح الدين الصفدي أبو الصفاء ،نسبة إلى صفد بفلسطين وفيها ولد ،أديب ومؤرخ ، أخذ النحو عن أبي حيان ، وحصل منه على إجازة بمروياته وشيوخه وتصانيفه ،صنف أكثر من ستمائة مجلد ، توفى سنة ٧٦٤هـ.[5]

١- انظر : الديباج المذهب ص١٥٠، الدرر الكامنة (١/٣٨)، بغية الوعاة (١/٤٢٥).

٢ - انظر :الوافي بالوفيات (٦/٤٤)،الدرر الكامنة (١/١٠٤)،بغية الوعاة (١/٣٢٦).

٣- انظر : الدرر الكامنة(١/١٩٨)،بغية الوعاة (١/٤٠٢)،شذرات الذهب (٦/١٧٩).

٤- انظر : غاية النهاية(١/٢٢٧)،بغية الوعاة (١/٥١٧)،شذرات الذهب (٦/١٦٠).

٥- انظر :طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٥)،الدرر الكامنة (٢/٤٩)،النجوم الزاهره (١١/١٩).

٦ - عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال ،أبو محمد الأسنوي ،الفقيه الشافعي الأصولي النحوي،قال أبو حيان له "لم أشيخ أحداً في سنك ." انتهت إليه رئاسة الشافعية .توفي سنة ٧٧٢هـ.[1]

٧ - عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي ،قاضي القضاة ،نحوي الديار المصرية ،برع في علوم كثيرة وخاصة العربية ، من أجل تلاميذ أبي حيان لطول ملازمته له، قال شيخه أبو حيان عنه :"ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل ." توفي سنة٧٦٩هـ.[2]

٨ - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ، النحوي المشهور ، كان كثير المخالفة لأبي حيان ،تخرج به جماعة من أهل مصر ، توفي سنة ٧٦١هـ.[3]

٩ - عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، تاج الدين أبو نصر السّبكي ، حصّل فنونا من الفقه ،والأصول ،والحديث،والأدب ،مع براعة في العربية .قرأ على أبي حيان وقال في ذلك :"ولما توجهنا من دمشق إلى مصر في سنة ٧٤٢هـ،ثم أمرنا السلطان بالعودة على الشام ،لانقضاء ما كنا توجهنا لأجله ، اس تمهله الولد لأجلي ،فمكث حتى أكملت على أبي حيان ما كنت أقرؤه عليه ،وقال لي :يا بني هو غنيمة ،ولعلك لا تجده في سفرة أخرى ، وكان كذلك ."توفي سنة ٧٧١هـ.[4]

١٠-محمد بن أحمد بن هادي المقدسي الحنبلي ، أحد الأذكياء ،مهر في

١- انظر : النجوم الزاهرة (١١/١١١٤)،طبقات الشفعية للأسنوي (١/٢١٩)،بغية الوعاة (٢/٩٢).

٢- انظر : الدرر الكامنة (٢/١٦٢)،غاية النهاية (١/٤٢٨)، النجوم الزاهرة (١١/١١٤)

٣- انظر : النجوم الزاهرة (١٠/٣٣٦)،بغية الوعاة (٢/٦٨)،البدر الطالع ص٤٠٦.

٤- انظر: الدرر الكامنة (٢/٢٥٨)،النجوم الزاهرة (١١/١٠٨)،البدر الطالع ص٤١٥.

الحديث والأصول ،وأخذ العربية على أبي حيان ،توفي سنة ٧٤٤هـ.[1]

❦❦❦❦❦

١- انظر : الوافي بالوفيات (٢/ ١٦١)،الدرر الكامنة (٣/ ٢٠١)،شذرات الذهب (٦/ ١٤١).

المبحث الرابع

مؤلفات أبي حيان ووفاته

أولا : مؤ لفاته:

تميز أبو حيان بالمهارة في العلوم وكثرة الشيوخ والتلاميذ مع كثرة المصنفات والمؤلفات في مختلف العلوم حتى بلغ عددها على ما يزيد على خمسين كتاباً [1] ، متفاوتة في الحجم .

قال تلميذه الصفدي :" وله التصانيف التي سارت وطارت ،وانتشرت وما انتشرت ،وقرئت ودريت ،ونسخت وما فسحت ،أخملت كتب الأقدمين، وألهْت المقيمين بمصر والقائمين ." [2]

وسأذكر في هذه العجالة ما هو مطبوع ومخطوط من كتبه دون ما هو مفقود :

أولاً : المؤلفات في التفسير:

١. تفسير البحر المحيط [3] .
٢. النهر الماد من البحر [4] .

١- انظر الوافي بالوفيات (٥/ ٢٨٠)، نفح الطيب (٢/ ٥٥٢)،وقد ذكر أبو حيان معظم مؤلفاته في إجازته لتلميذه الصفدي .

٢- نكت الهميان ص٢٨٠،نفح الطيب (٢/ ٥١٤).

٣- مطبوع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ،ثم صور عدة مرات .آخرها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق جملة من المحققين ،ط١،١٤١٣هـ.

٤- مطبوع بحاشية البحر المحيط ،ثم طبع في مجلدين كبيرين بعنايه :بوران الضناوي ،وهديان =

ثانيا : في القراءات:

٣. عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي[□] .

ثالثاً: في اللغة:

٤. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب[□] .

٥. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء[□] .

٦. الإدراك للسان الأتراك[□] .

٧. د يوان أبي حيان [□] .

٨. معاني الحروف [□] .

=

الضناوي ،دار الجنان ، بيروت ،ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ط١،١٤٠٧هـ.

١- مخطوط نسخة بالهند وأخرى في القاهرة ،انظر تقريب المقرب بتحقيق :محمد جاسم الدليمي ص٦٩،وأبو حيان النحوي .

٢- مطلوب ،وخديجة الحديثي بمطبعة العاني ببغداد سنة١٩٧٧م،وثالثة بتحقيق : سمير طه مجذوب ، الناشر المكتب الإسلامي ،سنة١٤٠٨ه .وانظر كتاب أبو حيان وكتابه البحر المحيط ص٥٦.

٣- وهو كتاب في اللغة ،مطبوع بمطبعة المعا رف ببغداد سنة ١٩٦١م بعناية :محمد بن حسن آل ياسين ،وهو تلخيص لرسالة ابن مالك (الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد)،انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٦.

٤- وهو كتاب في اللغة ،مطبوع باسطنبول سنة ١٣٠٩ه،بتصحيح :جعفر أوغلي احمد،ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض ، قسم الكتب النادرة .انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٦.

٥- مطبوع بتحقيق :د.أحمد مطلوب ،ود.خديجة الحديثي ،مطبعة العاني ،بغداد سنة١٣٨٨هـ.

٦- وهو كتاب في اللغة محطوط :له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا .انظر تقريب المقرب بتحقيق الدليمي ص٧١،وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٩.

رابعًا: في النحو والصرف والبلاغة:

٩. ارتشاف الضّرب من لسان العرب (□) .

١٠.إعراب القرآن (□) .

١١.التدريب في شرح التقريب (□).

١٢.التذكرة في العربية (□) .

١٣.التذييل وا لتكميل في شرح التسهيل (□).

١٤.تقريب المقرّب(□).

١٥.تلويح التوضيح في النحو(□) .

١٦.قصيدة في النحو(□) .

١- وهو كتاب في النحو والبلاغة ،مطبوع بتحقيق د .مصطفى أحمد النماس ،مطبعة المدني ،ط ١ ١٤٠٨هـ . انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٦.

٢- وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مخطوط :يقع في ثمانية أجزاء ،انظر مقدمة النكت الحسان ص٨،ومقدمة تقريب المقرب ص٦٩،الأعلام (١٥٢/٧).

٣- وهو كتاب في النحو والبلاغة ،مخطوط ، انظر أبو حيان النحوي ص ١٠٦،ومقدمة تقريب المقرب للدليمي ص٧٠،ومقدمة تذكرة النحاة ص٢٠.

٤- وهو كتاب في النحو والبلاغة طبع منه جزء بتحقيق د .عفيف عبد الرحمن ، ا لناشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ.

٥- وهو كتاب في النحو والبلاغة ،طبع منه قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨هـ،بمطبعة السعادة بمصر ،وقدم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراة من ثمانية في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام١٩٧٥م.

٦- وهو كتاب في النحو والبلاغة ،مطبوع بتحقيق د.عفيف عبد الرحمن ،وطبعه سنة ١٤٠٢هـ،بدار السيرة ، وحققه : محمد جاسم الدليمي لنيل درجة الماجستير ١٩٨٣م ،وطبعه سنة ١٤٠٧هـ ،مؤسسة دار الندوة الجديدة ، ببيروت . المقرب كتاب لابن عصفورة .

٧- مخطوط . انظر الذيل لبروكلمان (١٣٦/٢)،ومقدمة تقريب المقرب ص٧٠.

١٧.اللّمحة البدرية في علم العربية ،مختصر في النحو[1] .

١٨.المبدع الملخص من الممتع[2] .

١٩.منهج السّالك في الكلام على ألفية ابن مالك [3].

٢٠.الموفور من شرح ابن عصفور [4].

٢١.النكت الحسان شرح غاية الإحسان [5].

٢٢. الهداية في النحو[6] .

ثانياً : وفاته:

ومرت الأيام والليالي مابين دروس وحلقات العلم في تلقي العلم وتعليمه وتدوين المصنفات والمؤلفات ، حياة حافلة في البذل والعطاء

=

١- مخطوط ، انظر الذيل لبروكلمان (٢/١٣٦)،ومقدمة تقريب المقرب ص٧٢.

٢- مطبوع مع شرحه لابن هشام بتحقيق د.هادي نهر سنة ١٩٧٤م ،انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٨.

٣- وهو كتاب في النحو والبلاغة ،مطبوع بتحقيق د.عبد الحميد السيد طلب ، عام١٩٨٢م.

٤- مطبوع ، نشر بتحقيق : سدني جليزر ، بالولايات المتحدة الأمريكية . انظر :أبو حيان النحوي ص١٢٣، ومقدمة تقريب المقرب ص٦٨.

٥- وهو كتاب في النحو والبلاعة ، مخطوط انظر :أبو حيان النحوي ص١٠٩،ومقدمة تذكرة النحاة ص٢٠، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص ٥٩،وهو اختصار لكتاب ابن عصفور شرح الجمل . وابن عصفور هو أبو الحسن : علي بن المؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الإشبيلي ،وحامل لواء العربية في زمانه في زمانة في الأندلس ، وصاحب الممتع في التصريف ،توفي سنة ٦٦٩هـ .إشارة التعيين ص٢٣٦،بغية الوعاة (٢/٢١٠)، روضات الجنات ص٤٩٣.

٦- وهو كتاب في النحو ،مطبوع بتحقق : عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ط١،سنة١٤٠٥هـ. انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٧.

٧- وهو كتاب في النحو ، مخطوط . انظر مقدمة تقريب المقرب تحقيق الدليمي ص ٧١،وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٩.

والكفاح .

وبعد كل هذه الجهود، تبقى سنة الله الكونيه في الفناء قال تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن :٢٦-٢٧] .

توفي أبو حيان رحمه الله تعالى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة ، في القاهرة ،وكان قد ناهز الحادية والتسعين من عمره .

وقد تأثر بموته الناس وحق لهم . فقد كان نجماً يشع نوراً وبريقاً . وخرجت جنازته مهيبة، شيعته الجموع بعد موته التي طالما كانت تشيعه في حلقات العلم وفي حله وترحاله، وأثنوا عليها أيما ثناء، أليسوا هم شهداء الله في أرضه وكيف لايشهدون لمن كان نبراسا للعلم والعلماء، ومما قيل فيه على لسان تلميذه الصفدي[1] :

مات أثير الدين شيخ الورى : فاستعر البارق واستعبرا

ورق من حزن نسيم الصبا : واعتل في الأسحار لما سرى

... :

يا عين جودي بالدموع التي : يروى بها ما ضمه من ثرى

... :

مات إمام كان في علمه : يُرى إماماً والورى من ورا

... :

وعرف العلم بـه برهة والآن لما أن مضى نكرا

...

١- انظر : نكت الهميان ص ٢٨٤، نفح الطيب)٢/٥٣٩)،وبغية الوعاة(٢٨٣/١).وقد انتقيت الأبيات من القصيدة.

إن مات فالذكر له خالدا يحيى به من قبل أن يقبرا

...

وخـصه من ربه رحمة تتـورده في حـشره الكـوثرا

رحمة الله تعالى عليه وعلى العلماء والصالحين و أمة محمد ﷺ أجمعين.

الفصل الأول

منهج أبي حيان في تفسيره

أولاً: تمهيد

ثانياً: منجهه في التفسير بالمأثور

وفيه ستة مباحث.

ثالثا: منهجه في التفسير بالرأي

وفيه خمسة مباحث.

أولا

تمهيد

ذكر أبو حيان رحمه الله تعالى في تفسيره مقدمة وافية كافية ، بعد الحمد والثناء على الله بما هو أهله ؛ بين فيها ما يلي :

١. السبب الذي دعاه للتأليف في التفسير .
٢. منهجه الذي اتبعه في التفسير .
٣. العلوم التي يجب أن يلم بها المفسر .
٤. الشروط التي تلزم المفسر .
٥. موقفه من التفسير بالرأي .
٦. مصادره في التفسير .
٧. ذكر فضائل القرآن .
٨. الترغيب في تفسير القرآن.
٩. ذكر المفسرين من الصحابة .
١٠. ذكر المفسرين من التابعين .
١١. منهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتأخرة.
١٢. تعريف التفسير لغة واصطلاحاً .

وقد حوت مقدمة تفسيره على فوائد فرائد وأصول ثوابت وقواعد وركائز تفيد كل مشتغل بهذا العلم الجليل نذكر منها ما يلي :

- التدرج في فهم النص القرآني وذلك: بالابتداء بالمفردات قبل التركيب وذكر المعاني المتعلقة بها، وإيراد الجزئيات التي تعين على معرفة ما يتعلق بهذا النص من بيان سبب النزول والناسخ والمنسوخ ،والمناسبات وارتباطها بما قبلها من الآيات ،وذكر

القراءات بأنواعها مع التوجيه ،ونقل أقوال السلف والخلف في فهمهم للمعاني ،مع التدقيق والتمحيص ،وإيراد الأوجه الإعرابية والبلاغية وحملها على أحسن المحامل التي تليق بكلام الرحمن ،و نقل أقوال الفقهاء فيما يتعلق بآيات الأحكام مع البيان والإيضاح والترجيح .

- التوفيق بين أقوال السلف في فهم الآيات إن كان اختلافهم اختلاف تنوع لاتضاد [1].
- أما في حال الاختلاف الذي يؤدي إلى التباين والتضاد وهو قليل ؛ فالتمحيص والتدقيق واجب ، والوقوف مع الدليل أوجب .
- البعد عن الأقوال التي لا تفيد في فهم معنى الآية ؛وتنزيه التفاسير عنها .وقال في ذلك :"وكثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم من ذلك الإعراب ،بعلل النحو ،ودلا ئل أصول الفقه ،ودلائل أصول الدين ، وكل هذا مقرر في تآليف هذه العلوم ،وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه ،وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول ،وأحاديث في الفضائل ،وحكايات لا تناسب ، وتواريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير ،ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ،وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة ،وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ على مفهم ولا معلم ،وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه ،فلذلك اختلفت أفهامهم ، وتباينت أقوالهم ."

١- وللمزيد في هذه والتي تليها راجع مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٤٨،وفصول في أصول التفسير د.مساعد الطيار ص٥٦.

- إن من زعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة ،فهو كلام ساقط لأن الصحابة سألوا النبي ﷺ عما أشكل عليهم ؛ولكان كل ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه ....الخ لا يكون تفسيراً .
- قال أبو حيان :"إن النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه :

الوجه الأول : علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً ...- وذكر كتب ومصادر هذا العلم -.

الوجه الثاني :معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو ...- وذكر كتب ومصادر هذا العلم-.

الوجه الثالث :كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ...- وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .

الوجه الرابع : تعيين مبهم ، وتبيين مجمل ،وسبب نزول ونسخ ،ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ وذلك من علم الحديث ...- وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .

الوجه الخامس : معرفة الإجمال، والتبيين ،والعموم ،والخصوص ، والإطلاق ، والتقييد ،ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا ،ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن ،ويؤخذ هنا من أصول الفقه ،ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة . ...- وذكر كتب ومصادر هذا العلم.

الوجه السادس :الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه ،والنظر في النبوة ويختص هذا بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء ، وإعجاز القرآن ،ويؤخذ هذا من علم الكلام ،وقد صنف

علماء الإسلام من سائر الطوا ئف في هذا كتبا كثيرة ،وهو علم صعب إذ المزلة فيه والعياذ بالله مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة .

الوجه السابع :اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ،أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ ،وذلك بتواتر وآحاد ،ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن ، وقد صنف علماؤنا في ذلك كتباً لا تحصى . ...- وذكر بعض كتب ومصادر هذاالعلم - .

فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه منها ."

إن السبب في اختلاف الناس فيما به إعجاز القرآن هو تباين أهل الإسلام في إدراك فصاحة الكلام ،وما به تلكون الزجاجة في النظام .

ثانياً

منجهه في التفسير بالمأثور

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: **تفسيره القرآن بالقرآن** وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطنب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنايته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: **تفسيره القرآن بالسنة**

المبحث الثالث: **عنايته بأسباب النزول**

المبحث الرابع: **تفسيره القرآن بأقوال الصحابة**

المبحث الخامس: **تفسيره القرآن بأقوال التابعين**

المبحث السادس: **موقفه من الإسرائيليات**

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالقرآن

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطنب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنايته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ.

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن هو من أحسن الطرق وأصحها وأبلغها وأهمها وأولاها ؛ فكل قائل أعلم بمراد قوله قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩)﴾[القيامة: ١٩] .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنه فلقد فسر قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢] فسرها بعد سؤال الصحابة بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] [لقمان:١٣].

وقد انتهج أبو حيان هذا الطريق كما وضح في مقدمته ويتضح ذلك من أول وهلة من قراءة تفسيره .

وينبغي التنبيه على أمر مهم في تفسير القرآن بالقرآن وهو :لا يلزم من ذلك أن كل من قال :إن هذه الآية تفسير لهذه الآية صحة ذلك وقبوله ، لأن هذا تفسير مبني على اجتهاد المفسر ورأيه ،وقد لا يكون صحيحا[2] .

وهذه نماذج مما أوردها أبو حيان في تفسيره من هذا الطريق :

١ - قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾[يونس: ٥٨]:" ولا تنافي بين الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله : ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

١- صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الأنعام ، باب قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ حديث رقم (٤٦٢٩) .

٢- انظر فصول في أصول التفسير ص٢٣،و٥٢.

ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] لاختلاف المتعلق." فالمأمور به هما الفرح بفضل الله وبرحمته ، والمنهي هناك الفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة العلو بها ، والفساد والأشر ، ولذلك جاء بعده : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[القصص: ٧٧] وقبله : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾[القصص: ٧٦] [1].

٢ - قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ ﴾[يونس: ٦٥] :"وفي هذه الآية تأمين للرسول صلى الله عليه وسلم من إضرار الكفار ، وأن الله تعالى يديله عليهم وينصره ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾ المجادلة: ٢١ ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ ﴾ " [2] [غافر: ٥١].

والأمثلة في هذا كثيرة موجودة في ثنايا تفسيره .

---

١ - البحر المحيط (٥/١٧٠).

٢ - البحر المحيط (٥/١٧٤).

المطلب الأول: شرح الموجز(□) بالمطنب(□)

قد ورد في القرآن نصوصاً موجزة في بعض المواضع، و ترد تارة مطنبة في مواضع أخرى، كما ورد في قصص الأنبياء.

والمفسر يوجز أحياناً في تفسير بعض هذه الآيات، ويطنب أحياناً أخرى، حسب ما يقتضيه المقام ،وما تدعوا الحاجة إليه.

وأحياناً يجمع أجزاء الموضوع الواحد من كل مكان ليكتمل الموضوع كله أمامه، ثم يشرع في تفسيره في ضوء هذه الأجزاء . ليتضح ما كان موجزاً، ولا يلتبس عليه شيء من جزئيات الموضوع.(□)

وأبو حيان شأنه في ذلك شأن كثير من المفسرين في اتباع هذه الطريقة .

ومن أمثلة ما أورده في تفسيره ما يلي:

- عند قصة موسى عليه السلام في سورة يونس عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٤-٧٧] :" لأن شرط هذا أن يكون المعرّف بالألف واللام هو النكرة المتقدم، ولا يكون غيره كما قال تعالى:﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾[المزمل: ١٥ - ١٦] وتقول: زارني رجل فأكرمت الرجل، ولما كان إياه جاز أن يأتي بالضمير بدله فتقول: فأكرمته. والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في قوله:﴿ إنّ هذا لسحر﴾، لأن الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى عليه السلام من معجزة العصا، والسحر الذي في

(١) الإيجاز : أداء المقصور بأقل من العبارة المتعارفة ، التعريفات ص ٤١ .

(٢) الإطناب : أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة ، التعريفات ص ٢٩ .

٣ – انظر التفسير بالمأثور ص ٢٩. للدكتور جمال مصطفى عبد الحميد النجار.

قول موسى إنما هو سحرهم الذي جاؤوا به، فقد اختلف المدلولان وقالوا : هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤوا به، ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر، فيكون عائداً على قولهم السحر. والظاهر أنّ الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام. وسيبطله يمحقه، بحيث يذهب أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة. وقيل: هذه الجمل من كلام الله تعالى. ومعنى بكلماته، بقضاياه السابقة في وعده. وقال ابن سلام: بكلماته بقوله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[طه: ٦٨] وقيل : بكلماته بحججه وبراهينه وقرىء بكلمته على التوحيد أي بأمره ومشيئته."[1]

وكذا في بقية آيات قصة موسى عليه السلام في سورة يونس عليه السلام.

- وعند قصة نوح في سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[هود: ٢٥] قال :" هذه السورة في قصصها شبيهة بسورة الأعراف بدىء فيها بنوح، ثم بهود، ثم بصالح، ثم بلوط، مقدّماً عليه إبراهيم بسبب قوم لوط، ثم بشعيب، ثم بموسى وهارون، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين. وذكروا وجوه حكم وفوائد لتكرار هذه القصص في القرآن."[2]

والأمثلة متوافرة في تفسيره.

١ - البحر المحيط (١٨٠/٥).

٢ - البحر المحيط (٢١٤/٥).

المطلب الثاني :تفسير المجمل بالمبين

ومن تفسير القرآن بالقرآن : الاستعانة بالمبين على فهم المجمل.[1]

فالمجمل هو:" اللفظ الصالح لأحد معنيين، الذي لا يتعين معناه لا بوضع اللغة، ولا بعرف الاستعمال، وينكشف ذلك بمسائل."[2]

والمبيّن فهو :" ما كان الخطاب المبتدأ،المستغنى بنفسه عن البيان."[3]

وطريقة المفسرين في ذلك حمل ما يرا ه مجملاً من الآيات في القرآن على ما جاء مبيناً له.

وأبو حيان سلك هذا المسلك في تفسيره ، والأمثل ة في ذلك متوافر ة في تفسيره منها:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس: ٦٢] :" أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. وقد فسر ذلك في قوله:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس: ٦٣]."[4]
- قال عند قوله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[هود: ٣] :" والدرجات تتفاضل في الجنة بتفاضل الطاعات، وتقدم أمران بينهما تراخ، ورتب عليهما جوابان بينهما تراخ، ترتب على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن في الدنيا، كما قال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾

---

١ - وانظر التفسير بالمأثور للدكتور جمال مصطفى النجار ص ٣٠.

٢ - المستصفي للغزالي (١/٣٤٥).

٣ - الإحكام للأمدي (٢/١٧٨).

٤ - البحر المحيط (٥/١٧٢).

[نوح: ١٠ – ١١] الآية وترتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة،وناسب كل جواب لما وقع جاوباً له ، لأن الاستغفار من الذنب أول حال الراجع إلى الله ، فراسب أن يرتب عليه حال الدنيا ، والتوبة هي المنجية من النار ، والتي تدخل الجنة ،فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة " [1].

١ – البحر المحيط)٥/ ٢٠٢).

المطلب الثالث: عنايته بالقراءات

ومن أوجه تفسير القرآن بالقرآن، التفسير بالقراءات ، وقد اعتنى أبو حيان بهذا الوجه اعتناء عظيماً.

قال أبو حيان في مقدمة تفسيره البحر المحيط :" وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة.... ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها ،ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذكراً توجيه ذلك في علم العربية.....الخ"[1]

فمن منهجه ذكر أوجه القراءات القرآنية الواردة في الآية، مع توجيهه لتلك القراءات وفق مقتضيات اللغة العربية.

وبهذا المنهج الفريد غدا البحر المحيط من أهم المراجع في علم القراءات من حيث توثيقها وتوجيهها .

ومما ورد في تفسيره من إيراده للقراءات ما يلي:

- قال أبو حيان :" ...وقرأ عثمان بن عفان ، وأبيّ ، وأنس ، والحسن ، وأبو رجاء ، وابن هرمز ، وابن سيرين ، وأبو جعفر المدني ، والسلمي ، وقتادة ، والجحدري ، وهلال بن يساف ، والأعمش ، وعمرو بن قائد ، والعباس بن الفضل الأنصاري : فلتفرحوا بالتاء على الخطاب ، ورويت عن النبي ﷺ . قال

١ - البحر المحيط(١٠٣/١).

صاحب اللوامح : وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك ، انتهى . وقال ابن عطية : وقرأ أبي وابن القعقاع ، وابن عامر ، والحسن : على ما زعم هارون . ورويت عن النبي ﷺ فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة ، وعن أكثرهم خلاف انتهى . والجمهور بالياء على أمر الغائب . وما نقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتاء ليس هو المشهور عنه ، إنما قراءته في مشهور السبعة بالياء أمراً للغائب ، لكنه قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب ، وباقي السبعة بالتاء على الخطاب . وفي مصحف أبي : فبذلك فافرحوا ، وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب . وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة . وفي الحديث: ((لتأخذوا مصافكم)) وقرأ أبو التياح والحسن : فليفرحوا بكسر اللام ، ويدل على أنّ ذلك أشير به إلى واحد عود الضمير عليه موحداً في قوله : هو خير مما يجمعون ، فالذي ينبغي أنّ قوله تعالى : (بفضل الله وبرحمته) ، على أنهما شيء واحد عبر عنه باسمين على سبيل التأكيد...."[1]

- وقال:" ...وقرأ الجمهور : ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على ذرة أو على مثقال على اللفظ . وقرأ حمزة وحده : برفع الراء فيهما ، ووجه على أنه

١ - البحر المحيط (٥/ ١٧٠) سورة يونس آية(٥٨).

عطف على موضع مثقال لأن من زائدة فهو مرفوع بيعزب ، هكذا وجهه الحوفي وابن عطية وأبو البقاء . وقال الزمخشري تابعاً لاختيار الزجاج : والوجه النصب على نفي الجنس ، والرفع على الابتداء ، يكون كلاماً مبتدأ . وفي العطف عل محل مثقال ذرة أو لفظه فتحاً في موضع الجر أشكال ، لأنّ قولك : لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى . وإنما أشكل عنده ، لأنّ التقدير يصير إلا في كتاب فيعزب ، وهذا كلام لا يصح . وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره : لكن هو في كتاب مبين ، ويزول بهذا التقدير الإشكال ."[1]

- وقال:" ... وقرأ أبو حيوة : أنّ العزة بفتح الهمزة وليس معمولاً لقولهم : لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ، إذ هو قول حق . وخرجت هذه القراءة على التعليل أي : لا يقع منك حزن لما يقولون ، لأجل أنّ العزة لله جميعاً . ووجهت أيضاً على أن يكون إنّ العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه .

قال الزمخشري : ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره ، فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القرآن . وقال القاضي : فتحها شاذ يقارب الكفر ، وإذا كسرت كان استئنافاً ، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب . وقال ابن قتيبة : لا يجوز فتح إن في هذا

---

١ - البحر المحيط (١٧٢/٥) سورة يونس آية(٦١).

الموضع وهو كفر وغلو ، وإنما قال القاضي وابن قتيبة بناء منهما على أن معمولة لقولهم ، وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح ."[1]

والأمثلة في ذلك متوافرة في الكتاب .

١ - البحر المحيط (٥/١٧٤)،سورة يونس آية (٦٥).

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص

ومن طرق التفسير حمل العام على الخاص.[1]

أما العام فهو:" اللفظ الواحد، الدال على مسميين فصاعدا، مطلقا معا."[2]

وله عدة صيغ منها: الألفاظ المؤكدة، مثل: كل وجميع.

ألفاظ الجموع المعرفة والمنكرة، مثل: المشركين ، ومشركين.

النكرة الموصوفة بوصف عام.

المفرد الذي دخل عليه(ال).

الأسماء الموصولة (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي)

وأما الخاص فهو:" كل لفظ موضوع لمعنى معلوم على الانفراد، وكل اسم لمسمى معلوم."[3]

وقد وافق أبو حيان المفسرين في حمل العام على الخاص في التفسير فمن أمثلة ذلك ما يلي:

- وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧] :" قيل: نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو ؟ فالناس هم كفار قريش. وقال ابن عطية: هو خطاب لجميع العالم."[4]

- وقال عند تفسير قوله تعالى﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا

١ - وانظر التفسير بالمأثور للدكتور جمال مصطفى النجار ص٤٥.

٢ - الإحكام (٢/ ٥٤).

٣ - أصول السرخسي (١/ ١٢٤).

٤ - البحر المحيط (٥/١٦٨).

يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن
﴾[يونس: ٦١] " : والخطاب في قوله تعالى: وما تكون في شأن، وما تتلو للرسول ﷺ وهو عام بجميع شؤونه عليه السلام. وما تتلو مندرج تحت عموم شأن، واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن. وما في الجملتين نافية، والضمير في منه عائد على شأن، ومن قرآن تفسير للضمير، وخص من العموم لأنّ القرآن هو أعظم شؤونه عليه السلام."[1]

وغير ذلك من الأمثلة الدالة على اهتمامه بهذا الطريق .

❀❀❀❀

١ - البحر المحيط(٥/ ١٧١).

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

فالمطلق هو: "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه."[1]

والمقيد يطلق باعتبارين:

الأول: ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين، كزيد وعمرو، وهذا الرجل، ونحوه.

والثاني: ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق، بصفة زائدة عليه، كقولك دينار مصري، ودرهم مكي.

وهذا النوع مطلق من وجه، ومقيد من وجه.[2]

والفرق بين العام والمطلق أن المطلق يدل على فرد شائع، أو أفراد شائعة في جنسه لا على جميع الأفراد، بينما العام يدل على شمول اللفظ لجميع أفراده، من غير حصر.[3]

وقد ورد هذا الطريق في تفسير أبي حيان .

---

١ - روضة الناظر مع شرحها(٢/ ١٩١).

٢ - انظر الإحكام للامدي(٢/ ١٦٢)، وإرشاد الفحول ص١٦٤.

٣ - انظر التفسير بالمأثور ص٦٠، للدكتور جمال مصطفى النجار.

المطلب السادس

تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

ومن تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يوهم التعارض بين آياته.

فقد يجد المفسر آيتين أو أكثر يوهم ظاهرها بالتعارض، فإذا دقق وبحث أمكنه الجمع بينها، إذ لاتعارض إطلاقا بين النصوص.[1]

قال الكرماني[2]: " الاختلاف والتناقض على وجهين، اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن، واختلاف تلازم، وهو ما يوافق الجانبين، كا ختلاف وجوه القراءة، واختلاف مقادير السور والآيات، واختلاف ا لأحكام من الناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، والوعد والوعيد."[3]

وقد أورد أبو حيان في تفسيره ذلك منها:

- قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس:٥٨] :" ولا تنافي بين الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[القصص: ٧٦] لاختلاف المتعلق، فالمأمور به هنا الفرح بفضل الله وبرحمته، والمنهي هناك الفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة

---

١ - انظر التفسير بالمأثور. للدكتور جمال مصطفى النجار.ص٦٥-٦٦.

٢ - محمد بن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني شمس الدين، أبو عبد الله البغدادي الشافعي توفي سنة٧٨٦هـ. هدية العارفين(٦/ ١٧٢).

٣ - الإتقان (٢/ ٣١).

العلو بها والفساد والأشر، ولذلك جاء بعده: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[القصص: ٧٧] وقبله: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾[القصص:٧٦] وقوله: ﴿ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود:١٠] جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بإذاقة النعماء بعد الضراء، وبأسه وكفرانه للنعماء إذا نزعت منه، وهذه صفة مذمومة، وليس ذلك من أفعال الآخرة. وقول من قال: إذا أطلق الفرح كان مذموماً، وإذا قيد لم يكن مذموماً كما قال: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٠] ليس بمطرد، إذ جاء مقيداً في الذم في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾[الأنعام:٤٤] وإنما يمدح الفرح ويذم بحسب متعلقه، فإذا كان بنيل ثواب الآخرة وإعمال البر كان محموداً، وإذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموماً."[1]

١ - البحر المحيط (٥/١٧٠).

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ

علم النسخ من العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر ، لأن الإلمام به مما يساعد على معرفة الحكم الشرعي المطلوب العمل به، وذلك بمعرفة الناسخ من المنسوخ في آيات القرآن.

وقد التزم أبو حيان في كتابه بمعرفة هذا العلم،وهذا مما ذكره في منهجه المعتمد في **التفسير ؛ومن الأمثلة في هذا:**

- قوله :"...وقالت فرقة : المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الإيمان؟ وزعمت أن هذه الآية في صدر الإسلام ، وأنها منسوخة بآية السيف ..."[1]
- وقال:"...وذهب ابن عباس وجماعة إلى أنّ قوله : ﴿وما أنا عليكم بوكيل واصبر﴾ ، منسوخ بآية السيف ."[2]

۞۞۞۞۞

١- البحر المحيط (١٩٣/٥) سورة يونس آية (٩٩).

٢ - البجر المحيط (١٩٧/٥) سورة يونس آية (١٠٩).

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالسنة

يأتي تفسير القرآن بالسنة النبوية الم طهرة في المقام بعد تفسير القرآن بالقرآن .

قال تعالى ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤] .

والسنة النبوية وحي من الله تعالى قال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم: ٣ - ٤] "ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال ،وهي أصل في فهم القرآن "[1]

قال رسول الله ((**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**))[2] يعني السنة[3]

.

وقال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن :بم تحكم ؟ قال :بكتاب الله .قال :فإن لم تجد ؟ قال :بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال :أجتهد رأيي . قال : فضرب رسول الله في صدره ،وقال :((**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله**))[4].

قال الشافعي:"كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن ."[5]

---

١ - فصول في أصول التفسير ص٢٨.

٢ - سنن أبي داود/ كتاب السنة/ باب في لزوم السنة/ حديث رقم(٤٦٠٤).

٣ - قاله ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير ص٩٤.

٤ - مصنف ابن أبي شيبة / كتاب أقضية رسول الله / حديث رقم(٢٩١٠٠) وفي سنده رجل من أهل حمص من أصحاب معاذ ﷺ.

٥ - انظر التحبير في علم التفسير للسيوطي ص٣٢٣، وكتاب الأم للشافعي ص١٥ في المقدمة ،ففيه زيادة بيان .

فرسول الله ﷺ أعلم الناس بتفسير كلام الله لأن من مهامه بيان ما جاء به القرآن . فما صح عنه لا يسع أحداً رده ؛ وإذا قال الرسول ﷺ شيئاً لم يلتفت إلى قول غيره[1] .

وأبو حيان من كبار المفسرين سلك هذا الطريق وبين في مقدمته أن الاعتماد على النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ من الأوجه التي ينبغي لمن فسر كتاب الله تعالى أن يتعلمها؛ والمطالع للبحر المحيط يجد هذا المنهج بوضوح فيه وهذه نماذج مما في تفسيره في بيان ذلك:

١. قال أبو حيان – عند تفسير قوله تعالى ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨]– :"قال الزمخشري عن أبيّ بن كعب : أن رسول الله ﷺ قرأ : قل بفضل الله وبرحمته فقال : ((بكتاب الله والإسلام)) فضله الإسلام ، ورحمته ما وعد عليه انتهى . ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه."[2]

٢. قال أبو حيان – عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[يونس: ٦٢] –:"وعن سعيد بن جبير : " أن رسول الله ﷺ سئل عن أولياء الله فقال : **((هم الذين يذكرون الله برؤيتهم...))** .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : **((إنّ من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله))** قالوا : يا رسول الله ومن هم؟ قال : **((قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا**

---

١ – انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٧٧) و (٣/ ٣٩) .

٢ – البحر المحيط (٥/ ١٦٩).

أموال يتعاطونها ، فوالله إنّ وجوههم لتنور ، وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾)) " الآية "[1]

٣. قال أبو حيان – عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[يونس: ٦٤] .– :" وبشراهم في الحياة الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله ﷺ : ((**أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن**)) أو ((**ترى له**)) فسرها بذلك وقد سئل . وعنه في صحيح مسلم : ((**لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة**)).. وسئل رسول الله ﷺ عن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس : فقال : ((**تلك عاجل بشرى المؤمن**)) . "[2]

وما ذكرت آنفاً شيئٌ يسيراً مما جاء في البحر المحيط .

١ – البحر المحيط (١٧٣/٥).

٢ – البحر المحيط (١٧٣/٥).

المبحث الثالث

عناية أبو حيان بأسباب النزول

ومما يعد من تفسير القرآن بالسنة تفس يره بأسباب النزول، لأن سبب النزول عند التحقيق لا يخرج عن كونه حديثاً.

وقد اعتنى أبو حيان بتلك الوسيلة في تفسيره اعتناء عظيما لتوقف كثير من الآيات على معرفة سبب نزولها.

قال ابن تيمية :" ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العالم بالسبب يورث العلم بالمسبب."[1]

فعلم أسباب النزول من العلوم المهمة التي ينبغي للمفسر أن يلم بها لأنه"لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها."[2]

وأبو حيان ذكر من ضمن منهجه ذكر أسباب النزول ؛وقد ظهر مدى التزامه بذلك في كتابه ؛ فما ذكر من أسباب النزول :

- قال أبو حيان :"قيل : نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو؟ فالناس هم كفار قريش ."[3]

  فظهر ترجيحه لقول بسبب النزول، وهذا من فوائد معرفة أسباب النزول .
- وقال:" قيل : نزلت في أبي طالب ، لأنه ﷺ أسف بموته على ملة عبد المطلب وكان حريصاً على إيمانه."[4]
- وقال:"نزلت في الأخنس بن شريق ، كان يجالس رسول الله

١ - مقدمة في أصول التفسير ص٦٠.

٢ - أسباب النزول للواحدي ص١٠.

٣ - البحر المحيط (١٦٨/٥) سورة يونس آية (٥٧).

٤ - البحر المحيط (١٩٢/٥) سورة يونس آية (٩٩).

ﷺ ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس . وعنه أيضاً : في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء . وقيل : في بعض المنافقين ، كان إذا مر بالرسول صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله : عبد الله بن شدّاد ...[1]

❀❀❀❀❀

١ - البحر المحيط (٢٠٣/٥)،سورة هود آية (٥).

المبحث الرابع

تفسيره القرآن بأقوال الصحابة

معرفة أقوال الصحابة في تفسير القرآن ، يأتي في المرتبة بعد التفسير بالقرآن والسنة، وذلك لما لهم من الشرف والمكانة لصحبتهم رسول الله ﷺ وقد أثنى الله عليهم في كتابه فقال ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا ٢٩ ﴾[الفتح: ٢٩].

وقد اعتمد أقوالهم من جاء بعدهم ،لأنه "لاريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم"(1)ولا سيما وهم حاضرو التنزيل ،والحاضر يعلم بمشاهدته الكلام مالا يعلمه الغائب."(2)

وأبو حيان ممن نص على الأخذ بأقوال الصحابة في التفسير وذكر ه في منهجه ؛ والناظر في تفسيره يجده قد نقل عن كثير منهم، مما ساعد على فهم معنى الآيات.

ومما أورده في تفسيره عنهم بعض الأمثلة :

- قال أبو حيان :" ...قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ...: فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن ...، وقال أبو سعيد الخدري : الفضل القرآن ، والرحمة أن جعلهم من أهله . وقال ابن عباس فيما

١- إعلام الموقعين (١٥٣/٤).

٢ - القطع والائتناف ص٦٠.

روى الضحاك عنه : الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ . وقال ابن عمر : الفضل الإسلام ، والرحمة تزيينه في القلوب ."[1]

- وقال:"...وقال علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك : محمد والمؤمنون جميعاً ، والبينة القرآن أو الرسول ، والهاء للمبالغة والشاهد . قال ابن عباس ، والنخعي ، ومجاهد ، والضحاك ، وأبو صالح ، وعكرمة : هو جبريل . وقال الحسن بن علي : هو الرسول."[□]
- وقال:"... وفي قوله : إن ابني من أهلي ، وندائه دليل على أنه ابنه لصلبه ، وهو قول : ابن مسعود ، وابن عباس ..."[□]

وغير ذلك من الأمثلة .

---

١ - البجر المحيط (٥/١٦٩)، سورة يونس آية (٥٨).

٢ - البحر المحيط(٥/٢١١)،سورة هود آية (١٧).

٣ - البحر المحيط (٥/٢٢٦)، سورة هود آية (٤١).

المبحث الخامس

تفسير القرآن بأقوال التابعين

يأتي التفسير بأقوال التابعين في المرتبة الرابعة من طرق التفسير بالمأثور، وذلك لما كان لهم من شرف رؤية بعض الصحابة والتتلمذ عليهم بما تعلموه من رسول الله ﷺ.

وقد اشتهر من التابعين[1] كوكبة مضيئة أضاءت الأرض بالعلوم المختلفة ؛ وفي مقدمتها التفسير .

وأما مصدرهم في التفسير فينطلق من الفهم الصحيح لما جاء في كتاب الله؛ وما تلقوه من الصحابة رضي الله عنهم مما أسندوه إلي رسول الله ﷺ أو ما بلغهم عنه؛ وعلى ما فهموه من لغة العرب؛ وعلى أخذه بعضهم من أهل الكتاب مما ورد في كتبهم؛ وعلى اجتهادهم وتأملهم في كتاب الله . فهم خير الناس بعد صحابة رسول الله ﷺ.

قال ابن تيمية : "قال شعبة بن الحجاج وغيره : " أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير ."يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم. وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك."[2]

وقال في البرهان :"وأما الثالث: وهم رؤوس التابعين، إذا لم يرفعوه إلى

---

١ - منهم : الحسن البصري، وقتادة السدوسي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن زيد، وعكرمة، ومسروق، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وطا ووس بن كيسان، وعطاء، والشعبي. وغيرهم.

٢ - مقدمة في أصول التفسير ص١٠١.

النبي ﷺ - ولا إلى أحد من الصحابة - فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا، وإلا وجب الاجتهاد ."[1]

و"ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب ،فله حكم الإسرائيليات"[2] .

ويبقى قولهم أعلى من قول تأخر عنهم، إذا لم يُخالفه أحد.[3]

وأبو حيان أورد في تفسيره كثيرا من أقوال التابعين ؛وهذه نماذج من ذلك :

- قال أبو حيان :" فإذا جاءهم رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضى بينهم ، أي : بين الأمة بالعدل ، فصار قوم إلى الجنة وقوم إلى النار ، فهذا هو القضاء بينهم قاله : مجاهد وغيره ."[4]
- وقال:" وقال قتادة والضحاك : هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حي عند المعاينة ."[5]
- وقال:" وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء : أمروا بأن يجعلوها مستقبلة الكعبة . وعن ابن جبير : قبلة يقابل بعضها بعضاً."[6]

١ - البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢م١٧٢).

٢ - فصول في أصول التفسير ص ٤٠ .

٣ - فصول في أصول التفسير ص٤٠ .

٤ - البحر المحيط (١٦٤/٥) سورة يونس آية (٤٧).

٥ -البحر المحيط (١٧٣/٥) سورة يونس آيتي (٦٤).

٦ -البحر المحيط(١٨٥/٥) سورة يونس آية (٨٧).

المبحث السادس

موقفه من الإسرائيليات

المراد بالإسرائيليات : جمع إسرائيلية، وهي في أصل إطلاقها حكاية أو قصة تذكر عن مصدر إسرائيلي نسبة إلي بني إسرائيل.

وبنو إسرائيل اسم يشمل اليهود والنصارى. إلا أن لفظ اليهود غلب على المنتسبين لشريعة موسى عليه السلام، ولفظ النصارى على المنتسبين لشريعة عيسى عليه السلام .

أما من أسلم من أصحاب الديانتين فصاروا يعرفون باسم " مسلمي أهل الكتاب."

وبناء عليه فإن لفظ الإسرائيليات يطلق على كل ما د خل ثقافة المسلمين في التفسير وغيره من مصادر يهودية أو نصرانية، بل إن بعض العلماء توسع في هذا الإطلاق وأضاف إليه كل ما دسه أعداء الإسلام في ثقافة المسلمين يريدون به تشويه الإسلام والمسلمين."[1]

وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالإسرائيليات تغليباً للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، لكثرة أهله وظهورهم ، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على

١ – انظر التفسير بالمأثور .للدكتور جمال مصطفى النجار ص ٣٥٦،٣٥٥. طبعة : الحسين الإسلامية . ط ١ /١٩٩٨م.

كثير من بلاد العالم ،ودخل الناس في دين الله أفواجاً .[1]

وأبو حيان ذكر في مقدمة تفسيره انتقاده لبعض التفاسير فقال :"...وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول ،وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب، وتواريخ إسرائيلية، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير .[2]

وهذه نماذج مما تعقبه في بعض المواطن من تفسيره :

- قال أبو حيان عند قصة يونس عليه السلام في سورة يونس آيه [٩٨]:" وذكر المفسرون قصة قوم يونس وتفاصيل فيها ، وفي كيفية عذابهم الله أعلم بصحة ذلك ، ويوقف على ذلك في كتبهم ."[3]
- قال أبو حيان عن سفينة نوح عليه السلام في سورة هود آية[٤٠]:" واختلفوا في هيئتها من التربيع والطول ، وفي مقدار مدة عملها ، وفي المكان الذي عملت فيه ، ومقدار طولها وعرضها ، على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء."[4]
- وقال في تفسير قصة نوح عليه السلام:" ومن آمن عطف على وأهلك ، قيل : كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأة ، وقيل : كانوا ثلاثة وثمانين . وقال ابن عباس : آمن معه ثمانون رجلاً ، وعنه ثمانون إنساناً ، ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ، وثلاث كنائن له ، ولما خرجوا من السفينة بنوا

١- التفسير والمفسرون (١/١١٣)،والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص١٤.

٢ – البحر المحيط (١/١٠٤).

٣ – البحر المحيط (٥/١٩٢).

٤- البحر المحيط (٥/٢٢٢).

قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل . وقيل : كانوا ثمانية وسبعين ، نصفهم رجال ، ونصفهم نساء . وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم : نوح ، وبنوه سام وحام ويافث ، وستة ناس من كان آمن به وأزواجهم جميعاً . وعن ابن إسحاق : كانوا عشرة : خمسة رجال ، وخمس نسوة . وقيل : كانوا تسعة ونوح ، وثمانية أبناء له وزوجته . وقيل : كانوا ثمانية ونوح وزوجته غير التي عوقبت ، وبنوه الثلاثة وزوجاتهم ، وهو قول : قتادة ، والحكم ، وابن عيينة ، وابن جريج ، ومحمد بن كعب . وقال الأعمش : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن ، وثلاث بنين . وهذه أقوال متعارضة ، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل ، ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله ﷺ ."(1)

- وقال عند آيه [٤٤]في سورة هود :" وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر كمال الغرق الله أعلم بما كان من ذلك ."(2)
- وقال عند قصة إبراهيم عليه السلام آيه[٧١] هود:" وذكر محمد بن قيس سبباً لضحكها تركنا ذكره لفظاعته ، يوقف عليه في تفسير ابن عطية."(3)
- وقال عند قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف آيه [١٥]:"وذكر المفسرون أشياء كثيرة تتضمن كيفية إلقائه في غيابة الجب ومجاورته لهم بما يلين

١ - البحر المحيط (٢٢٢/٥).
٢ - البحر المحيط (٢٢٩/٥).
٣ - البحر المحيط (٢٤٣/٥).

الصخر ، وهم لا يزدادون إلا قساوة . ولم يتعرض القرآن ولا الحديث الصحيح لشيء منها ، فيوقف عليها في كتب التفسير ."(□)

- وقال في سورة يوسف عليه السلام آية[٢٤]:" والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب ، لأنهم قدروا جواب لولا محذوفاً ، ولا يدل عليه دليل ، لأنهم لم يقدروا لهم بها . ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط ، لأنّ ما قبل الشرط دليل عليه ، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه . وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة ، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين . ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري ، وابن عطية ، وغيرهما ."(□)

هذا ما استخرجته ضمن القدر المخصص .

وتفسيره "من التفاسير التي يقل فيها ذكر الإسرائيليات ...وقد عنى بالتنبيه إلى الكثير منها ؛وبيان عدم صحتها، وتحذير القارئ من الاغترار بها ،وكثيرا ما يضرب عن ذكرها،مشيرا إلى بطلانها، ،وقد يوجزها، ثم يكر عليها بالإبطال والتزييف، ولاسيما فيما يدرك بطلانه وكذبه بالعقل، لابنقد الأسانيد

١ - البحر المحيط (٢٨٧/٥).

٢ - البحر المحيط (٢٩٥/٥).وسيأتي في قسم الدراسة ضمن مسائل الترجيح.

،والتعديل والتجريح؛ .....-ومع ذلك – لم يسلم تفسير أبي حيان من الإسرائيليات ...وذلك مثل ما ذكره من الحديث المكذوب على النبي ﷺ في أسماء الكواكب الاثني عشر التي رآها يوسف عليه السلام.."[1]

وقلة الإسرائيليات من ميزات تفسيره، لأن ضررها أكثر من نفعها ولا تزيد في فهم المعنى.

١ – قول أبي شهبة في كتابه الإسرائيليا ت ص١٤٠-١٤١ مع الاختصار . وسيأتي ضمن مسائل الترجيح حديث أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام.

ثالثاً

منهج أبو حيان في التفسير بالرأي

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: **تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين**

المبحث الثاني: **تفسيره القرآن باللغة** وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني

المبحث الثالث: **عنايته بالمناسبات**

المبحث الرابع: **عنايته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية**

المبحث الخامس: **موقفه من بعض الفرق**

المبحث الأول

تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين

اعتنى أبو حيان في تفسيره بكلام العلماء المفسرين ممن صنف في التفسير .

فقد كان ينقل أقوالهم منسوبة إليهم. فيؤيدها تارة؛ ويتعقبها تارة؛ ويسكت عنها أحيانا.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه على الأخذ من السابقين له والاستفادة منهم، وعلى كثرة اطلاعه ،ويدل على اجتهاده وعدم تقليده ،وأن له نظراً في القول واستدلالاً، وترجيحاً .

ومن أمثلة ذلك:

- قال أبو حيان :" وقال الزجاج : أمركم ظاهراً مكشوفاً ، وحسنه الزمخشري فقال : وقد ذكر القول الأول الذي يراد بالأمر فقال : والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول ."[1]
- وقال:" قال ابن عطية : والتعريف هنا في السحر ارتب ، لأنه قد تقدم منكراً في قولهم : إن هذا لسحر ، فجاء هنا بلام العهد كما يقال : أول الرسالة سلام عليك ، وفي آخرها والسلام عليك انتهى. وهذا أخذه من الفراء . قال الفراء : وإنما قال السحر بالألف واللام، لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالألف واللام ، ولو قال له من رجل لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكر له انتهى . وما ذكره هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة.....إلخ"[2]
- والظاهر عود الضمير في قوله : وملئهم ، على الذرية وقاله

---

١ - البحر المحيط(١٧٨/٥)،سورة يونس آية (٧١).

٢ - البحر المحيط(١٨١/٥-١٨٢)، سورة يونس آية(٨٢).

الأخفش ، واختاره الطبري أي : أخوف بني إسرائيل الذرية وهم أشراف بني إسرائيل إن كان الضمير في قومه عائداً على موسى ، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون على أنفسهم ...الخ"[1]

- وقال: "وقال السدي : مسخ الله الثمار والنخل والأطعمة حجارة . وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف بابن النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتحبير في هذا الكتاب...الخ."[2]

والأمثلة في التفسير كثيرة فلا تكاد تخلو صفحة منه من إيراده لأقوال علماء سبقوه في التفسير.

١ - البحر المحيط(١٨٣/٥)، سورة يونس آية(٨٣).

٢ - البحر المحيط(١٨٦/٥)، سورة يونس آية(٨٩).

المبحث الثاني

تفسيره القرآن باللغة

اهتم أبو حيان في تفسيره بالناحية اللغوية اهتماما قل أن تجد له نظير في كتب التفسير عامة.

وهذا الاهتمام منه بهذه ال طريقة التي ذكرها في مقدمة تفسيره دلالة واضحة وسمة بارزة على تقدمه ونبوغه وجلالة قدره في هذا العلم . وهو شهادة تضاف لأبي حيان بجانب ما سطره المترجمون له في مجال لغويته .

وقد ذكر في مقدمة تفسيره المصادر اللغوية التي ينبغي أن يعكف عليها كل من أراد تعلم التفسير[1] ؛كما أنه ذكر حفظه لها؛ وقد أورد في مقدمة وفي ثنايا تفسيره أسماء برزت في علم اللغة من شيوخه وغيرهم[2].

ويمكن إبراز عنايته باللغة بهذه المطالب التالية:

المطلب الأول : عنايته بمعاني المفردات

ظهرت عناية أبي حيان بمفردات اللفظة القرآنية من خلال ذ كره صيغها ، وتصريفها،وبيان معانيها اللغوية، مستدلاً على ذلك بالسياق والشعر ،كما أنه يذكر الألفاظ المقاربة للفظة المفسرة، والتنبيه على المعاني الأخرى المرادفة للألفاظ، وكذا المقارنة بين معاني المفردات المتشابه ؛وقد ذكر منهجه في مقدمته[3] وهو ظاهر لمن نظر في تفسير.وهذه نماذج :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[يونس: ٧٨] : "

---

١ – ص١٠٥–١٠٨ذكرها ضمن الوجوه التي يحتاجها المفسر للنظر في كتاب الله تعالى.

٢– مقدمة البحر المحيط ص١٠٥ .

٣ – البحر المحيط(١٠٣/٥).

لفت عنقه لواها وصرفها . وقال الأزهري : لفت الشيء وفتله: لواه ، وهذا من المقلوب انتهى . ومطاوع لفت التفت ، وقيل : انفتل ."[1]

- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[هود: ١٠١] : التتبيب التخسير ، تب خسر ، وتبه خسره . وقال لبيد[2] :

ولقد بليت وكل صاحب جدة يبلى بعود وذاكم التتبيب"[3]

والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى في تفسيره ،وهي ميزة امتاز بها وتفرد عن كثير من المفسرين .

١ - البحر المحيط)١٧٦/٥).

٢ - البيت في ديوانه ص١٠٦ . وتفسير القرطبي (٨٩/٩).

٣ - البحر المحيط (٢٥٢/٥).

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات

ومما يبرز تقدم أبي حيان في الصناعة اللغوية ،عنايته الفائق ة بمعاني الحروف والأدوات .وإظهار المراد منها؛ بتجلية معانيها ؛وإيضاح مكرونها.ومن الأمثلة في ذلك:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٠]:" ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن ، والمعنى : أي شي ظن المفترين يوم القيامة ، أبهم الأمر على سبيل التهديد ، والإيعاد يوم يكون الجزاء بالإحسان والإساءة . ويوم منصوب بظن ، ومعمول الظن قيل : تقدير ما ظنهم أّن الله فاعل بهم ، أينجيهم أم يعذبهم . وقرأ عيسى بن عمر : ما ظن جعله فعلاً ماضياً أي أي ظن الذين يفترون ، فما في موضع نصب على المصدر ، وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر تقول : ما تضرب زيداً تريد : أي ضرب تضرب زيداً .
وقال الشاعر :

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما لا يرقدان ولا بؤسي لمن رقدا

وجيء بلفظ ظنّ ماضياً لأنه كائن لا محالة فكأن قد كان ، والأولى أن يكون ظن في معنى يظن ، لكونه عاملاً في يوم القيامة . وهو ظرف مستقبل ، وفضله تعالى على الناس حيث أنعم عليهم ورحمهم ، فأرسل إليهم الرسل ، وفصل لهم الحلال والحرام ، وأكثرهم لا يشكر هذه النعمة ."[1]

---

١ – البحر المحيط (٥/ ١٧١).

- قال أبو حيان عند تفسيرقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦] :" قيل : الواو زائدة في ومن أي من خزي يومئذ فيتعلق من بنجينا ، وهذا لا يجوز عند البصريين ، لأن الواو لا تزاد عندهم بل تتعلق من بمحذوف أي : ونجيناهم من خزي ، أي وكانت التنجية من خزي يومئذ."[1]

وعنايته بهذه الناحية لها شواهد كثير ة في البحر المحيط ،وهذا يدل دلالة ظاهرة على تمكنه من ه ذا العلم ؛وهي ميزة من ميزاته .

---

١ - البحر المحيط(٥/٢٤١).

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب

برع أبو حيان في الناحية الإعرابية للألفاظ والجمل القرآنية؛ وهو ظاهر مستفيض في البحر المحيط، فمن الأمثلة في هذا المقام:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس: ٥٩]:" وجوزوا في ما أنزل أن تكون موصولة مفعولاً أولاً لأرأيتم ، والعائد عليها محذوف ، والمفعول الثاني قوله : آلله أذن لكم ، والعائد على المبتدأ من الخبر محذوف تقديره : آلله أذن لكم فيه ، وكرر قلْ قبل الخبر على سبيل التوكيد . وأن تكون ما استفهامية منصوبة بأنزل قاله : الحوفي والزمخشري . وقيل : ما استفهامية، مبتدأة ، والضمير من الخبر محذوف تقديره : آلله أذن لكم فيه أو به ، وهذا ضعيف لحذف هذا العائد . وجعل ما موصولة هو الوجه ، لأن فيه إبقاء . أرأيت على بابها : من كونها تتعدى إلى الأول فتؤثر فيه ، بخلاف جعلها استفهامية ، فإنْ أرأيت إذ ذاك تكون معلقة ، ويكون ما قد سدّت مسد المفعولين ، والظاهر أنّ أم متصلة والمعنى : أخبروني آلله إذن لكم في التحليل والتحريم ، فأنتم تفعلون ذلك بأذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه؟ فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين ، وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم."(١)
- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١] :" وكتاب خبر مبتدأ محذوف يدل عليه ظهوره

١ - البحر المحيط(٥/ ١٧٠).

بعد هذه الحروف المقطعة كقوله : الم ذلك الكتاب ، وأحكمت صفة له .."[1] .

---

١ – البحر المحيط (٥/ ٢٠١).

المطلب الرابع : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني

قال الوليد بن المغيرة يخاطب كفار مك ة في وصف كلام الله : " فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من ذلك. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى ."(1)

وإن من توفيق الله لمن نصب نفسه لتفسير كلامه ،أن يهديه للغوص في روعة وجمال ونسق الأسلوب القرآني ؛ لاسيما وأنه من المتبحرين في علوم اللغة العربية الفصيحة....

وأبو حيان هذا شأ نه في تفسيره فقد فطن إلى ذلك في مواطن كثير ة منها على سبيل المثال :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾[يونس : ٥٠] " والمعنى : قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه ، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل ، إذ العذاب كله مرّ المذاق موجب لنفار الطبع منه ، فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم ، والتنبيه لهم أن العذاب لا ينبغي أن يستعجل . ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب أي : أي شيء شديد تستعجلون منه ، أي : ما أشدّ وأهول ما تستعجلون من العذاب ."(2)
- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ

---

١ - تفسير ابن كثير في سورة المدثر آية (١١).

٢ - البحر المحيط (٥/ ١٦٥).

أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤] : " خطاب لأهل مكة يقول : إن كنتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبينه لكم ، فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيهاً لآرائهم ، وأثبت ثانياً من الذي يعبده وهو الله الذي يتوفاكم . وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي . دلالة على البدء وهو الخلق ، وعلى الإعادة ، فكأنه أشار إلى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم ، وكثيراً ما صرح في القرآن بهذه الأطوار الثلاثة ، وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وإرهاب النفوس به ، وصيرورتهم إلى الله بعده ، فهو الجدير بأنْ يخاف ويتقي ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ لما ذكر أنه يعبد الله ، وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح ، أخبر أنه أمر بأن يكون من المصدقين بالله الموحدين له ، المفرد له بالعبادة ، وانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة ، وطابق الباطن الظاهر ."(1)

- وقال عند تفسير قوله : ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [هود: ٢٤] :"لمَّا ذكر ما يؤول إليه الكفار من النار ، ذكر ما يؤول إليه المؤمنون من الجنة ، والفريقان هنا الكافر والمؤمن . ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين ، جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال : كالأعمى والأصم . ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين ، فقوبل الأعمى بالبصير وهو

١ - البحر المحيط (١٩٥/٥).

طباق[1] ، وقوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضاً ، والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع ، وليستا بضدّين ، لأنه لا تعاقب بينهما ... ولم يجيء التركيب كالأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة[2] في لفظ الأعمى وضده ، وفي لفظة الأصم وضده ، لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع ، وذلك هو الأسلوب في المقابلة ، والأتم في الإعجاز"[3].

❀❀❀❀❀

١ – الطباق : الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان : ١- طباق سلب ٢- طباق إيجاب . انظر : التعريفات ص٢١٨ .

٢ – المقابلة : أن يؤتى بمعنيين وأكثر ثم يؤتى بعد بما يقابل ذلك على الترتيب .

٣ – البحر المحيط (٥/٢١٤).

المبحث الثالث

عنايته بالمناسبات

علم المناسبات من العلوم التي قل اعتناء المفسرين به لدقته [1].

قال العز بن عبد السلام :"المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ."[2]

وأبو حيان ممن اعتنى بهذا العلم في تفسيره؛ ونوع في إبراز المناسبات المختلفه بين ألفاظ الآية الواحد ة، وبين آيات السورة الواحدة ؛ و بين وجه ارتباط آخر السورة بأولها .

فمن أمثلة ذلك:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [يونس : ٤٧] :" لما بين حال الرسول ﷺ في قومه بين حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ، تسلية له وتطميناً لقلبه ."[3]
- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس: ٥٩] :" مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٥٧] :"وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على

---

١ - قاله السيوطي في الأتقان (٣٢٣/٣).

٢ - الإتقان (٣٢٣/٣).

٣ - البحر المحيط(١٦٤/٥).

التحليل والتحريم بيّن فساد شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك إلى وحْي ."(١)

هذا في ارتباط آيات السورة الواحدة .

- ومثال ما جاء في ارتباط ألفاظ الآية الواحدة يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[يونس: ١٠٧] :" ولما وقع النهي عن دعاء الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع ، ذكر أن الحول والقوة والنفع والضر ليس ذلك إلا لله ، وأنه تعالى هو المنفرد بذلك ، وأتى في الضر بلفظ المس ، وفي الخير بلفظ الإرادة ، وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية ، لأنّ مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر ، فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر ، وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ، ولفظة المس أوجز من لفظ الإرادة وأنص على الإصابة وأنسب لقوله : فلا كاشف له إلا هو ، ولفظ الإرادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير ، وإن كان المس والإرادة معناهما الإصابة ."(٢)
- ومثال ما جاء في ارتباط أخر السورة بأولها . يقول عند تفسير أخر آية من سورة يوسف وهي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف: ١١١] :" وتقدم أول السورة قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وقوله

١ - البحر المحيط (٥/١٧٠).

٢ - البحر المحيط (٥/١٩٦).

تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ وفي آخرها : ما كان حديثاً يفترى إلى آخره ، فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن ، وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم ."[1]

❁❁❁❁❁

---

١ - البحر المحيط (٥/٣٤٩).

المبحث الرابع

عنايته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية

إن أسرار النظم القرآني لا يدركه إلا من أمعن النظر وتدبر في آيات القرآن العظيم، ويضاف إلى ذلك معرفة علوم البلاغة ، وأبو حيان ممن برز في ذلك ، لذا نجد في تفسيره أمثلة تدل على اهتمامه بمعرفة ذلك.

- قال أبو حيان في تفسيره عند قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ [يونس: ٥] "فاكتفى هنا عن ذكرها. وإذا كان جميع ما في العالم ملكه، وملكه كان قادراً على كل الممكنات، عالماً بكل المعلومات، غنياً عن جميع الحاجات، منزهاً عن النقائص والآفات، وبكونه قادراً على الممكنات كان قادراً على إنزال العذاب على الكفار في الدنيا والآخرة، وقادراً على تأييد رسوله بالدلائل وإعلاء دينه، فبطل الاستهزاء والتعجيز. وبتنزيهه عن النقائص كان منزهاً عن الخلف والكذب، فثبت أن قوله: إلا أن لله ما في السموات والأرض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله. ألا إن وعد الله حق. وألا كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيهاً للغافل، إذ كانوا مشغولين بالنظر إلى الأسباب الظاهرة من نسبة أشياء إلى أنها مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف، ولذلك قال تعالى: ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني: لغفلتهم عن هذه الدلائل، ثم أتبع ذلك بذكر قدرته على الإحياء والإماتة. فيجب أن يكون قادراً على إحيائه مرة ثانية، ولذلك قال: وإليه ترجعون، فترون ما وعد به."
- وقال عند قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ

كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [هود: ٢٣ - ٢٤] : "لما ذكر ما يؤول إليه الكفار من النار، ذكر ما يؤول إليه المؤمنون من الجنة، والفريقان هنا الكافر والمؤمن. ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين، جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال: كالأعمى والأصم. ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين، فقوبل الأعمى بالبصير وهو طباق، وقوبل الأصم بالسميع وهو طباق أيضاً، والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع، وليستا بضدّين، لأنه لا تعاقب بينهما. ويحتمل أن يكون من تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه، فيكون من عطف الصفات..."[1]

❀❀❀❀❀

١ - البحر المحيط(٥/ ٢١٤).

المبحث الخامس

موقفه من بعض الفرق

أولا :المعتزلة.

والمعتزلة: سموا بذلك لاعتزال (واصل بن عطاء ،وعمرو بن عبيد)- وهما من رؤسائهم- مجلس الحسن البصري رحمه الله؛ لقولهما إن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر.[1]

ذكر أبو حيان في مقدمة تفسيره مصادره التي اعتمد عليها في تفسيره ؛ومن بينها كتاب (الكشاف) للزمخشري . وقد استفاد منه ونقل عنه كثيراً، إلا أنه لم يتأثر بمذهبه في الاعتزال؛ بل إنه ناقشه ورد و أغلظ عليه في مواضع كثيرة من البحر المحيط .

وهذا مما يحمد له ويشكر عليه؛ ويذكر في ميزاته التي عدت له ، وهو مسلك وسط وطريقة محمودة، في أخذ الحق من المخالف وترك الباطل الذي عليه ورده وبيانه حتى لايغتر به عامة الناس، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد.
ومن أمثلة النقد للمعتزلة مايلي :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧] :"... وقال الزمخشري : قول الله تعالى الذي كتب في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره ، وتلك

---

١ - انظر :مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥)،الملل والنحل (١/٣٨)،لوامع الأنوار البهية (١/٧٧٣).

كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد الله تعالى عن ذلك"(1) انتهى . وكلامه أخيراً على طريقة الاعتزال ."(2)

- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٩٩] : " ... وقال الزمخشري : ولو شاء ربك مشيئة القسر والإلجاء لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعاً ، مجتمعين على الإيمان ، مطبقين عليه ، لا يختلفون ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم على الإيمان هؤلاء أنت . وإتلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأنّ الإكراه ممكن مقدور عليه ، وإنما الشأن في المكره من هو ، وما هو إلا هو وحده ولا يشارك فيه ، لأنه تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان ، وذلك غير مستطاع للبشير "(3) انتهى . وقوله : مشيئة القسر

---

(١) الكشاف (٢/٢٠٣) .

١- قال الألوسي في روح المعاني (١١/١٩١) : " وفسر الزمخشري الكلمة بقول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر سبحانه به الملائكة أنهم يموتون كفاراً ، وجعل ذلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد ، ولا ضير في تفسير الكلمة بذلك إلا أن جعل الكتابة كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد مبني على مذهب الاعتزال ، والذي عليه أهل السنة أن أفعال العباد بأسرها معلومة له تعالى ومراده ولا يكون إلا ما أراده سبحانه ، وعلمه عز شأنه وإرادته متوافقان ولا يجوز المخالفة بينهما ، ولا يتعلق علمه سبحانه إلا بما عليه الشيء في نفسه ولا يريد إلى ما علم ولا يقدر إلا ما يريد ، ولا جبر هناك ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين" .

٢- البحر المحيط (٥/١٩١).

٣- الكشاف (٢/٢٠٤) .

قال ابن المنير : " وهذا من دسه الاعتزال مخلساً ، وخلط الباطل بالحق مدلساً ، ولم علم أن الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق بصيغة الكلية ، وأنه إنما شاء ذلك ممن آمن لا من كفر إذ =

والإلجاء [1] هو مذهب المعتزلة ."[2]

- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[هود: ٢٨]: " ...قال الزمخشري : (فإن قلت) : فما حقيقته؟ (قلت) : حقيقته أنّ الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء ، لأنّ الأعمى لا يهتدي ، ولا يهدي غيره ، فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم ، كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فإن قلت) : فما معنى قراءة أبيّ؟ (قلت) : المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم ، فجعلت تلك التخلية تعمية منه ، والدليل عليه : أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟ يعني : أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ،

=

مقتضى "لو" امتناع وكان ذلك راداً لمعتقده الفاسد ، إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض ، فلم يؤمن إلا بعضهم أخذ يحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإلجاء ، ليتم له أن المشيئة المرادة في الآية لم تقع ، إلا أنا نوافقه على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب ا ختيارهم بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختياراً له وقصداً ، وهذا كما ترى لا يعد في التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجب رده وإقرار الظاهر على حاله ، نعوذ بالله من زيغ الشيطان وإضلاله ، والله الموفق . الانتصاف (٢/ ٢٠٤) بحاشية الكشاف وفي كتاب المسائل الاعتزالية (١/ ٥٦٠) قال : " والأمر كما قال ابن المنير وهذه الآية وشبيهاتها لا تطيقها القدرية النفاة ، لأنها مبطلة لقواعد عقائدهم الفاسدة في هذا الباب ، ولذلك يعملون جهدهم في تحريف معانيها وصرفها عن ظاهرها كما فعل الزمخشري هنا ".

١ - قال القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي في كتابه متشابه القرآن ص٧١١ : مسألة في الإلجاء : " اعلم أن الملجأ إلى الفعل لابد أن يقع منه ما ألجئ إليه ، والملجأ ألا يفعل لابد من ألا يفعله ، وإنما يتغير حاله فيما ذكرناه بأن يتغير الإلجاء عن أن يكون سبباً لمقارفته فيه أمراً ، ومفارقة أمره".

٢ - البحر المحيط (٥/١٩٣).

ولا إكراه في الدين" [1] انتهى . وتوجيهه قراءة أبيّ هو على طريقة المعتزلة ."[2]

- وقال عند الآية السابقة أيضا قوله ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾:" ..وقال الزمخشري : وحكى عن أبي عمرو إسكان الميم ، ووجهه أنّ الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة ، فظنها الراوي سكوناً . والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين ، لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر انتهى . وأخذه الزمخشري من الزجاج ... والزمخشري على عادته في تجهيل القراء وهم أجل من أن يلتبس عليهم الاختلاس بالسكون."[3]

وغير ذلك من الأمثلة في تفسيره.

ثانيا : الصوفية:

قال أبو حيان في مقدمة تفسير ه :"وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ ."[4]

وقال في موضع آخر بعد نقله لبعض أقوالهم :"وهذه الأقوال ينبو عنها اللفظ، ولهم فيما يذكرون ذوق وإدراك لم نصل نحن إليه بعد، وقد شحنت التفاسير بأقوالهم، ونحن نُلم بشيء منها؛ لئلا يظن أنا إنما تركنا ذكرها لكوننا لم نطلع عليها."[5]

---

١ - الكشاف (٢/٢١٣).

٢ - البحر المحيط(٥/٢١٧).

٣ - البحر المحيط (٥/٢١٧-٢١٨).

٤ - البحر المحيط (١/١٠٤).

٥ - البحر المحيط (١/١٣٣).

وذلك لأن :"كلام الصوفية في تفسير القرآن ..ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة."[1]

وقال ابن الصلاح[2] في فتاويه[3] :"وأنا أقول :الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ،ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ،وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن .فإن النظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك .لما فيه من الإبهام والإلباس."

ومن نماذج ما ذكره عنهم ما يلي :

وهذا منهج في غاية الوضوح والدقة ، فهو يذكر بعض معاني كلامهم المناسب لمدلول اللفظ ،لظهورها ووضوحها؛ أما الأقاويل التي فيها تحميل للنص بما لا يحتمل من المعاني التي لا تليق فلا يذكرها بل يعرض عنها ويتجنبها . وذكره لها من كونه قد اطلع عليها لا لأن فيها كبير فائدة وقال :" قال ابن عطية : وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله ، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي ، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى . وإنما قال : حذراً من مذهب الصوفية ، لأن بعضهم نقل عنه أنّ الولي أفضل من النبي ، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم . ولابن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره

١- قاله الزركشي في البرهان (٢/ ١٧٠).

٢ - عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهر زوري، أبو عمرو إمام حافظ فقيه، تو في سنة ٦٤٣هـ. تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٣٠)، شذرات الذهب(٥/ ٢٢١).

٣ - وقوله ذكره بعد نقله عن الواحدي المفسر قوله "صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير .فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر." انظر البرهان (٢/ ١٧٠ -١٧١).

نعوذ بالله منه ."[1]

هذا ما وجدته في الجزء المخصص مما نقله عنهم ،ويلاحظ التزامه بما قاله في المنهج وهذه ميزة تميز بها رحمه الله وهي التزامه كثيرا بما ذكره في المقدمة من المنهج الذي سار عليه في تفسير.

ثالثا : الفلاسفة:

ذكر بعض ممن ترجم لأبي حيان أنه مما قوّى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان:"إني قد كبرت ،وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ؛لينفعوا السلطان من بعدي..."

قال أبو حيان :" فأشير إليّ أن أكون من أولئك، ويرتب لي راتب جيد،وكسا، وإحسان ،فتمنعت ورحلت مخافة أن أُكره على ذلك."[2]

فهذه دلالة واضحة على كرهه لما عليه الفلاسفة ، وطرحه لمذهبهم ،ونقده لأقوالهم وعدم الالتفات لها . وإن نقل عنهم فإنما بنقل ماهو مقبول ،ويترك ما سواه وينقده .

وهذه نماذج من تفسيره ملمنقله عنهم :

- قال أبو حيان :" وذكر أبو عبد الله الرازي هنا كلاماً كثيراً ممزوجاً بما يسمونه حكمة ، نعلم قطعاً أنّ العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من ألفاظ القرآن ، وطوّل في ذلك ، وضرب أمثلة حسية يوقف عليها من

---

١ - البحر المحيط (١٧٣/٥) عند آية(٦٢) سورة يونس. وقول ابن عطية في تفسيره سورة يونس آية (٦٢).

٢ - انظر بغية الوعاة (٢٨١/١)، وطبقات الداوودي(٢٨٩/٢) ، وشذرات الذهب (١٤٦/٦).

تفسيره ، ثم قال آخر كلامه : فالحاصل أنّ الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة ، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة ، والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة ، والرحمة إشارة إلى كونها بالغة في الكمال ، والإشراق إلى حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوّة . فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية ، لا يمكن تأخر ما تقدّم ذكره ، ولا تقدم ما تأخر ذكره ."[1]

- وقال:" قال أبو عبد الله الرازي : أجاب بعض المحققين من وجهين : أحدهما : أنّ الاستثناء منقطع ، والآخر أنّ العزوب عبارة عن مطلق البعد ، والمخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض ، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ، وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمملوكية عن مرتبة وجود واجب الوجود ، فالمعنى : لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتاب مبين ، كتبه الله ، وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى ، وفيه بعض تلخيص ."[2]

---

١ - البحر المحيط(٥/ ١٦٩) عندآية (٥٧) سورة يونس .

٢ - البحر المحيط (٥/ ١٧١) عند آية (٦١) سورة يونس.

هذا ورد في تفسيره عن فرق أخرى[1].

---

١ - كالباطنية فقال في مقدمة تفسيره (١/١٠٤) :" وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القربية عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى عليّ كرم الله وجهه، وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل ،وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم، وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم،وذاكرا أنه ما جهل مقالاتهم، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل، ويزعم أن ذلك هو المراد من هذه الآية،وهذه الطائفة لا يلتفت إليها، وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم أصول الدين، نسأل الله السلامة في عقولنا وأديانا وأبداننا." لم أذكرها لأني لم أجد له نقلا في الجزء المخصص .وانظر أيضا أبي حيان وتفسيره لبدر البدر ص١١٢.

الفصل الثاني

منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي

وفيه ثلاثة مطالب

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطلباً

التمهيد

أولا : تعريف الترجيح :

الترجيح في اللغة[1] : مادة (الراء، والجيم، والحاء). وهي مصدر: رجّح، يرجّح ، ترجّيحاً .

وأصلها في اللغة تدل على الرزانة والزيادة والميل والثقل، يقال : رجح الشيء وهو راجح إذا رزن.

ويقال :أرجح الميزان أي : أثقله حتى مال .وترجّحت الأرجوحة بالغلام أي مالت .

الترجيح في الاصطلاح : تقوية أحد الطريقين على الآخر، ليعلم الأقوى، فيعمل به ، ويطرح الآخر[2].

والمراد به في التفسير : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية على غيره لوجود مزية تقدمه على الأقوال الأخرى . فإنه " من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تتخالف مزاعمهما نفيا وإثباتا ، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مرجح يرجح به في مبدأ الأمر زعم أحدهما على زعم الآخر ."[3]

ثانيا: تعريف الاختيار:

الاختيار في اللغة[4]: مادة (الخاء ،والياء ،والراء) مشتق من الخير .

---

١ – انظر تهذيب اللغة (١٤٢/٤)،الصحاح (٣٦٤/١)،معجم مقاييس اللغة (٢٨٩/٢)، لسان العرب (٤٤٥/٢).

٢ – المحصول في علم الأصول (٥٢٩/٥). وانظر أصول السرخسي (٢٤٩/٢)، والمحصول لابن العربي ص١٤٩.

ملاحظة : قد يطلق البعض الترجيح على الاختيار والعكس ، فلا فرق بينهما ، وفرق آخرون.

٣ – قاله أحمد الزرقا في كتابه : شرح القواعد الفقهية .ص١٠٥.

٤ – انظر العين للخليل بن أحمد (٣٠١/٤) تهذيب اللغة (٢٢٤/٧)،معجم مقاييس اللغة (٢٣٢/٢)،وتاج =

وأصلها الميل والعطف والانتقاء و الاصطفاء

يقال :خار الشيء يخير، صار ذا خير، وا ختاره وتخيره: انتقاه ومال إليه ، ويقال: خار الرجل على غيره خيرة وخيرا : فضله ،والاختيار الاصطفاء ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣]. أي فضلتك واصطفيتك .

فالاختيار:طلب ما فعله خير[1].

الاختيار في الاصطلاح : بناء على المعنى اللغوي لكل من الترجيح والاختيار نستطيع أن نضع هذا التعريف للاختيار في اصطلاح العلماء :

وهو: اصطفاء شيء من أشياء لدليل يقويه."

ونستطيع أن نضع له التعريف التالي عند المفسرين:

وهو: اصطفاء قول من أقوال المفسرين لدليل يقويه .[2] وعرفه البعض بأنه : ترجيح الشيء وتقديمه على غيره.[3]

والمراد به في التفسير : الميل إلى أحد الأقوال في التفسير .

الفرق بين الترجيح والاختيار:

والفرق بين الترجيح والاختيار العموم والخصوص فكل اختيار ترجيح وليس كل ترجيح اختياراً.

لأنه من الممكن أن يقوي مفسر رأياً على آخر ومع ذلك لا يميل إليه ولا يختاره.

وهذان اللفظان إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا مثلهما في ذلك مثل

=
العروس (١١/٢٤١).

١ - التوقيف على مهمات التعاريف ص٤٢.والكليات ص٦٢.

٢ - من إملاء:أ.د/ جمال مصطفى النجار، المشرف على الرسالة.

٣ - قواعد الفقه لمحمد المجددي ص١٦٤.

كثير من الألفاظ العربية والشرعية[1].

هذا مع حاجتهما إلى دليل لبيان وجه الترجيح والاختيار .

قال ابن تيمية :"وأما الترجيح بمجرد الاختيار، بحيث إذا تكافأت عنده الأدلة يرجح بمجرد إرادته واختياره، فهذا ليس قول أحد من أئمة الإسلام ... فالترجيح الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد من أئمة العلم."[2]

وعلى هذا يكون مدار الترجيح والاختيار على الآيات التي وقع اختلاف في تفسيرها وبيان معناها فقط. أما ما لم يقع فيه خلاف فلا يدخل ضمنها.

١ – من توجيهات :أ.د/ جمال مصطفى النجار، المشرف على الرسالة.

٢ – مجموع الفتاوى (١٠/٤٧٢).

المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند أبو حيان الأندلسي

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التصريح بالقول الراجح أو بعبارة تشبه التصريح.

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الضعف أو أن غيرها مقدم عليها.

المطلب الأول

التصريح بالقول الراجح أو بعبارة تشبه التصريح.

تعتبر هذه الصيغة من أشهر وأبرز وأقوي الصيغ عند المفسرين ، لأنه يراد بها الأخذ بهذا القول ورد ما سواه من الأقوال .

وأبو حيان ممن أورد في تفسيره هذه الصيغة بصريح العبارة أ و ما يشبهها في الترجيح، فمن ذلك قوله:

- فثم ها هنا [□].
- هذا يشهد للقول ...[□]
- والذي أقوله ...[3]
- ونحو هذا من ...الذي هو صحيح المعنى ...[□]
- وهذا أظهر...[□]
- وحمله على الظاهر أولى ..[□]
- والظاهر ...[□]
- ولو صح هذا ..لم يعدل عنه...[□]
- والذي يظهر ...[□]

---

١ - البحر المحيط (٥/١٦٤).

٢ - البحر المحيط (٥/١٦٤).

٣ - البحر المحيط(٥/١٩٠)

٤ - البحر المحيط(٥/٢٠١).

٥ - البحر المحيط (٥/٢٠١).

٦ - البحر المحيط (٥/٢٠٤).

٧ - البحر المحيط (٥/٢٠٦و٢١٠و٢١٨و٢٢٠و٢٢٥و٢٢٧و٢٢٩و٢٣٤) وهي كثيرة في تفسيره .

٨ - البحر المحيط (٥/٢٠٥).

٩ - البحر المحيط(٥/٢٠٩و٢١٢و٢٤٣و٣٠٧و٣٢٥).

- والظاهر من هذه الأقوال حمله على ...[1]
- والذي يدل عليه ظاهر الآية ...[2]
- الأحسن أن ...[3]
- وهذا أظهر ...[4]
- الأصح أنه...[5]
- والذي اختاره...[6]
- وينبغي أن يحمل ذلك على ...[7]
- هو الصحيح ...[8]
- والأولى ...[9]

والملاحظ للعبارات السابقة التصريح بالترجيح أو ما يشبه التصريح، وأن اختلفت الصيغة. فالاختلاف هنا اختلاف تنوع في اللفظ لا اختلاف تضاد في الدلالة.

ويعود ذلك والله أعلم إلى مدى تيقن القائل بقوة ما ذهب إليه.

فقوة العبارة تدل على قوة الدليل أو وضوحه فيما رجحه القائل.

---

١ - البحر المحيط (٥/٢٢٣).

٢ - البحر المحيط (٥/٢٢٦).

٣ - البحر المحيط (٥/٢٤٦).

٤ - البحر المحيط (٥/٢٨٤).

٥ - البحر المحيط (٥/٢٩٤).

٦ - البحر المحيط (٥/٢٩٥و٣١٠).

٧ - البحر المحيط (٥/٣٠٨).

٨ - البحر المحيط (٥/٣٣٩).

٩ - البحر المحيط (٥/٣٥٣).

وتنوع العبارة دلالة على اتساع قاموس القائل من حيث كثرة العبارات المعبرة عن معنى واحد وهو الترجيح لقول من الأقوال والاستدلال له بأدلة متنوعة حسب ما ظهر للمرجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

المقصود بهذه الطريقة هو أن يذكر المفسر في معنى الآية قولين أو أكثر، ثم يورد عبارة تدل على تضعيف أحد الأقوال صراحة، أ و وصفه بالبعد أو الغرابة... أو غير ذلك من الأقوال المعبرة عن رده القول. وترجيح ما سواه. فالقول الراجح يستدل عليه برد ما سواه من الأقوال الواردة في تفسير الآية.

وقد ذكر ابن عبد البر اعتبار أهل العلم لهذه الطريقة في الترجيح ،وعدم اختلافهم عليها فقال :"ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنّ المسألة إذا كان فيها وجهان ، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما،أن الحق في الوجه الآخر ، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته ، بقيام الدليل على بطلان ضدّه ."[1]

وأبو حيان ممن استعمل هذه الطريقة وهي ظاهرة لمن قرأ تفسيره، فمن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- ولا حجة فيما سمعه ...[2]
- وهذا فيه بعد ....[3]
- ولا يظهر هذا التوجيه ...[4]
- وليس كما ذكر ...[5]
- وما ذكر هنا ..ليس من باب ...[6]
- ولعله لا يصح...[7]

---

١ - التمهيد (٢٠/١٩٩).

٢ - البحر المحيط (٥/١٦٧).

٣ -البحر المحيط (٥/١٦٧و١٦٨).

٤ - البحر المحيط (٥/١٧٤).

٥ - البحر المحيط (٥/١٧٦).

٦ - البحر المحيط (٥/١٨١).

- وهذا ضعيف لأن...[□]
- وأبعد من ذهب إلى...[□]
- ولا يتحرر بأنه أراد به ...[□]
- وقول من قال ...ضعيف [□]
- وهذه أقوال متعارضة...[□]
- ويبعد ذلك ...[□]
- وكون ... فيه تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن .[□]
- ولولا أن هذه الأقوال سطرت في كتب الت فسير لضربت عن ذكرها صفحاً...[□]
- ويبعد جدا ..[□□]
- وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره...[□□]
- وما ذكره ...من هذا الاحتمال لا يسوغ .[١٢]

=

١ - البحر المحيط (٥/١٩٢و٢٠٩).

٢ - البحر المحيط (٥/٢٠٢).

٣ - البحر المحيط (٥/٢٠٣).

٤ - البحر المحيط (٥/٢٠٩).

٥ - البحر المحيط (٥/٢٢١).

٦ - البحر المحيط (٥/٢٢٣).

٧ - البحر المحيط (٥/٢٢٥).

٨ - البحر المحيط (٥/٢٢٩).

٩ - البحر المحيط (٥/٢٧٣).

١٠ - البحر المحيط (٥/٢٩٤).

١١ - البحر المحيط (٥/٢٩٥).

١٢ - البحر المحيط (٥/٣١٦).

- وهذا التخصيص لا وجه له..[1]
- وهذا شاذ ...[2]
- وهذا البدع من التفسير مروي عن ... وهو في غاية البعد، بل في غاية الامتناع.[3]
- ولفظة...تأبى هذين التفسرين...[4]

ونحو ذلك من العبارات التي تدل على تضعيف قول يقابله ترجيح الأخر الذي لم يضعفه.

---

١ - البحر المحيط (٥/٣١٨).

٢ - البحر المحيط (٥/٣٢١).

٣- البحر المحيط (٥/٣٤١).

٤ - البحر المحيط (٥/٣٤٢).

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح، وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الضعف أو أن غيرها وقدم عليها.

اعتمد العلماء من أهل الحديث [1] صيغة الجزم بالقول الراجح على الألفاظ المبنية للفاعل كقال وروى وذكر ...ونحوها دليل على صحة القول .

وأما الألفاظ المبنية للمفعول كقيل وروي وذكر ...ونحوها فهي صيغة تدل على ضعف القول وتعرف بصيغة التمريض عندهم.

أما المفسر فإنه يذكر أحيانا عدة أراء يصدرها بما يختاره ويثني عليها بغيره دون إرادة التضعيف.

فقول المفسر: وقيل كذا لا يدل بجزمه على ضعفه لأن تلك الصيغة في استعمال المفسرين ليست كاستعمال المحدثين لها.[2]

وقد استعمل أبو حيان هذه الصيغة وهي موجودة بكثرة في البحر المحيط.

ومن أمثلة ذلك مايلي :

- قال أبو حيان :"والظاهر عود الضمير في (منه) على العذاب....وقيل : يعود على الله ."[3]
- قال أبو حيان :" و(أحق هو) الضمير عائد على العذاب، وقيل : على الشرع والقرآن ،وقيل :على الوعيد ،وقيل : على أمر الساعة ."[4]
- قال أبو حيان :"والظاهر أن الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام ،وقيل : هذه الجمل من كلام الله ."[5]

وأبو حيان عند استعماله لهذه الصيغة كثيرا ما يقدم كلمة (الظاهر) وما في

---

١ - انظر :الباعث الحثيث ص٣١،تدريب الراوي(١/ ٩٠)، النكت على ابن الصلاح (١/٣٢٦، ٣٣٣).

٢ - من توجيهات فضيلة المشرف على الرسالة أ.د/ جمال مصطفى النجار، وفقه الله.

٣ - البحر المحيط (٥/١٦٦).وكذا (٥/١٨٨، ١٩٠،٢٠٣،٢٠٦)

٤ - البحر المحيط (٥/١٦٦).وكذا (٥/١٩٢،٢٠٢،٢٠٦)

٥- البحر المحيط (٥/١٨٢).

معناها قبل القول الراجح عنده كما في المثال الأول المذكور .

وأحيانا يقدم القول ال راجح من غير كلمة الراجح، ثم يذكر الأقوال المرجوحة. كما في المثال الثاني .

المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند أبو حيان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب الثالث : التوجيه بالقراءات.

المطلب الرابع : الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الخامس : الترجيح بأسباب النزول.

المطلب السادس : الترجيح بالناسخ والمنسوخ .

المطلب السابع : الترجيح بالعموم.

المطلب الثامن : الترجيح بالمطلق.

المطلب التاسع : الترجيح بالمفهوم.

المطلب العاشر : الترجيح بالسياق .

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة.

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

من المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن من أصح الطرق وأقو اها وأولاها في التفسير. وعليه فإن الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية ، يعد مما يقدم من وجوه الترجيح ،بل هو أولها وهو المعتمد عند حدوث الاختلا ف[1] ،لأن تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته ، لكن لا يقطع بصحته إلا إن كان الذي فسره رسول الله ﷺ،أو وقع عليه الإجماع ، أو صدر عن أحد الصحابة ولا يعلم له مخالف[2] .

وقد اعتمد أبو حيان هذا الوجه في الترجيح في البح ر المحيط، يجده الناظر فيه لأول وهلة، و من أمثلة ذلك:

- قال أبو حيان :" وفائدة قوله : قوم هود مزيد التأكيد للمبالغة في التنصيص، أو تعيين عاد هذه من عاد إرم، لأنّ عاد اثنان ولذلك قال تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[النجم: ٥٠] ؛فتحقق أن الدعاء على عاد هذه، ولم تلتبس بغيرها."[3]
- قال أبو حيان :" وابيضاض عينيه من توالي العبرة، فينقلب سواد العين إلى بياض كدر. والظاهر أنه كان عمي لقوله: فارتد بصيراً. وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾[فاطر: ١٩] فقابل البصير بالأعمى."[4]
- قال أبو حيان : "والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب

---

١ – وقد ذكر ذلك بعض الأصوليين كما في العدة للقاضي أبي يعلى (١٠٤٦/٣)،والبحر المحيط للزركشي (١٥٧/٦).

٢ – قواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١).

٣ – البحر المحيط (٢٣٥/٥).

٤ – البحر المحيط (٣٣٣/٥).

أي: شديد الكظم كما قال ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، ولم يشك يعقوب إلى أحد، وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همه في صدره، فكان يكظمه أي: يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر.[1]

---

١ - البحر المحيط(٥/٣٣٣).

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

الأصل في نصوص القرآن أنة تحمل على ظواهرها، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ.

والمراد بظاهر اللفظ: هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني.[1]

وقد اعتمد أهل العلم هذه القاعدة في الترجيح، ونصوا على أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه.[2]

وقد قال الشافعي رحمه الله: "فسن الرسول ﷺ الوضوء مرة، فوافق ذلك ظاهر القرآن."[3]

وممن قعّد هذا الوجه في الترجيح أبو حيان في تفسيره فقد غلب عليه استعمال الظاهر عرضا وترجيحا، ومن ذلك:

- قال أبو حيان: "﴿قد جادلتنا﴾الظاهر المبالغة في الخصومة."[4]
- قال أبو حيان: " والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها."[5]
- قال أبو حيان : " والظاهر أن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم.."[6]

---

١ - تفسير ابن جزي (٩/١) المقدمة .

٢ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (١٣٧/١).

٣ - الرسالة ص١٦٤.

٤ - البحر المحيط (٢١٧/٥).

٥ - البحر المحيط (٣٠١/٥).

٦ - البحر المحيط (٣٠٣/٥).

المطلب الثالث: الترجيح بالقراءات

إن الترجيح بالقراءات من الوجوه المعتمدة عند أهل العلم، لما تقرر عندهم من أن التنوع في القراءات وتعددها بمثابة تعدد الآيات.

قال النحاس في ذلك :" إذا قرئ الحرف على وجوه، فهو بمنزلة آيات، كل واحدة تفيد معنى."[1]

وقال ابن تيمية مفصلا :"وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة تعدد الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها ، وإتباع ما تضمنه من المعنى علما وعملا، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى، ظنا أن ذلك تعارض."[2]

بل إن بعض العلماء جعل القراءة الشاذة مفسرة ومبينة لمعنى القراءة المتواترة والمشهورة.[3]

وأبو حيان ممن تقرر عنده ذلك، فقد ذكر في مواضع من تفسيره ذلك صراحة.

- **فقال**:" والظاهر أنّ الضمير في أنه ع ائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله: ونادى المتضمن سؤال ربه، وجعله نفس العمل مبالغة في ذمه كما قال : فإنما هي إقبال وإدبار، هذا على قراءة جمهور السبعة . وقرأ الكسائي : عمل غير صالح جعله فعلاً ناصباً غير صالح، وهي قراءة: علي، وأنس، وابن عباس، وعائشة، وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ، وهذا يرجح أن الضمير يعود على ابن نوح ...... وكون الضمير في أنه عائد على غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا

١ -إعراب القرآن (٤/ ١٨٠).

٢ - مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩١).

٣ - فضائل القرآن لأبي عبيد ص١٩٥ .والأتقان (١/ ٢١٩).

يلبق بالقرآن.."[1]

- **وقال في أن القراءة الشاذة تفسير القراءة المتواترة** :" وقرأ أبي وعبد الله:(أعصر عنباً)، وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لمخالفته سواد المصحف، وللثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمراً....وفي مصحف عبد الله :(فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه)، وهو أيضاً تفسير لا قراءة."[2]

❀❀❀❀❀

١ - البحر المحيط (٥/٢٢٩). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ - البحر المحيط(٥/٣٠٨). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي.

المطلب الرابع : الترجيح بالحديث النبوي

إن اعتماد الحديث النبوي في ا لترجيح بين الأقوال من القواعد الأساسية والمهمة، فالرسول ﷺ أعلم الخلق بتفسير كلام الله كما قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٤٤].

وقد قرر كثير من المفسرين قواعد في تقديم التفسير النبوي للآية على ما سواه ومنهم أبي حيان كما جاء ذلك في عدة مواضع من تفسيره البحر المحيط منها :

- قال أبو حيان :" فقال:" قيل: هذه الآية اعترضت في قصة نوح، والأخبار فيها عن قريش . يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أي: افترى القرآن، وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه، ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده.."[1]
- قال أبو حيان :"والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال ﷺ لشدة الحرب(حمي الوطيس) والوطيس أيضاً مستوقد النار.."[2]
- قال أبو حيان :" فشهد شاهد من أهلها . فقال أبو هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وهلال بن يساف، والضحاك : كان ابن خالتها طفلاً في المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحجة وروي في الحديث: ((**إنه من الصغار الذين تكلموا في ٱلْمَهْدِ**)) وأسنده الطبري. وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم : ((**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وابن السوداء**))"[3].

---

١ - البحر المحيط (٥/ ٢٢٠).

٢ - البحر المحيط (٥/ ٢٢٣).

٣ - البحر المحيط (٥/ ٢٩٧) ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني، كما سيأتي .

المطلب الخامس: الترجيح بأسباب النزول

الترجيح بأسباب النزول من الوجوه المعتمدة عند المفسرين ،فالقول الذي يؤيده سبب النزول مقدم على ما سواه من الأقوال[1] .

وأبو حيان ممن استعمل هذا الوجه فمن أمثلته:

- قال أبو حيان :" فالضمير في (منه) على قوله عائد على الله، قال ابن عطية: وهذا هو الأفصح الأجزل في المعنى انتهى. ويظهر من بعض أسباب النزول أنه عائد على الرسول ﷺ كما قال ابن عطية. قال: قيل: إنّ هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر، وردّوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منهم وكراهية للقائه، وهم يظنون أنّ ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية انتهى . فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقاً بقوله يثنون."[2]

١ – انظر قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٤١).

٢ – البحر المحيط(٥/ ٢٠٣-٢٠٤). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

المطلب السادس: الترجيح بالناسخ والمنسوخ

استعمل أهل العلم من المفسرين وغيرهم الترجيح بالناسخ والمنسوخ ضمن شروط وضوابط معينة[1].

والنسخ في اللغة : إزالة الشيء بشيء يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، فتارة يفهم منه الإزالة ،وتارة يفهم منه الإثبات،وتارة يفهم منه الأمران.[2]

وفي الاصطلاح: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم، بخطاب متراخ عنه.[3]

وأبو حيان من العلماء الذين ذهبوا إلى الترجيح بالناسخ والمنسوخ .

---

١ - منها "إذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالفسخ "وأن"القياسات والتمثيلات لايؤخذ بها في الناسخ والمنسوخ ،وإنما يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتيقن والتوقيف"وعند الخلاف "الصواب أن يقال :ليست بناسخة ولا منسوخة ؛لأن العلماء تنازعوا فيها ." انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣/ ١٢)و(٢/ ١٣)و(١/ ٤٦٨).

٢ - مفردات الراغب ص٨٠١، لسان العرب (٣/ ٦١) مادة (نسخ).

٣ - روضة الناظر مع شرحها (١/ ١٩٠).

المطلب السابع: الترجيح بالعموم

ذهب أهل التفسير إلى الترجيح بالعموم، وجعلوه دليلا معتبرا، وحجة قوية لترجيح الأقوال.

و"اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعمّ ما تحتها حملت على ذلك من عمومها حتى يأتي ما يخصصها فتحمل عليه."[1]

والمراد بالعموم : هو ا للفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد[2].

ويستدل على عموم اللفظ بقبوله الاستثناء منه، إلا في العدد[3].

وللعموم صيغ كثيرة منها : "كل"، و"من"، و"ما"، و"جميع"، و"عامة"، و"كافة"، و"قاطبة"، و"أين"، و"كيف"، و"إذا" الشرطية، والأسماء الموصولة، والنكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام وغيرها[4].

وقد يكون معنويا غير لفظي وهو ما يعرف "بالعموم المعنوي."[5]

قال الشافعي:" ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد منهما. ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل أن يكون أريد بها ذلك الخاص، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية."[6]

وأبو حيان اعتمد في تفسيره هذا الوجه فمن أمثلتها:

---

١ – قاله مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١.

٢– العدة لأبي يعلى (١/ ١٤٠)، والمحصول في علم الأصول للرازي(٢/ ٣٠٩)، إرشاد الفحول ص٩٨.

٣ – العدة لأبي يعلى(٢/ ٥٠٠)، وشرح الكوكب المنير(٣/ ١٥٣).

٤ – إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي (١/ ٢٣٧)، المستصفى (٣/ ٢١٨)، الإحكام للآمدي (٢/ ٢٠٣).

٥ – البحر المحيط للزركشي (٣/ ١٤٦)، .شرح الكوكب المنير(٣/ ١٥٤) .

٦ – الرسالة ص٢٠٧.

- عند تفسير قوله تعالى﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٣] قال:" والظاهر عموم الظالمين."[1]
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾[هود: ١٠٠] قال:"الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم، وما حل بهم من الع قوبات، أي ذلك النبأبعض أنباء القرى. ويحتمل أن يعني بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وأن يعني القرى عموماً أي : هذا النبأ المقصوص عليك هو ديدن الم دن إذ كفرت، فدخل المدن المعاصرة. والضمير في منها عائد على القرى."[2]
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾[هود: ١١١] قال: " الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر."[3]
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٥].قال:" فقال: اجعلني على خزائن الأرض أي : ولني خزائن أرضك إني حفيظ أحفظ ما تستحفظه، عليم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه، إذ هما يعمّان وجوه التثقيف والحياطة، ولا خلل معهما لقائل . وقيل: حفيظ للحساب، عليم بالأ لسن. وقيل: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني

---

١ – البحر المحيط (٥/ ٢٥٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ – البحر المحيط (٥/ ٢٥٩). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٣– البحر المحيط (٥/ ٢٦٦). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

الجوع. وهذا التخصيص لا وجه له."[1]

❦❦❦❦❦

---

١ – البحر المحيط (٣١٨/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

المطلب الثامن: الترجيح بالمطلق

ذهب أهل التفسير في الترجيح تقديم المطلق على المقيد ما لم يدل دليل عليه[1].

قال الزركشي :"إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه،وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه،والمقيد على تقييده .."[2]

والمراد بالمطلق: هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه.[3]

وأبو حيان اعتمد على الترجيح بالمطلق ومن ذلك[4]:

- عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد: ٧].

قال أبو حيان :" : عن ابن عباس: لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: ((**أنا منذر**)) وأومأ بيده إلى منكب عليّ وقال : ((**أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي**))...وإن صح ما روي عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنما جعل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب مثالاً من علماء الأمّة وهداتها إلى الدين، فكأنه قال : أنت يا علي هذا وصفك، ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم كذلك علماء كل عصر، فيكون المعنى على هذا: إنما أنت يا محمد منذر، ولكل

١ – وممن ذكر هذه القاعدة ابن جزي في تفسيره (١/ ٩) المقدمة.

٢ – البرهان (٢/ ١٥).

٣ – روضة الناظر مع شرحها (٢/ ١٩١)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/ ٦٣٠).

٤ – انظر ترجيحه عند تفسير الآية ٢٥ من سورة البقرة في تفسيره (١/ ٢٥٩).

قوم في القديم والحديث دعاة هداة إلى الخير."[1]

فيفهم منه وجود دعاة إلى الهدى على مر العصور، وعدم تقييد ذلك بشخص معين أو زمن معين.

١ - البحر المحيط (٥/٣٦٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

المطلب التاسع: الترجيح بالمفهوم

المراد بالمفهوم: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.[1]

قال السيوطي :" واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم وهو قسمان مفهوم الموفقة ومفهوم المخالفة [2] على أقوال كثيرة، والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشروط[3] "[4].

وأبو حيان ممن اعتمد هذا الوجه في الترجيح فمن ذلك :

- عند تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦] .قال:" والظاهر أنّ ما نافية، وشركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره: آلهة أو شركاء أي : أنّ الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة، إذ الشركة في الألوهية مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء."[5]

---

١ – وهو قسمان **مفهوم موافقة** وأنواعه هي : فحوى الخطاب ، ولحن الخطاب ، ومفهوم مخالفة وأنواعه هي : مفهوم صفة ، وغاية ، وشرط ، وحصر ، انظر شرح الكوكب المنير (٤٧٣/٣)، الإتقان للسيوطي(٩٦/٣)، إرشاد الفحول ص١٥٦، مباحث في علوم القرآن للقطان ص٢٥٩.

٢ – أي مفهوم الموفقة وأنواعه ، ومفهوم المخالفة وأنواعه .

٣ – منها :

١– ألا يكون خرج مخرج الغالب فلا مفهوم للحجور في قوله : ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[النساء: ٢٣] . لأن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج .

٢– ألا يكون المذكور لبيان الواقع فلا مفهوم له كقوله : ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] . لأن الواقع أن أي إله لا برهان عليه ، انظر الإتقان (٩٧/٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٤

٤ – الإتقان (٩٧/٣).

٥ – البحر المحيط(١٧٤/٥).

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ [هود: ٢٩] قال:"والضمير في (عليه)عائد إلي الإنذار،وإفراد الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾[هود: ٢] "[1]

❦❦❦❦❦

---

١ - البحر المحيط (٢١٨/٥)

المطلب العاشر : الترجيح بالسياق

اعتمد كثير من أهل التفسير وغيرهم وجه الترجيح بدلالة السياق، وذكروا أنه "متفق عليها في مجاري كلام الله."[1]

والمراد بالسياق عندهم:هو دلالة سابق النص القرآني ولاحقه على المعنى المراد[2] ،وقد قال مسلم بن يسار [3]رحمه الله: "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده."[4]

فدلالة السياق من الأمور التى تعين على فهم المعنى عند الإشكال[5] .

"وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق، كان الحمل عليه أولى."[6]

وأبو حيان ممن رجح في تفسيره بدلالة السياق فمن ذلك :

- قال أبو حيان : " والظاهر أنّ بني إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من الغرق، وسياق الآيات يشهد لهم."[7]
- قال أبو حيان:" بني الفعل للمفعول، فقيل: القائل هو الله تعالى، وقيل: الملائكة تبليغاً عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله: مرل."[8]
- قال أبو حيان : " وقولهم: منع منا الكيل، إشارة إلى قول يوسف عليه السلام:

١- البحر المحيط للزركشي (٤/٣٥٧).

٢ - تفسير ابن جزي (١/٩) المقدمة .

٣ - مسلم بن يسار البصري ، أبو عبدالله المكي ،إمام قدوة ثقة فقيه توفي سنة ١٠٠ه .انظر تهذيب الكمال (٢٧/٥٥١)،سير أعلام النبلاء (٤/٥١٠)،الكاشف(٢/٢٦١).

٤ - فضائل القران لأبي عبيد ص٢٢٩ .تفسير ابن كثير (١/٤٢)المقدمة .

٥ - البرهان للزركشي(٢/٢٠٠).

٦ - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص٢٢٠.

٧ - البحر المحيط(٥/١٩٠).

٨ - البحر المحيط (٥/٢٣١).

فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي. ويكون منع يراد به في المستأنف، وإلا فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرة، لكنْ لما أنذروا بمنع الكيل قالوا: منع. وقيل: أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من ا لميرة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم: فأرسل معنا أخانا نكتل، ويقويه قراءة يكتل بالياء أي : يكتل أخونا، فإنما منع كيل بعيره لغيبته، أو يكن سبباً للاكتيال . فإن امتناعه في المستقبل تشبيه، وهي قراءة الأخوين."[1]

❀❀❀❀❀

١ - البحر المحيط(٥/٣٢٠).

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة

يعتبر تفسير البحر المحيط لأبي حيان من المراجع اللغوية المهمة؛ وذلك لبراعة في هذا الشأن وعنايته باللغة وعلومها ومصادرها.

وتبرز أهمية هذا الوجه في الترجيح بوجوده بأساليب متنوعة منها:

- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يونس: ٨٣]: والظاهر أن الضمير في قومه عائد على موسى عليه السلام، وأنه لا يعود على فرعون، لأنّ موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور . ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملاتهم أن يفتنهم."(1)

- **وجوب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق.**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٍ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦] :" أي: ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم . وقال الزمخشري: ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (2) انتهى. وهذا ليس بجد، لأن التنوين في إذ تنوين العوض ولم يتقدم إلا قوله، فلما جاء أمرنا ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها، فيكون

١- البحر المحيط (١٨٣/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ - الكشاف (٢٧٧/٢).

هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة."[1]

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يوسف: ٦٨]:" وإنه لذو علم يعني لقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾، وما بعده وعلمه بأنّ القدر لا يدفعه الحذر. وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام. وقال قتادة: لعامل بما علمناه . وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً، ولفظة ذو علم لا تساعده على هذا التفسير وإن كان صحيحاً في نفسه."[2]

- **التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة وليس الشاذ:**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[يوسف: ٣١] : ومعنى أكبرنه: أعظمنه ودهشن برؤ ية ذلك الجمال الفائق الرائع . ...وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جده : معناه حضن، وأنشد بعض النساء حجة لهذا التأويل:

نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

قال ابن عطية : وهذا قول ضعيف، والبيت مصنوع مختلق، كذلك قال الطبري وغيره من المحققين، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمة الله...."[3]

---

١ – البحر المحيط (٥/٢٤١). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ – البحر المحيط (٥/٢٢٣). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٣ – البحر المحيط (٥/٣٠٢). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[يوسف: ٦٥] :" والظاهر أنّ البعير هو من الإبل . وقال مجاهد : كَيل حمار، قال : وبعض العرب تقول للحمار : بعير، وهذا شاذ."[1].

- **يجب حمل كلام الله على الحقيقة.**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يوسف: ٦٣]:" وقولهم: منع منا الكيل، إشارة إلى قول يوسف : فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي. ويكون منع يراد به في المستأنف، وإلا فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرة، لكنْ لما أنذروا بمنع الكيل قالوا : منع. وقيل: أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من الميرة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم : فأرسل معنا أخانا نكتل، و يقويه قراءة يكتل بالياء أي : يكتل أخونا، فإنما منع كيل بعيره لغيبته، أو يكن سبيلاً للاكتيال. فإن امتناعه في المستقبل تشبيه، وهي قراءة الأخوين."[2].

- **توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[يوسف: ٧٤ - ٧٥] :" والضمير في جزاؤه عائد على السارق . فما جزاء السارق إن كنتم

١ - البحر المحيط (٥/ ٣٢١). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ - البحر المحيط (٥/ ٣٢٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

كاذبين في قولكم : وما كنا سارقين له؟ قاله ابن عطية [1]. وقال الزمخشري : فما جزاؤه الضمير للصواع أي: فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه [2] انتهى. وقوله: هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله : قالوا جزاؤه من وجد في رحله، إذ التقدير إذ ذاك قال : جزاء الصاع، أي : سرقته من وجد الصاع في رحله. وقولهم: جزاؤه من وجد في رحله، كلام من لم يشك أنهم برآء مما رموا به، و لاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته، فكأنهم يقولون : لا يمكن أن نسرق، ألا يمكن أن يوجد الصاع في رحالنا "[3]

- **الإضمار أولى .**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[يوسف: ٨٢] :" فالظاهر أن ذلك على إضمار أهل كأنه قيل : وسل أهل القرية وأهل العير، إلا أن أريد بالعير القافلة، فلا إضمار في قوله والعير ، وأحالوا في توضيح القصة على ناس حاضرين الحال فيشهدون بما سمعوا، وعلى ناس غيب يرسل إليهم فيسألون . وقالت فرقة : بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هو نبي، ولا يبعد أن يخبره بالحقيقة، وحذف المضاف هو قول الجمهور."[4]

- **الاهتمام بتناسق الضمائر .**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى

---

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٣).

٢ - الكشاف (٢/٣٣٤).

٣ - البحر المحيط (٥/٣٢٧).

٤ - البحر المحيط (٥/٣٣٢). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾[يوسف: ٩٤]:" والمخاطب بقوله: تفندون، الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون، إذ كان أولاده جماعة."[1]

- **القول الذي يؤيده أصل الكلمة أولى.**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[يوسف: ١٠٠]:" وظاهر قوله: وخروا له سجداً أنه السجود المعهود ... وكان السجود إذ ذاك جائزاً من باب التكريم بالمصافحة، وتقبيل اليد، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير . وقال قتادة: كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . وقيل: هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط . وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض. ولفظة وخروا تأبى هذين التفسرين."[2]

هذا ما تيسر إيراده من أمثلة وجوه الترجيح عند أبي حيان رحمه الله تعالى في القدر المخصص للبحث .

---

١ – البحر المحيط (٥/٣٤٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

٢ – البحر المحيط (٥/٣٤٢). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني.كما سيأتي .

ترجيحات أبي حيان

في سورة يونس

من آية (٤٦) إلى آخر السورة

قال تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يونس:٤٦].

في الآية ثلاث مسائل

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" وبعض الذي نعدهم يعني: من العذاب في الدنيا. وقد أراه الله تعالى أنواعاً من عذاب الكفار في الدنيا قتلاً وأسراً ونهباً للأموال وسبياً للذراري، وضرب جزية، وتشتيت شمل بالجلاء إلى غير بلادهم، وما يحصل لهم في الآخرة أعظم، لأنه العذاب الدائم الذي لا ينقطع."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد به ما يحصل لهم من أنواع العذاب والخزي في الدنيا، وهو قول جماعة من المفسرين[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري[3]: " (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ) في الدنيا فذاك، (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة."

وقال الرازي[4]: " (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ) في الدنيا فذاك،(أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)

---

١ - البحر المحيط (ج٥/ ل١٣٣) (٥/ ١٦٤).

٢ - الزمخشري (٢/٢٣٨)،الرازي(١٧/ ٢٦١)،النسفي(٢/٢٣٧)،ابن جزي (٢/ ١٧٤)، البقاعي (٣/٤٤٩)، الجمل (٢/٣٥٣)، ابن عاشور(١١/١٨٣).

٣ - محمود بن عمر بن محمد الزمخشري،أبو القاسم،كبير المعتزلة، صاحب الكشاف، كان رأسافي البلاغة والعربية والمعاني والبيان، توفي سنة٥٣٨هـ. سير أعلام النبلاء(٢٠/ ١٥١)، طبقات المفسرين للداوودي(٢/ ٣١٤)، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢٠ .

٤ - محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي، =

قبل أن نرينك ذلك الموعد فإنك ستراه في الآخرة. واعلم أن هذا يدل على أنه تعالى يُري رسوله أنواعاً من ذل الكافرين وخزيهم في الدنيا، وسيزيد عليه بعد وفاته، ولا شك أنه حصل الكثير منه في زمان حياة رسول الله ﷺ، وحصل الكثير أيضاً بعد وفاته، والذي سيحصل يوم القيامة أكثر، وهو تنبيه على أن عاقبة المحقين محمودة وعاقبة المذنبين مذمومة."

وقال النسفي[1]: " ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ في الدنيا فذاك، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة."

القول الثاني: المراد به ما يحصل لهم من العذاب في حياة رسول الله ﷺ ، قاله مجاهد[2] وهو قول جماعة من المفسرين[3].

قال الطبري[4]: " يقول تعالى ذكره : وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب، أو نتوفينك قبل أن نريك

=

الشافعي، المفسر، المتكلم توفي سنة ٦٠٦هـ. طبقات الشافعية للأسنوي (١٢٣/٢)، الوافي بالوفيات(٢٤٨/٤)، شذرات الذهب(٥/ ٢١).

١- عبدالله بن أحمد بن محمود النّسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه، مفسر،توفي سنة ٧١٠هـ. آثار البلاد وأخبار العباد ص٣٠٢، الفوائد البهية ص١٠١، الدرر الكامنة(٢/ ١٥١).

٢- مجاهد بن جبر أبو الحجاج، الإمام شيخ القراء والمفسرين، مولى السائب المخزومي، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فأكثر وأطاب .توفي سنة ١٠٤هـ.طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)، حلية الأولياء (٣١٩/٣)، المعرفة والتاريخ(١/ ٧١١).

٣ - الطبري(١١/ ٨٤)،ابن أ بي حاتم (١٩٥٥/٦) رقم(١٠٤٠٣)،النحاس(٤٨٤/١)،الثعلبي والبغوي والخازن آية (٤٦)،ابن كثير (٢٣٧/٤)،الجلالين آية (٤٦)،السيوطي في الدر المنثور (٣٦٥/٤)،الشربيني(٢/ ٢٥)، أبي السعود (١٣٨/٤)، الألوسي (١١/ ٢٣١)،النووي الحاوي آية ٤٦، الشنقيطي(٥١٣/٢).

٤ - محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، الإمام الجليل المجتهد، إمام المفسرين، عالم العصر، علامة في التاريخ وأيام الناس .توفي سنة ٣١٠هـ. تاريخ بغداد(١٦٢/٢)، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي(٤٣١/٢)، المعين في طبقات المحدثين ص١٠٨.

ذلك فيهم. فإلَيْنا مَرْجِعُهُمْ يقول: فمصيرهم بكلّ حال إلينا ومنقلبهم..

... عن مجاهد[1]: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب في حياتك، ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل، ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾."

وقال ابن أبي حاتم[2]:"عن مجاهد[3] قوله ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ﴾:من العذاب في حياتك."

وقال أبو جعفر النحاس[4] :"قال مجاهد :أي وإما نرينك العذاب في حياتك ".

القول الثالث: المراد به إظهار دين النبي ﷺ في حياته. وهو قول القرطبي[5] والشوكاني[6].

---

١ - وسنده قال الطبري :" حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد."

٢ - عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الحنظلي الغطفاني الرازي، أبو محمد ، كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال لا تكدره الدلاء (ت:٣٢٧هـ).سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣)، تذكرة الحفاظ (٨٢٩/٣)، شذرات الذهب(٣٠٨/٢).

٣ - وسرده قال ابن أبي حاتم :" حدثنا حجاج بن حمزة ، ثنا شبابة ، ثنا ورقة، عن ابن أبي نجيح،عن مجاهد ."

٤ -أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، برع في فنون عدة وأشتهر بالنحو (ت:٣٣٧هـ). طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢٢٠، الأنساب للسمعاني (٣٦١/٥)،الإكمال لابن ما كولا(٢٨٦/٧).

٥ - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبد الله، ,القرطبي: من كبار المفسرين ، من أهل قرطبة .توفي سنة ٦٧١هـ.طبقات المفسرين للداوودي (٦٩/٢)،طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٢، شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

٦ - القرطبي (٣٣٨/٨)، الشوكاني(٤٤٧/٢).

والشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مفسر محدث، من كبار علماء اليمن ,من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها =

قال القرطبي :" أي من إظهار دينك في حياتك."

وقال الشوكاني :" والمعنى: إن حصلت منا الإراءة لك بعض الذي وعدناهم من إظهار دينك في حياتك بقتلهم وأسرهم."

القول الرابع : المراد به إشارة إلى عقوبة الله لهم في بدر وغيرها . وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال الواحدي[2] :" ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يريد: ما ابتُلوا به يوم بدرٍ."

وقال ابن عطية[3] :" والإشارة بقوله﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى ﴾ إلى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها."

وقال ابن الجوزي[4] :" قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم."

نلاحظ مما سبق إيراده من الأقوال ما يلي:

- أن هذه الأقوال وإن تعددت في ألفاظها فإنها متفقة في معناها

=

سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠هـ. البدر الطالع ص٧٣٢، حدائق الزهر ص ٣١، الأعلام (٢٩٨/٦).

١ - الواحدي في الوجيز آية ٤٦،ابن عطية(٣/ ١٢٢)،ابن الجوزي(٤/ ٣٢)، البيضاوي (٣/ ٢٠١)، ابن عادل (١٠/ ٣٤٠).

٢ - علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي أبو الحسن، الإمام العلامة سنة٤٦٨هـ. سير أعلام النبلاء(١٨/ ٣٣٩)،البداية والنهاية(١٢/ ١١٤)،بغية الوعاة(٢/ ١٤٥).

٣ - عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي، أبو محمد، الإمام العلامة شيخ المفسرين، توفي سنة ٥٤١هـ . سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧)،بغية الوعاة (٢/ ٧٣)، طبقات المفسرين للداووي (١/ ٢٦٠).

٤ - عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، أبو الفرج، جمال الدين، الحافظ المفسر، الواعظ، صاحب التصانيف ، توفي سنة٥٩٧هـ. سير أعلام النبلاء(٢١/ ٣٦٥)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ١٤٠)، البداية والنهاية(١٣/ ٢٨).

فالاختلاف هنا اختلاف عبارة فقط، وليس اختلاف تضاد، كاختلاف العلماء في معنى الصراط المستقيم . فالذين ذكروا عذابا معينا أرادوا التمثيل لا الحصر.

- أن القول الأول دال على العموم فيندرج تحته الأقوال الأخرى لأنها دلت على ما حصل لهم من أمور في حياته ﷺ .

الترجيح:

يترجح القول أن المراد به ما يحصل لهم من أنواع العذاب والخزي في الدنيا وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

ﷻ. لأنه قول جامع للأقوال المذكورة .

٢. أنه موافق لقاعدة الترجيح وهي [يجب حمل نصوص الوحي على العموم][1].

أن فيه توافقا مع دلالة الآية فيما أشارت إليه تسلية للرسول ﷺ.

قال السعدي[2]:" أي لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنه م لابد أن يصيبهم الذي نعد هم من العذاب، إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك.وإما في الآخرة بعد الوفاة،فإن مرجعهم إلى الله"[3].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٥٢٧/٢).

٢ - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي التميمي النجدي ، أبو ع بد الله، مفسر، فقيه، أصولي توفي في مدينة عنيزة سنة١٣٧٦هـ. مقدمة تفسيره، الأعلام(٣٤٠/٣).

٣ - تيسير الكريم المنان ص٣٦٥.

المسألة الثانية

ما هو جواب الشرط في قوله تعالى﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ جواب الشرط هو قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ وكذا قاله الحوفي [1] وابن عطية . قال ابن عطية :" ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى أي : إن أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب، ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم[2] على جميع أعمالهم . فثم هاهنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب القصص في أنفسها "[3]. وقال الزمخشري : "فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل : وإما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكه، فنحن نريك ه في الآخرة"[4] انتهى. فجعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان، ولا حاجة إلى تقدير جواب محذوف، لأن قوله : فإلينا مرجعهم صالح أنْ يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه . وأيضاً فقول الزمخشري: فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط، فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح منها جواب الشرط، إذ لا يفهم من قوله فذاك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الإسناد."[5]

---

١ - علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن، العلامة، نحوي مصر،توفي سنة ٤٣٠هـ.سير أعلام النبلاء(١٧/ ٥٢١)، كشف الظنون ص٢٤١، هدية العارفين (١/٦٨٧).

٢ - في المطبوع (تكليمهم) وما أثبت من المخطوط.

٣ - المحرر الوجيز(٣/١٢٢).

٤ - الكشاف(٢/٢٣٨).

٥ - البحر المحيط (ج٥/ ل١٣٣) (٥/١٦٤).

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إنّ جواب الشرط هو قوله :﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾. وهو قول جماعة من المفسرين،[1] واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية :" وقوله تعالى : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ الآية ، (إما) شرط وجوابه (فإلينا)، والرؤية في قوله (نرينك) رؤية بصر وقد عدي الفعل بالهمزة فلذلك تعدى إلى مفعولين أحدهما الكاف والآخر (بعض) ، والإشارة بقوله:(بعض الذي) إلى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها، ومعنى هذا الوعيد بالرجوع إلى الله تعالى أي إن أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إ لى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فالله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم فـ (ثم) ها هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص في أنفسها ، وإما هي (إن) زيدت عليها (ما) ولأجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت إن وحدها لم يجز."

وقال القرطبي:" ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرط. ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ أي من إظهار دينك في حياتك . وقال المفسرون : كان البعض الذي وعدهم قتْلَ من قُتل وأسْرَ من أُسر ببدر. ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ عطف على (نُرِيَنَّكَ) أي نتوفينك قبل ذلك. ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب (إمّا). والمقصود إن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجلاً."

وقال السمين:" قوله : ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾مبتدأ وخبر وفيه وجهان أظهرهما

١- ابن عطية (١٢٢/٣)،القرطبي(٣٤٨/٨)،ابن جزي (١٧٢/٢)،السمين في الدر المصون (٢١٢/٦)، الجمل (٣٥٣/٢) ، الألوسي (٢٣١/١١)،ابن عادل (٣٤٠/١١١٠)،ابن عاشور (١٨٣/١١).

أنه جواب للشرط وما عطف عليه إذ معناه صالح لذلك وإلى هذا ذهب الحوفي وابن عطية."

القول الثاني: فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكه، فنحن نريك في الآخرة.وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال الزمخشري :" ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف، كأنه قيل : ﴿ وإما نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ في الدنيا فذاك، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة."

وقال الرازي:" أن قوله ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾وجواب﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف، والتقدير: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نرينك ذلك الموعد فإنك ستراه في الآخرة."

وقال النسفي:" ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف أي وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- القول الأول يقرر ما دل عليه السياق من أن العذاب واقع بالكفار عاجلا في حياته ﷺ أو آجلا بعد وفاته ﷺ أو في الآخرة .
- وأما القول الثاني ففيه تكلف لتقدير الجوابين ولا حاجة إلى ذلك

لأن قوله ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾صالح لأن يكون جوابا للشرط والمعطوف

---

١ - الزمخشري(٢/٢٣٨)،الرازي(١٧/ ٢٦١)،النسفي(٢/٢٣٧)،البيضاوي(٣/ ٢٠١)،الجلالين آية(٤٦)،أبي السعود(٤/١٣٨)، الشوكاني(٢/ ٤٤٧).

عليه .

الترجيح:

يترجح القول بأنّ قوله: ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ هو جواب الشرط وما عطف عليه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

- أنه قرر دلالة السياق من أن المراد هو التهديد والوعيد والتأكيد على وقوع العذاب على الكافرين في الدنيا والآخرة .
- أن قوله فإلينا مرجعهم صالح لأن يكون جوابا للشرط وما عطف عليه دون الحاجة إلى تكلف .
- أن فيه دلالة واضحة على أن يكون جوابا للشرط وغيره لا يدل على الوضوح في جملة جواب الشرط.
- أن فيه ظهورا لتناسب السياق القرآني من حيث ظهور معنى الوعيد الشديد للكفار والتسلية للنبي ﷺ في إظهار دينه .

قال الشوكاني:" أن جواب هو قوله : ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾لدلالته على ما هو المراد من إراءة النبي ﷺ تعذيبهم في الآخرة."

وقال الألوسي[1]:" ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب للشرط وما عطف عليه، والمعنى إن عذابهم في الآخرة مقرر عذبوا في الدنيا أولا."

٥. أن قوله ﴿نُرِيَنَّكَ ﴾ و﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ جملتا شرط ومضمونهما واحد .

قال ابن عاشور[2]:" والمرادُ بـ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ هو عذاب الدنيا فإنهم

---

١ – محمود بن عبد الله أفندي الحسيني، أبو الفضل، أو أبو الثناء، كان فقيها محدثا مفسرا، توفي سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام (١٧٦/٧)، التفسير ورجاله لمحمد حوا ص١١٨.

٢ – محمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي،رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة، توفي سنة١٣٩٣هـ. الأعلام (١٧٤٩/٦)، التفسير ورجاله ص١٦١.

أوعدوا بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الطور: ٤٧] فالمعنى إن وقع عذاب الدنيا بهم فرأيتَه أنت أو لم يقع فتوفاك الله فمصيرهم إلينا على كل حال.

فمضمون ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾قسيم لمضمون ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ .

والجملتان معاً جملتا شرط، وجواب الشرط قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾.

ولما جعل جواب الشرطين إرجاعَهم إلى الله المكنّى به عن العقاب الآجِل، تعين أن التقسيم الواقع في الش رط ترديد بين حالتين لهما مناسبة بحالة تحقق الإرجاع إلى عذاب الله على كلا التقديرين، وهما حالة التعجيل لهم بالعذاب في الدنيا وحالة تأخير العذاب إلى الآخرة . وأما إراءة الرسول ﷺ تعذيبهم وتوفيه بدون إرائته فلا مناسبة لهما بالإرجاع إلى الله على كلتيهما إلا باعت بار مقارنة إحداهما لحالة التعجيل ومناسبة الأخرى لحالة التأخير."

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما معنى قوله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾؟

قال أبو حيان: " ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقبهم، وإلا فهو تعالى شهيد على أفعالهم في الدنيا والآخرة. ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حتى تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم.[1]"

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد هو مقتضى الشهادة وهو العقاب، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري: " ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم جزاءهم الذي يستحقونه."

وقال الثعلبي[3]: " ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ مجزيهم به.

وقال الواحدي: " ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ من محاربتك وتكذيبك،

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٣) (١٦٤/٥).

٢ - الطبري(١٨٤/١١)،الثعلبي أية(٤٦)، الواحدي في الوجيز والبغوي آية (٤٦)، الزمخشري (٢٣٨/٢)،ابن عطية (١٢٢/٣)،البيضاوي(٢٠١/٣)، النسفي (٢٣٧/٢)،الخازن آية(٤٦)، البقاعي (٤٤٩/٣) ، الشوكاني (٤٤٧/٢).

٣ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي،أبو إسحاق النيسابوري، المفسر الواعظ الأديب الثقة الحافظ، توفي سنة ٤٢٧هـ.معجم الأدباء(١٩/٢)، سير أعلام النبلاء(٤٣٥/١٧)، طبقات المفسرين للداوودي (١٠٦/١).

فيجزيهم بها."

القول الثاني : إن المراد الشهادة يوم القيامة بأفعالهم التي كانوا يفعلونها بالدنيا.وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال السمرقندي[2]:" ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ في الدنيا من الكفر والتكذيب."

وقال الزمخشري:" ويجوز أن يراد : أنّ الله مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة ، حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم."

وقال ابن كثير[3]:" والله شهيد على أفعالهم بعدك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول وهو العقاب نتيجة حتمية للقول الثاني وهو علم الله وإحاطته بكل ما يفعله الخلق، وهو أي العقاب تحقيق لوعيد الله تعالى للكفار جزاء ما فعلوه في الحياة الدنيا.

الترجيح:

يترجح أنه لا تعارض بين القولين، ولكن القول الأول أدق في المقصود لأن العقاب لهم هو تحقيق لوعيد الله تعالى لهم بالعقاب الدنيوي والأخروي وكل ذلك بعلم الله تعالى الشامل لكل ما يفعله الناس من أعمال في الدنيا .

---

١ - السمرقندي(١١٦/٢)،الزمخشري(٢٣٨/٢)،القرطبي(٢٤٨/٨)،ابن كثير (٢٣٧/٤)،الجلالين آية(٤٦)، الشربيني (٢٥/٢)،أبي السعود (١٣٨/٤)،النووي الحاوي آية (٤٦)، ابن عاشور (١٣٨/١١).

٢ - نصر بن محمد بن إبراهيم السمر قندي الحنفي، أبو الليث، الإمام المحدث الفقيه الزاهد، صاحب كتاب تنبيه الغافلين، توفي سنة٣٧٥هـ سير أعلام النبلاء(٣٢٢/١٦)، هدية العارفين(٤٩٠/٢).

٣ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،أبو الفداء، عماد الدين،حافظ مفسر،مؤرخ توفي سنة ٧٧٤هـ. ذيل تذكرة الحفاظ(٣٦/٥)، الدرر الكامنة (٢١٨/١)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٥٩.

فكلا القولين يؤكدان مقام التهديد والوعيد وحصول العذاب عاجلا وأجلا فلا مفر منه لأن الملك الحق العدل لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى.

قال أبو السعود[1]: "﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من الأفعال السيئةِ التي حُكيت عنهم، والمرادُ بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتُها وهي معاقبتُه تعالى إياهم وإما إقامتُها وأداؤُها بـإنطاق الجوارحِ، وإظهارُ اسمِ الجلالةِ لإدخال الروعةِ وتربـيةِ المهابةِ وتأكيدِ التهديد."

والله تعالى أعلم

١ - محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة٩٢٨هـ. شذرات الذهب(١٠/ ٥٨٤)، الأعلام(٧/ ٥٩).

قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[يونس: ٤٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" وقوله:﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾، إما أن كون إخباراً عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا، ويكون المعنى : أنه بعث إلى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى دين الله وينبئهم على توحيده، فلما جاءهم بالبينات كذبوه، فقضى بينهم أي: بين الرسول وأمته، فأنجى الرسول وعذب المكذبون. وإما أن يكون على حالة مستقبلة أي: فإذا جاءهم رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضى بينهم، أي: بين الأمة بالعدل، فصار قوم إلى الجنة وقوم إلى النار، فهذا هو القضاء بينهم قاله : مجاهد وغيره. ويكون كقوله تعالى : ﴿ وَجِاْىٓءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾[الزمر: ٦٩] ، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[يونس: ٤٨] : الضمير في ويقولون، عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر، استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد، أو على سبيل الاستخفاف، ولذلك قالوا : إن كنتم صادقين أي : لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء م نه. وقولهم: هذا ليشهد للقول الأول في الآية قبلها، وأنها حكاية حال ماضية. وأنّ معنى ذلك: فإذا جاءهم الرسول وكذبوه قضى بينهم في الدنيا، وأنّ كل رسول وعد أمته بالعذاب في الدنيا وإن هي كذبت."[1]

١ - البحر المحيط (ج٥/ ل١٣٤) (٥/ ١٦٤).

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد هو الإخبار عن حا لة ماضية فيكون ذلك في الدنيا . وهو قول جماعة من المفسرين،[1] واختاره أبو حيان.

قال الثعلبي:" ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ خلت ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ أي عذبوا في الدنيا واهلكوا بالحق والعدل."

وقال الواحدي:"فإذا جاءهم الرسول في الدنيا."

وقال البغوي[2]:"﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ وكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ أي: عُذِّبوا في الدنيا وأُهلكوا بالعذاب يعني : قبل مجيء الرسول لا ثواب ولا عقاب.

القول الثاني: المراد الإخبار عن حالة مستقبلة فيكون ذلك يوم القيامة، قاله مجاهد، وهو قول جماعة من المفسرين[3].

---

١ - الثعلبي آية(٤٧)وذكر القولين،الواحدي في الوسيط (٥٤٩/٢)،البغوي آية(٤٧)وذكر القولين ، الزمخشري (٢٣٩/٢)،ابن الجوزي (٣٢/٤) وذكر القولين،الرازي (٢٦٢/١٧)،وذكر القولين، النسفي (٢٣٨/٢)، ابن جزي (١٧٢/٢) وذكر القولين، الخازن آية (٤٧)وذكر القولين، ابن عادل (٣٤٥/١٠)، البقاعي (٤٤٩/٣)، الجلالين آية (٤٧)،أبي السعود (١٥١/٤)، الجمل (٣٥٤/٢)، الشوكاني (٤٤٧/٢)،النووي الحاوي(٤٧).

٢ - الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، أبو محمد ،الشافعي المفسر،الشيخ الإمام الحافظ محيي السنة توفي سنة ٥١٠هـ. طبقات السبكي (٧٥/٧)، طبقات الإ سنوي(٢٠٥/١)، سير أعلام النبلاء(٤٣٩/١٩).

٣ - الطبري(٨٤/١١)،الماوردي آية(٤٧)وذكر القولين،ابن عطية(١٢٣/٣)،العز بن عبد السلام آية (٤٧)، القرطبي (٣٤٩/٨)، البيضاوي (٢٠١/٣)، ابن كثير (٢٣٧/٤)،السيوطي في الدر المنثور (٣٦٥/٤) ، الألوسي(٤٣١/١١)،الثعالبي(٩٨/٢)، الشنقيطي(٥١٣/٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولكلّ أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمدا إليكم يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته. فإذا جَاءَ رَسُولُهُمْ يعني في الآخرة □

...عن مجاهد[□]: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ قال: يوم القيامة."

وقال الماوردي[□]:" فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم، قاله مجاهد."

وقال ابن عطية:" وقال مجاهد وغيره: المعنى فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليم صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط ."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

القول الأول : استدل له بعض من ذكره من المفسرين [□] بقوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٤] . وقوله تعالى﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: ١٥] .يعني قبل مجيء الرسول لا ثواب ولا عقاب ،فإذا بعث إلى كل أمة رسولا فإنه بالتبليغ والحجة يزيح كل علة فلا يبقى لهم عذر في مخالفته أو تكذيبه .

فيقال أما الاستدلال بقوله ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] . فغير وارد لأن الآية لم يذكر فيها القضاء ؛وظاهرها أنها في الدنيا.

١ - وسنده قال الطبري :" حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد."

٢ - علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، الإمام الجليل القدر، المفسر ، الفقيه، توفي سنة ٤٥٠هـ. طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٧/٥)، طبقات المفسرين للسيوطي ص٨٣، طبقات المفسرين للداووي(٤٢٧/١).

٣ - البغوي آية(٤٧)، والرازي (٢٦٢/١٧).

وأما قوله ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء:١٥] ، فإما نجعل قوله ﴿ مُعَذِّبِينَ ﴾ في الآخرة، أو نجعل القضاء بينهم في الدنيا بحيث يصح اشتباه الآيتين .

وأما **القول الثاني** فإنه يشهد له السياق.

الترجيح:

يترجح القول أن المراد الإخبار عن حالة مستقبلة فيكون ذلك يوم القيامة، وذلك:

1. دلالة السياق قال تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[يونس:٤٦].

قال الرازي:" يكون المراد أن القوم إذا اجتمعوا في الآخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم في وقت المحاسبة، وبأن الفصل بين المطيع والعاصي ليشهد عليهم بما شاهد منهم، وليقع منهم الاعتراف بأنه بلغ رسالات ربه فيكون ذلك من جملة ما يؤكد الله به الزجر في الدنيا كالمساءلة، وإنطاق الجوارح، والشهادة عليهم بأعمالهم والموازين وغيرها، وتمام التقرير على هذا الوجه الثاني أنه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الله شهيد عليهم، فكأنه تعالى يقول : أنا شهيد عليهم وعلى أعمالهم يوم القيامة، ومع ذلك فإني أحضر في موقف القيامة مع كل قوم رسولهم، حتى يشهد عليهم بتلك الأعمال . والمراد منه المبالغة في إظهار العدل."

2. دلالة ختام الآية قوله تعالى: ﴿ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فالتكرير لأجل التأكيد والمبالغة في نفي الظلم.

3. دلالة آيات آخرى وهي:

قوله تعالى﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿ وَقَالَ

ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان: ٣٠] .

ﷺ. أنه موافق لقاعدة الترجيح وهي :[القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه][1].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح لحسين الحربي(١/ ٢٩٩).

قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩ ﴾[يونس:٤٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع الاستثناء في قوله﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾؟

قال أبو حيان :" وإلا ما شاء الله ظاهره أنه استثناء متصل [1]، إلا ما شاء الله أنْ أملكه وأقدر عليه."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الاستثناء متصل والمعنى : إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه.

وهو قول جماعة من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لمستعجليك وَعيدَ الله، القائلين لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين : ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي﴾ أيها القوم أي لا أقدر لها على ضرّ ولا نفع في دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه إليها بأذنه. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهم: فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام

١ - قال الزركشي في البرهان (٤/٢٣٦) :"إلا ترد لمعان :الأول:الاستثناء ،وينقسم إلى متصل ،وهو ماكان المستثنى من جنس المستثنى منه،نحو جاء القوم إلا زيدا ،وإلى منقطع ،وهو ما كان من غير جنسه."

٢ - البحر المحيط (ج٥/ ل١٣٤) (٥/١٦٥).

٣ - الطبري(١١/٨٥)،البغوي آية٤٩،القرطبي(٨/٣٤٩)،البيضاوي(٣/٢٠١)وذكر القولين،الخازن آية ٤٩،السمين في الدر (٦/٢١٣)،وذكر القولين،ابن كثير (٤/٢٣٧)،ابن عادل (١٠/٣٤٥)وذكر القولين، البقاعي(٣/٤٤٩)،الجلالين آية ٤٩،الشربيني(٣/٢٥)، النووي الحاوي آية ٤٩.

الساعة أعجز وأعجز، إلاّ بمشيئته وإذنه لي في ذلك."

وقال البغوي:" ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ﴾ لا أقدر لها على شيء ﴿ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا ﴾ أي: دفع ضر ولا جلب نفع ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾أن أملكه."

وقال القرطبي:" لما استعجلوا النبيّ ﷺ بالعذاب قال الله له: قل لهم يا محمد لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً؛ أي ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ أن أملكه وأقدر عليه، فكيف أقدر أن أملك ما استعجلتم فلا تستعجلوا."

القول الثاني: أن الاستثناء منقطع ؛ وتقديره : أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن. وهو قول جماعة من المفسرين[1].

قال الزمخشري :" ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ استثناء منقطع: أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن، فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب؟."

وقال النسفي:" ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب."

وقال أبو السعود:" استثناءٌ منقطعٌ أي ولكن ما شاء الله كائناً وحملُه على الاتصال على معنى إلا ما شاء الله أن املِكَه يأباه مقامُ التبُّرؤ من أن يكون له ﷺ دخلٌ في إتيان الوعدِ فإن ذلك يستدعي بـيانَ كونِ المتنازَعِ فيه مما لا يشاء الله أن يملِكه ﷺ، وجعلُ (ما) عبارةً عن بعض الأحوالِ المعهودةِ ا لمنوطةِ بالأفعال الاختياريةِ المفوضة إلى العباد على أن يكون المعنى لا أملك لنفسي شيئاً من الضر والنفعِ إلا ما شاء الله أن أملِكه منهما من الضر والنفعِ المترتَبَـيْن على الأكل والشربِ عدماً ووجوداً تعسّفٌ ظاهرٌ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

---

١ - الزمخشري(٢/٢٣٩)، النسفي (٢/٢٣٨)، أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكاني (٢/٤٥٠)، ابن عاشور (١١/١٨٨).

أما القول الأول اعترض عليه البعض بأمرين وهما:

١. أنه يأباه مقامُ التبُّرؤ من أن يكون له ﷺ دخلٌ في إتيان الوعدِ فإن ذلك يستدعي بيانَ كونِ المتنازَعِ فيه مما لا يشاء الله أن يمِلكه ﷺ .

٢. أن المعنى المذكور فيه تعسف ظاهر .

ويرد عليه بما يلي :

- الرسول ﷺ أخبرهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما قدره الله عليه وهذا العذاب سيقع بمن خالف أمر الله وكله واقع بأمر الله ومشيئة ليس لأحد من الخلق فيه أمر إلا ما أمره الله به وقدره عليه.
- أن المعنى الذي ذكره المفسرون في القول الأول ليس فيه تكلف وإنما هو معنى ظاهر قد دل عليه السياق.

وأما **القول الثاني** فقد ذكر القائلون به أن تقديره :ولكن ما شاء الله من ذلك. فيقال لهم أنه قد يكون ذلك مما يملكه الله ويقدره عليه وكله بمشيئة الله تعالى ، ويكون الإنسان بما ملكه الله وأقدره عليه سببا في الضر والنفع .

أن القول الثاني استدلت به بعض الفرق على معتقده م الباطل .[١]

١- ذكر الرازي في تفسيره (٢٦٣/١٧):"أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية على أن العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا الطاعة والمعصية . فهذا الاستثناء يدل على كون العبد مستقلا بهما " – قال – "والجواب:قال أصحابنا هذا الاستثنا ء منقطع ،والتقدير من ذلك كائن ."وكذا قال الألوسي (٥٣١/١١) :" والمعتزلة قالوا باتصال الاستثناء واستدلوا بذلك على أن العبد مستق ل بأفعاله من الطاعات والمعاصي..."

وما ذكره الرازي والألوسي من أن المعتزلة قالوا باتصال الاستثناء غير صحيح لأن الزمخشري وهو معتزلي نص في الكشاف على انقطاع الاستثناء كما سبق إيراده ، وأما قول المعتزلة بذاته فهو باطل لأن العبد سببا في الضر والنفع ولا يملك شيئ ا إلا ما قدره الله عليه وملكه إياه ، بدليل هذه الآية وغيرها .– ثم قال الألوسي بعد قوله السابق:" وأنت تعلم أن ذلك بمراحل عن إثبات مدعاهم . نعم استدل بها بعض من يرى رأي السلف من أن للعبد قدرة مؤثرة بإذن الله تعالى لا أنه ليس له قدرة أصلاً كما يقوله الجبرية، و لا أن له قدرة لكنها غير مؤثرة كما هو المشهور عن الأشاعرة، ولا أن له =

الترجيح:

يترجح القول أن الاستثناء متصل والمعنى: إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه.وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- أن كل ما يحدث هو بمشيئة الله تعالى وإن جعل الله للإنسان فيه ملكا وقدرة فهي داخلة في مشيئة الله تعالى ويدل على ذلك قو له تعالى﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان: ٣٠].
- أنه المعنى القريب من دلالة السياق.
- أن المعنى المذكور هو من جنس المستثنى منه فالنفع والضر والأسباب التي ملكها الله للإنسان وكذا العذاب المتوعد به داخلة تحت مشيئة الله تعالى .

قال الألوسي:" ولا يخفى أن الأصل الاتصال ولا ينبغي العدول عنه حيث أمكن من دون تعسف، وأياً ما كان فظاهر كلامهم أن الاستثناء من المفعول إلا أنه على تقدير الانقطاع ليس المعنى على إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه ولذا جعل الحكم على ذلك التقدير أنه كائن دون أملكه مثلاً فلا تدافع في كلام من حكم بالانقطاع وقال في بيان المعنى أي ولكن ما شاء الله تعالى من ذلك كائن مشيراً بذلك إلى النفع والضر فإنه صريح في كون المستثنى من جنس المستثنى منه المقتضى للاتصال لأن المدار عند المحققين في الأمرين على الإخراج من الحكم وعدمه."

قال ابن عطية :" أن يقول لهم ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾،

=
قدرة مؤثرة إن شاء الله تعالى وإن لم يشأ كما هو رأي المعتزلة وقال : المعنى لا أقدر على شيء من الضر والنفع إلا ما شاء الله تعالى أن أقدر عليه منهما فإني أقدر عليه بمشيئته سبحانه."

المعنى قل لهم يا محمد رداً للحجة إني ﴿ لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا ﴾ من دون الله ولا أنا إلا في قبضة سلطانه وبضمن الحاجة إلى لطفه ، فإذا كنت هكذا فأحرى أن لا أعرف غيبه ولا أتعاصى شيئاً م ن أمره، لكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ ﴾ انفرد الله تعالى بعلم حده ووقته ، فإذا جاء ذلك الأجل في موت أو هلاك أمة لم يتأخروا ساعة ولا أمكنهم التقدم عن حد الله ﷻ ."[1]

والله تعالى أعلم

١ - المحرر الوجيز (١٢٣/٣).

قال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾ [يونس: ٥٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ مِنْهُ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر عود الضمير في منه على العذاب، وبه يحصل الربط لجملة الاستفهام بمفعول أرأيتم المحذوف الذي هو مبتدأ في الأصل."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الضمير يعود على العذاب . وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول الله تعالى ذكره : ماذا يَسْتَعَجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله."

وقال السمر قندي:" يقول: بأي شيء يستعجل منه المجرمون يعني: المشركين، ويقال ماذا ينفعهم استعجالهم منه أي من عذاب الله تعالى؟."

وقال الواحدي:" أَيّ شيءٍ يستعجل المجرمون من العذاب؟."

القول الثاني: إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ج٥/ ل١٣٤) (١٦٦/٥).

٢ - الطبري(٨٥/١١)، السمر قندي(١١٦/٢)، الواحدي في الوجيز آية٥٠، الزمخشري(٢٤٠/٢)، ابن الجوزي (٣٣/٤)، الرازي (٢٦٤/١٧)، البيضاوي (٢٠١/٣)، النسفي (٢٣٨/٢)، الخازن آية ٥٠، ابن كثير (٢٣٧/٤) ،ابن عادل (٣٤٧/١٠)، البقاعي(٤٥/٣)، الجلالين آية ٥٠،الشربيني (٢٥/٢) ، أبي السعود (١٥١/٤)،الشوكاني(٤٥١/٢)،الألوسي(٦٣١/١١)، النووي الحاوي آية ٥٠، ابن عاشور(١٩١/١١).

٣ - البغوي آية ٥٠،ابن عطية(١٢٤/٣)،وذكرا القولين.القرطبي(٣٥٠/٨)،الشوكاني(٤٥١/٢).

قال البغوي:" أي: ماذا يستعجل من الله المشركون."

وقال ابن عطية:" والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يحتمل أن يعود على الله ﷻ ."

وقال القرطبي:" وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- كون الضمير يعود على العذاب مناسب لمعنى الآية فإن الكفار كانوا يستعجلون العذاب سخرية منهم واستبعادا له، وفيه ربط للجمل .
- وأما كون الضمير يعود على الله تعالى ، فلو قيل ماذا يستعجل من الله المجرمون؟

فالجواب قطعاً هو:العذاب الذي هم به مكذبون ، وقطعاً أن العذاب من الله تعالى؛ فعود الضمير على العذاب فيه اختصار للجواب وبعدا عن الإطالة.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على العذاب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

1. لدلالة السياق فهو يتحدث عن العذاب في الآية .وكذا الآية التي تليها قال تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[يونس: ٥١].
2. عود الضمير على أقرب مذكور وهو العذاب .
3. أنه الأجود لبيان حقيقة المعنى.

قال البغوي :" وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه . وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الأنفال: ٣٢]. فيقول الله تعالى:﴿مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ﴾ يعني: أيش يعلم المجرمون ماذا

يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فع ل قبيحاً ماذا جنيت على نفسك."

فيه ربط للجمل .

قال الألوسي:" ومن قال: إن ضمير ﴿مِنۡهُ ﴾ هو الرابط مع تفسيره بالعذاب جنح إلى أن المستعجل من العذاب فهو شامل للمبتدأ فيقوم مقام رابطه لأن عموم الخبر في الاسم الظاهر يكون رابطاً على المشهور ففي الضمير أولى."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يونس:٥١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع(ثم)[1] في قوله ﴿ أَثُمَّ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُو ا﴾[2] وفي ﴿أَولَمْ يَسِيرُوا ﴾[3] وتقدم الكلام على ذلك[4]. وخلاف الزمخشري[5] للجماعة في دعواه أنّ بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف. وقال الطبري في قوله : ﴿ أَثُمَّ ﴾ بضم الثاء، أنّ معناه أهنالك قال : وليست ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى[6]. وما قاله الطبري من أنّ ثم هنا ليست للعطف دعوى، وأما قوله : إن المعنى أهنالك، فالذي ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى، لا أنْ ثم المضمومة الثاء معناها معنى هنالك."[7]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: إن ثم حرف عطف ، تقدمت عليها همزة الاستفهام ، وهو قول

---

١ - قال السيوطي في الإتقان (٢/١٨٩) :" ثم حرف يقتضي ثلاثة أمور :التشريك في الحكم ،والترتيب ، والمهلة وفي كل خلاف."

٢ - وردت في آية (١٠٩) يوسف،(٤٦)الحج،(٨٢) غافر ،(١٠) محمد .

٣ - وردت في آية(٩) الروم،(٤٤)فاطر،(٢١) غافر.

٤ - البحر المحيط (٥/١٦٥).

٥ - الكشاف(٢/١٩٣).

٦ - جامع البيان(١١/٨٥).

٧ - البحر المحيط(ج٥/ل١٣٥) (٥/١٦٦)، النهر الماد (٥/١٦٦).

جماعة من المفسرين؛[1] واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية:" عطف بقوله (ثم) جملة القول على ما تقدم ثم أدخل على الجميع ألف التقرير، ومعنى الآية: إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به حينئذ ، وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به ."

وقال القرطبي :" ودخلت ألف الاستفهام على (ثم) والمعنى: التقرير والتوبيخ، وليدلّ على أن معنى الجملة الثانية بعد الأُولى."

وقال البيضاوي[2]:" بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإِيمان، وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على (ثم) لإنكار التأخير."

القول الثاني: إن ثم ليست للعطف ومعناها هنا : أهنالك، وهو قول الطبري وذكره بعض المفسرين[3] .

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به، يقول: صدّقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق، وقيل لكم حينئذ: آلآن تصدّقون به، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون، وأنتم بنزوله مكذّبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون . ومعنى قوله: أَثُمّ في هذا الموضع : أهنالك وليست (ثم) هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف."

---

١ - ابن عطية (٣/١٢٤)،القرطبي (٨/٢٥٠)،البيضاوي(٣/٢٠١)،الخازن آية ٥١،ابن عادل (١٠/٣٤٧) ،أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكاني (٢/٤٥٠)،الألوسي(١١/٨٣١)، ابن عاشور (١١/١٩١).

٢ - عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد، ناص ر الدين، البيضاوي، الشافعي، إمام في الفقه والتفسير والعربية، توفي سنة ٦٨٥هـ. طبقات الشافعية الكبرى (٨/١٥٧)، البداية والنهاية (١٣/٣٠٩)، طبقات المفسرين للداووي(١/٢٤٨).

٣ -الطبري(١١/٨٥)،البغوي آية ٥١،ابن الجوزي (٤/٣٣).وذكره القرطبي (٨/٢٥٠)، والشوكاني(٢/٤٥٠).

وقال البغوي:" ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ قيل: معناه أهنالك؟ وحينئذ وليس بحرف عطف."

وقال اابن الجوزي:" أي: هنالك تؤمنون فلا يقبل منكم الإيمان."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أن دخول دخول همزة الاستفهام على (ثم) تفيد التقرير والتوبيخ ،وليدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى وهذا غير وارد في القول الثاني.
- أن القول الثاني قول غير معروف كما ذكر ذلك بعض المفسرين .[1] ويكون تفسيرمعنى. وليس تفسير (ثم) كحرف.

الترجيح:

يترجح القول أن ثم حرف عطف ، تقدمت عليها همزة الاستفهام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

- لدلالة السياق فالكفار أنكروا أمرا لا محال من وقوعه وهو العذاب ، فإقناعهم بذلك وتهديهم يحتاج إلى أسلوب يناسب حالهم والاستفهام أنسب أسلوب ،ولاسيما إذا كان بأداة اعتادوا على استعمالها في مقام سهل .

قال الشوكاني :" ودخول الهمزة الاستفهامية في ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾ على ثم كدخولها على الواو والفاء، وهي لإنكار إيم انهم، حيث لا ينفع

---

١ - قاله ابن عطية (٣/١٢٤)،وقال ابن هشام في مغني اللبيب (١/١٣٨)عن قول الطبري :"وهذا وهم ،اشتبه عليه ثم المضمومة الثاء بالمفتوحتها."

وقال أبو حيان(٥/١٦٦) موجها لقول الطبري:" وقرأ طلحة بن مصرّف: أثم بفتح الثاء، وهذا يناسبه تفسير الطبري أهنالك." وهذا مخرج حسن لقول الطبري أفضل من وصفه بالوهم؛ رحمهم الله تعالى جميعا .

الإيمان، وذلك بعد نزول العذاب، وهو يتضمن معنى التهويل عليهم، وتفظيع ما فعلوه في غير وقته، مع تركهم له في وقته الذي يحصل به النفع والدفع، وهذه الجملة داخلة تحت القول المأمور به، وجيء بكلمة ثم التي للتراخي [1]؛ دلالة على الاستبعاد. وجيء بإذا مع زيادة ما للتأكيد؛ دلالة على تحقق وقوع الإيمان منهم في غير وقته، ليكون في ذلك زيادة استجهال لهم، والمعنى: أبعد ما وقع عذاب الله عليهم، وحلّ بكم سخطه وانتقامه آمنتم، حين لا ينفعكم هذا الإيمان شيئاً، ولا يدفع عنكم ضرّاً."

- أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر؛ وهي قاعدة مهمة للترجيح [2].
- أن هذا القول هو الأولي والأقرب لمقام وحال الكفار وإنكارهم .

قال الشوكاني: " . وقيل: إن ثم هاهنا، هي بفتح الثاء، فتكون ظرفية بمعنى هناك. والأوّل: أولى."

وقال الزركشي :"والحاصل أنها للتراخي في الزمان ، وهو المعبر عنه بالمهلة، وتكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله ، وأنه لو انفرد لكان كافيا فيما قصد فيه ، ولم يقصد في هذا ترتيب زماني ، بل لتعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه، وتحريك النفوس لاعتباره." [3]

والله تعالى أعلم

---

١ - قال السمين في عمدة الحفاظ ص٨٢ :"ثم حرف عطف يقتضي التراخي وزعم قوم أنها لا ترتب ... والتراخي قد يكون في الزمان وهو الأصل وقد يكون في الترتيب."

٢ - قواعد الترجيح لحسين الحربي(٣٦٩/١).

٣ - البرهان (٢٦٨/٤).

قال تعالى﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[يونس: ٥٣] .

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿أَحَقٌّ هُوَ ۖ﴾؟

قال أبو حيان :" وأحق هو الضمير عائد على العذاب . وقيل: على الشرع والقرآن وقيل: على الوعيد، وقيل: على أمر الساعة."[1]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول: يعود الضمير على العذاب . وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك: أحقّ ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا؟."

وقال السمر قندي:" قال قتادة[3] ومقاتل[4]: وذلك أنّ حييّ بْنَ أخْطَبَ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٣٥) (١٦٦/٥).

٢ - الطبري(٨٥/١١)، السمر قندي(١٢٣/٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٣، الزمخشري (٢٤٠/٢)، ابن الجوزي (٣٣/٤)، الرازي (٢٦٥/١٧)، القرطبي (٣٥١/١٨)، النسفي (٢٣٩/٢)، ابن جزي (١٧٣/٢)،الخازن آية ٥٣،ابن عادل (٢٥١/١٠)، البقاعي (٤٥١/٣)، الجلالين آية ٥٣، الشربيني (٢٥/٢)، الشوكاني(٤٥٠/٢)، الألوسي (٨٣١/١١)،ابن عاشور (١٩٥/١١).

٣ - قتادة بن دعامة السّدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة مات سنة بضع عشرة ومائة . تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)، التقريب ص٤٥٣(٥٥١٨).

٤ - مقاتل بن سليمان بن بشير الأزد ي الخرساني، أبو الحسن البلخي مفسر مجمع على تركه رمي =

حين قدم مكة قال للنبي ﷺأحق هذا العذاب؟."

وقال الماوردي :"العذاب في الآخرة."

القول الثاني: يعود الضمير على الشرع والقرآن. ذكره بعض المفسرين[1] .

قال ابن عطية:" و ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾قيل الإشارة إلى الشرع والقرآن."

وقال الرازي:" واختلفوا في الضمير في قوله : ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ قيل: أحق ما جئتنا به من القرآن والنبوة والشرائع."

وقال أبو حيان :"وقيل: على الشرع والقرآن."

القول الثالث: يعود الضمير على الوعيد، وهو قول ابن عطية والثعالبي [2] ، وذكره أبو حيان وابن عادل .

قال ابن عطية:" وقيل: إلى الوعيد وهو الأظهر."

وقال الثعالبي[3]:" و﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾قيل: الإِشارة إِلى الشرعِ والقُرآن، وقيل: إِلى الوعيدِ؛ وهو أَظْهر."

وقال ابن عادل[4]:" والضمير، أعني: " هو" عائدٌ إمّا على العذاب، أو على الشّرع، أو على القرآن، أو على الوعيد، أو على أمر السّاعة."

القول الرابع : يعود الضمير على أمر الساعة . وهو قول جماعة من

=

بالتجسيم توفي سنة ١٥٠هـ. تاريخ البخاري الكبير(٨/١٣)(١٩٧)، التقريب ص٥٤٥ (٦٨٦٨).

١ - ابن عطية (٣/١٢٤)، الرازي (١٧/٢٦٥)، أبو حيان (٥/١٦٦)،ابن عادل (١٠/٢٥١).

٢ - ابن عطية(٣/١٢٤)،الثعالبي(٢/٩٩).

٣ - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر، من أعيان الجزائر توفي سنة١٣٨٤هـ.الضوء اللامع (٤/١٥٢)، شجرة النور الزكية ص٢٦٥،الأعلام(٣/٣٣١).

٤ - عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ، أبو حفص سراج الدين، المفسر، توفي سنة ٨٨٠هـ. كشف الظنون ص١٥٤٣، هدية العارفين (١/٧٩٤)، الأعلام(٥/٥٨).

المفسرين[1].

قال الماوردي :" ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾فيه وجهان:

أحدهما: البعث، قاله الكلبي[2]".

وقال الواحدي:" ﴿أحقٌ﴾ما أخبرتنا به من العذاب والبعث؟"

وقال البغوي :" ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة."

القول الخامس : يعود الضمير على النبوة . ذكره الرازي والبيضاوي والألوسي[3].

قال الرازي:" واختلفوا في الضمير في قوله: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾قيل: أحق ما جئتنا به من القرآن والنبوة والشرائع."

وقال البيضاوي:" ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة."

وقال الالوسي:" أي العذاب الموعود كما هو الأنساب بالسياق د ون ادعاء النبوة الذي جوزه بعضهم، ورجح عليه أيضاً بأنه لا يتأتى إثبات النبوة لمنكريها بالقسم."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما كون الضمير يعود على العذاب فإن سياق الآية يدل عليه.
- وأما كون الضمير يعود على الشرع والقرآن فلم أجد قرينه أو قولا

---

١ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٣، ابن الجوزي (٤/٣٣)، الرازي(١٧/٢٦٥)، القرطبي (٨/ ٣٥١)،الخازن أية ٥٣، ابن كثير(٤/٢٣٨)،ابن سعدي ص ٣٦٦.

٢ - محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر، المفسر، كان رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث توفي سنة ١٤٦هـ.طبقات بن سعد (٦/ ٢٤٩)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٨)، تهذيب التهذيب(٣/ ٢٠٥).

٣ - الرازي(١٧/ ٢٦٥)،البيضاوي(٣/ ٢٠٢)، الألوسي(١١/ ٨٣١).

يدل على ذلك ؛وذكره بعض المفسرين عرضا دون دلالة .

- وأما كون الضمير عائدا على الوعيد فنسأل ما الذي أوعد به المكذبون ؟ فالجواب : هو العذاب ؛ فصار قولا واحدا مع القول الأول.
- وأما كون الضمير يعود على الساعة أو البعث أو القيامة أو المعاد كما عبر به البعض .فيقال إن الكفار لم يكون وا في شك من قيام الساعة والبعث فيسألون وإنما هم منكرون ذلك أشد الإنكار ؛ وسؤالهم هنا على سبيل التهكم والاستهزاء كما هو معلوم من حالهم لأمر أوعدوا به وهو العذاب.
- وأما كون الضمير يعود على النبوة فيقال إن إثبات النبوة لمنكريها في الغالب لا يكون بالقسم بل با لمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة الدالة على صدق النبي ﷺ[1]. ولا دلالة في الآية على النبوة؛ كما أن الضمير (هو) لا يتناسب مع النبوة من حيث التذكير والتأنيث .

الترجيح:

يترجح عود الضمير على العذاب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

- لأنه الأنسب لدلالة السياق .

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[يونس: ٥٢]. فهي الآية السابقة لهذه الآية .

قال أبو حيان :" ولما تضمن قولهم أحق هو السؤال عن العذاب، وكان سؤالاً عن العذاب اللاحق بهم لا عن مطلق عذاب يقع بمن يقع . قيل: وما أنتم بمعجزين أي فائتين العذاب المسؤول عنه، بل هو لاحق بكم."

وقال الرازي :" ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ولا بد

---

١ – ذكره الألوسي(١١/ ٨٣١).

فيه من تقدير محذوف، فيكون المراد وما أنتم بمعجزين لمن وعدكم بالعذاب أن ينزله عليكم والغرض منه التنبيه على أن أحداً لا يجوز أن يمانع ر به ويدافعه عما أراد وقضى."

ﷺ. وجود قرينة وهي القسم فهو لتأكيد ما سألوا عنه.

قال الألوسي :" والحق أن القسم لم يذكر للإلزام بل توكيد لما أنكروه، والاستفهام للإنكار، والاستنباء على سبيل التهكم والاستهزاء كما هو المعلوم من حالهم فلا يقتضي بقاءه على أصله."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما معنى (إِى وَرَبِّىٓ) في قوله ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾؟

قال أبو حيان:" وأمر تعالى نبيه أن يقول مجيباً لهم : قل إي وربي، أي نعم وربي. و(إي) تستعمل في القسم خاصة [1]، كما تستعمل (هل) بمعنى (قد) فيه خاصة. قال معناه الزمخشري[2]."[3]

الدراسة:

(إي): بالكسر[4] والسكون حرف جواب بمعنى نعم، فتكون لتصديق المخبر، ولإعلام المستخبر، ولوعد الطالب، ولاتقع إلا قبل القسم ."[5] "صلة له." ، " ويجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء ، تقول: (إي وربي) وإي ربي."[6]

فهي " من حروف الإيجاب"[7].

وفي معناها قولان:

القول الأول: معنى (إي وربي) أي نعم وربي؛ وهو قول جماعة من المفسرين،[8] واختاره أبو حيان.

١ - قال السمين في عمدة الحفاظ ص٣٤:"ولو قيل لك أقام زيد فقلت: إي وسكت أو إي قام زيد لم يجز لعدم وجود القسم ."

٢ - الكشاف (٢/ ٢٤٠).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٥) (٥/ ١٦٧).

٤ - وذكر في الصحاح الكسر فقط.

٥ - الإتقان (٢/ ١٨٠).

٦ - المحرر الوجيز لابن عطية(٣/ ١٢٤).

٧ - إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٥١).

٨ - الزجاج(٣/ ٢٥)،السمرقندي آية٥٣، النحاس(١/ ٤٨٤)،الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٣، ابن عطية (٣/ ١٢٤)،ابن الجوزي (٤/ ٣٣)، القرطبي (٨/ ٢٥١)، البيضاوي (٣/ ٢٠٢)، النسفي (٢/ ٢٣٩)، ابن جزي (٢/ ١٧٣)،الخازن آية ٥٣.السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٤،ابن عادل (١٠/ ٣٥١)، الجلالين آية ٥٣، الشربيني (٣/ ١٢٥)،أبي السعود (٤/ ١٥١)، الجمل(٢/ ٣٥٦)، =

قال الزجاج[1]:" نعم وربي."

وقال السمرقندي:" هو؟ ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾، يعني قل: يا محمّد نعم."

وقال النحاس:" أي المعنى: نعم."

القول الثاني: معنى (إِي وَرَبِّيٓ) أي بل، وهو قول ابن قتيبة[2].

قال ابن الجوزي :" وقال ابن قتيبة : (إي) بمعنى (بل) ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول أن معنى(إي): نعم. فهو ما اجتمع عليه المفسرون ولم أر فيما اطلعت عليه خلافا إلا ما نقله ابن الجوزي عن ابن قتيبة .
- ومن ذكر (بل) في كتب علوم القرآن، لم يذكروا أنها حرف تحقيق أو أنها بمعنى (نعم)أو (إي)[3].

الترجيح:

يترجح أن معنى إي: نعم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

لأنه المناسب لجواب السؤال ففيه الإيجاب والتوكيد والتحقيق.

=

الشوكاني (٢/ ٤٥٠)، الألوسي(١١/ ٣١)،

١ - إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج البغدادي، أبو إسحاق، الإمام نحوي زمانه، توفي سنة٣١١هـ. تاريخ بغداد (٦/ ٨٩)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).

٢ - نقله ابن الجوزي في زاد المسير عنه (٤/ ٣٣).وابن قتيبة هو :عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، العلامة الكبير، ذو الفنون،كان ثقة دينا فاضلا، توفي سنة ٢٧٦هـ.تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، سير لأعلام النبلاء(١٣/ ٢٩٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣).

٣ - ذكر الزركشي في البرهان (٤/ ٢٥٨ - ٢٦٠) ،والسيوطي في الإ تقان (٢/ ٢٥٢)أن: بل حرف إضراب إذا تلاها جملة، ويكون بمعنى الإبطال لما قبلها أ و الانتقال من غرض إلى آخر، أما إذا تلاها مفرد فهي عاطفة ولم تقع في القرآن كذلك. ا.هـ باختصار .

قال القرطبي :" (إي) كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى نعم."

لاتفاق ما ذكره أهل اللغة مع ما اجتمع عليه المفسرون.

لأن مثله أن تقول: أي والله.

قال البيضاوي:" وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ... فيقال: إي والله ولا يقال إي وحده."

أن الجواب بذلك فيه فائدة عظيمة.

قال الرازي :" ثم إنه تعالى أمره أن يجيبهم بقوله : ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ والفائدة فيه أمور:

أحدها: أن يستمليهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن من أخبر عن شيء، وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد .

وثانيها: أن الناس طبقات فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية، نحو القسم فإن الأعرابي الذي جاء الرسول ﷺ ، وسأل عن نبوته ورسالته [1] اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم، فكذا ههنا."[2]

والله تعالى أعلم

١ - والحديث في صحيح البخاري/ كتاب العلم/ باب ما جاء في العلم/ حديث رقم(٦٣).

٢ - مفاتيح الغيب (١٧/٢٦٥).

المسألة الثالثة

هل يصح وصل (إي) بواو القسم أم لا يصح؟

قال أبو حيان :" قال – أي الزمخشري-: وسمعتهم يقولون في التصديق (إي و) فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده □ انتهى. ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجية في كلامه لفساد كلام العرب إذ ذاك وقبله بأزمان كثيرة."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: لا يصح وصل (إي) بواو القسم فيقال (إيو) ، وهو قول أبي حيان واختياره.[2]

قال الألوسي :" وحذف المجرور بواو القسم والاكتفاء بها لم يسمع من موثوق به وهو مخالف للقياس."

القول الثاني: يصح وصل (إي) بواو القسم، وهو بعض المفسرين[3] .

قال الزمخشري:" وسمعتهم يقولون في التصديق: إيوَ، فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده."

وقال البيضاوي :" وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده."

١- الزمخشري (٢/ ٢٤٠).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٦) (٥/ ١٦٧).

٣ - وقد تطرق كثير من المفسرين - وهم من سبق ذكرهم في القول الأول في المسألة السابقة - إلى معنى (إي)، ولم يعتنوا بالرد على ما قاله الزمخشري ، وأبو حيان رحمه الله هو من تطرق إلى هذه المسألة وتبعه الألوسي(١١/ ٣١) ، ومن ذكرنا من المفسرين في هذه المسألة أصحاب القول الثاني.

٤- الزمخشري(٢/ ٢٤٠)، البيضاوي (٣/ ٢٠٢)، السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٤، أبي السعود (٤/ ١٥١)،

وقال السمين :"وقد كثر ورود هذه الكلمة – إي وربي –حتى حذفوا جملتي القسم وجوابه وابقوا حرفا موصولا بإي ؛ فيقولون (إيو) يريدون إي والله."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه يصح أن نقول (إيو) فإن ثبت بدليل مؤكد ذلك فلا مانع من صحته.
- أما إن كانت الحجه في سماع الكلمة من الناس فلا حجة فيه، لاسيما بعد اختلاط الناس وضعف هم في استخدام مفردات اللغة العربية الفصحى، فالعبرة بالنقل الصحيح من الموثوق بهم في ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إن الصحيح في جواب القسم الذي بدأ ب (إي) أن يقال فيه:إي وربي ولا يقال (إيو)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لعدم صحة السماع فيه من الثقات والعارفين باللغة الفصحى.

قال الألوسي:" (إي) حرف جواب وتصديق بمعنى نعم قيل : ولا تستعمل كذلك إلا مع القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة، ولذلك سمع من كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به فيقولون ـ إيو ـ ويوصلون به هاء السكت أيضاً فيقولون: ـ إيوه ـ وهذه اللفظة شائعة اليوم في لسان المصريين وأهل ذلك الصقع[1]. وادعى أبو حيان أنه يجوز استعمالها مع القسم وبدونه إلا أن الأول هو الأكثر قال : وما ذكر من السماع ليس بحجة لأن اللغة فسدت بمخالطة غير العرب فلم يبق وثوق بالسماع، وحذف المجرور

---

١ – قال الجمل (٣٥٦/٢) :" ومنه قول الناس في الجواب :إي والله، وقولهم :(إيوه) فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله.ا.هـ عن شيخه. ولم يحدد من هم الناس ولعله أراد بهم أهل عصره ؛ فلا عبرة بذلك لاختلاط اللسان ، ولعلها في لهجة عوام الناس كما هي الآن في هذا العصر في بعض البلاد العربية.

بواو القسم والاكتفاء بها لم يسمع من موثوق به وهو مخالف للقياس، وأكد الجواب بأتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريراً وتحقيقاً بقوله جل شأنه: ﴿لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤﴾".

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤)﴾[يونس: ٥٤].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما معنى قوله تعالى ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" (وأسر) من الأضداد تأتي بمعنى أظهر. قال الفرزدق[1]:

ولما رأى الحجاج[2] جرد سيفه أسر الحروري[3] الذي كان أضمرا[4]

وقال آخر:

فأسررت الندامة يوم نادى برد جمال غاضرة[5] المنادي[6]

وتأتي بمعنى أخفى وهو المشهور فيها كقوله : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ [هود: ٥] ويحتمل هنا الوجهين . أما الإظهار فإنه ليس بيوم تصبر ولا تجلد ولا

١- همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، أبو فراس ، شاعر عصره، توفي سنة١١٠هـ. تهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٨٠)،سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٠)، شذرات الذهب (١/١٤١).

٢ - الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أبو محمد، توفي سنة ١٩٥هـ .تاريخ البخاري (٢/٣٧٣)، الجرح والتعديل(١/١٦٨)، البداية والنهاية(٩/١٢٣).

٣ - الحروري: نسبة إلي الحرورية - بفتح الحاء وضم الراء - وهي فرقة من الخوارج، نسبة إلي قرية حروراء بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليا رضي الله عنه.ن مقالات الإسلاميين ص٨٧، الفرق بين الفرق ص٧١، فرق معاصرة(١/٢٣٠)، معجم البلدان(٢/٢٨٣)

٤ - اللسان (٣/١٩٨٩) مادة (سرر) وفي البحر المحيط المطبوع اظهرا ،والبيت ليس في ديوان الفرزدق.

٥ - غاضرة: قبيلة وحي من صعصعة .القاموس ص٥٧٩.

٦ - القائل هو كثير عزة .انظر ديوانه ص٢٢١.

يقدر فيه الكافر على كتمان ما لله، ولأنّ حالة رؤية العذاب يتحسر الإنسان على اقترافه ما أوجبه، ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب، وقد قالوا : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] وأما إخفاء الندامة فقيل : أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم، وهذا فيه بعد، لأنّ من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة . وأيضاً (وأسروا)عائد على كل نفس ظلمت على المعنى، وهو عام في الرؤساء والسفلة . وقيل: إخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحسبوه ولا خطر ببالهم، ومعاينتهم ما أوهى قواهم فلم يطيقوا عند ذلك بكاء ولا صراخاً. ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب، كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبس بكلمة، ويبقى مبهوتاً جامدا، وأما من قال :إن معنى قوله ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أخلصوا لله في تلك الندامة ،أو بدت بالندامة أسرة وجوههم،[1] أي تكاسير جباههم [2] ،ففيه بعد عن سياق الآية."[3]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن معنى (أسروا) أظهروا.وهو قول جماعة من المفسرين، [4]

---

١ - قال الراغب في مفردات القرآن مادة(سرر)ص ٢٣٤"واستعير للخالص ،فقيل :هو من سر قومه، ومنه
سر الوادي، وسرارته ."وقال في القاموس ص٥٢٠:"وخالص كل شيء بين السرارة بالفتح."

٢ - وهو قول المبرد ذكره الماوردي في تفسيره النكت والعيون آية ٥٤ سورة يونس.

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٦) (٥/١٦٧-١٦٨).

٤ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٤،الزمخشري(٢/ ٢٤٠)،ابن الجوزي (٤/ ٣٤)، =

واختاره أبو حيان.

قال الماوردي :" أظهروها وكشفوها لهم."

وقال الواحدي:"أي أظهروها ."

وقال البغوي:" ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: أظهرُوا الندامة لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبّر وتصنّع."

القول الثاني: إن معنى (أسروا) أخفوا، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري :" وقوله:﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم ال ندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم، وأيقنوا أنه واقع بهم."

وقال السمرقندي :" ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾يعني: أخفوا النّدامة يعني: القادةُ من السّفلة."

وقال الماوردي :" ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾فيه وجهان: أحدهما: أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم، وقيل بل كتمها الرؤساء عن أتباعهم."

القول الثالث: إن معنى (أسروا) أخلصوا. ذكره بعض المفسرين[2] .

=
الرازي (٢٦٥/١٧)،القرطبي(٣٥٢/٨)، البيضاوي(٢٠٣/٣)،ابن جزي (١٧٣/٢)، الخازن آية٥٤، السمين في الدر (٢٢١/٦)،ابن عادل (٣٥١/١٠)، الشربيني (٢٨/٢)، أبي السعود (١٥١/٤)، الجمل (٣٥٦/٢)،الثعالبي(٩٩/٢).

١ - الطبري(٢٦٥/١١)،السمرقندي(١٩٧/٢)،الواحدي في الوسيط(٥٥٠/٢)،والوجيز آية ٥٤،البغوي آية ٥٤، الزمخشري (٢٤٠/٢))، ابن عطية (١٢٤/٣)،ابن الجوزي (٣٩/٤)، الرازي (٢٦٥/١٧)، القرطبي (٣٥٢/٨)، البيضاوي (٢٠٣/٣)،النسفي(٢٣٩/٢)،ابن جزي (١٧٣/٢)، الخازن آية ٥٤،السمين في الدر (٢٢١/٦)،ابن عادل (٣٥١/١٠)،الجلالين آية ٥٤، أبي السعو د (١٥١/٤)، الشوكاني(٤٥٣/٢)،الألوسي(٤١/١١)، الثعالبي (٩٩/٢)، ابن عاشور(١٩٧/١١).

٢ - الزمخشري(٢٤٠/٢)، الرازي(٢٦٥/١٧)، الشوكاني(٤٥٠/٢).

قال الزمخشري:" وقيل أسروها أخلصوها، إما لأن إخفاءها إخلاصها، وإما من قولهم: سرّ الشيء، خالصه . وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة."

وقال الرازي :" أنهم أسروا تلك الندامة لأنهم اخلصوا لله في تلك الندامة، ومن أخلص في الدعاء أسره، وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم يعني أنهم لما أتوا بهذا الإخلاص في غير وقته ولم ينفعهم، بل كان من الواجب عليهم أن يأتوا به في دار الدنيا وقت التكليف."

وقال الشوكاني :" وقيل معنى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أخلصوها، لأن إخفاءها إخلاصها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال معنى (أسروا) بمعنى (أظهروا) فهو الأقرب والأقوى في المعنى .
- وأما من قال معنى (أسروا) بمعنى (أخفوا) فهو غير ظاهر في واقع الموقف وذلك لأن الرؤساء ما كانوا ليخافوا من الأتباع في الدنيا مع احتمال قدرة الأتباع على تركهم والإضرار بهم والانقلاب عليهم ، فكيف يخاف الرؤساء منهم يوم القيامة مع إيقانهم أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا فكيف بغيرهم قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[البقرة:

١٦٥ - ١٦٧] .

- وكذا حياء الرؤساء من الأتباع معدوم يوم القيامة لانعدامه منهم في الدنيا، بالإضافة إلى أن كل إنسان في ذلك اليوم ينشغل بنفسه عن غيره لشدة الهول وعظم الخطب.

وكذا فإن قوله (وأسروا) عائد على كل نفس ظلمت على المعنى، وهو عام في الرؤساء والسفلة.

- وأما من قال (أسروا) بمعنى أخلصوا فهو معنى بعيد لأنه في لا ينفعه الإخلاص ولا يقبل منه عمل فهو موقف العرض وظهور الحقائق قال تعالى ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم: ٥٧] .
- وقال تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢] .
- وأما من قال بدت في تقاسيم وجوههم فإنه يندرج تحت معنى أظهروا. ففعلهم هذا من أثر رهبة الموقف.فبالرغم من محاولاتهم إخفاء الندامة إلا أنها ظهرت على الوجوه بغير إرادتهم ،لأنهم في يوم العرض وانكشاف الحقائق، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٣] .
- وأما من قال :أنهم وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم ...الخ؛ فهو يندرج تحت معنى الإخفاء.

الترجيح:

يترجح أن معنى قوله (وأسروا) يدور بين أظهروا وأخفوا فهو من الأضداد، إلا أن معنى الإظهار في هذه الآية أقوى وأظهر وذلك:

١. لأنه أبلغ وأعظم في كشف حال الكفار فهم يحاولون قدر المستطاع إخفاء ندمهم لكنه يوم العرض وانكشاف الحقائق.

٢. أنه لو كان المعنى (أسروا) أخفوا لم يكن هناك لفت للنظر؛ لأن المعروف في الدنيا أن كل متكبر ومستعل يخفى الندم في حال وجوده، أما في الآخرة فمهما أخفوا فإنه سيظهر.

٣. أن ظهور الندامة لها أعراض مشابهة في ذلك الموقف مثل عض الظالم على يديه، والبكاء، والصراخ، وتمني العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات، وتمني تحوله إلى تراب...الخ فمهما حاولوا إخفاءها فإنها تظهر.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ قوله : وقضى بينهم بالقسط، جملة أخبار مستأنفة، وليست معطوفة على ما في حيز لما، وأن الضمير في بينهم عائد على كل نفس ظلمت. وقال الزمخشري: "بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم."[1] انتهى. وقيل: يعود على المؤمن والكافر . وقيل: على الرؤساء والأتباع."[2]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على كل نفس ظلمت، وهو قول بعض المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال السمر قندي :" ويقال: قضي بينهم، يعني : بين الخلق بالعدل، فيعطي ثوابهم على قدر أعمالهم."

وقال ابن عادل:" والضّميرُ في « بينهُم » يعودُ على « كُلِّ نفسٍ» في المعنى."

وقال الجلالان[4]:" ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾بين الخلائق."

القول الثاني: الضمير يعود على الظالمين والمظلومين، وهو قول جماعة من

١- الكشاف(٢/ ٢٤٠).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٦) (٥/ ١٦٧).

٣ - السمرقندي (٢/ ١٢٣)، ابن عادل (١٠/ ٣٥١)، الجلالين آية٥٤،ابن عاشور (١١/ ١٩٧).

٤ - جلال الدين المحلي: محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعي، أصولي مفسر، توفي سنة ٨٦٤هـ، شذرات الذهب (٧/ ٣٠٣)، الضوء اللامع(٧/ ٣٩)، الأعلام(٥/ ٣٣٣).

وجلال الدين السيوطي :عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي سنة٩١١هـ. شذرات الذهب(٨/ ٥١)، الضوء اللامع(٤/ ٦٥)، الأعلام(٣/ ٣٠٢).

المفسرين[1].

قال الزمخشري: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ أي بين الظالمين والمظلومين، دلّ على ذلك ذكر الظلم."

وقال البيضاوي: "الحكومة بين الظالمين والمظلومين، والضمير إنما يتناوله م لدلالة الظلم عليهم."

وقال النسفي: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بين الظالمين والمظلومين دل عل ذلك ذكر الظلم."

القول الثالث: الضمير يعود على المؤمن والكافر، وذكره بعض المفسرين[2].

قال السمرقندي: "ويقال: يقضي بين الكفّار بالعدل، وبين المؤمنين بالفضل."

وقال الرازي: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ فقيل بين المؤمنين والكافرين."

وقال الخازن[3]: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر."

القول الرابع: الضمير يعود على الرؤساء والاتباع، وهو قول بعض المفسرين[4].

قال الطبري: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ يقول: وقضى الله يؤمئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل."

---

١ - الزمخشري(٢/ ٢٤٠)،البيضاوي(٣/ ٢٠٣)، النسفي(٢/ ٢٣٩)،ابن عادل (١٠/ ٣٥١)، البقاعي (٢/ ٢٨)، الشوكاني (٢/ ٤٥٠)،الألوسي(١١/ ٤١).

٢- السمرقندي(٢/ ١٢٣)،الرازي(١٧/ ٢٦٥)،الخازن آية ٥٤، الشوكاني(٢/ ٤٥٠).

٣- علي بن محم د بن إبراهيم الشيحي، علاء الدين المعروف بالخازن عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، كان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها، توفي سنة ٧٤١هـ. شذرات الذهب (٦/ ٩١)، هدية العارفين(١/ ٧١٦)، الأعلام(٥/ ٥).

٤ - الطبري (١١/ ٨٦)، الواحدي في الوجيز آية ٥٤، ابن الجوزي (٤/ ٣٤).

وقال الواحدي :"﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ بين السّفلة والرُّؤساء."

وقال ابن الجوزي :" يعني: الرؤساء أخفوها من الأتباع﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين الفريقين."

القول الخامس: الضمير يعود على الكفار. وهو قول بعض من المفسرين[1].

قال الرازي :" وقيل بين الكفار بإنزال العقوبة عليهم.

واعلم أن الكفار وإن اشتركوا في العذاب فإنه لا بد وأن يقضي الله تعالى بينهم لأنه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضاً في الدنيا وخانه، فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم، وتثقيل لعذاب الباقين، لأن العدل يقتضي أن ينتصف للمظلومين من الظالمين، ولا سبيل إليه إلا بأن يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين."

وقال البيضاوي:" مجازاة المشركين على الشرك."

وقال الخازن :" ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بعود الضمير على كل نفس ظلمت يفيد العموم . وبقية الأقوال تندرج تحته. وهو مناسب لختام الآية.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على كل نفس ظلمت، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأنه يفيد العموم وتندرج باقي الأقوال تحته، والقاعدة الترجيحة تقول: إن القول بالعموم مقدم على القول بالخصوص ما لم يرد خاص

١ - الرازي(٢٦٥/١٧)، البيضاوي (٢٠٣/٣)، الخازن آية ٥٤، ابن عاشور(١٩٧/١١).

يخصصه.[1]

. أنه قول مناسب لأول الآية وختامها، والقاعدة الترجيحة تقول : [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه].[2]

والله تعالى أعلم

---

١ – من توجيهات فضيلة المشرف أ.د. جمال مصطفى النجار. وانظر قواعد الترجيح (٥٢٧/٢).

٢ – قواعد الترجيح (٢٩٩/١).

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾[يونس: ٥٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾؟

قال أبو حيان :" قيل: نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو؟ فالناس هم كفار قريش. وقال ابن عطية: هو خطاب لجميع العالم[1]."[2].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الخطاب لكفار قريش وهو قول بعض المفسرين؛ [3] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي :" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: قريشاً."

وقال ابن الجوزي :" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً."

وقال القرطبي :" قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني قريشاً."

القول الثاني: إن الخطاب لجميع العالم؛ وهو قول بعض المفسرين.[4]

قال ابن عطية :" هذه آية خوطب بها جميع العالم."

وقال الخازن :" وقيل: هو على العموم وهو الأصح."

وقال ابن كثير :" يقول تعالى ممتناً على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم ."

---

١ - المحرر الوجيز(٣/ ١٢٦).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٦) (٥/ ١٦٨).

٣ - الواحدي في الوجيز آية ٥٧،ابن الجوزي(٤/ ٣٤)،القرطبي(٨/ ٣٥٣).

٤ - ابن عطية (٣/ ١٦٨)، الخازن آية ٥٧، ابن كثير (٤/ ٢٣٩)، البقاعي (٣/ ٤٥٣)، الشربيني (٢/ ٢٨)، أبي السعود (٤/ ١٥١)،الألوسي (١١/ ٤١)، ابن عاشور(١١/ ٢٠٠).

القول الثالث: إن الخطاب لأهل مكة وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال السمرقندي :" يعني: يا أهل مكَّة."

وقال الجلالان :" أي أهل مكة."

وقال ابن عاشور :" ويجوز أن يكون خطاباً للمشركين بناء على الأكثر في خطاب القرآن بـ" ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأن الآية نزلت في قريش، فلم أجد أحدا من المفسرين فيما اطلعت عليه ذكر ذلك إلا ما أورده أبو حيان، والذي ذكروه عن ابن عباس في بيان المخاطب " قال ابن عباس :يعني قريشا."[2] فهو تفسير وليس تصريحا منه ونصا بسبب النزول.

فهناك فرق بين كونه سببا للنزو ل وتصريح الصحابي بذلك وبين كونه تفسير للآية، ولعل مراد القائل إنه معنى الآية، لأن" قولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية. وإن لم يكن السبب، كما تقول :عنى بهذه الآية كذا."[3]

ويندرج هذا القول تحت القول إن الخطاب لأهل مكة فقريش من أهل مكة؛ وكلاهما يندرجان بالقول إن الخطاب لجميع العالم.

الترجيح:

يترجح القول أن الخطاب لجميع العالم ، وذلك:

ﷺ. لأنه أقرب إلى دلالة المعنى في الآية.

---

١ - السمرقندي (٢/١٢٣)، الجلالين آية ٥٧، ابن عاشور(١١/ ٢٠٠).

٢ - ذكره الواحدي في الوسيط(٢/ ٥٥٠)

٣ - ذكره في الاتقان (١/ ٨٩) عن ابن تيمية.

. لأن[العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب][1] وهي قاعدة مهمة من قواعد الترجيح عند المفسرين ،هذا على فرضية صحة سبب النزول والتصريح به فكيف إذا لم يصرح به من قبيل الصحابي، لأنه " لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا علمها."[2]

. لأنه الأنسب لدلالة السياق.

والله تعالى أعلم.

---

١ - قواعد الترجيح لحسين الحربي(٢/٥٤٥).

٢ - قاله الواحدي في أسباب النزول ص١.

قال تعالى ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بفضل الله ورحمته في الآية ؟

قال أبو حيان:" قال الزمخشري "عن أبيّ بن كعب[١]: أن رسول الله ﷺ قرأ: قل بفضل الله وبرحمته فقال :بكتاب ٱللَّهِ والإسلام، وقيل: فضله الإسلام، ورحمته ما وعد عليه"[٢] انتهى. ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه. قال ابن عباس، والحسن [٣]، وقتادة، وهلال بن يساف [٤]: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. وقال الضحاك[٥] وزيد بن أسلم [٦] عكس هذا، وقال أبو سعيد الخدري [٧]: الفضل القرآن، والرحمة أ ن جعلهم من أهله . وقال ابن

١ - أبي بن كعب بن قيس بن النجار الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدرا،من قراء الصحابة، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه. الاستيعاب (١/٦٥)، أسد الغابة(١/١٦٨)، الإصابة(١/١٦).

٢ - الكشاف(٢/٢٤١).والحديث:قال ابن حجر في الكاف الشاف (٤/٨٤): "رواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ فذكره، عن أبي سعيد كذلك أخرجه الطبري، وروى ابن مردويه من حد يث أنس، قال رسول الله ، قل بفضل الله ورحمته، قال : بفضل الله وبرحمته أن جعلكم من الملكة."

٣ - الحسن البصري: اسم أبيه يسار ، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، من كبار التابعين، ثقة فاضل، توفي سنة ١١٠هـ. طبقات ابن سعد(٧/١٥٦)، تاريخ البخاري(٢/٢٨٩)،التقريب ص١٦٠،

٤ - هلال بن يساف، بكسر التحتانية ثم مهملة ثم فاء، ويقال بن إساف، الأشجعي مولاهم، أبو الحسن الكوفي، ثقة، من الثالثة . طبقات ابن سعد (٦/٢٩٧)، تهذيب الكمال (٣٠/٣٥٣)، التقريب ص٥٧٦.

٥ - الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخرساني، صدوق كثير الإرسال، طبقات ابن سعد (٦/٣٠٠)، تهذيب الكمال(١٣/٢٩١)، التقريب ص٢٨٠.

٦ - زيد بن أسلم، أبو العدوي العمري المدني الفقيه، الإمام الحجة القدوة، توفي سنة١٣٠هـ. الجرح والتعديل(٣/٥٥٤٩)، حلية الأولياء(٣/٢٢١)، سير أعلام النبلاء(٥/٣١٦).

٧ - أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان، الأنصاري مشهور بكنيته أول مشاهد الخندق، =

عباس فيما روى الضحاك عنه : الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ. وقال ابن عمر[1]: الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب . وقال مجاهد: الفضل والرحمة القرآن، واختاره الزجاج . وقال خالد بن معدان [2]: الفضل القرآن، والرحمة السنة. وعنه أيضاً أنّ الفضل الإسلام، والرحمة الستر. وقال عمرو بن عثمان[3]: فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء . وقال الحسين بن فضل[4]: الفضل الإيمان، والرحمة الجنة . وقيل: الفضل التوفيق، وا لرحمة العصمة. وقيل: الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة . وقال الصادق[5]: الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق . وقال ذو النون [6]: الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران . وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي

=

توفي سنة٧٤هـ. الأسد(٢/ ٤٥١)، التجريد (٣١٨/١)،

١ – عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن، أسلم وهو صغير، توفي سنة٧٣هـ. الاستيعاب(٣/ ٩٥٠)، الأسد(٣/ ٣٣٦)، الإصابة(٤/ ١٠٧).

٢ – خالد بن معدان بن أبي كرب، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبدالله الكلاعي، الحمصي، توفي سنة ١٠٣هـ. طبقات ابن سعد(٧/ ٤٥٥)، تاريخ البخاري(٣/ ١٧٦)، الحلية(٥/ ٢١٠).

٣ – عمرو بن عثمان بن عفان، قديم الموت يروي عن أبيه، وأسامة بن زيد، وعنه سعيد بن المسيب وآخرون، ثقة ليس بالمكثر . طبقات ابن سعد (٥/ ١٥٠)، تهذيب التهذيب (٨/ ٧٨)، سير أعلام النبلاء(٤/ ٣٥٣).

٤ – الحسين بن الفضل بن عمير، العلامة المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، النيسابوري، عالم عصره، توفي سنة ٢٨٢هـ. سير أعلام النبلاء(١٣/ ٤١٤)، لسان الميزان (٢/ ٣٠٧)، شذرات الذهب(٢/ ١٧٨).

٥ – جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام، من السادسة، توفي سنة ١٤٨هـ. تهذيب الكمال(٥/ ٧٤)، سير أعلام النبلاء(٦/ ٢٥٥)، التقريب ص١٤١.

٦ – ذو النون المصري ، الزاهد، شيخ الديار المصرية، اختلف في اسمه، أبو الفيض،توفي سنة٢٤٥هـ. حلية الأولياء(٩/ ٣٣١)، سير أعلام النبلاء(١١/ ٥٣٢)، البداية والنهاية(١٠/ ٣٤٧).

أن يعتقد أنها تمثيلات، لا أن[1] الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه."[2]

الدراسة :

في الآية ستةعشر قولا :

القول الأول: المراد فضله الإسلام، ورحمته ما وعد عليه ، قاله أبيّ . وذكره الزمخشري.

قال الزمخشري:" وقيل: ﴿فضله﴾ الإسلام ﴿ورحمته﴾ ما وعد عليه."

القول الثاني: المراد فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن . قاله ابن عباس ، والحسن، وقتادة، وهلال بن يساف. وذكره جماعة من المفسرين[3].

قال الطبري :" يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزله عليهم، خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها."

وقال السمرقندي :" يعني: قل يا مُحمّد للمؤمنين بفضل الله، الإسلام ، وبرحمته القرآن."

وقال ابن أبي حاتم:" ..عن ابن عباس قال: فضله: الإسلام، ورحمته القرآن."

القول الثالث: المراد فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. قاله الضحاك وزيد بن أسلم.وذكره بعض المفسرين.[4]

---

١ - في المطبوع (لأن).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٧) (٥/ ١٧٠).

٣ - الطبري(١١/ ٨٦)، السمرقندي (٢/ ١٢٣)،ابن أبي حاتم (١٩٥٨/٦)،الثعلبي والماوردي والواحدي في ال وجيز والبغوي آية ٥٨، ابن عطية (١٢٦/٣)،ابن الجوزي (٤/ ٣٥)، القرطبي (٨/ ٣٥٣)، النسفي (٢/ ٢٤٠)،ابن جزي (٢/ ١٧٣)،الخازن والجلالين آية ٥٨، الشربيني (٢/ ٢٨)، أبي السعود(٤/ ١٥١)، الشوكاني(٢/ ٤٥٠).

٤ - الطبري(١١/ ٨٦)، السمرقندي(٢/ ١٢٣)، والماوردي والبغوي آية ٥٨، ابن عطية (١٢٦/٣)، ابن الجوزي (٤/ ٣٥)، الشربيني(٢/ ٢٨).

قال الطبري :" وقال آخرون: بل الفضل: القرآن، والرحمة: الإسلام."

وقال السمرقندي :" وروي عن ابن عبّاس أنه قال : بفضل الله، يعني : القرآن، وبرحمته الإسلام."

وقال الماوردي :" أن فضل الله القرآن ، ورحمته الإسلام ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك."

القول الرابع: المراد فضل الله القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله . قاله أبو سعيد الخدري.وذكره بعض المفسرين.[1]

قال ابن أبي حاتم :" .. عن أبي سعيد الخدري [2] قال: فضل الله : القرآن، وبرحمته أن جعلكم من أهله."

وقال الثعلبي:" قال أبو سعيد الخدري : فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله."

وقال البغوي:" وقال أبو سعيد الخدري : فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله."

القول الخامس: المراد الفضل العلم، والرحمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس .ذكره ابن الجوزي، وأبوحيان.

قال ابن الجوزي :" إن فضل الله : العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس."

القول السادس: المراد الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب . قاله ابن عمر.ذكره الثعلبي والبغوي وابن الجوزي وأبوحيان.

---

١ - ابن أبي حاتم (١٩٥٨/٦)،الثعلبي والماوردي والبغوي آية ٥٨، ابن الجوزي (٣٥/٤)، القرطبي (٣٥٣/٨)، الشربيني(٢٨/٢)، أبي السعود(١٥١/٤)، الشوكاني(٤٥٠/٢)، الألوسي(٣٤١/١١).

٢ - وسنده"قال ابن أبي حاتم :حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا معا وية، عن حجاج، عن عطاء، عن أبي سعيد قال:."

قال الثعلبي:" وقال ابن عمر: فضل الله الإسلام وبرحمته تزيينه في القلب."

وقال البغوي :" وقال ابن عمر: فضل الله: الإِسلام رحمته: تزيينه في القلب."

وقال ابن الجوزي:" إن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر."

القول السابع: المراد الفضل والرحمة القرآن، قاله ابن عمر، واختاره الزجاج والنحاس والبيضاوي[1].

قال الزجاج :" فضله، ورحمته: القرآن."

وقال النحاس:" وقال الحسن:فضله، ورحمته: القرآن."

وقال البيضاوي :" ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ ﴾ بإنزال القرآن ."

القول الثامن: المراد الفضل القرآن، والرحمة السنة. قاله خالد بن معدان .ذكره الثعلبي والبغوي وابن الجوزي.

قال الثعلبي:" خالد بن معدان: فضل الله الإسلام وبرحمته السنّة.وقال:سهل بن عبد الله: فضل الله الإسلام ورحمته السنّة."

وقال البغوي :" وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإِسلام ورحمته: السُّنَن."

وقال ابن الجوزي:" أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان."

القول التاسع: المراد الفضل الإسلام، والرحمة الستر . قاله خالد بن معدان أيضا.ذكره أبو حيان.

القول العاشر: المراد فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء . قاله عمرو بن عثمان .ذكره الثعلبي وأبو حيان.

قال الثعلبي:" عمرو بن عثمان: فضل الله كشف الغطاء ورحمته الرؤية واللقاء."

القول الحادي عشر : المراد الفضل الإيمان، والرحمة الجنة ، قاله الحسين بن

---

١ - الزجاج تهذيب معاني القرآن(٣/١٨)، النحاس (١/٤٨٥)،البيضاوي(٣/٢٠٣).

فضل.ذكره الثعلبي والبغوي واختاره ابن عطية.

قال الثعلبي:" قال الحسين بن الفضل: فضل الله الإيمان ورحمته الجنة."

وقال البغوي:" وقيل: فضل الله: الإِيمان ورحتهِ: الجنة."

وقال ابن عطية:" ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي ﷺ، وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ، أن " الفضل " هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع ، و " الرحمة ": هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به."

القول الثاني عشر: المراد الفضل التوفيق، والرحمة العصمة .ذكره الثعلبي وابن الجوزي.

قال الثعلبي:" وروى ابن عيينة فضل الله التوفيق ورحمته العصمة."

وقال ابن الجوزي:" فضل الله، التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عيينة[1] ".

القول الثالث عشر: المراد الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة ، ذكره الثعلبي.

قال الثعلبي:" فضل الله النعم الظاهرة، ورحمته النعم الباطنة."

القول الرابع عشر: المراد الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق، قاله الصادق. ذكره أبو حيان.

القول الخامس عشر: المراد الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران ، قاله ذو النون.ذكره الثعلبي وأبو حيان.

قال الثعلبي:" ذو النون المصري: فضل الله دخول الجنان ورحمته النجاة من النيران."

القول السادس عشر: المراد فضل الله معرفتك ورحمته توفيقه، ذكره الماوردي.

---

١ - سفيان بن عيينة الهلالي ، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ فقيه، توفي سنة ١٨٩هـ. تهذيب الكمال (١٧٧/١١)، سير لأعلام النبلاء(٤٥٤/٨)، التقريب ص٢٤٥.

قال الماوردي:" إن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن ما ذكره أهل التفسير من المراد بفضل الله ورحمته فهو داخل في عموم لفظ الفضل والرحمة، ولا مانع من أن نفسر الآية بجميع ذلك إذ لا تنافي بين هذه الأقوال.
- إلا أن أعظم فضل هو الهداية والتوفيق إلى الإسلام، وأعظم رحمة هي القبول ودخول الجنة.

الترجيح:

يترجح القول بصحة التفسير بما ذكر من المعاني في المراد بفضل الله ورحمته، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

- لأن فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء.

قال الشربيني[1]:" ولا مانع من أن نفسر الآية بجميع ذلك إذ لا تنافي بين هذه الأقوال."

- لأن الفضل والرحمة يدلان على العموم فتخصيص معنى دون غيره يحتاج إلى دليل.

قال ابن جزي[2] :"والفضل والرحمة عموم."

وكما قال أبو حيان :" وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، و ينبغي أن يعتقد

١ – محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، توفي سنة ٩٧٧هـ. شذرات الذهب(٨/ ٣٨٤)، الأعلام(٦/ ٦).

٢ – محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، توفي سنة ٧٤١هـ. نفح الطيب (٣/ ٢٧٢)، الدرر الكامنة(٣/ ٣٥٦)، الأعلام (٥/ ٣٢٥).

أنها تمثيلات، لأن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه."

دلالة ختام الآية.

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع أم في قوله ﴿ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ أم متصلة والمعنى : أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه؟ فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين، وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن أم متصلة والمعنى: أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه . وهو قول جماعة من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال السمين :" قوله: ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ في " أم " هذه وجهان: أحدهما: أنها متصلةٌ عاطفةٌ ، تقديره: أخبروني: آللهُ أذِنَ لكم في التحليل والتحريم ، فإنهم يفعلون ذلك بإذنه ، أم يكذبُون على الله في نسبة ذلك إليه ... والظَّاهرُ هو الأولُ؛ إذ المعادلةُ بين هاتين الجملتين اللتين بمعنى المفرد ين واضحةٌ، إذ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٣٨) (٥/ ١٧١).

٢ - السمين في الدر(٦/ ٢٢٧)، ابن عادل (١٠/ ٣٥٩)، أبي السعود(٤/ ١٥١)، الجمل (٢/ ٥٥١)، ابن عاشور(١١/ ٢٠٧).

التقدير: أيٌّ الأمرين وقع إذن اللـه لكم في ذلك، أم افتراؤكم عليه؟."

وقال ابن عادل :" قوله: ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ في " أم " هذه وجهان : أحدهما: أنها متصلةٌ عاطفةٌ ، تقديره: أخبروني: آللـهُ أذِنَ لكم في التحليل والتحريم، فإنكم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبُون على اللـه في نسبة ذلك إليه. والظَّاهرُ هو الأولُ؛ إذ المعادلةُ بين الجملتين اللتين بمعنى المفرد واضحةٌ ، إذ التقدير: أيٌّ الأمرين وقع إذن اللـه لكم في ذلك، أم افتراؤكم عليه؟."

وقال أبو السعود :" أم متصلةٌ والاستفهامُ للتقرير والتبكيتِ لتحقق العلمِ بالشق الأخير قطعاً كأنه قيل: أم لم يأذنْ لكم بل تفترون عليه سبحانه، فأظهر الاسمَ الجليلَ وقدّم على الفعل دِلالةً على كمال قبحِ افترائِهم وتأكيداً للتبكيت إثرَ تأكيدٍ مع مراعاة الفواصلِ."

القول الثاني: أن أم منقطعة بمعنى بل تفترون على الله ، وهو قول بعض المفسرين[1] .

قال الواحدي :" {أم} بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾."

وقال البغوي :" {أَمْ} بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾."

وقال الزمخشري :" ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار، وأم منقطعة بمعنى : بل أتفترون على الله، تقريراً للافتراء."

نلاحظ مما سبق إيراده:

- أما القول بأن أم متصلة ذلك لأن فيها توقيف على أحد القسمين المطلوب تعيينه من قبل المسئولين – وهم المشركون في

١- الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٩، الزمخشري (٢/ ٢٤١)،القرطبي(٨/ ٣٥٤)، البيضاوي (٣/ ٢٠٣)، النسفي(٢/ ٢٤١)، الخازن آية ٥٩، البقاعي (٣/ ٤٥٧)، الجلالين آية ٥٩، الشربيني (٢/ ٢٨)، الشوكاني (٢/ ٤٥٤)، الألوسي(١١/ ٧٤١).

هذه الآية – فيقال لهم هل الله أذن لكم في ذلك، أم لم يأذن .
فقطعا لا يمكنهم إدعاء إذن الله في ذلك فلم يبق إلا أنهم افتروه.

- وأما القول بأنها منفصلة فهي عندهم بمعنى بل –الإضرابية – والمقصود الإضراب على ذلك لتقرير افترائهم – أي بل على الله تفترون.

الترجيح:

يترجح أن أم متصلة أقرب إلى كونها منفصلة ، وذلك لاستيفائها شروط المتصلة وهي :

1. أن يصير فيها الاستفهام بمنزلة(أي) فالمراد منها الاستفهام عن التعيين.
2. أن تكون عطف المفرد على مثله؛ وهنا في الآية ع طف على جمل.
3. أن تقدمها همزة الاستفهام؛ وهنا تقدمها همزة إنكار.
4. أن تقع في العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد.[1]

وعلى كل حال فالمراد في هذه الآية إثبات افتراء المشركين على الله بما فعلوه سواء كان ذلك بالتعيين أم بالاضراب .

والله تعالى أعلم.

١ – البرهان للزركشي (٤/ ١٨٠–١٨١).

قال تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾[يونس: ٦٤].

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالبشرى في الآية؟

قال أبو حيان:"وبشراهم في الحياة الدنيا، تظاهرت الروايات عن رسول الله ﷺ((**أنها الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن، أو ترى له**))[1] فسرها بذلك، وقد سئل ، وعنه في صحيح مسلم ((**لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة**))[2] وقال قتادة، والضحاك : "هي ما يبشر به المؤمن عند موته، وهو حي عند المعاينة"[3]، وقيل :هي محبة الناس له، والذكر الحسن [4]،((وسئل رسول الله ﷺ عن ا لرجل يعمل العمل لله، ويحبه الناس، فقال : **تلك عاجل بشرى المؤمن**))[5] وعن عطاء [6]: لهم البشرى عند الموت، تأتيهم الملائكة بالرحمة[7]، قال تعالى ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[فصلت: ٣٠] الآية، قال

---

١ -جزء من حديث في سنن أبي داود كتاب الصلاة / باب في الدعاء في الركوع والسجود/ حديث رقم (٨٧٦)/ قال الألباني: صحيح . صحيح سنن أبي داود (١/ ١٦٦).

٢ - صحيح مسلم/ كتاب الصلاة/ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود / حديث رقم (٢٠٧).

٣ - سيأتي في القول الثالث.

٤ - سيأتي في القول الرابع.

٥ - سنن ابن ماجة/ كتاب الزهد/ باب الثناء الحسن/ حديث رقم(٤٢٢٥)، وسنده صحيح.

٦ - عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم، القرشي مولاهم ثقة فقيه كثير الإرسال، أخرج حديثه الجماعة، تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩)، سير أعلام النبلاء(٥/ ٧٨)، التقريب ص٣٩١.

٧ - سيأتي في القول الثالث.

ابن عطية :" ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشرات ، ويقوى ذلك بقوله في هذه الآية ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وإن كان ذلك كله يعارضه قول النبي ﷺ : ((**هي الرؤيا**)) إلا إن قلنا إن النبي ﷺ أعطى مثالاً من البشرى وهي تعم جميع الناس "[1]، وبشراهم في الآخرة في تلقي الملائكة إياهم، مسلمين مبشرين بالنور والكرامة ، وما يرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصحف بأيمانهم، وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات."[2]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد بالبشري في الدنيا الرؤيا الصالحة، وفي الآخرة الجنة، وهو قول كثير من المفسرين[3] واختاره أبو حيان.

قال الفراء [4]:"وذكر أن البشرى في الحياة الدن يا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة".

وقال الطبري :" اختلف أهل التأويل في البشرى التي بشّر الله بها هؤلاء

---

١ - المحرر الوجيز (١٢٩/٣).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٠) (١٧٣/٥).

٣ - الفراء(٤٧١/١)، ا لطبري (٩٣/١١)، ابن أبي حاتم (١٩٦٥/٦)، النحاس (٤٨٦/١)، السمرقندي (١٢٣/٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٦٤، ابن عطية(١٢٩/٣)، ابن الجوزي (٣٨/٤)، الرازي (٢٧٨/١٧)، القرطبي (٣٥٨/٨)، البيضاوي (٢٠٦/٣)، النسفي (٢٤٢/٢)، ابن جزي (١٧٥/٢)، الخازن آية ٦٤، السمين في الدر (٢٣٣/٦)، ابن كثير (٢٤١/٤)، ابن عادل (٣٦٢/١٠)، البقاعي(٤٦١/٣)الجلالين آية٦٤، الشربيني(٢٨/٢)، الشوكاني(٢٥٤/٢)، الألوسي (٥٥١/١١).

٤ - يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي،أبو زكريا، العلامة صاحب التصانيف كان ثقة، توفي سنة ٢٠٧هـ. تاريخ بغداد (١٤٦/١٤)، سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠)، تذكرة الحفاظ (٣٧٢/١).

القوم ما هي، وما صفتها؟ فقال بعضهم : هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة." ذكر من قال ذلك:

..عن أبي الدرداء[1]، قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ قال النبيّ ﷺ ((**الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ**)).

.. سأل عبادة بن الصامت [2] رسول الله ﷺ[3]، عن هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: ((**لَقَدْ سأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَك**))، أو قال : ((**غَيْرِكَ**)). قال: ((**هِيَ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ يَرَاها الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَى لَهُ**))..."

---

١ - وسنده: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن شيخ،عن أبي الدرداء ..قال محمود شاكر : وعلة هذا الإسناد ، جهالة (الشيخ) الذي روى عنه أبو صالح السمان، وسائر الإسناد صحيح حسن . جامع البيان(١٥/١٢٥). وأبو الدرداء : عويمر بن عامر بن مالك الخزرجي، شهد أحدا وما بعدها، توفي قبل عثمان بسنتين . الأسد(٦/ ٩٤)، الإصابة(٥/ ٤٦).

٢ - عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، نقيب شهد المشاهد كلها توفي سنة ٣٤هـ. الاستيعاب(٢/٨٠٧)،الأسد(٣/١٥٨)، الإصابة(٤/٢٧).

٣ - وسنده: حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرنا الأوزاعي، قال: أخبرني يحيى بن أبي كثير، قال: ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال : سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ، عن هذه الآية..قال محمود شاكر :"وهذا إسناد لم أجده عن طريق الأوزاعي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من عبادة بن الصامت". دل عليه قول أبي سلمة :" نبئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله ﷺ..الحديث رقم (١٧٧٢١) في جامع البيان للطبري (١٥/١٢٧).وقد ذكر المزي ذلك في ترجمة أبي سلمة في تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٧١). قال محمود شاكر: "فإذا صح هذا، وهو صحيح على الأرجح، فأخبار أبي سلمة هذه عن عبادة بن الصامت أخبار ضعاف لانقطاعها، ولذلك لم يخرج منها شيء في الصحاح."

وقال السمرقندي:" يعني: البشارة، وهي الرؤيا الصّالحة يراها العبد المسلم لنفسه، أو يرى له غيره. وروي عن عبد الله بن عُمَر عن النّبي ﷺ أنه قال: ((**الرُّؤيا الصّالِحَةُ جُزْءٌ من سَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ النّبوّةِ**))[1]. وفي خبر آخر ((**مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءاً**))[2] . وفي خبر آخر : ((**مِنْ سِتّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً**))[3] . وروى عَطَاء بن يَسَارٍ[4]، عن رجل كان يفتي بالبصرة، قال : سألت أبا الدّرداء عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، قال أبو الدّرداء : ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ((مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أحَدٌ قَبْلَكَ، هِيَ الرُّؤيا الصّالِحَة يَرَاهَا المُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ)) ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾: الجنّةُ. وعن عبادة بن الصامت، أنه سأل النبي ﷺ، فأجابه بمثل ذلك."

القول الثاني: المراد بالبشرى ما بشر الله به المؤمنين في القرآن مما وعدهم به، وهو قول جماعة المفسرين[5].

قال الفراء :"وقد يكون قوله ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ ما بشرهم به في كتابه من موعوده، فقال ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾[الكهف: ٢] في كثير من القرآن."

---

١ - صحيح مسلم/ كتاب الرؤيا/ حديث رقم(٢٢٦٥).

٢ - سنن الترمذي/ كتاب الرؤيا/ باب ما جاء في تعبير الرؤيا/ حديث رقم(٢٢٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٣ - صحيح مسلم/ كتاب الرؤيا/ حديث رقم(٢٢٦٣)و(٢٢٦٤).

٤ - عطاء بن يسار ،أبو محمد المدني،مولى ميمونة،ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة ، توفي سنة١٠٣هـ. طبقات ابن سعد(١٧٣/٥)، سير أعلام النبلاء(٤٤٨/٤)،التقريب ص٣٩٢.

٥ - الفراء(٤٧١/١)، الطبري(!!/٩٣)، الثعلبي آية٦٤، ابن الجوزي(٣٨/٤)، الرازي(٢٧٨/١٧)، القرطبي (٣٥٨/٨) ،البيضاوي(٢٠٦/٣)، النسفي (٢٤٢/٢)، ابن جزي (١٧٥/٢)، ابن عادل(٣٦٢/١٠).

وقال الطبري :" وَمنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جلّ ثناؤه﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾الآية [البقرة: ٢٥]."

قال الثعلبي:" وقال الحسن: هي ما بشرهم الله به في كتابه، جنته وكرم ثوابه لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[البقرة: ٢٥] ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾[فصلت: ٣٠]."

القول الثالث: المراد بالبشرى هي ما يبشر به المؤمن عند موته ، قاله قتادة والضحاك، وهو قول جماعة من المفسرين(١).

قال الطبري :" وقال آخرون: هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت .

وقال ابن أبي حاتم :" ..عن الضحاك(٢) في قوله ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾قال يعلم أين هو قبل أن يموت، وروى عن زيد بن أسلم نحو ذلك." وذكر بشرى الآخرة الجنة.

وقال السمرقندي :" ويقال: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ يعني: عند الموتَ يُبَشِّره الملائكة، كما قال في آية أُخرى : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[فصلت: ٣٠]."

---

١ - الطبري(١١/٩٣)،ابن أبي حاتم (١٩٦٥/٦)، السمرقندي(١٢٣/٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز آية ٦٤، الزمخشري (٢٤٢/٢)، ابن الجوزي (٣٨/٤)، الرازي (٢٧٨/١٧)، القرطبي (٣٥٨/٨)، البيضاوي (٢٠٦/٣)، ابن الجوزي(٣٨/٤)، الرازي (٢٧٨/١٧)، القرطبي (٣٥٨/٨)، البيضاوي (٢٠٦/٣)، الشربيني (٢٨/٢)، الشوكاني(٢٥٤/٢)، الألوسي(٥٥١/١١).

٢ - وسنده حدثنا المنذر بن شاذن، ثنا يعلى، ثنا أو بسطام، عن الضحاك .."وذكر وجه آخر ثنا نعيم بن حماد، ثنا محمد بن ثور، عن عمر، عن الزهري وقتادة ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ قالا: يعني : الشهادة عند الموت في الحياة الدنيا."

القول الرابع: المراد بالبشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح، وفي الآخرة إعطاؤه كتابه بيمينه، وهو قول جماعة من المفسرين[1].

قال الماوردي :" إن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح ، وفي الآخرة إعطاؤه كتابه بيمينه.

وقال البغوي :" وقيل: البشرى في الدنيا هي : الثناء الحسن وفي الآخرة : الجنة .

..قال أبو ذر [2]: يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس؟ قال : ((**تلكَ عاجِلُ بُشْرَى المؤمن**)) " وأخرج مسلم بن الحجاج [3] هذا الحديث ...وقال: " ويحمده الناس عليه "

وقال الزمخشري:" وعن أبي ذرّ: قلت: لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال: ((**تلك عاجل بشرى المؤمن**))."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن بشرى الآخرة هي الجنة اتفاقا .
- أما بشرى الدنيا فإن جميع ما يصلح لأن يكون بشرى للمؤمنين فالرؤيا الصالحة تزيد في ثباتهم على الحق وتسليهم عن مصائب الدنيا وذكرها الرسول ﷺ مثلا للبشارة ، وما وعد الله في كتا به المؤمنين من خير الدنيا والآخرة مما يفرحهم ، وما يبشرون بهم

---

١ - الماوردي والبغوي آية ٦٤،الزمخشري(٢/٢٤٢)،الرازي(١٧/٢٧٨)، الخازن آية ٦٤،أبي السعود (٤/١٥١)، الألوسي(١١/٥٥١).

٢ - وسنده : أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أخبرنا عبدالرزاق بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال : سمعتُ عبدالله بن الصامت قال:قال أبو ذر..

٣ - صحيح مسلم/ كتاب البر والصلة/ باب إذا اثنى على الصالح فهي بشرى ولاتضره / حديث رقم(٢٦٤٢).

عند الموت يخفف عنهم سكرات الموت ويزيدهم رغبة بلقاء الله، وأما الثناء الحسن فهو مما يحرص عليه الإنسان فكيف إذا لم يطلبه ولم يحرص عليه.

الترجيح:

يترجح القول بأن ما ذكره المفسرون يصلح لأن ي كون بشارة للمؤمنين ، وذلك:

ﷻ. لدلالة السياق فكل ما وعد الله به لا تبديل له لأنه من حكيم عليم.

ﷲ. لدلالة الكتاب والسنة.

٣. قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء: ٩].

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾؟

قال أبو حيان: " ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ لا تغيير لأقواله، ولا خلف في مواعيده، كقوله ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق: ٢٩]"[1].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : المراد لا تغيير لأقواله، ولا خلف في مواعيده، وهو قول جماعة من المفسرين[2]. واختاره أبو حيان.

قال الفراء:"أي لا خلف لوعد الله."

قال الطبري:" وأما قوله: لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللّهِ فإن معناه: إن الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضي لخلقه مواعيده وينجزها لهم."

قال السمرقندي :" لا تغيير، ولا تحويل لقول الله تعالى، لأنّ قوله حقٌّ بأنّ لهم البشرى في الحياة الدنيا."

القول الثاني: المراد لا ينسخها شيء، ولا تكون إلا كما قال، وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤٠) (١٧٣/٥). ووجه ترجيح أبي حيان هو اختياره لهذا الوجه دون الآخر.

٢ - الفراء(٤٧١/١)،الطبري(٩٣/١١) ، السمرقندي(١٢٣/٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٦٤،الزمخشري(٢٤٢/٢)، ابن عطية (١٢٩/٣)، ابن الجوزي (٣٨/٤)، الرازي (٢٧٨/١٧)، القرطبي (٣٥٨/٨)، البيضاوي (٢٠٦/٣)،النسفي(٢٤٢/٢)، ابن جزي (١٧٥/٢)، الخازن آية ٦٤، ابن كثير (٢٤١/٤)، الجلالين آية ٦٤، الشربيني (٢٨/٢)، الشوكاني (٢٥٤/٢)، الألوسي (٥٥١/١١).

٣ - النحاس في معاني القرآن(٤٨٦/١)، والماوردي في النكت والعيون آية ٦٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٥٨/٨).

قال النحاس :" وقيل معنى ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾لا تبديل لأخباره، أي لا ينسخها شيء، ولا تكون إلا كما قال."

وقال الماوردي:" لا نسخ لخبره."

وقال القرطبي:" وقيل: لا تبديل لأخباره، أي لا ينسخها بشيء، ولا تكون إلا كما قال."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أن القول بأن تبديل كلمات الله لا ينسخها شيء، غير معتبر.

الترجيح:

يترجح القول أن المراد لا تغيير لأقواله، ولا خلف في مواعيده، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لما يأتي:

- دلالة السياق فإن ما ذكر من معاني البشارة يتناسب معها القول لا تبديل لكلمات الله لا القول بنسخها.
- أن اللفظ القرآني يصح معه القول بلا تبديل لكلمات الله فهي حقيقة لا تبدل .

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما المشار إليه في قوله﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾؟

قال أبو حيان : " والظاهر أن ذلك إشارة إلى التبشير، والبشرى في معناه[□]."[□] [□]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : المشار إليه هو البشرى، وهو قول جماعة من المفسرين.[□] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم."

قال الزمخشري:" و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين."

وقال البيضاوي:" إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين."

القول الثاني: إشارة إلي النعيم الذي وقعت به البشرى .وهو قول ابن عطية، وذكره السمين والألوسي.[□]

قال ابن عطية :" وقوله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ إشارة إلى النعيم الذي به وقعت البشرى."

وقال السمين :" وقيل :هو إشارة إلى النعيم."

وقال الألوسي:" وقيل: إن ذلك إشارة إلى النعيم الذي وقعت به البشرى."

---

١ - وقال السمين :"وقوله﴿وذلك﴾ إشارة للبشرى وإن كانت مؤنثة لأنها في معنى التبشير ." الدر المصون (٦/٢٣٣).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤٠) (٥/١٧٣).

٣ - الطبري(١١/٩٣)، الزمخشري(٢/٢٤٢)، البيضاوي(٣/٢٠٦)، النسفي(٢/٢٤٢)، السمين في الدر(٦/٢٣٣)، ابن عادل(١٠/٣٦٢)الشربيني (٢/٨٢)،الألوسي(١١/٥٥١).

٤ - ابن عطية في الحرر الوجيز(٣/١٢٩)،السمين في الدر(٦/٢٣٣)، الألوسي(١١/٥٥١).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن المشار إليه هو البشرى يندرج تحتها القول الثاني فالبشرى تدل على العموم بكل ما يبشر به ومنه النعيم.

الترجيح:

يترجح القول أن المشار إليه هي البشرى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأن البشرى تدل على عموم ما يبشر به.
- لدلالة ختام الآية فالفوز العظيم هو حصول كل ما بشر به المؤمن من أنواع البشارة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾[يونس: ٦٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

توجيه قراءة (أن العزة لله جميعا) بفتح همزة (أن).

قال أبو حيان :" وقرأ أبو حيوة [1]: (أنّ العزة) بفتح الهمزة [2] وليس معمولاً ل(قولهم): لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ، إذ هو قول حق. وخرجت هذه القراءة على التعليل أي: لا يقع منك حزن لما يقولون، لأجل أنّ العزة لله جميعاً. ووجهت أيضاً على أن يكون إنّ العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه.

قال الزمخشري: "ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره، فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به." [3] وقال القاضي [4]: " فتحها شاذ يقارب الكفر، وإذا كسرت كان استئنافاً، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب ." وقال ابن قتيبة : "لا يجوز فتح إن في هذا الموضع وهو كفر وغلو "، وإنما قال القاضي وابن قتيبة بناء منهما على أن (أن) معمولة لقولهم، وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل وهو توجيه صحيح." [5]

---

١ - شريح بن يزيد الحضرمي، الحمصي، المؤذن، ثقة ، من التاسعة، توفي سنة ٢٠٣هـ. تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣١)، التقريب رقم(٢٧٨٠)،

٢ - انظر إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٤٩)، ومختصر ابن خالويه ٥٧.

٣ - الكشاف (٢/ ٢٤٣).

٤ - القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمداني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، توفي سنة ٤١٥هـ. تاريخ بغداد(١١/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤)، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٦.

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٠) (٥/ ١٧٤).

الدراسة:

في الآية قراءتان :

القراءة الأولى : كسر الهمزة (إن) وهي قراءة متواترة لا خلاف فيها.

قال الطبري:" وكسرت (إن) من قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾لأن ذلك خبر من الله مبتدأ، ولم يعمل فيها القول، لأن القول عني به قول المشركين وقوله: إنّ العِزّةَ لِلّهِ جَمِيعاً لم يكن من قيل المشركين، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه"[1].

القراءة الثانية: فتح الهمزة (أن) واختلفوا في توجيهها وتقديره على قولين:

القول الأول : إن قوله (أن العزة) ليست معمولاً لـ(قولهم)، فيكون تقدير القراءة على التعليل، أي : لايقع منك حزن لما يقولون لأجل أن العزة لله جميعا.وهو قول جماعة من المفسرين[2] ؛ واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" وقرأ أبو حيوة (أن العزة) بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره، فالمنكر هو تخريجه، لا ما أنكر من القراءة به."

وقال ابن عطية :" وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح " إن " في هذا الموضع وهو كفر. قال القاضي أبو محمد: وقوله "هو كفر" غلو، وكأن ذلك يخرج على تقدير لأجل أن العزة لله."

وقال البيضاوي:" استئناف بمعنى التع ليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعاً لا يملك غيره شيئاً منها

---

١ - الطبري (١١/٩٧).

٢ - الزمخشري(٢/٢٤٣)، ابن عطية (٣/١٢٩)، البيضاوي(٣/٢٠٦)، السمين في الدر (٦/٢٣٤)، ابن عادل (١٠/٣٦٢)، أبي السعود(٤/١٥١)، الجمل(٢/ ٣٦١)، الشوكاني (٢/٤٥٩)، الألوسي (١١/٦٥١).

فهو يقهرهم وينصرك عليهم."

القول الثاني: إن قوله(أن العزة) بدل من (قولهم) أو معمولة (قولهم)، فالمعنى على هذا التعليل فاسد .وهو قول القاضي عبد الجبار المعتزلي وابن قتيبه . وذكره بعض المفسرين نقلا فقط.

قال الرازي:" قال القاضي : إن العزة بالألف المكسورة وفي فتحها فساد يقارب الكفر لأنه يؤدي إلى أن القوم كانوا يقولون :﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وأن الرسول ﷺ كان يحزنه ذلك . أما إذا كسرت الألف كان ذلك استئنافاً، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب."[1]

وقال ابن عادل :" قال القاضي: " فتحُها شاذٌ يقاربُ الكفر ، وإذا كسرت كان استئنافاً، وهذا يدلٌ على فضيلة علم الإعراب ". وقال ابن قتيبة: لا يجوز فتح " إنّ" في هذا الموضع وهو كفرٌ وغلوٌ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- القول إن (أن العزة) ليست معمولا ل(قولهم) هو تقدير يذهب الوهم في فساد المعنى المتبادر إلى الذهن لأن الكفار لم يقولوا (بأن العزة لله جميعا) فيكون ذلك حكاية قولهم.
- ومن أنكرها فلأنها تؤدي إلى معنى فاسد وهو قول الكفار (أن العزة لله جميعا) وهذا يستحيل أن تنطق به أفواههم.
- وأما من قال إنها بدل من (قولهم) فاستدل بقوله تعالى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[القصص: ٨٦]. وقوله ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[القصص: ٨٨]. فيكون للتهييج والتعريض بالغير . ففيه بعد لأنه غير ظاهر.

١ - مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٨٠).

الترجيح:

يجب القول إن قوله (أن العزة) ليست معمولا ل (قولهم)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

- لأنه تعليل ظاهر غير متكلف وهو : لا يقع منك حزن لما يقولون لأجل أن العزة لله جميعا.

قال أبو السعود :" وقرىء بفتح (أن) على صريح التعليلِ أي لأن العزة لله."

- لأنه يدل على المعنى الصحيح ويذهب المعنى الفاسد..

قال الألوسي:" وقرأ أبو حيوة (أنٍ) بالفتح على صريح التعليل أي لأن، وحمل قتيبة بن مسلم[1] ذلك على البدل ثم أنكر القراءة لذلك لأنه يؤدي إلى أن يقال: فلا يحزنك أن العزة لله جميعاً وهو فاسد."

- لأن له وجها صحيحا.

قال ابن عادل :" قال شهاب الدين [2] كيف تكون معمولة لـ " قَوْلُهُم " وهي واجبةُ الكسر بعد القول إذا حكيت به ، فكيف يتوهّم ذلك؟ وكما لا يتوهّم هذا المعنى مع كسرها ، لا يتوهّم أيضاً مع فتحها ما دام لـه وجهٌ صحيحٌ."

والله تعالى أعلم

---

١ – هكذا في نسختين ولعل صوابه ابن قتيبة بن مسلم.

٢ – لم أعرفه.

قال تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[يونس: ٦٦].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

من المعنّي في قوله ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" و(من) الأصل فيها أن تكون للعقلاء، وهنا هي شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب، وحيث جيء بما كان تغليباً للكثرة إذ أكثر المخلوقات لا تعقل."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن (من) شاملة للعقلاء وغيرهم على حكم التغليب للعقلاء لكونهم أشرف، وهو قول جماعة من المفسرين[2]؛ واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية :" وغلب من يعقل في قوله (من) إذ له ملك الجميع م ا فيها ومن فيها، وإذا جاءت العبارة بـ " ما " فذلك تغليب للكثرة إذ الأكثر عدداً من المخلوقات لا يعقل، فـ (من) تقع للصنفين بمجموعهما، " وما " كذلك " ، ولا تقع لما يعقل إذا تجرد من أن تقول : ما قائل هذا القول ؟ هذا ما يتقلده من يفهم كلام العرب."

وقال الخازن :" ويجوز أن يراد العموم، وغلب العاقل على غيره."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤١) (٥/ ١٧١).

٢ - ابن عطية (١٢٩/٣)، الخازن آية ٦٦، الشربيني (٢٨/٢)،الشوكاني (٤٥٩/٢)، ابن عاشور (٢٢٤/١١).

وقال الشربيني :" وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه."

القول الثاني: إن(من) لبعض العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان ودخول غيرهم معهم من باب الأولى. وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال السمرقندي :" يعني: من الخلق، كلهم عبيده وإماؤه."

وقال الزمخشري :" يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان، وإنما خصّهم، ليؤذن أنّ هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم، وهو سبحانه وتعالى: ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكاً له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحقّ أن لا يكون له نداً وشريكاً."

وقال الرازي :" العقلاء المميزون وهم الملائكة والثقلان . وإنما خصهم بالذكر ليدل على أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكه فالجمادات أولى بهذه العبودية فيكون ذلك قدحاً في جعل الأصنام شركاء لله تعالى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن كلا القولين يتجه إلى مسار واحد وهو أن الله له كل من في السماوات ومن في الأرض سواء كانوا عقلاء أم غيرهم والخلاف في كون أصحاب القول الأول يدخلون غير العقلاء من باب التغليب ،والآخرون ادخلوهم من باب الأولى فالنتيجة واحدة والوسيلة مختلفة.

الترجيح:

يترجح أن المعنّي العقلاء وغيرهم بغض النظر ع ن كيفية دخولهم، وذلك : لأن الكل في ملك الله ومفتقرون إليه في كل أحوالهم.

---

١ - السمرقندي(٢/١٢٣)،الزمخشري(٢/٢٤٣)،الرازي (١٧/٢٨٠)،البيضاوي (٣/٢٠٧)، النسفي(٢/٢٤٣)،ابن عادل (١٠/٣٧٠)، البقاعي (٣/٤٦١)،أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل (٢/٣٦١)، الألوسي(١١/٦٥١).

قال ابن عاشور :" و(مَنْ) الموصولة شأنها أن تطلق على العقلاء وجيء بها هنا مع أن المقصد الأوّل إثبات أنّ آلهتهم ملك لله تعالى، وهي جم ادات غير عاقلة، تغليباً ولاعتقادهم تلك الآلهة عقلاء وهذا من مجاراة الخصم في المناظرة لإلزامه بنهوض الحجّة عليه حتّى على لازم اعتقاده . والحكم بكون الموجودات العاقلة في السماوات والأرض ملكاً لله تعالى يفيد بالأحرى أن تلك الحجارة ملك الله لأن من يملك الأقوى أقدر على أن يملك الأضعف فإن من العرب من عَبَد الملائكة، ومنهم من عبدوا المسيح، وهم نصارى العرب.

وذكر السماوات والأرض لاستيعاب أمكنة الموجودات فكأنه قيل : ألا إنّ لله جميع الموجودات.

وقال الشوكاني :" وفي الآية نعي على عباد البشر، والملائكة والجماد ات؛ لأنهم عبدوا المملوك، وتركوا المالك، وذلك مخالف لما يوجبه العقل."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

دلالة (ما) في قوله ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ ما نافية، و (شركاء) مفعول (يتبع)، ومفعول (يدعون) محذوف لفهم المعنى تقديره: آلهة أو شركاء أي : أنّ الذين جعلوهم آلهة وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة، إذ الشركة في الألوهية مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن تكون (ما) نافيه؛ وهو قول جماعة من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي :" يعني: وما يعبد الذين يعبدون من دون الله الأوثان والأصنام. ولم يأت بجوابه، وجوابه مضمر، ومعناه : ما هي لي شركاء، ولا نفع لهم في عبادتها."

وقال الزمخشري :" ومعنى: وما يتبعون شركاء، أي : وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء، لأنّ شركة الله في الربوبية محال."

وقال ابن عطية :" ويصح أن تكون نافية ويعمل (يتبع) في(شركاء) على معنى أنهم لا يتبعون شركاء حقاً."

القول الثاني: إن تكون (ما) استفهامية في موضع نصب ب(يتبع) ، و(شركاء) منصوب ب(يدعون) أي: وأي شيء يتبع على تحقير المتبع، كأنه قيل : من

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤١) (١٧٤/٥).

٢- السمرقندي (١٢٣/٢)، الزمخشري (٢٤٣/٢)، ابن عطية (١٢٩/٣)، الرازي (٢٨٠/١٧)، القرطبي(٣٦٠/٨)، النسفي(٢٤٣/٢)، السمين في الدر(٢٣٥/٦)، ابن عادل(٣٧٠/١٠)، الشوكاني (٤٥٩/٢)، الألوسي(٦٥١/١١).

يدعو شريكاً لله لا يتبع شيئاً. وهو قول جماعة من المفسرين[1].

قال الثعلبي:" هو ما الاستفهام يقول وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يعني أنهم ليسوا على شيء."

وقال البغوي:" هو استفهام معناه: وأيّ شيء يتبّع الذين يدعون من دون الله شركاء؟."

وقال الزمخشري:" ويجوز أن يكون (وَمَا يَتَّبِعُ) في معنى الاستفهام، يعني: وأي شيء يتبعون. و (شُرَكَآءَ) على هذا نصب بيدعون، وعلى الأوّل بيتبع. وكان حقه. وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء، فاقتصر على أحدهما للدلالة."

القول الثالث: أن تكون (ما) موصولة؛ ولها حالتان:

- أن تكون (ما) موصولة عطفاً على (من)، والعائد محذوف أي: والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي: وله شركاؤهم.وذكره بعض المفسرين[2].

قال الزمخشري:" ويجوز أن تكون (ما) موصولة معطوفة على (من) كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم."

وقال البيضاوي :" موصولة معطوفة على من."

وقال الألوسي :" وأن تكون موصولة معطوفة على (مِّنْ) أي وله تعالى ما يتبعه المشركون خلقاً وملكاً فكيف يكون شريكاً له سبحانه."

- أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع على الابتداء،

---

١ - الثعلبي والبغوي آية٦٦، ابن عطية(١٢٩/٣)، الرازي(١٧/ ٢٨٠)، النسفي(٢٤٣/٢)، السمين في الدر(٢٣٥/٦)، ابن عادل (١٠/ ٣٧٠)، الشوكاني(٤٥٩/٢)، الألوسي(١١/ ٦٥١).

٢ - الزمخشري(٢٤٣/٢)، البيضاوي(٢٠٧/٣)، أبو حيان (١٧٤/٥)، السمين في الدر (٢٣٥/٦)، الألوسي (١١/ ٦٥١).

والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل. وذكره أبو حيان والسمين والألوسي.

قال أبو حيان: "وأجاز أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل."

وقال السمين: "ويجوز أن تكون (ما) موصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل."

وقال الألوسي: "وجوز على احتمال الموصولية أن تكون مبتدأ خبره محذوف أي باطل ونحوه أو الخبر قوله سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ والعائد محذوف أي في عبادته أو اتباعه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول أنها نافية، فالمشركون لا يقولون باستحالة أن يكون لله شركاء؛ فلو قالوا ذلك أو اعتقدوه لما أشركوا.
- وأما القول بأنها للاستفهام فهو المناسب في المعنى وإن رده البعض[1] على معنى عدم اتباعهم للشركاء وليس كذلك.

والجواب على هذا الإشكال هو: وإن اتبعوا شركاء فهم ليسوا كذلك في حقيقة الأمر.

- وأما القول بأنها موصولة، فقد ذكر العلماء أن (ما) تكون بمعنى(الذي) للتذكير، ومعنى (التي) للمؤنث، وفي تقديرهما لا يتناسب مع السياق.

---

١ – وهما مكي بن أبي طالب في المشكل(١/٣٨٦) و أبو البقاء في إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٣٠). وهو في الدر للسمين (٦/٢٣٥).

الترجيح:

يترجح القول أن (ما) تكون للاستفهام، وذلك:

ﷺ. لأنه المناسب للسياق في معناه .

قال الطبري:" ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأيّ شيء يتبع من يدعو من دون الله، يعني غير الله وسواه شركاء. ومعنى الكلام: أيّ شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا، والله المنفرد بملك كلّ شيء في سماء كان أو أرض."[1]

ﷻ. لأنه مناسب للواقع الذي كانوا عليه والحال التي أنكر عليهم.

قال الشوكاني :" ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى : أيّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، ويكون على هذا الوجه شركاء منصوباً بيدعون، والكلام خارج مخرج التوبيخ لهم، والإزراء عليهم . وفيه تحقير لما يعبدون من دون الله.

﷽. لأن فيه ترابطا للمعنى العام للآية وهو: تنبيه لهم بأن ملك السماوات والأرض لله وحده .وهؤلاء الذين يدعونهم من دونه هم تحت ملك الله وقدرته، فهي أحقر من أن يكون لها شأن وتصرف أو نفع أو ضر في نفسها ، فكيف تكون كذلك لغيرها . فكل ما يعتقدونه ظن باطل وكذب . فأبطل دعواهم بالاستفهام عن ما يعبدون من دون الله فكل سؤال يحتاج جواب .

قال الألوسي:" والجملة مع ما فيها من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة به جل شأنه الموجب لسلوته عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاته بمقالات

---

١ - الطبري(١١/٩٧).

المشركين تمهيد لما لحق م ن قوله سبحانه : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ ودليل على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها والاقتصار على أحد الأمرين قصور فلا تكن من القاصرين."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[يونس: ٧١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل قرأ قوله (مَّقَامِي) بضم الميم ؟

قال أبو حيان :" قال ابن عطية :"ولم يقرأ هنا بضم الميم "[1]. انتهى، وليس كما ذكر، بل قرأ (مقامي) بضم الميم أبو مجلز [2] وأبو رجاء [3] وأبو الجوزاء.[4][5]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إثبات قراءة (مقامي) بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو

---

١ - المحرر الوجيز (٣/ ١٣١). قال الشوكاني(٢/ ٤٦١):" والمقام بفتح الميم: الموضع الذي يقام فيه، وبالضم الإقامة. وقد اتفق القراء على الفتح."

٢ - لاحق بن حميد بن سعيد السّدوسي، البصري، أبو مجلز، بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي، مشهور بكنيته، ثقة، من كبار الثالثة، مات سنة ست – وقيل تسع- ومائة، وقيل فبل ذلك. تهذيب التهذيب(١٢/ ٢٢٢)، التقريب (٧٤٩٠).

٣ - أبو رجاء العطاردي: عمران بن ملحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ ، كان خيّرا تلاء لكتاب الله ، قرأ علي ه جماعة، وحدث عنه جماعة، توفي سنة١٠٥هـ. الاستيعاب(٣/ ١٢٠٩)، الأسد (٦/ ١٠٤)، الإصابة (٧/ ٧٢).

٤ - أوس بن عبد الله الربعي البصري، من كبار العلماء، حدث عن عائشة، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم، طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٣)، تاريخ البخاري(٢/ ١٦)، سير أعلام النبلاء(٤/ ٣٧١).

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٢) (٥/ ١٧٦).

الجوزاء، وهو قول بعض من المفسرين[1]. واختاره أبو حيان.

قال ابن الجوزي:" وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء (مقامي) بضم الميم."

وقال السمين:" وقرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء: (مُقَامِي) بضمِّ الميم."

وقال ابن عادل:" وقرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء: (مُقَامِي) بضمِّ الميم."

القول الثاني: إنكار قراءة (مقامي) بضم الميم، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال ابن عطية :" ولم يقرأ هنا بضم الميم."

وقال القرطبي:" والمُقام (بالضم) الإقامة. ولم يُقرأ به فيما علمت."

وقال الثعالبي:" ولم يقرأ هنا بضَمِّ الميم فيما علمّتُ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما إثبات القراءة ففيه زيادة علم عن المنكر لها . وهو أولى من ردها.

الترجيح:

القول بثبوت القراءة أرج ح من ردها، وهو ما اختاره أبو حيان ومن وافقه، وذلك:

- لثبوت القراءة عند بعض العلماء،

قال أبو البقاء العكبري [3]:" يقرأ بضم الميم أي إقامتي، والفتح بمعنى

---

١ - ابن الجوزي(٤/ ٤١)، السمين في الدر(٦/ ٢٣٩)، ابن عادل(١٠/ ٣٧٤). الجمل(٢/ ٣٦٣).

٢ - ابن عطية(٣/ ١٣١)، القرطبي(٨/ ٣٦٢)، الثعالبي(٢/ ١٠٥).

٣ - عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الإمام محب الدين، أبو البقاء العكبري البغدادي الحنبلي، كان عالما بالفرائض، واللغة والنحو . توفي سنة ٦١٦هـ.سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١)، النجوم الزاهرة (٦/ ٢٤٦)، شذرات الذهب(٥/ ٦٧).

موضع إقامتي."[1]

ﷺ. لموافقته قاعدة الترجيح وهي: [إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها].

" وهذه القاعدة تحمي حمى القراءات القرآنية ومعانيها التي تدل عليها من طعن بعض المفسرين والمعربين الذي شاع وانتشر بينهم في بعض القراءات الثابتة."[2]

قال ابن تيمية : " إن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات؛ لكن إذا كان الخط واحدا واللفظ محتملا كان ذلك أخصر في الرسم."[3]

والله تعالى أعلم

١ - إعراب القراءات الشواذ (١/٦٤٩).

٢ - قواعد الترجيح(١/ ٨٩).

٣ - مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٠).

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[يونس: ٧٤].

في الآية مسألة واحدة:

ما المراد بقوله ﴿ مِن قَبْلُ ﴾؟

قال أبو حيان:" و(مِن قَبْلُ) متعلق بـ(كَذَّبُوا) أي:من قبل بعثة الرسل، وقيل :المعنى أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب، كلما جاء رسول، ثم لجوا[1] في الكفر، وتمادوا، فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق تكذيبهم [2] من قبل لجاجهم [3] في الكفر وتماديهم."[4]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد من قبل بعثة الرسل أو مجيء البينات، وهو قول جماعة من المفسرين[5]، واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" وما كانوا ليؤمنوا، يعني: أُولئك القوم بعد ما كان دعاهم الرٌسل بما كذبوا به من قبل أن يأتيهم الرٌسل."

قال الزمخشري :" يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل الجاهلية مكذبين

١- لجوا : في المطبوع (لحوا): لج في الأمر لججا : مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه، قال ابن فارس : اللجاج تماحك الخصمين وهو تماديهما. المصباح المنير ص٢٠٩.

٢ – هو قول ابن عطية (٣/١٣٣).

٣ – في المطبوع (لجهم).

٤ – البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٣) (٥/١٧٩).

٥ – السمرقندي (٢/١٢٣)،الزمخشري(٢/٢٤٤)،الرازي(١٧/٢٨٦)،البيضاوي(٣/٢٠٩)، النسفي (٢/٢٤٦)، الخازن آية ٧٤، ابن كثير (٤/٣٤٧)ابن عادل (١٠/٣٧٤)، الجلالين آية ٧٤، الشوكاني (٢/٤٦١)، الألوسي (١١/٥٦١).

بالحق. فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها، كأن لم يبعث إليهم أحد."

قال الرازي : " وليس المراد عين ما كذبوا به، لأن ذلك لم يحصل في زمانه بل المراد بمثل ما كذبوا به من البينات، لأن البينات الظاهرة على الأنبياء عليهم السلام أجمع كأنها واحدة."

القول الثاني: المراد من قبل العذاب، قاله يحي بن سلام[1] ومقاتل. وهو قول بعض المفسرين[2].

قال ابن عطية :" وقال يحيى بن سلام (من قبل) معناه من قبل العذاب."

وقال ابن الجوزي : " وقال مقاتل : فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله."

وقال أبو حيان :" وقال يحيى بن سلام (من قبل) معناه من قبل العذاب."

القول الثالث: المراد من الأمم الخالية، وهو قول بعض المفسرين[3].

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى قومهم، فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم، وأنهم لله رسل، وأن ما يدعونهم إليه حقّ . فما كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذّبُوا به مِنْ قَبْلُ يقول : فما كانوا ليصدّقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذّب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم."

وقال الواحدي:" يعني قوم نوح،أي لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح وكانوا

١- يحيى بن سلاّم ابن أبي ثعلبة، الإمام العلامة أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بأفريقية، قال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة ٢٠٠هـ. الجرح والتعديل (٩/١٥٥)، ميزان الاعتدال (٤/٣٨٠)، سير أعلام النبلاء (٩/٣٩٦).

٢ - ابن عطية (٣/١٣٣)، ابن الجوزي(٤/٤٢)،

٣ - الطبري(١١/١٠٠)، الواحدي في الوسيط(٢/٥٥٥)، ابن الجوزي(٤/٤٢).

منهم في الكفر والعتو ."

وقال ابن الجوزي :" يعني الذين قبلهم . والمراد: أن المتأخرين مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب."

القول الرابع: المراد من يوم الذر، وهو قول ابن أبي حاتم[1] والقرطبي[2].

قال ابن أبي حاتم:" عن السدي، قوله ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ﴾ قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق آمنوا كرها."

وقال القرطبي :" أي من قبل يوم الذّر [3]، فإنه كان فيهم من كذّب بقلبه وإن قال الجميع: بلى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أنّ القول بأنه من قبل بعثة الرسل فالمراد استمرارهم على الكفر والتكذيب حتى بعد بعثة الرسل فما استفادوا منهم ولم يتغير حالهم من الكفر إلى الإيمان بعد مجيء الرسل إليهم.
- أما القول بأنه من قبل العذاب ففيه بعد [4] لأن العذاب لا يقع إلا في حال تكذيبهم واستمرارهم على الكفر وعنادهم وعدم انتفاعهم بما جاء به الرسل.
- وأما القول من قبل الأمم الخالية فقد يدخل في القول الأول، وأيضا فقد لا يعلمون شيئا عن الأمم المتقدمة.

---

١ - التفسير (١٩٧٢/٦) أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي فيما كتب إلى أحمد بن مفضل ،عن أسباط، عن السدي .

٢ - الجامع لأحكام القرآن(٣٦٥/٨).

٣ - وهو كما قال الله تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

٤ - كذا قال ابن عطية(١٣٣/٣) وأبو حيان (١٧٩/٥).

- أما القول بأنه من قبل يوم الذر فلا يتلاءم مع دلالة الآية فالمعنى المفهوم من الآية أن ما كان من قبل مكذب به وليس مقراً به كما هو الحال في أخذ العهد والميثاق فإنهم اقروا بقولهم (بلى).

الترجيح:

يترجح القول بأنه من قبل بعثة الرسل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق ففيه إخبار عن أنبياء الله مع أقوامهم من تشابه الأحوال في تكذيبهم وعنادهم .

٢. لأنه يتناسب مع واقع أحوال الناس فهم لم يتغير حالهم إلى الإيمان والتصديق يعد مجيء الرسل إليهم بل ظلوا على حالهم قبل بعثة الرسل سواء كان عندهم علم مسبق عن الأمم الس ابقة أم لم يكن عندهم علم سابق فالحال واحدة وهي التكذيب والكفر والاستمرار عليه فإن الله تعالى "عاقبهم حيث جاءهم الرسول فبادروا بتكذيبه، طبع على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه كما قال تعالى ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الأنعام: ١١٠]. ولهذا قال هنا﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي:نختم عليها ، فلا يدخلها خير وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول"[1] أي قبل مجيء الرسول .

٣. لأنه لا تقوم الحجة على الخلق إلا بعد مجيء الرسل إليهم وإبلاغهم بدين الله.

والله تعالى أعلم

---

١ – قاله السعدي في تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٠.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[يونس: ٧٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المراد بقوله ﴿ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾؟

قال أبو حيان :" ولا يخص قوله ﴿ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ بالأشراف، بل هي عامة لقوم فرعون، شريفهم ومشروفهم."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الملأ هم عامة قوم فرعون شريفهم ومشروفهم .وهو قول بعض المفسرين[2]؛ واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية:" والملأ: الجماعة من قبيلة وأ هل مدينة، ثم يقال للأشراف والأعيان من القبيلة أو البلد ملأ، أي هم يقومون مقام الملأ ، وعلى هذا الحد هي في قول رسول الله ﷺ في قريش بدر: ((أولئك الملأ))[3] وكذلك هي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾[القصص: ٢٠]. وأما في هذه الآية فهي عامة لأن بعثة موسى وهارون كانت إلى فرعون وجميع قومه من شريف ومشروف وقد مضى في﴿ الٓمٓصٓ ﴾[الأعراف: ١]، ذكر ما بعث إليهم فيه."

وقال ابن كثير:" أي قومه."

وقال الجلالان :" ﴿ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾قومه."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٣) (٥/ ١٨٠).

٢ - ابن عطية (٣/ ١٣٣)، ابن كثير (٤/ ٢٤٨)، الجلالين آية٧٥، ابن عاشور (١١/ ٢٤٦).

٣ - الحديث في صحيح البخاري / كتاب مناقب الأنصار / باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة/ حديث رقم(٣٨٥٤) وفيه ((فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملأ من قريش...))

القول الثاني : الملأ هم أشراف القوم وسادتهم [1]؛ وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر ومَلِئه، يعني: وأشراف قومه وسادتهم."

وقال البغوي :"يعني: أشراف قومه."

وقال القرطبي:" أي أشراف قومه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول أن الملأ هم عامة قوم فرعون فهذا من استعمال الخاص في العام.
- وأما القول أن الملأ هم أشراف القوم؛ فلأن أشراف الناس يملؤون المجالس والعيون مهابة واقتصار الرؤساء عليهم بالمشورة والرأي والمصاحبة ؛وعامة الناس تبع لهم.

الترجيح:

يترجح القول أن المراد هم أشراف القوم وسادتهم وذلك:

- لدلالة آيات أخرى فالله تعالى بعث موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل عامة ولكن خص فرعون وملأه بحوار خاص ودعوة خاصة كما قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) ﴾[النازعات: ١٥ – ١٨].

---

١ – الطبري(١١/ ١٠١)، البغوي آية ٧٥، القرطبي (٨/ ٣٦٦)، الخازن آية ٧٥، البقاعي (٣/ ٣٦٨)، الشربيني (٢/ ٣٤)، الشوكاني (٢/ ٤٦٤)، النووي الحاوي آية ٧٥، الألوسي(١١/ ٦٦١).

ﷻ. دلالة سياق الآية قال تعالى في آخر الآية ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾، ومعلوم أن فرعون وخاصته هم المستكبرون الطاغون المجرمون.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾[يونس: ٧٧] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما هو معمول (أَتَقُولُونَ) ؟

قال أبو حيان:" فقال لهم موسى : [أتقولون؟][1] مستفهماً على جهة الإنكار والتوبيخ، حيث جعلوا الحق سحراً، أسحر هذا أي : مثل هذا الحق لا يدعى أنه سحر. وأخبر أنه لا يفلح من كان ساحراً لقوله[2] تعالى:﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[طه: ٦٩] والظاهر أنّ معمول (أتقولون) محذوف تقديره: ما تقدم ذكره وهو إنّ هذا لسحر، ويجوز أن يحذف معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر:

لنحن الألى قلتم فأنى ملئتم برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعبا[3]

ومسألة الكتاب[4](متى رأيت، أو قلت زيداً منطلقاً)."[5]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن يكون المفعول محذوفا، ويكون قوله ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾من قيل موسى، على وجه الإنكار على فرعون وملئه لقولهم للحق لما جاءهم :

١ - ما بين المعقوفتين من المطبوع وساقط من المخطوط.

٢ - في المطبوع : لقوله تعالى ﴿ وَلا يُفْلِحُ ٱلسَّـاحِرُونَ﴾

٣ - لا يعرف قائله وهو في همع الهوامع (١/١٥٧) والدرر(١/١٣٩).

٤ - يقصد به كتاب سيبويه (١/٤١) وتتمة الكلام للتوضيح :"(متى رأيت أو قلت زيدا منطلقا) على إعمال الأول، وحذف معمول القول ، ويجوز إعمال القول بمعنى الحكاية به فيقال : متى رأيت أو قلت زيدا منطلق) انظر الدر المصون (٦/٢٤٧).

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٣) (٥/ ١٨٠).

(سحر).

فيكون التقدير: قال موسى لهم: أتقولون للحق لما جاءكم سحر . أسحر هذا الذي ترونه . فيكون قوله (سحر) الأول محذوفا اكتفاء بدلالة (سحر) الثاني، وهو قول موسى ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾."وهو قول كثير من المفسرين [1]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المقول محذوفا، ويكون قوله: أسِحْرٌ هَذَا من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه قولهم للحقّ لما جاءهم سحر، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قال موسى لهم: أتَقُولُونَ للحَقّ لما جاءَكُمْ وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه، سحر، أسحر هذا الحقّ الذي ترونه؟ فيكون السحر الأوّل محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أسِحْرٌ هَذَا على أنه مراد في الكلام، كما قال ذو الرمّة[2]:

فَلَمّا لَبِسْنَ اللّيْلَ أوْ حِينَ نَصّبَتْ لهُ من خَذَا آذَانها وَهْوَ جانِحُ[3].

يريد: (أو حين أقبل)، ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه، وكما قال جلّ ثناؤه: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔـُۥاْ وُجُوهَكُمۡ ﴾[الإسراء: ٧] والمعنى: بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه، في أشباه لما

١ - الطبري(١١/ ١٠١)، السمرقندي(٢/ ١٢٣)، البغوي آية٧٧، الزمخشري(٢/ ١٢٦)، ابن عطية (٣/ ١٣٤)، ابن الجوزي (٤/ ٤٣)، الرازي (١٧/ ٢٨٧)، القرطبي(٨/ ٣٦٦)، البيضاوي (٣/ ٢١٠)، ابن جزي(٢/ ١٧٧)، الخازن آية ٧٧، السمين في الدر (٦/ ٢٤٧)، ابن عادل (١٠/ ٣٨٣)، البقاعي (٣/ ٤٦٨)، الشربيني(٢/ ٣٤)، أبي السعود(٤/ ١٦٤)، الجمل(٢/ ٣٦٥)، الألوسى(١١/ ٦٦١)، ابن عاشور (١١/ ٢٤٨).

٢ - ذو الرمة من فحول الشعراء غيلان بن عقبة بن ب هيس مضري النسب، والرمة : الحبل، توفي سنة١١٧هـ. طبقات فحول الشعراء ص ١٢١، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧)، البداية والنهاية (٩/ ٣١٩).

٣- جامع البيان (١/ ٣٢٧) طبعة شاكر.

ذكرنا كثيرة يُتعب إحصاؤها."

وقال السمرقندي :" وفي الآية مضمر، ومعناه: أتقولون للحقّ لما جاءكم إنّه سحر؟ ثمّ قال: أسِحْرٌ هذا؟ يعني: أيكون مثل هذا سحراً؟ فليس ذلك بسحر، ولكنّ ذلك علامة للنُّبوّة."

وقال البغوي :" تقدير الكلام : أتقولون للحقّ لما جاءَكم سحر أسحر هذا فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه."

القول الثاني: إن معمول (أتقولون) هو قوله ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ فتكون هذه الجملة حكاية لكلام فرعون وقومه قالوا : أجئتما بالسحر تطلبان الفلاح به، ولذلك دخلت الألف لأنهم قالوا: أسحر، فقيل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ . وهو قول بعض المفسرين.

قال القرطبي:" وقال الأخفش[1]: هو من قولهم، ودخلت الألف حكايةً لقولهم؛ لأنهم قالوا أسحر هذا . فقيل لهم: أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا."

وقال الشوكاني:" وقال الأخفش: هو من قولهم، وفيه نظر لما قدّمنا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- في القول الأول يقال إن الملجئ إلى هذا الاستفهام الإنكاري هو أن فرعون وقومه لم يستفهموه عن السحر حتى يحكى ما قالوه بقوله ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾بل هم قاطعون بأنه سحر لأنهم قالوا ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ مؤكدين ما ذهبوا إليه فلا يكون قوله ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾

---

١ - علي بن سليمان بن الفضل البغدادي، أبو الحسن، العلامة النحوي، لازم ثعلبا والمبرد، توفي سنة ٣١٥هـ، والأخفش: هو ضعيف البصر مع صغر العين . سير أعلام النبلاء(١٤/ ٤٨٠)، البداية والنهاية (١١/ ١٥٧)، شذرات الذهب(٢/ ٢٧٠).

من قولهم. وفي هذا رد على القول الثاني فإن فيه نظر.

- القول الثاني فيه نظر من حيث أن ترتيب الجمل يدل على أن موسى عليه السلام قال ثلاث جمل هي:

1. ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ .
2. ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾.
3. ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ .

"فجاء موسى بإنكار بعد إنكار وتوبيخ بعد توبيخ وتجهيل بعد تجهيل"[1] .

الترجيح:

يترجح القول أن يكون المفعول محذوفا، ويكون قوله ﴿ أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾من قيل موسى، على وجه الإنكار على فرعون وملئه لقولهم للحق لما جاءهم : (سحر). وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

1. لأنه أوجه الأقوال من حيث الدلالة اللغوية ، فمثل هذا التقدير المحذوف على التأويل السابق موجود في كلام العرب.
2. لدلالة آيات أخرى .

قال ابن عطية :" ومنه قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوءوا، ومثل هذا كثير شائع."

3. لمناسبته في الجواب على الاستفهام الصادر من فرعون ومن معه، فإنهم قالوا ذلك على سبيل الإقرار والقطع والتكذيب منهم والطعن بما جاء به من البينات والآيات الدالة على صدقه.

والله تعالى أعلم

١ - الجمل (٢/٣٦٥) والشوكاني(٤/٤٦٤) .

قال تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[يونس: ٧٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾؟

قال أبو حيان :" والكبرياء مصدر، قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأكثر المتأولين[1]: المراد به هنا الملك ، إذ الملوك موصوفون بالكبر ،ولذلك قيل:للملك الجبار، ووصف بالصيد والشوس[2].

وقال ابن الرقيات[3] في وصف مصعب بن الزبير[4]:

ملكه ملك رحمة[5] ليس فيه جبروت منه ولا كبـرياء [6]

يعني: ما عليه الملوك من ذلك، وقال ابن الرقاع[7]:

سؤدد غير فاحش لا يدانيـ ـه تجبـارة ولا كبـرياء[8].

---

١ - وهم المفسرون وسيأتي بيانهم في القول الأول.

٢ - في المطبوع (بالصد والشرس).

٣ - ابن الرقيات: عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، شاعر قريش في العصر الأموي، توفي نحو سنة ٨٥هـ. الأغاني(٥/٧٣)، الشعر والشعراء ص ٢١٢، الأعلام (١٩٦/٤).

٤ - مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عبد الله، تولى إمرة العراق من قبل أخيه عبد الله، قتله المختار بن عبد الله سنة٧٢هـ، طبقات ابن سعد(١٨٢/٥)، تاريخ البخاري(٣٥٠/٧)، سير أعلام النبلاء(١٤٠/٤).

٥ - في المطبوع (رأفة).

٦ - وهو في ديوان ابن الرقيات ص ٩١.

٧ - ابن الرقاع: عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود، كان معاصرا لجرير مهاجيا له، مات نحو سنة ٩٥هـ. الأغاني (١٧٢/٨)، الأعلام(٢٢١/٤) .

٨ - ذكره الطبري في تفسيره (١٠١/١١).

وقال الأعمش[1]: الكبرياء العظمة[2]، وقال ابن زيد : العلو[3]، وقال الضحاك أيضا:الطاعة[4]".[5]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: المراد به الملك، قاله مجاهد؛ وهو قول جماعة من المفسرين[6].

واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" عن مجاهد[7]، قال: الملك في الأرض."

وقال السمرقندي:" ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾يعني: السُّلطان والشّرف والمُلْكُ."

وقال ابن أبي حاتم:"عن مجاهد[8] ، قوله ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

القول الثاني: المراد به العظمة، قاله الأعمش؛ وهو قول بعض المفسرين[9].

---

١ - الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، ثقة حافظ عارف بالقراءات، توفي سنة ١٤٧هـ. تهذيب التهذيب(٤/٢٢٢)، التقريب ص ٢٥٤.

٢ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الثاني.

٣ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الثالث.

٤ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الرابع.

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٤) (٥/ ١٨٠-١٨١).

٦ - الطبري(١١/ ١٠١)، السمر قندي آية ٧٨، ابن أبي حاتم (١٩٧٣/٦)،الماوردي آية ٧٨، الزمخشري (٢/ ١٢٦)،ابن عطية (٣/ ١٣٤)،ابن الجوزي (٤/ ٤٣)، الرازي (١٧/ ٢٨٨) ، القرطبي (٨/ ٣٦٦)، البيضاوي (٣/ ٢١٠)،النسفي(٢/ ٢٤٧)،ابن جزي (٢/ ١٧٨)،الخازن آية ٧٨،ابن عادل (١٠/ ٣٨٣)، البقاعي (٣/ ٤٦٨)، الجلالين آية ٧٨، الشربيني (٢/ ٢٤)،أبي السعود (٤/ ١٦٤)، الشوكاني (٢/ ٤٦٤)،الألوسي(١١/ ٧٦١).

٧ - وسنده قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني،عن مجاهد..، وذكر رواية أخرى قال : حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد..

٨ - وسنده قال :حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة ،عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد..

٩ - الطبري(١١/ ١٠١)، ابن أبي حاتم(٦/ ١٩٧٣)،الماوردي آية ٧٨، القرطبي(٨/ ٣٦٦)،السمين في =

قال الطبري:" وقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُما الكِبْرِياءُ فِي الأَرْضِ﴾ يعني العظمة."

وقال ابن أبي حاتم:" عن الأعمش عن مجاهد [1] ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال: العظمة في الأرض."

وقال الماوردي:" العظمة، حكاه الأعمش."

القول الثالث: المراد به العلو،قاله ابن زيد؛ وذكره الماوردي وابن الجوزي[2].

قال الماوردي:" العلو، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم."

وقال ابن الجوزي:" العلو، قالـه ابن زيد."

القول الرابع: المراد به الطاعة، قاله الضحاك؛ وذكره بعض المفسرين[3].

قال الطبري:" عن الضحاك [4]: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال: الطاعة."

وقال الماوردي:" الطاعة، قاله الضحاك."

وقال ابن الجوزي:" الطاعة، قاله الضحاك."

القول الخامس: المراد به السلطان في الأرض، قال ه مجاهد؛ وذكر ه الطبري، والقرطبي،والخازن[5].

قال الطبري:" عن مجاهد[6]، قال: السلطان في الأرض."

=

في الدر (٢٤٨/٦)، ابن كثير (٢٤٨/٤) وذكر معها الرئاسة،الشوكاني (٤٦٤/٢)،ابن عاشور (٢٥١/١١) وذكر معها إظهار التفوق على الناس.

١ – وسنده:حدثنا أبي ،ثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ثنا سعيد بن محمد الثقفي عن الأعمش، عن مجاهد...

٢ – الماوردي آية٧٨، ابن الجوزي(٤/ ٤٣).

٣ – الطبري(١١/ ١٠١)،)، الماوردي آية٧٨، ابن الجوزي(٤/ ٤٣).

٤ – وسنده قال: ثنا المحاربي، عن جويبر،عن الضحاك...

٥ – الطبري(١١/ ١٠١)، القرطبي(٨/ ٣٦٦)،الخازن آية٧٨.

٦ – وسنده قال: حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد،

وقال القرطبي:" أي العظمة والملك والسلطان."

وقال الخازن:" ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ يعني الملك والسلطان."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن الأقوال التي ذكرها أهل التفسير متقاربة المعنى، وإن اختلفت ألفاظها، إلا أن أدق هذه الألفاظ لفظة الملك.

الترجيح:

يترجح القول بأن المراد هو الملك، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأنه إذا حصل الملك تبعته العظمة والعلو والطاعة والسلطان.

قال الطبري :" وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني، وذلك أن الملك سلطان، والطاعة م لك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك."

- أن الملك مما تتوق إليه النفوس.

قال الألوسي:" وعن الزجاج أنه إنما سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا."

والله تعالى أعلم

قال تعالى﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٨١ - ٨٢] .

في الآيتين ثلاث مسائل:

المسألة الأولى والمسألة الثانية[١]

ما وجه الارتباط في تعريف كلمة(السحر) ومدلولها وعود الضمير في قوله ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾؟

قال أبو حيان:" والسحر خبر مبتدأ محذوف، أي:هو السحر، قال ابن عطية:" والتعريف هنا في السحر أرتب، لأنه قد تقدم منكرا في قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦]. فجاء هنا بلام العهد، كما يقال : أول الرسالة سلام عليك، وفي آخرها : والسلام عليك."[٢] انتهى. وهذا أخذه من الفـراء، قال الفراء: "وإنما قال السحر بالألف واللام، لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالألف واللام، ولو قال له: من رجل؟ لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له"[٣] انتهى. وما ذكراه هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة، ثم أخبر عنها بعد ذلك، لأن شرط هذا أن يك ون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم، ولا يكون غيره، كما قال تعالى ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل: ١٥]، وتقول زارني رجل، فأكرمت الرجل، ولما كان إياه جاز أن يأتي بالضمير بدله، فتقول :فأكرمته، والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في

١ - هاتان المسألتان جعلتهما بهذا الترتيب لأن فصلهما يؤدي إلى عدم فهم المسألتين على الوجه المطلوب وقد يؤدي إلى التكرار الممل.

٢ - المحرر الوجيز (٣/١٣٥).

٣ - معاني القرآن (١/٤٧٥).

قولهم: إن هذا لسحر، لأن الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى عليه السلام من معجزة العصا، والسحر الذي في قول موسى عليه السلام :إنها هو سحرهم الذي جاؤوا به ، فقد اختلف المدلولان، وقالوا هم عن معجزة موسى عليه السلام ، وقال موسى عما جاؤوا به ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر، فيكون عائدا على قولهم لسحر."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ ﴾ لأنه خبر (ما) والخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب . وهو قول جماعة من المفسرين[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر [3]ما والذي إذا

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤٥) (٥/ ١٨١)، والنهر الماد (٥/ ١٨٢).

٢ - الطبري(١١/ ١٠٣)، الزمخشري (٢/ ٢٤٧)، القرطبي (٨/ ٣٦٧)،البيضاوي(٣/ ٢١٠)، النسفي (٢/ ٢٤٧)، ابن عادل (١٠/ ٢٨٢)، أبي السعود (٤/ ١٦٤)، الشوكاني (٢/ ٤٦٤)، الألوسي (١١/ ٨١).

٣ - ولعل الاختلاف مبني على الاختلاف في القراءة وقد بين الطبري ذلك بقوله:" واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم، قال موسى : الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر. وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين البصريين: ﴿ما جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ﴾ على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به، أسحر هو أم غيره؟

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكًّا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه أيّ شيءٍ هو، وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة، إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحقّ الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم =

كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام، لأن الخبر حينئذ خبر عن شيء بعينه معروف عند الفريقين وإنما يأتي ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شيء بعينه، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر، وخبر موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علما له على صدقه ونبوته إلى أنه سحر، فقال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا. ثم أخبرهم أن الله سيبطله

وقال الزمخشري : " خبر، أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله." (□)

وقال القرطبي:" ف (ما) بمعنى الذي، و (جئتم به) الصلة، وموضع (ما) رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء."

القول الثاني: أن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ لأنه سبق أن جاء منكرا في قوله ﴿ إِنَّ هَاذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال الفراء:" أنما قال(السحر) بالألف واللام لأنه جوا ب لكلام قد سبق؛

=

عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحقّ الذي أتاه ومبطل كيدهم بجدّه، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الآخرى."

١ - وقال في بيان الارتباط بالقراءة :" وقرىء: (آلسحر) على الاستفهام. فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية، أي: أيّ شيء جئتم به، أهو السحر؟ وقرأ عبد الله : «ما جئتم به سحر » وقرأ أبيّ: (ما أتيتم به سحر). والمعنى: لا ما أتيت به ." قال الفراء(٢/٤٧٥):"وأشك فيه" ويعني به قراءة أبيّ لأنه قال:" وفي حرف أبيّ."

٢ - الفراء(١/٤٧٥) ، ابن عطية(٣/١٣٥) ، الرازي(١٧/٢٨٨) ، البيضاوي(٣/٢١٠) ، الجلالين آية ٨١.

ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى : أهذا سحر؟ فقال :بل ما جئتم به السحر.وكل حرف ذكره متكلم نكرة فرددت عليها لفظها في جواب المتكلم زدت فيها ألفا ولاما؛ كقول الرجل : قد وجدت درهما، فتقول أنت :فأين الدرهم؟ أو :فأرني الدرهم .ولو قلت : فأرني درهما، كنت كأنك سألته أن يريك غير ما وجده."

قال ابن عطية :" والتعريف هنا في السحر أرتب لأنه قد تقدم منكراً في قولهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ﴾[يونس: ٧٦] فجاء هنا بلام العهد كما يقال في أول الرسالة، سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك ، ويجوز أن تكون (ما) استفهاماً في مو ضع رفع بالابتداء و (جئتم به)الخبر و (السحر) خبر ابتداء تقديره هو السحر إن الله سيبطله ، ووجه استفهامه هذا هو التقرير والتوبيخ ، ويجوز أن تكون (ما) في موضع نصب على معنى أي شيء جئتم و (السحر) مرفوع على خبر الابتداء تقدير الكلام أي شيء جئتم به هو السحر."

وقال الرازي:" قوله: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ﴾ما ههنا موصولة بمعنى الذي وهي مرتفعة بالابتداء، وخبرها السحر، قال الفراء : وإنما قال : (ٱلسِّحۡر) بالألف واللام، لأنه جواب كلام سبق ألا ترى أنهم قالوا : لما جاءهم موسى هذا سحر، فقال لهم موسى : بل ما جئتم به السحر، فوجب دخول الألف واللام، لأن النكرة إذا عادت عادت معرفة، يقول الرجل لغيره : لقيت رجلاً فيقول له من الرجل فيعيده بالألف واللام، ولو قال له من رجل لم يقع في فهمه أنه سأله عن الرجل الذي ذكره له."

وقال البيضاوي:" و (ٱلسِّحۡرُ) بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تق ديره أهو السحر، أو مبتدأ خبره محذوف أي السحر هو . ويجوز أن ينتصب ما يفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شيء أتيتم."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أن القول الأول هو الأقرب لما ذكره أهل التفسير، في معناه، وفي توجيه القراءة فيه.
- أما القول الثاني فيرد عليه بالقول:

اشترط أن يكون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم أما هنا فكلمة (السحر) المتقدمه ليست هي ذاتها في هذه الآية ،فالأولى هي من قول فرعون وقومه لمعجزة موسى أنها سحر.وفي هذه الآية هي من قول موسى للسحرة أن ما فعلوه من تحرك الحبال والعصي هو السحر.

فإن كانت الكلمة واحدة وهي السحر إلا أن مدلولها اختلف لاختلاف المخاطب والمخاطب به.

- أن التعريف لإفادة القصر إفرادا أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وملأه من آيات الله سحرا.
- أنه قد ورد بأن شرط كونها للعهد إتحاد المتقدم والمتأخر ذاتا كما في قوله تعالى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾[المزمل: ١٥]، فالرسول هو ذاته موسى وهنا لا إتحاد في ذلك إذ الأول ادعائ ي – ادعاء فرعون على معجزة موسى أنها سحر - والثاني حقيقي – علم موسى بحقيقة ما عليه السحرة من باطل –

الترجيح:

يترجح القول أن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ ﴾ لأنه خبر (ما) والخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لمعرفة المخاطب والمخاطب كما اشترطه أهل العلم.

ﷲ. ولأن التعريف يفيد القصر وهو م توافق مع معنى الآية .
فقصرت السحر على فعل سحرة فرعون فهو السحر الحقيقي
؛أما فعل موسى فهو معجزة باهرة ، ووصف فرعون له بالسحر
إنما هي دعوة باطلة.

قال الألوسي :" ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا﴾ ما ألقوا من العص ي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم (قَالَ) لهم (مُوسَى) غير مكترث بهم وبما صنعوا ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ (مَّآ) موصولة وقعت مبتدأ و (ٱلسِّحْرُ) خبر وأل فيه للجنس والتعريف لإفادة القصر إفراداً أي الذي ج ئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وملؤه من آيات الله تعالى سحراً وهو للجنس، ونقل عن الفراء أن أل للعه د، لتقدم السحر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٰذا لَسِحْرٌ﴾ ورد بأن شرط كونها للعهد اتحاد المتقدم والمتأخر ذاتاً كما في ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦] ولا اتحاد فيما نحن فيه فإن السحر المتقدم ما جاء به موسى عليه السلام وهذا ما جاء به السحرة."

ﷻ. أنه متوافق مع معنى وتوجيه قراءة العامة كما بين ذلك
الطبري.

المسألة الثالثة

كلام من قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾[يونس: ٨١ - ٨٢] ؟

قال أبو حيان :"والظاهر أن الجمل بعده – وهي قوله (السحر)- من كلام موسى عليه السلام."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الجمل من كلام موسى عليه السلام، وهو قول بعض المفسرين [2] ؛ واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" فقال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا . ثم أخبرهم أن الله سيبطله. فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ ﴾ يقول: سيذهب به، فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شيء . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يعني: أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه."

وقال السمرقندي:" يعني: العمل الذي عملتم به هو السِّحر،

قرأ أبو عمرو [3]: السِّحر، بالمدِّ على وجه الاستفهام، ويكون معناه :

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٥) (٥/ ١٨٢).

٢ - الطبري (١١/ ١٠٣)، السمر قندي (٢/ ١٢٣)،ابن جزي(٢/ ١٧٨)، ابن عادل (١٠/ ٣٨٣)، الشوكاني (٢/ ٤٦٤).

٣ - أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ا لتميمي، ثم المازني البصري شيخ القراء، والعربية، مختلف في اسمه،توفي سنة ١٥٤هـ. تاريخ البخاري (٩/ ٥٥)، تهذيب الكمال (٣٤/ ١٢٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٧) .

﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ﴾ يَعني ما الَّذي جئتم به؟ وتمّ الكلام . ثم قال: ﴿ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾."

وقال ابن عادل:" كقول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ ﴾".

القول الثاني: الجمل هي من إخبار الله تعالى؛ وأشار إليه بعض المفسرين[1] .

قال الرازي:" ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ ﴾ أي سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ أي لا يقويه ولا يكمله.

وقال ابن جزي:"يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبارا من الله تعالى."

وقال البقاعي[2]:" (قال موسى) منكراً عليهم (ما جئتم به) ... أي هو السحر لا ما نسبتموه إليّ؛ ثم استأنف بيان ما حقره به فقال : (إن الله) أي الذي له إحاطة العلم والقدرة (سيبطله) أي قريب بوعد لا خلف في ه؛ ثم علل ذلك بما بين أنه فساد فقال: (إن الله) أي الذي له الكمال كله (لا يصلح) أي وفي وقت من الأوقات (عمل المفسدين) أي العريقين في الفساد بأن لا ينفع بعملهم ولا يديمه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن السياق فيه دلالة واضحة على أن موسى خاطب فرعون ومن معه بذلك؛ فهذا من متطلبات الحوار الدعوي الرد على الشبهات والدعاوي الباطلة وإثبات الحقائق بالبراهين الساطعة.

---

١ - الرازي(٢٨٨/١٧)، ابن جزي(١٧٨/٢)، البقاعي(٤٧١/٣).

٢ - أحمد بن عمر بن حسن الرباط –بضم الراء وتخفيف الباء– البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، توفي سنة ٨٨٥هـ. البدر الطالع (١٩/١)، شذرات الذهب(٣٣٩/٧)، الأعلام(٥٦/١).

- وأما من قال أنها من كلام الله فلم أجد قائله ولا دليله ؛وإنما أشار إليه بعض المفسرين.

الترجيح:

يترجح أن الجمل من كلام موسى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق وترتيب الجمل فيه .

قال الألوسي:" ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾... والجملة تذييل [1] لتعليل ما قبلها وتأكيده..... ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ﴾ أي يثبته ويقويه وهو عطف على قوله سبحانه: ﴿سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾"[2].

٢. لظاهر القرآن وهو موافق لقاعدة الترجيح وهي : [لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل][3].

٣. واقع الحدث والحديث فهو يدور على موسى عليه السلام وفرعون ومن معه.

٤. إيمان موسى ويقينه بنصر الله تعالى ولذلك أكد لهم بطلان سحرهم بقوله هذا لهم.

والله تعالى أعلم

١ - التذييل : وهو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد ، التعريفات ص٥٥ .

٢ - روح المعاني (١١/١٦٧).

٣ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/١٣٧).

قال تعالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾[يونس: ٨٣].

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

ما مدلول الفاء في قوله ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾؟

قال أبو حيان:" الظاهر في الفاء من حيث إنّ مدلولها التعقيب أن هذا الإيمان الصادر من الذرية لم يتأخر عن قصة الإلقاء."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الفاء للتعقيب، واختاره أبو حيان وهو قول السمين وابن عادل[2].

قال السمين:" الفاء للتعقيب، وفيها إشعار بأن إيمانهم لم يتأخر عن الإلقاء، بل وقع عقيبه، لأن الفاء تفيد ذلك."

وقال ابن عادل :" الفاءُ للتّعقيب، وفيها إشعارٌ بأنّ إيمانهم لم يتأخّر عن الإلقاء، بل وقع عقيبهُ؛ لأنّ الفاء تفيد ذلك."

القول الثاني : إن الفاء للعطف ، وهو قول ابن عطية وأبي السعود والألوسي[3].

قال ابن عطية :" فالضمير في (الملأ) كعائد على (الذرية) وتكون الفاء على هذا التأويل عاطفة جملة على جملة لا مرتبة ."

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٥) (٥/ ١٨٢).

٢ - السمين في الدر (٦/ ٢٥٤)، وابن عادل (١٠/ ٣٨٣).

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٣٦)،وأبي السعود في إرشاد العقل السليم (٤/ ١٦٤)، والألوسي في روح المعاني(١١/ ١٦٧).

وقال أبو السعود:" معطوفٌ على مقدر قد فصل في مواقعَ أُخَرَ، أي فألقى عصاه فإذا هي تلقَف ما يأفِكون الخ، وإنما لم يذكر تعويلاً على ذلك وإيثاراً للإيجاز وإيذاناً بأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ [يونس:٨١]، مما لا يحتمل الخُلفَ أصلاً وعطفُه على ذلك بالفاء مع كونه عدماً مستم راً من قبـيل ما في قوله عز وجل :﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾[هود: ٩٧]، وما في قولك : وعظتُه فلم يتعظ وصِحتُ به فلم ينزجِرْ والسرُّ في ذلك أن الإتيانَ بالشيء بعد ورودِ ما يوجب الإقلاعَ عنه وإن كان استمراراً عليه لكنه بحسب العنوانِ فعلٌ جديدٌ وصنعٌ حادثٌ."

وقال الألوسي:" عطف على مقدر فصل في موضع آخر أي فألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون الخ، وإنما لم يذكر تعويلاً على ذلك وإيثار للإيجاز وإيذاناً بأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ [يونس: ٨١] مما لا يحتمل الخلف أصلاً، ولعل عطفه ع لى ذلك بالفاء باعتبار الإيجاب الحادث الذي هو أحد مفهومي الحصر، فإنهم قالوا: معنى ما قام إلا زيد قام زيد ولم يقم غيره."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إنها للتعقيب فبمجرد إلقاء موسى للعصا وتحولها إلى ثعبان أكل ما ألقاه السحرة فحينئذ ظهر الحق فأمن ا لسحرة من لحظتها.
- وأما من قال للعطف فهي عطف على مقدر فصل في موضع أخر وهو قوله تعالى ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[الشعراء: ٤٥ – ٤٨].

الترجيح:

يترجح القول أن الفاء عاطفة تفيد الترتيب و التعقيب وذلك:

- لأن الأصل في الوضع اللغوي للفاء أنها حرف عطف يفيد : الترتيب والتعقيب والسببية[1].
- لدلالة السياق . فإن الله ذكر قصة موسى ، وبعثه إلى فرعون وملئه ، وما حصل منهم من التكذيب وطلب الآيات الدالة على صدق موسى وما حصل من اجتماع السحرة للتحدي ثم ظهور الحق ؛ فهذا ترتيب للأحداث والوقائع ، ثم عقب ذلك حصل الإيمان بمجرد إيقانهم بصدق موسى وأن ما جاء به هو الحق وما هم عليه هو الباطل الزاهق، ويلاحظ هذا في تسلسل الأحداث من آية [٧٥- ٨٣] في هذه السورة سورة يونس.

والله تعالى أعلم

١ - مغني اللبيب ١/١٨٣).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾؟

قال أبو حيان: " والظاهر أن الضمير في قومه عائد على موسى عليه السلام، وأنه لا يعود على فرعون، لأنّ موسى عليه السلام هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور. ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملئهم أن يفتنهم."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير في قومه عائد على موسى عليه السلام، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي: " يعني: من قوم موسى عليه السلام وهم بنو إسرائيل."

وقال الثعلبي: " فقال قوم: هي راجعة إلى موسى عليه السلام وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل."

وقال الواحدي: " يعني: مَنْ آمن به من بني إسرائيل."

القول الثاني: إن الضمير في قومه عائد على فرعون. وذكره بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤٥) (١٨٣/٥).

٢ - السمرقندي(١٢٣/٢)،الثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي آية٨٣، الزمخشري(٢٤٨/٢) ،ابن الجوزي(٤٥/٤)، الرازي (٢٨٩/١٧)، القرطبي (٣٦٩/٨)، البيضاوي (٢١١/٣)، النسفي (٢٤٧/٢)، الخازن آية ٨٣، السمين في الدر (٢٥٤/٦)،ابن عادل (٣٨٣/١٠)، البقاعي(٤٧١/٣)، أبي السعود (١٦٤/٤)، الشوكاني(٢٤٧/٢).

٣ - البغوي آية٨٣، الزمخشري(٢٤٨/٢)، ابن عطية (١٣٦/٣) ورجحه، ابن الجوزي (٤٥/٤)، الرازي(٢٨٩/١٧)، البيضاوي(٢١١/٣)، النسفي (٢٤٧/٢)،الخازن آية٨٣.

قال البغوي:" وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون."

وقال الزمخشري:" وقيل: الضمير في قومه لفرعون."

وقال ابن عطية :" ومما يضعف عود الضمير على (موسى) أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً قد تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً ، فلما جاءهم موسى ﵇ أصفقوا عليه واتبعوه ولم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآ ية أن الأقل منهم كان الذي آمن ، فالذي يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على (فرعون) ويؤيد ذلك أيضاً ما تقدم من محاورة موسى ﵇ ورده عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر ، فذكر الله ذلك عنهم ، ثم قال ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ ﴾ من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال بعود الضمير على موسى ﵇ فلأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فهو أقرب مذكور .
- أنه يرد على من ذهب إلى عود الضمير إلى فرعون بأن ذكر فرعون بعيد فلا يصح عود الضمير إلا للأقرب.
- وكذا يرد عليهم بأنه لو كان الضمير يعود على فرعون لكان الكلام (على خوف منه) ولم يكن (عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ).
- وأما من قال بعود الضمير على فرعون فيؤيده ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخه لهم على قولهم (هذا سحر) فذكر الله تعالى ذلك عنهم ثم ذكر أنه ما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون الذين هذه أقوالهم.
- وكذا يؤيده توحيد مرجع الضمير في الآية فالضمير الأول

(قومه) والثاني (وَمَلَإِيْهِمْ) يعودان على فرعون .بخلاف القول الأول فالضمير الأول عندهم يعود إلى موسى عليه السلام والثاني يعود إلى فرعون ومن معه.

- أنه لم يذكر أن طائفة من بني إسرائيل كفروا بما جاءهم موسى عليه السلام في أول مبعثه إليهم بل هم تمنوا من يخلصهم من ذل فرعون ومن معه، فكيف يقال إن الأقل من قوم موسى عليه السلام آمنوا به ، فهذا مما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ويقوي عوده على فرعون.
- أنه يرد على قاعدة [عود الضمير إلى أقرب مذكور] أنه ليس بمطرد فقد يخرج عن الأصل لدليل .

الترجيح:

يترجح عود الضمير على موسى عليه السلام ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق.
٢. لعود الضمير على أقرب مذكور.

قال الطبري :" وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد[1]، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى عليه السلام من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرّوا بنبوّته لطول الزمان، فأدركت ذرّيتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى عليه السلام.

---

١ - قال الطبري (١١/ ١٠٣):" حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِن قَوْمِهِ ﴾ قال: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباؤهم."

وإنما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون الهاء في قوله «من قومه» من ذكر موسى عليه السلام لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبُعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر."[1]

لأنه الأظهر.

قال الرازي:" والأظهر أنه عائد إلى موسى، لأنه أقرب المذكورين ولأنه نقل أن الذين آمنوا به كانوا من بني إسرائيل."

لعود الضمير للمحدث عنه.

قال السمين :" عوده على موسى عليه السلام لأنه المحدث ع نه، ولأنه أقرب مذكور، ولو عاد على فرعون لم يكرر لفظه ظاهرا، بل كان التركيب (على خوف منه)"

٥. لأن قولهم إن قاعدة [الأصل في الضمير عوده لأقرب مذكور] ليس بمطرد .

فيقال : نعم "فقد يخرج عن الأصل لدليل، وإذا تعارض الأصلان تساقطا ، ونظر في الترجيح من خارج."[2] فالذي يرجح هو ما سبق بيانه من الأسباب .

٦. ولأنه يقال في قاعدة توحيد الضمائر ،إن العلماء ذكروا أنه " إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف."[3] فهو ليس شرطا فإن أمكن فهو كذلك، وإن لم يمكن فلا بأس من عودها على مختلف.

والله تعالى أعلم

---

١ - جامع البيان (١١/١٠٣).

٢ - البرهان (٤/٣٩).

٣ - البرهان (٤/٣٥).

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر عود الضمير في قوله : وملئهم، على الذرية وقاله الأخفش[1]، واختاره الطبري [2] أي: خوف من ملأ الذرية [3] وهم أشراف بني إسرائيل إن كان الضمير في قومه عائداً على موسى عليه السلام، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم[4] و على أنفسهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي يعذبهم."[5]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن الضمير يعود على الذرية، وهو قول بعض المفسرين [6]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" واختلف أهل العربية فيمن عني بـالهاء والميم اللتين في قوله : ﴿ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ فقال بعض نحويي البصرة : عني بها الذرّية . وكأنه وجه الكلام إلى: فما آمن لموسى عليه السلام إلا ذرية من قومه، على خوف من فرعون، وملأ الذرية من بني إسرائيل." ثم قال بعد ذكر الأقوال الأخرى.

" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الهاء والميم عائدتان

---

١ - معاني القرآن (٢/٣٤٧).

٢ - جامع البيان (١١/١٠٣).

٣ - في المطبوع: أخوف بني إسرائيل الذرية.

٤ - (عليهم و) ساقط من المطبوع.

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٥) (٥/١٨٣).

٦ - الطبري(١١/١٠٣)،الثعلبي آية٨٣، الزمخشري(٢/٢٤٨) ، الرازي (١٧/٢٨٩،الخازن آية٨٣، السمين في الدر(٦/٢٥٤)،ابن عادل(١٠/٣٨٣)، الشوكاني(٢/٢٤٧).

على الذرية. ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون، وملأ الذرّية لأنه كان في ذرّية القرن الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام من كان أبوه قبطيًا وأمه إسرائيلية، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى."

وقال الثعلبي:" ردّ الكناية في قوله: (وَمَلَإِيْهِمْ) إلى الذرية."

وقال الزمخشري :" ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم. ويدلّ عليه قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يريد أن يعذبهم."

القول الثاني: إن الضمير يعود على قومه أي قوم موسى عليه السلام أو قوم فرعون وهو قول بعض المفسرين[1].

قال الماوردي:" ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم."

قال السمين - وقد ذكر كل الأقوال -:" أنه يعود على قومه بوجهيه، أي سواء جعلنا الضمير في (قومه) لموسى أو لفرعون ،أي : وملأ قوم موسى أو ملأ قوم فرعون."

وقال ابن كثير:" أي وأشراف قومه أن يفتنهم."

وقال الشوكاني:" وقيل: إن قوم فرعون سموا بفرعون مثل ثمود، فرجع الضمير إليهم بهذا الاعتبار."

القول الثالث: إن الضمير يعود على فرعون، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الفراء:" وإنما قال (وَمَلَإِيْهِمْ) وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر بخوف

1 - الماوردي آية ٨٣ ،السمين في الدر (٦/٢٥٥)،ابن كثير (٤/٢٥٠)، عادل (١٠/٣٨٣)، الألوسي(١١/ ٧١).

2- الفراء(١/٤٧٦)، الطبري (١١/١٠٣)، السمرقندي (٢/١٢٣)،البيضاوي(٣/٢١١)، النسفي (٢/٢٤٧)، ابن جزي (٢/١٧٨)،السمين (٦/٢٥٥)، ابن عادل (١٠/٣٨٣)، الشوكاني(٢/٤٦٤)، الألوسي(١١/ ٧١).

أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه . وقال: ألا ترى أنك تقول: قدم الخليفة فكثر الناس، تريد بمن معه، وقدم فغلت الأسعار؟ لأنا ننوي بقدومه قدوم من معه."

وقال الطبري:" وقال بعض نحويي الكوفة : عني بهما فرعون، قال : وإنما جاز ذلك وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه . وقال: ألا ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس، تريد بمن معه، وقدم فغلت الأسعار؟ لأنا ننوي بقدومه قدوم من معه."

وقال السمرقندي:" ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ إشارة إلى فرعون بلفظ الجماعة."

القول الرابع: إن الضمير يعود على المضاف المحذوف تقديره: على خوف من آل فرعون. وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الفراء:" وقد يكون أن تريد بفرعون آل فرعون، و تحذف الآل فيجوز؛ كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف: ٨٢] تريد أهل القرية، والله أعلم . ومن ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[الطلاق: ١]."

وقال الطبري:" وقد يكون يريد أن بفرعون آل فرعون، ويحذف آل فرعون فيجوز، كما قال:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ يريد أهل القرية، والله أعلم . قال: ومثله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾.

وقال البغوي :" قيل: أراد بفرعون آل فرعون أي : على خوف من آل فرعون وملئهم كما قال: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بعوده الضمير على الذرية، فيقال من هم ملأ الذرية

١ - البغوي آية ٨٣، الزمخشري (٢/٢٤٨)،ابن الجوزي (٤/٤٥) ،الرازي(١٧/٢٨٩)، السمين (٦/٢٥٥)، الشوكاني(٢/٤٦٤) الألوسي(١١/ ٧١).

أهم قوم موسى بنو إسرائيل؟ ، أم هم قوم فرعون؟ ، أم هم من ذكروا بأنهم خليط من الطرفين باعتبار الآبا ء والأمهات؟ .مع ملاحظة أن لفظ الذرية لا يراد منه التقليل .

فالجواب يندرج تحت القول الثاني في المعنى، بخلاف اللفظ.

- وأما القول بعود الضمير على قوم سواء موسى أو فرعون فذلك بناء على الاختلاف في عود الضمير في قوله (قومه).
- وأما القول بعود الضمير على فرعون باعتبا ر أنه الملك فإذا ذكر فمن معه يدخلون تبعا لذلك . فإن فرعون لما ذكر علم أن معه غيرَه، فعاد الضمير عليه وعليهم؛
- فالأقوال الأولى السابقة متعاضدة المعنى ، متقاربة الدلالة.
- وأما القول بعود الضمير على المضاف المحذوف وتقديره :على خوف من آل فرعون كما في قوله ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية. فإنه قياس مع الفارق. ولأن المعنى المفهوم من المراد من آل فلان هم أهله وقرابته ، وليس المراد منه أعوانه

قال ابن عطية :" وهذا التنظير غير جيد لأن إسقاط المضاف في قوله ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] هو سائغ بسبب ما يعقل من أن (اسأل القرية)لا تسأل، ففي الظاهر دليل على ما أضمر ، وأما ها هنا فالخوف من فرعون متمكن لا يحتاج معه إلى إضمار."

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على القوم سواء كانوا من قوم موسى أو قوم فرعون لكن ولاءهم لفرعون وذلك:

لدلالة معنى الآية فمن آمن خائف من أن يبطش به فيفتن ﷺ.

عن دينه، والبطش يكون بأمر فرعون والمنفذون له من كانوا يدينون بالولاء له.

ﷻ. لأنه أبلغ في الدلالة على تحقق معنى الخوف . فالفرد مهما بلغ في الجبروت فإنه لا يستطيع أن ينال من خصومه إلا بوجود من يساعده وينفذ أمره.

قال القرطبي :" أن يكون الضمير يع ود على قومه . قال النحاس : وهذا الجواب كأنه أبلغها."

ﷺ. لأنه يعود على واقع المتحدث عنهم في الآية فبدأت بإيمانهم ثم خوفهم من بطش المخالفين لهم مع وجود مللك جبار مدعى الألوهية مكذب للنبي.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يونس: ٨٧].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

في أي مكان أمرا باتخاذ البيوت؟

قال أبو حيان :" والظاهر اتخاذ البيوت بمصر . قال الضحاك : وهي مصر المحروسة[1]، ومصر من البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر . وقال مجاهد: هي الإسكندرية[2]، وكان فرعون قد استولى على بني إسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم، ومنعهم من الصلوات، وكلفهم الأعمال الشاقة. وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأنْ يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم، فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : اتخاذ البيوت بمصر . قاله الضحاك ،وهو قول كثير من المفسرين[4]. واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا."

---

١ - زاد المسير (٤/ ٤٥).

٢ - سيأتي في القول الثاني.

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٦) (٥/ ١٨٤).

٤ - الطبري(١١/ ١٠٦)، السمرقندي(٢/ ١٢٣)، الزمخشري (٢/ ٢٤٨)، ابن عطية (٣/ ١٣٨)، ابن الجوزي (٤/ ٤٥)،القرطبي(٨/ ٣٧١)، البيضاوي (٣/ ٢١٢)، النسفي (٢/ ٢٤٨)، ابن جزي (٢/ ١٧٩)، الخازن آية ٨٧.

قال السمرقندي:" يعني: اتّخذوا لقومكما بمصر مساجد في جوف البيوت."

وقال الزمخشري :" والمعنى اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه."

القول الثاني : اتخاذ البيوت بالإسكندرية، قاله مجاهد .وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال ابن أبي حاتم :" عن مجاهد[2] قوله ﴿ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ قال: مصر الإسكندرية."

قال ابن عطية :" قال مجاهد: (مصر) في هذه الآية الإسكندرية."

وقال ابن الجوزي:" إنها الإسكندرية، قالـه مجاهد."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنها مصر فهو موافق لمنطوق الآية، ويراد به الكل.
- أما القول بأنها الإسكندرية فلا دليل يقويه، وهي جزء من مصر.

الترجيح:

يترجح القول بأنها مصر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأنه موافق لمنطوق القرآن .
- لأنه يشمل كل ما يصح أن يندرج تحته من المدن أو القرى.

قال القرطبي :" وقال الضحاك : إنه البلد المسمى مصر، ومصر ما بين البحر إلى أُسوان، والإسكندرية من أرض مصر ."

---

١ - ابن أبي حاتم (١٩٧٦/٦)،ابن عطية (١٣٨/٣)،ابن الجوزي (٤٥/٤)، البقاعي (٧٣/٣)، الشوكاني (٤٦٤/٢).

٢ - وسنده قال:حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾؟

قال أبوحيان :" والظاهر أنّ المأمور بأنْ يجعل قبلة هي المأمور بتبوئها . ومعنى (قبلة) مساجد: أمروا بأن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله : النخعي،[1] وابن زيد[2]، وروي عن ابن عباس[3] ".[4]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد أن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله : ابن عباس، والنخعي، وابن زيد.وهو قول كثير من المفسرين[5]، واختاره أبو حيان.

قال الفراء:" كان فرعون قد أمر بتهديم المساجد، فأمر موسى وأخوه أن

---

١ - قال الطبري:" حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا : ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم : ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم. والنخعي هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني، أبو عمران إمام حافظ أخذ القراءة عرضا عن علقمة والأسود، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة٩٦هـ. سير أعلام النبلاء(٤/ ٢٥٠)، التقريب ص ٩٥، شذرات الذهب (١/ ١٣١).

٢ - قال الطبري :" حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله : ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: قال أبي: اجعلوا في بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة.

وابن زيد : هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ، بضم القاف والفاء بينهما نون ساكنة، التيمي، المدني، ثقة. ، تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٣٠)، التقريب ص٤٧٩.

٣ - قال الطبري: ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، قال : ثنا زهير، قال: ثنا خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا، فقال لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة، يقول: اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها."

٤ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٦) (٥/ ١٨٤).

٥ - الفراء(٢/ ٤٧٧)، الطبري(١١/ ١٠٦)، ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٦)، الواحدي في الوجيز آية٨٧، ابن عطية (٣/ ١٣٨)، ابن الجوزي (٤/ ٤٥)، الرازي (١٧/ ٢٩١)، ابن كثير (٤/ ٢٥١)، ابن عادل (١٠/ ٣٩٤)، البقاعي(٣/ ٧٣)، الجلالين آية٨٧، الألوسي(١١/ ٢٨١).

يتخذ المساجد في جوف الدور لتخفّي من فرعون."

وقال الطبري :" ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ يقول: واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها."

وقال ابن أبي حاتم :" عن إبراهيم[1] قوله ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾قال: كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم."

وقال السمرقندي : يعني: مساجد فتصلون فيها ... وقال مجاهد : كانوا يصلون في البِيَعِ، فأمرهم أن يصلوا في البيوت . وقال إبراهيم النخْعِيُّ : كانوا خائفين، فأمرهم بالصّلاة في بيوتهم."

القول الثاني : المراد أن يج علوا بيوتهم قبل القبلة ، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال السمرقندي:" ويقال: حَوِّلُوا بيوتكم نحو القبلة."

وقال البغوي:" معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة."

وقال ابن الجوزي:" واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم."

القول الثالث: المراد أن يجعلوا بيوتهم قبل مكة أو مستقبله الكعبة، قاله ابن عباس[3] ومجاهد[4].

---

١ - وسنده:" حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقري، ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم.." وإبراهيم هو النخعي وتقدم.

٢ - السمرقندي(٢/١٢٣)، البغوي آية ٨٧، ابن الجوزي (٤/٤٥)،البيضاوي(٣/٢١٢)، ابن جزي(٢/١٧٩)، ابن عادل(١٠/٣٩٤)، أبي السعود(٤/١٦٤).

٣ - قال الطبري:" حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يعني الكعبة".

٤ - قال الطبري :"حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد : بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: نحو الكعبة، حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة، =

وهو قول بعض المفسرين[1].

قال الفراء:" ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ إلى الكعبة."

وقال البغوي:" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت الكعبة قِبْلَةَ موسى ومن معه."

وقال الزمخشري :" أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة."

القول الرابع: المراد أن يجعلوا بيوتهم يقابل بعضها بعضا .وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال ابن أبي حاتم :" عن سعيد بن جبير عن ابن عباس [3] في قوله ﴿ وَٱجۡعَلُوٓاْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ قال:مقابل بعضها بعضاً.

قال ابن عطية:" وقيل يقابل بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير."

وقال الرازي :" المراد بجعل تلك البيوت قبلة أي متقابلة، والمقصود منه حصول الجمعية واعتضاد البعض بالبعض."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول باتخاذ البيوت مساجد يعنى الصلاة فيها وليس بمعنى جعلها مساجد بالمسمى المعروف للمسجد . لأنهم في خوف من

=

فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم ."مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًا."

١- الفراء(٤٧٧/٢)، البغوي آية ٨٧، الزمخشري (٢٤٨/٢)،ابن عطية (١٣٨/٣)، ابن الجوزي (٤٥/٤)، الرازي (٢٩١/١٧)، النسفي(٢٤٨/٢)، ابن عادل(٣٩٤/١٠).

٢- ابن أبي حاتم (١٩٧٦/٦)، ابن عطية (١٣٨/٣)، ا لرازي(٢٩١/١٧)، ابن كثير (٢٥١/٤)، الشوكاني (٢٥١/٤).

٣- وسنده قال : ثنا أبي، ثنا سهل بن عثمان ثنا علي بن عامر عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.."

فرعون ومن معه أن يفتنهم.

- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة، فهو بعيد لأن فيه مشقة عليهم من ناحية العمارة وفيه لفت لنظر فرعون وجنوده لاسيما أنهم في لحظة ضعف.
- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم قبل مكة أو الكعبة أي أن الكعبة قبلتهم، ففيه غرابة من حيث إن المعروف أن بني إسرائيل كانوا يتجهون إلى بيت المقدس، ولم يشتهر أن موسى عليه السلام كان يستقبل الكعبة في صلاته ، ولذا لما تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة، عاب اليهود ذلك على المسلمين لأنهم خالفوهم، وكانوا أول الإسلام يتجهون إلى بيت المقدس.

قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة: ١٤٢] .

- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم متقابلة من أجل التعاضد والتقوي بذلك على العدو، فأجد المعنى بعيدا لأجل كونها متقابلة يلفت نظر عدوه ، وأن القوة تأتي في المقام الأول بقوة الإيمان واليقين بنصر الله والثبات على الحق، ثم التعاون والتعاضد بينهم ولا يشترط في ذلك التقابل في البيوت.

الترجيح:

يترجح القول أن يجعلوا بيوتهم سكنا وموضعا للصلاة وذلك:

١. لأنه كانوا في حالة خوف من الفتنة .

قال البقاعي: " أي مصلى لتتعبدوا فيها مستترين عن الأعداء تخفيفاً من أسباب الخلاف."

٢. لعدم استطاعتهم إقامة الصلاة في المكان المخصص لها.

قال السعدي :"أي اجعلوها محلا تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس والبيع العامة."[1]

٣. ولأنهم يلزمون في استقبال القبلة التي شرع لهم استقبالها ما داموا في البيوت آمنين، فالمعني هو الشخص المصلي وليس المكان.

قال السمين : " أصل القبلة الجهة، سميت بذلك لأنها تقابل المصلي ويقابلها. "[2]

٤. لأن المعروف من لفظ المساجد المكان المخصص للصلاة فقط دون السكن، ولا يطلق عليها بيوت بالعموم.

قال الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي قدمنا بيانه وذلك أن الأغلب من معاني البيوت وإن كانت المساجد بيوتاً ، البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لأن المساجد لها اسم هي به معروفة خاصّ لها، وذلك المساجد. فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا إضافتها إلى شيء، فالبيوت المسكونة، وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس إياها في قِبَل المساجد وللصلوات . فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك، ولم يكن على قوله :﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا."

١ – تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٢.

٢ – عمدة الحفاظ ص٤٤٠.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾[يونس: ٨٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المعنى المراد بمجيء اللام وما نوعها بقوله ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى: آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، وكان الإتيان لكي يضلوا. ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾[القصص: ٨]، وكما قال الشاعر:

وللمنايا تربي كل والدة وللخراب يجد الناس عمراناً "[1]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: إن اللام لام (كي)، والمعنى : آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، فكان الإتيان لكي يضلوا .وهو قول جماعة من المفسرين .[2]

واختاره أبو حيان.

قال الفراء:" وهذه لام كي."

وقال الطبري :" وقال بعض نحويي الكوفة : هذه اللام لام كي ومعنى

١- البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٧) (١٨٥/٥)، ولم أعرف الشاعر وذكره السمين في الدر ولم ينسبه (٢٦٠/٦) وفي المطبوع مرضعة بدل والدة.

٢- الفراء(٤٧٧/١)،الطبري(١٠٨/١١)، الثعلبي آية ٨٨، ابن عطية (١٣٨/٣)، ابن جزي (١٧٩/٢)، الخازن آية٨٨، الشوكاني (٤٦٨/٢).

الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا، ثم دعا عليهم."

وقال الثعلبي:" اختلفوا في هذه اللام فقال بعضهم هي لام (كي) ومعناه (أعطيتهم لكي يضلّوا ويبطروا ويتكبّروا) لتفتنهم بها فيضلّوا ويُضلّوا إملاءً منك، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦ – ١٧]."

القول الثاني: إن اللام لام (الصيرورة والعاقبة)، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال . وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقد اختلفت أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله: لِيُضِلّوا فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ربنا فضلوا عن سبيلك، كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨] . أي: فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون عدوا وحزنا، وإنما التقطوه فكان لهم . قال: فهذه اللام تجيء في هذا المعنى."

وقال الثعلبي:" وقيل: هي لام العاقبة ولام الصيرورة يعني أعطاهم ليضلّوا."

وقال البغوي:" وقيل: هي لام العاقبة يعني : فيضلوا ويكون عاقبة أمرهم الضلال كقوله:﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨]."

القول الثالث: إن اللام لام (الخفض) والمعنى: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك، ذكره الطبري.

قال الطبري:" وقال آخر: هذه اللامات في قوله (ليضلوا) و (ليكون لهم عدوًّا)، وما أشبهها بتأويل الخفض: آتيتهم ما أتيتهم لضلالهم، والتقطوه لكونه لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك . والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض، ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى، قال الله تعالى :﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

---

١ – الطبري(١٠٨/١١)،الثعلبي والبغوي آية ٨٨، ابن عطية (١٣٨/٣)،البيضاوي(٢١٣/٣)، الخازن آية٨٨، السمين في الدر(٢٦٠/٦)، ابن عادل(٣٩٤/١٠)، أبي السعود(١٦٤/٤).

لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾[التوبة: ٩٥] أي لإعراضكم، ولم يحلفوا لإعراضهم."

القول الرابع: أن اللام لام (الدعاء) ، والمعنى: ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك[١] . وذكره الخازن.

قال الخازن : " وقال ابن الأنباري [٢]: هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا إنك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك."

القول الخامس: إن اللام لام (التعليل)، والمعنى: أن موسى قال: يارب إنك أعطيتهم هذه الزينة والأموال لأجل أن يضلوا. وهو قول بعض المفسرين.[٣]

قال الزمخشري : " وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنهم أوتوها ليضلّوا."[٤]

---

١ - قال أبو حيان: " وقال الحسن: هو دعاء عليهم، وبهذا بدأ الزمخشري قال: " كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال، وليكونوا ضلالاً، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا ". ويبعد أن يكون دعاء قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء، إذ يبعد أن يدعو بأن يكونوا مضلين غيرهم، وهي قراءة الكوفيين، وقتادة والأعمش، وعيسى، والحسن، والأعرج بخلاف عنهما. "

وقال ابن جزي(٢/ ١٧٩) :"الدعاء بلفظ الأمر."

٢- أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري ، الإمام الحافظ المقرئ النحوي،قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقا دينا من أهل السنة، توفي سنة ٣٢٨هـ.تاريخ بغداد(٣/ ١٨١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤)، شذرات الذهب(٢/ ٣١٥).

٣ - الزمخشري(٢/ ٢٤٩)،الرازي(١٧/ ٢٩٥)،البيضاوي(٣/ ٢١٣)، السمين في الدر(٦/ ٢٦٠)، ابن عادل (١٠/ ٣٩٤)،أبي السعود(٤/ ١٦٤).

٤ - قال ابن المنيّر: " وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه يكون كشفا." الانتصاف (٢/ ٢٠٠) بحاشية الكشاف طبعة دار المعرفة.

قال النسفي في تفسيره (٢/ ٢٤٩) : " قال الشيخ أبو منصور رحمه الله إذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل =

وقال الرازي :" أن اللام في قوله : ﴿لِيُضِلُّوا﴾ لام التعليل، والمعنى : أن موسى قال يا رب العزة إنك أعطيتهم هذه الزينة والأموال لأجل أن يضلوا، فدل هذا على أنه تعالى قد يريد إضلال المكلفين."

وقال البيضاوي :" ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا."

القول السادس: إن اللام لام (أجل) ، والمعنى: آتيتهم لأجل ضلالهم عقوبة منك لهم.

قال الثعلبي:" وقيل: هي لام أجل أي آتيتهم لأجل ض لالهم عقوبة لهم كقوله: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٥] أي لأجل إعراضكم عنهم، ولم يحلفوا لتعرض عنهم."

وقال القرطبي:" وقيل: هي لام أجْل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم. وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا كما قال عز وجل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء: ١٧٦]. والمعنى: لأن لا تضلوا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إنها لام (كي) لأن الله المنعم يعطي النعم فيزيد

=
عمران:١٧٨] فتكون الآية حجة على المعتزلة."

الشاكرين ويمنع الكافرين، وقد يزيدهم في النعم فيزدادوا في الكفر والانغماس في الملذات ، فيظنون أنهم بهذه النعم على حق وخير ، فهذا استدراج لهم ليزدادوا إثما ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

- وأما القول إنها لام (العاقبة والصيرورة) ففي هذه الآية :أن الله تعالى أنعم على قوم فرعون بنعم كثيرة وهو سبحانه يعلم أنهم لن يؤمنوا ، وأن مصيرهم إلى النار ، أما قوله تعالى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص: ٨] ، فهم عند التقاطهم لموسى لم يعلموا ولم يدر بخلد هم أنه سيكون لهم عدوا وحزنا.فظهر الفرق بين الأمرين.
- وأما لام الخفض فهي ولام كي بمعنى واحد كما ذكر الطبري، فتندرج في القول الأول.
- وأما القول بإنها لام الدعاء ، فيقال : كون أنبياء الله يدعون على أقوامهم بالاستمرار على الضلال فيه خلاف لمنهج الدعوة والمصابرة، و المثابرة، والحرص على دعوة الناس، وإحقاق الحق ودفع الشبهات، وتعليم الناس ورحمتهم لهم في عدم هلاكهم على الكفر. حتى يأتيهم من الله خبر قاطع بعدم إيمان هؤلاء القوم قال تعالى ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود: ٣٦].

فحينئذٍ يكون الدعاء من البعض منهم على أقوامهم بالهلاك كما أخبر الله تعالى عن نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[نوح: ٢٦ - ٢٧] ، وهذا الدعاء

منهم لكرههم لمظاهر الكفر التي يفعلها الناس على و جه الأرض التي خلقهم الله لعمارتها بعبادته ؛ وليس دعاؤهم لمجرد تمني هلاك الناس وذهابهم .فكيف يدعون الله باستمرار الكفار على الكفر.

- وأما القول إنها لام التعليل فهي ولام كي بمعنى واحد وأيضاً يقال: كون الإنسان يعتقد أن الله سبحانه وتعالى ينعم بالنعم لأجل أن تستخدم في الكفر والمعصية ، فهذا سوء أدب معه ﷻ. فهو سبحانه أنعم على الإنسان وأعطاه الخيار في استخدام هذه النعم قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[الإنسان: ٣].

فالواجب على المكلفين تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، مع إحسان الظن به والتأدب معه في الدعاء وفي الطلب.

الترجيح:

يترجح القول إن اللام لام (كي)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال.

٢. وضوح دلالة المعنى .

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي : أنها لام كي، ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه، ويُضِلوا عن سبيلك عبادك، عقوبةً منك. وهذا كما قال جلّ ثناؤه: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[الجن: ١٦ - ١٧] ".

وقال السعدي:" إن أمواهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال عن سبيلك، فيضلون ويضلون."[1]

١- تيسير الكريم الرحمن ص٣٧٢.

قال تعالى ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[يونس: ٩١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

قول من قوله ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر أن قوله: (ءَآلۡـَٰٔنَ) إلى آخره من كلام الله له على لسان ملك. فقيل: هو جبريل. وقيل: ميكائيل. وقيل: غيرهما، لخطابه (فاليوم ننجيك). وقيل: من قول فرعون في نفسه وإفساده و إضلاله الناس، ودعواه الربوبية."[1]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: هو من كلام الله له بواسطة على لسان ملك. وهو قول جماعة من المفسرين؛[2] واختاره أبو حيان؛ أوقد يكون بغير واسطة كما أشار إليه بعض المفسرين.

قال ابن عطية :" وهذا اللفظ يحتمل أن بكون مسموعاً لفرعون من قول ملك موصل عن الله وكيف شاء الله."

وقال الرازي:" ومن الناس من قال: إن قائل هذا القول هو الله تعالى، لأنه ذكر بعده ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ وهذا الكلام ليس إلا كلام الله تعالى."

وقال القرطبي:" قيل: هو من قول الله تعالى."

١- البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٨) (١٨٨/٥).

٢- ابن عطية (١٤٠/٣)، الرازي (٢٩٨/١٧)، القرطبي (٣٧٩/٨)، الخازن آية ٩١، ابن عادل (٤٠٣/١٠)، البقاعي (٤٧٦/٣)، الشوكاني (٤٦٨/٢)، الألوسي (٩١/١١)، ابن عاشور (٢٧٧/١١) .

القول الثاني: هو جبريل، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال ابن أبي حاتم :" عن ابن عباس [2]: فلما خرج آخر أصحاب موسى ودخل آخر أصحاب فرعون أوحي إلى البحر أن اطبق عليهم فخرجت أصبع فرعون بلا إله إلا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل . قال جبريل: فعرفت أن الرب رحيم وخفت أن تدركه الرحمة مسته بجناحي وقلت : آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ."

وقال ابن الجوزي:" فقيل له: ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾ أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عز وجل؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل."

قال الرازي:" الأخبار دالة على أن قائل هذا القول هو جبريل."

القول الثالث: هو ميكائيل.وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال ابن أبي حاتم :"عن السدي[4] قال : فبعث الله ميكائيل يعيره فقال :" ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾."

وقال القرطبي:" وقيل: ميكائيل."

وقال السيوطي :" ...قال رسول الله ﷺ :((قال لي جبريل : ما أبغضت شيئاً من خلق الله ما أبغضت إبليس يوم أمر بالسجود فأبى أن يسجد، وما

---

١ - ابن أبي حاتم (١٩٨٣/٦)، ابن الجوزي (٤٥/٤)، الرازي(٢٩٨/١٧)، الخازن آية ٩١، ابن عادل (٤٠٣/١٠)، البقاعي(٤٧٦/٣)، الجلالين آية ٩١، الشوكاني(٤٦٨/٢)، الألوسي(٩١/١١).

٢ - وسنده قال: ثنا أبي، ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس.."

٣ - ابن أبي حاتم (١٩٨٣/٦)، القرطبي (٣٧٩/٨)، السيوطي في الدر المنثور (٣٨٦/٤)، الشوكاني(٤٦٨/٢).

٤ - وسنده قال:"حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد ، ثنا أسباط، عن السدي..."

أبغضت شيئاً أشد بغضاً من فرعون، فلما كان يوم الغرق خفت أن يعتصم بكلمة الإخلاص فينجو، فأخذت قبضة من حمأة فضربت بها في فيه فوجدت الله عليه أشد غضباً مني، فأمر ميكائيل فأنبه وقال :﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].))

القول الرابع : هو من قول ملك غير جبريل و ميكائيل، وذكره بعض المفسرين.[2]

قال القرطبي:" غيرهما من الملائكة."

قال الخازن:" وقيل الملائكة."

القول الخامس: هو من قول فرعون في نفسه.وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال الزمخشري:" ﴿ ءَآلْـَٔنَ ﴾ أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق. وقيل: قالـه بعد أن غرق في نفسه."

وقال القرطبي:" وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ثَمّ قول باللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال : حيث لم تنفعه الندامة؛ ونظيره. ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[الإنسان: ٩] أثنى عليهم الرب بما في ضميرهم لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلام القلب."

وقال الشوكاني:" وقيل: من قول فرعون، قال ذلك في نفسه لنفسه."

---

١ - والحديث أخرجه أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله عنه ، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٨٦/٤).ولم أقف على سنده.

٢ - القرطبي (٣٧٩/٨)، الخازن آية ٩١، وأبي حيان(١٨٨/٥).

٣ - الزمخشري(٢٥١/٢)، القرطبي(٣٧٩/٨)،أبي حيان(١٨٨/٥)، الشوكاني(٤٦٨/٢).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما كون القائل هو الله فهو أظهر وأقرب للفظ القرآني ، وسيأتي بيان ذلك.
- وأما كون القائل هو جبريل فإن الأخبار المروية في ذلك فيما اطلعت عليه من كتب التفسير على قسمين:

الأول: المرفوعة إلى النبي ﷺ ليس فيها تصريح بأن جبريل قال ذلك.[1]

الثاني: الموقوفة على الصحابة ليس فيها تصريح بأن جبريل قال ذلك، عدا رواية واحدة موقوفة على ابن عباس وهي: التي رواها ابن أبي حاتم. وهذا الأمر لا مجال للاجتهاد فيه، وقد ذكر عن ابن عباس مرويات عن بني إسرائيل.

- وأما كون القائل هو ميكائيل فدليله ما ذكره ابن أبي حاتم عن السدي ، والسيوطي عن أبي أمامة.
- وأما كون القائل ملائكة غير جبريل وميكائيل فلا دليل عليه من خبر أو أثر.
- وأما كون القائل هو فرعون لنفسه فلا يظن بهذا الطاغية أن يعنف ويوبخ نفسه ويصفها بالعصيان والإفساد ولاسيما أنه قد جاءته

---

١ – وهي عن ابن عباس أن النبي قال: لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل : يا محمد فلو رأيتني وأنا أخذ من حال البحر فأد سه في فيّه مخافة أن تدركه الرحمة." فهذه رواية ذكرها بعض المفسرين وأخرجها الترمذي في الجامع (٢٦٨/٥) رقم(٣١٠٧) ، كتاب التفسير، وقال : هذا حديث حسن . وقال الألباني : صحيح بما بعده صحيح سنن الترمذي (٦١/٣).وما بعده هي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي :أنه ذكر أن جبريل جعل يدس في فيّ فرعون الطين خشية أن يقول:لاإله إلا الله فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه الله."جامع الترمذي(٢٦٨/٥) رقم(٣١٠٨) كتاب التفسير – باب ومن سورة يونس. وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني: صحيح الإسناد. صحيح سنن الترمذي(٦٢/٣).

الآيات وكانت عنده الفرصة تلو الأخرى للإيمان والتصديق وقد نزل به وبقومه العذاب مرارا ثم طلبوا من موسى أن يدعو ربه بكشف العذاب فتحقق لهم ما طلبوا ، فلا يظن به وهذه حاله أن يكلم نفسه بهذا المنطق منطق الذليل المذعن ، وإنما نطق ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ لينجو من الغرق هذا ظنه ، ولم يقل آمنت بالله.

الترجيح:

يترجح القول أنه من قول الله عز وجل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- دلالة السياق. فقوله تعالى ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ فيه دلالة واضحة على ذلك.

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره معرّفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه، مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت:﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ له ﴾، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ لله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين في الأرض الصّادّين عن سبيله؟ فهلاّ وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقرّ." (1)

---

١ - جامع البيان(١١/١١٣).

وقال ابن عاشور :" وقال الله هذا الكلام له على لسان الملَك الموكل بتعذيبه تأييساً له من النجاة في الدنيا وفي الآخرة، تلك النجاة ا لتي هي مأمولة حين قال: ﴿ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] إلى آخره، فإنه ما آمن إلا وقد تحقق بجميع ما قاله موسى، وعلم أن ما حل به كان بسبب غضب الله، ورجا من اعترافه له بالوحدانية أن يعفو عنه وينجيه من الغرق . ويدل على ذلك قول الله عقب كلامه ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾".

لأنه قول تؤيده قرائن تحف به كتقدير القول ، ووصف الواقع العظيم للحدث، وصيغة الخطاب، أسلوب الخطاب متوافق مع العقوبة الحاصلة.

قال أبو السعود:" وقولـه عز وجل: ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ ﴾مقولٌ لقول مقدرٍ معطوفٍ على قال أي فقيل : آلآن، وهو إلى قولـه تعالى : (ايَةٍ) حكايةٌ لما جرى منه سبحانه من الغضب ع لى المخذول ومقابلة ما أظهره بالرد على وجه الإنكارِ التوبـيخيِّ على تأخيره وتقريعِه بالعصيان والإفساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكورِ وإبرازِ الخبرِ المحكيِّ في صورة الإنشاءِ من الدِلالة على عظم السخطِ وشدةِ الغضبِ ما لا يخفى."[1]

وقال ابن عاشور :" مقول لقول حذف لدلالة المقام عليه، تقديره : قال الله . وهو جواب لقوله : (ءَامَنتُ) لأنه قصد بقوله ذلك طلبَ الإنجاء من الغرق اعترافاً لله بالربوبية، فكأنه وجه إليه كلاماً. فأجابه الله بكلام."

لأن الأقوال الأخرى على أربعة أحوال:

الأول: قسم ذكر مستنده روايات مرفوعة ليس فيها تصريح بالقائل.

الثاني: قسم ذكر مستنده روايات موقوفة على الصحابي وهي لا مجال

١ - إرشاد العقل السليم (٤/ ١٦٤).

للاجتهاد فيها وممن عرف ببعض المرويات عن بني إسرائيل.

الثالث: قسم ذكر مستنده روايات عن التابعين.

الرابع: قسم لم يذكر مستنده من خبر ولا أثر.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[يونس: ٩٣].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد ببني إسرائيل في الآية؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنّ بني إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من الغرق، وسياق الآيات يشهد لهم. وقيل: هم الذين كانوا بحضرة النبي ﷺ من بني إسرائيل قريظة[1] والنضير[2] وبني قينقاع[3]."[4].

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بهم من آمنوا بموسى عليه السلام ونجوا من الغرق، وهو قول جماعة من المفسرين،[5] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" يعني: أنزلنا بني إسرائيل ﴿ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ ﴾ يعني: منزل

---

١ - قريظة: طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم نقضوا العهد، فحاصرهم بعد الخندق في السنة الخامسة من الهجرة خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ . انظر طبقات ابن سعد (٢/ ٧٤)، عيون الأثر(٢/١٠٣)

٢ - النضير: طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم حرضوا قريشا على قتاله، وحاولوا قتله ﷺ، فحاصرهم ست ليال، ثم أجلاهم إلي خيبر كما طلبوا، وذلك بعد غزوة أحد. انظر طبقات ابن سعد(٢/٥٧)، عيون الأثر(٢/٧٣).

٣ - بنو قينقاع: طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم كانوا أول من نقض العهد من اليهود ؛ فحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، وأجلوا من المدينة على رأس عشرين شهرا من الهجرة. طبقات ابن سعد(٢/٢٩)، عيون الأثر(١/٤٤٣).

٤ - البحر المحيط (ح٥/ل١٤٩) (٥/١٩٠).

٥ - السمرقندي(٢/١٣٣)، البغوي آية ٩٣، ابن عطية (٣/١٤٢)، ابن الجوزي (٤/٥٣)، الرازي (١٧/٢٩٩)، ابن كثير(٤/٢٥٦)، الشوكاني(٢/٤٧٢) ، الألوسي(١١/١٩١).

صدق، وهو أرض مصر، وذلك أن الله تعالى قد وعد لهم بأن يورِّثهم أرض مصر، فلما غرق فرعون، رجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل، إلى أرض مصر، فنزلوا بها وسكنوا الدِّيار."

وقال البغوي:" أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون."

وقال ابن عطية:" والتأويل الآخر الذي يحتمله اللفظ أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى عليه السلام في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا...فمعنى الآية مذمة ذلك الصدر من بني إسرائيل ."

القول الثاني: المراد من بهم ذرية أصحاب موسى، قاله الألوسي.

وقال الألوسي:" عن قتادة أن المراد به الشام وبيت المقدس واختاره بعضهم بناء على أن أولئك لم يعودوا إلى مصر بعد ذلك، وأنت تعلم أنه ينبغي أن يراد ببني إسرائيل عن القولين ما يشمل ذريتهم بناء على أنهم ما دخلوا الشام في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلها أبناؤهم."

القول الثالث: المراد بهم من كان بحضرة النبي ﷺ بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع، وهو قول بعض المفسرين[1].

قال الواحدي:" أنزلنا قريظة والنضير منزل صدقٍ ، أَيْ: محموداً مختاراً ، يريد: من أرض يثرب، ما بين المدينة والشّام."

وقال ابن الجوزي :" : قريظة والنضير."

وقال الرازي:" إن المراد ببني إسرائيل في هذه الآية اليهود الذين كانوا في زمان محمد ﷺ فهذا قال به قوم عظيم من المفسرين . قال ابن عباس : وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات."

---

١ - الواحدي في الوجيز آية ٩٣، ابن الجوزي (٤/٥٣)، الرازي (١٧/٢٩٩)،القرطبي(٨/ ٣٨١)، الشوكاني (٢/٤٧٢)، الألوسي(١١/ ١٩١).

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول بأنهم أصحاب موسى فلأن السياق يشهد لذلك.
- وأما القول بأنهم ذرية من كان مع موسى فلأ نه ورد في تفسير بعض السلف أنهم نزلوا الشام (الأردن وفلسطين) وهم لم يدخلوها في زمن موسى .
- وأما القول بأنهم من كان في زمن النبي من اليهود لأنهم بعد بعثة النبي اختلفوا في صفته ونعته، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

الترجيح:

يترجح القول بأنهم اليهود في زمن موسى ﵇، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لدلالة السياق، فالآيات تتحدث عن ذكر أحوالهم بعد إغراق فرعون ونجاتهم وسكنهم في مساكن فرعون وقومه في مصر، واختلافهم بعد علمه بالتوراة وأحكامها.

قال الرازي: " والمراد أن قوم موسى ﵇ بقوا على ملة واحدة ومقالة واحدة من غير اختلاف حتى قرؤ وا التوراة، فحينئذ تنبهوا للمسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم."

- لأنه الأظهر والأولى فإنه يدخل في المعنى السابق له والمعنى اللاحق بصورة منتظمة متلائمة، وهذا يتوافق لقاعدة الترجيح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[يونس: ٩٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾؟

قال أبو حيان :" والذي أقوله : إنّ إنْ الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[الزخرف: ٨١] ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ ﴾[الأنعام: ٣٥] أي فافعل. لكنّ وقوع إن للتعليق على المستحيل ق ليل، وهذه الآية من ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الخطاب النبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه ﷺ ، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الفراء:" قاله تبارك لنبيه ﷺ وهو يعلم أنه غير شاك، ولم يشك ﷺ فلم

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٤٩/ ١٥٠) (٥/ ١٩٠).

٢ - الفراء(١/ ٤٧٩)، الطبري(١١/ ١١٥)، ابن أبي حاتم(٦/ ١٩٨٦)، النحاس (١/ ٤٩٢)، الثعلبي آية ٩٤،ابن الجوزي(٤/ ٥٣)، الرازي (١٧/ ٣٠٢)، البيضاوي(٣/ ٢١٤)، النفسي(٢/ ٢٥١)،الخازن آية ٩٤،السمين في الدر (٦/ ٢٦٧)، ابن كثير(٤/ ٢٥٧)، ابن عادل (١٠/ ٤٠٩) البقاعي (٣/ ٤٨٧). الشوكاني (٢/ ٤٧٢).

يسأل ،ومثله في العربية أنك تقول لغلامك الذي لا يشكّ في ملكك إياه : إن كنت عبدي فاسمع وأطع . وقال الله تبارك وتعالى لنبيه عيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ١١٦] وهو يعلم أنه لم يقله، فقال الموفق معتذرا بأحسن العذر : ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة :١١٦]."

وقال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد في شكّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوّتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل فاسئل الذين يقر ؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام [1] ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم."

وقال ابن أبي حاتم :" عن ابن عباس في قوله : ﴿إِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾قال: لم يشك رسول الله ولم يسأل."[2]

القول الثاني: إن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاك، وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال السمرقندي :" إن تكون المخاطبة للنبي ﷺ، والمراد فيه غيره من الشُّكّاك، لأ ن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب وهم يخاطبون الرجل بشيء،

---

١ - عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري حليفهم، من بني قينقاع، أسلم لما قدم النبي ﷺ مهاجرا توفي سنة٤٣هـ. الاستيعاب (٣/ ٩٢١)، الأسد (٣/ ٢٦٥).

٢ - وسنده قال:" حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن العلاء، ثنا سعيد بن شرحبيل، ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس."

٣ - السمرقندي(٢/ ١٣٣)، الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٩٤، ابن عطية (٣/ ١٤٢)، ابن الجوزي(٤/ ٥٣) ،القرطبي(٨/ ٣٨٢)،ابن جزي(٢/ ١٨٠).

ويريدون به غيره، كما قالوا : إيّاك أعني واسمعي يا جارية . وكقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١] أراد به الأمة، يدل عليه قوله تعالى في آخره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾[النساء: ٩٤]. وكقوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الزخرف: ٤٥]."

وقال الثعلبي:" وقيل: الخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره من الشاكّين به، كما ذهب العرب في خطابهم الرجل بالشيء ويريدون به غيره، كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[الأحزاب: ١] ،كأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به المؤمنون، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ولم يقل: تعمل."

وقال الواحدي:" هذا في الظّاهر خط ابٌ للنبيِّ ﷺ، والمراد به غيره من الشّاكّين في الدِّين."

وقال البغوي:" هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١] خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ولم يقل " بما تعمل " وقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[الطلاق: ١]."

القول الثالث: إن الخطاب للشاكين والمراد به إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك على لسان محمد فأسأل ... وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال النحاس:" وقال أبو العباس محمد بن يزيد[2]: المعنى يا محمد : قل للشاك إن كنت في شك، فأسأل الذين يقرؤون الكتاب، أي سل من آمن من أهل الكتاب، فيخبرك بصفة النبي ﷺ في كتابه."

وقال السمرقندي:" إن النّاس كانوا على ثلاث مراتب، منهم من كان مؤمناً، ومنهم من كان كافراً، ومنهم من كان شاكاً، وإنّما خاطب بهذا الشّاكَّ."

وقال ابن الجوزي – بعد أن ذكر فيها ثلاثة أقوال –:" والثالث: إن الخطاب للشاكين، فالمعنى : إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد، فسل."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول إن الخطاب للنبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه فهو أقرب الأقوال إلى المعنى الذي يراد. والسبب هو دلالة إن :

فمن قال إن (إن) شرطية، قال : لا يستلزم وقوع الفعل المتعلق بالشرط ، فقد يقع وقد يكون من المستحيل وقوعه كما في هذه الآية .

ومن قال إن (إن) نافية بمعنى : ما كنت في شك مما أنزل إليك ولكن ا سأل حتى تزداد بصيرة ويقينا كما ازداد إبراهيم بمعاينة إحياء الموتى[3].

- وأما القول بأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين واستدلوا بالأدلة المذكورة، فيقال: أن فيه خلافا لمعنى الآية ،

---

١ - النحاس(١/ ٤٩٢)، السمرقندي(٢/ ١٣٣)،ابن الجوزي(٤/ ٥٣)، القرطبي (٨/ ٣٨٢).

٢ - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس، المبرد، إمام النحو، توفي سنة٢٨٠هـ. تاريخ بغداد(٣/ ٣٨٠)، سير أعلام النبلاء(١٣/ ٥٧٦)، البداية والنهاية(١١/ ٧٩).

٣ - ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن(٣/ ٣٢)، الزمخشري في الكشاف(٢/ ٣٧٠).

أما قوله تعالى وكقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فما المانع من أن يكون خطابا للنبي ﷺ والله يقول في سورة المنافقين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ آية[٤] . فيكون المعنى تحذيرا له من سماع المنافقين أو الإعجاب بهم.

ولا مانع من ورود التحذير للمؤمنين من ذات الأمر في آيات آخرى مثل آية [٩٤] سورة النساء التي استدلوا بها.

- وأما القول بأن الخطاب للشاكين ،فهو بعيد الدلالة، مع جواز السؤال لأجل العلم والمعرفة والاطمئنان من كل شاك .

الترجيح:

يترجح القول إن الخطاب النبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه ﷺ ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة إن الشرطية.

٢. لدلالة السياق ، فلغة الخطاب في الآية المفرد (إن كنت) و(فلسأل) و(جاءك) و(لا تكونن) .

٣. ورد أن رسول الله ﷺ قال :((لا أشك ولا أسأل))[1].

٤. لوجود نظير ذلك الخطاب مع نبي الله عيسى عليه السلام قال تعالى﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[المائدة: ١١٦] وهو يعلم أنه لم

---

١ - مصنف عبد الرزاق (١٢٥/٦) رقم(١٠٢١١) قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ. وهو إن لم يصح سندا للانقطاع ، إلا أن معناه صحيح فرسول الله ﷺ **لم يشك ولم يسأل.**

يقله، فقال عيسى عليه السلام : ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة :١١٦].

طبع في . لأنه خطاب مستساغ في اللغة العربية.

تمهيد . لأنه قول فيه تعظيم لمقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها فهو الأولى بتفسير الآية. وهذا من قواعد الترجيح.[1]

والثلاثون . لأن هناك هدفا تخاطب به أمة الإسلام من خلال الآية ، فالخطاب موجه إلى قدوة الأمة ﷺ ، فهم به يقتدون فيقال لهم إن كان الأسوة لم يشك ولم يسأل وهو المعلم من ربه . فالأولى بكم أن لا تفعلوا، فأنتم على حق .

قال البيضاوي: " وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم."

والله تعالى أعلم

١ – انظر قواعد الترجيح(٣٢٨/١).

قال تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[يونس: ٩٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ؟

قال أبو حيان :" قال السدي: إلى حين، إلى وقت انقضاء آجالهم. وقيل: إلى يوم القيامة، وروي عن ابن عباس [1]. ولعله لا يصح، فعلى هذا يكونون باقين أحياء، وسترهم الله عن أعين الناس."[2]

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد إلى وقت انقضاء آجالهم، قاله السدي، وهو قول كثير من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حينٍ يقول : وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة، وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مم اتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها."

وقال النحاس:" إلى حين فناء آجالهم."

وقال السمرقندي :" يعني: إلى منتهى آجالهم."

القول الثاني: المراد إلى يوم القيامة، قاله ابن عباس . وذكره عنه ابن أبي حاتم والماوردي والألوسي.

---

١ - سيأتي ذكر سند الرواية.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٢) (١٩٢/٥). كلمة (أعين) ساقطة من المطبوع.

٣ - الطبري(١١٧/١١)، النحاس(٤٩٣/١)، السمرقندي(١٣٣/٢)، الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٩٨،ابن عطية (١٤٣/٣)،ابن الجوزي (٥٥/٤)، القرطبي (٣٨٣/٨)، البيضاوي (٢١٥/٣)، النسفي (٢٥٣/٢)، ابن جزي(١٨١/٢)، البقاعي(٤٨٩/٣)، الجلالين آية٩٨ ، أبي السعود (١٦٤/٤)، الشوكاني(٢ /٤٧٢)، الألوسي(٥٩١/١١)، ابن عاشور (٢٨٨/١١).

قال ابن أبي حاتم :"عن ابن عباس (□)[1] قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قال: حتى نصير إلى الجنة أو إلى النار."

وقال الماوردي :" إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار، قاله ابن عباس."

وقال الألوسي:" ونقل عن ابن عباس أن المراد إلى يوم القيامة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الأظهر.
- وأما ما نقل عن ابن عباس فقد ورد عنه ما يخالفه .

قال ابن أبي حاتم :"عن ابن عباس(□)[2] : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾قال: الحياة."

ومن المستحيل بقاؤهم إلى يوم القيامة ، فلا خلود لبشر في الدنيا، قال تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

ولأن مقتضى هذا القول أنهم اليوم أحياء إلا أن الله تعالى سترهم عن الناس وهذا مما لا صحة له.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد إلى وقت انقضاء آجالهم ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأنه الأظهر من حيث اللفظ القرآني.
- لدلالة السياق .
- لأنه موافق لسنن الله الكونية من حيث إن ل كل شيء وقتا معلوما حدده الله وينتهي في هذه الحياة.

والله تعالى أعلم

---

١ – وسنده قال :"حدثنا أبي، ثنا محمد بن حاتم الزمي، ثنا عبيدة بن حميد، عن عمار الدهني، عن حميد المدني، عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس.." (١٩٨٩/٦).

٢ – وسنده قال:" حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدالله بن موسى، ثنا إسرائيل عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس .."التفسير(١٩٨٩/٦).

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾[يونس: ١٠٨ - ١٠٩] .

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

هل قوله ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾وقوله ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ من المنسوخ أم المحكم ؟

قال أبو حيان:" وذهب ابن عباس وجماعة إلى أنّ قوله :﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿ وَاصْبِرْ ﴾، منسوخ بآية السيف . وذهب جماعة إلى أنه محكم [1]، وحملوا ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾على أنه ليس بحفيظ على أعمالهم ليجازيهم عليها، بل ذلك لله تعالى . وقوله: ﴿وَاصْبِرْ ﴾ على الصبر على طاعة الله وحمل أثقال الربوة وأداء الرسالة، وعلى هذا لا تعارض بين هاتين الآيتين وبين آية السيف، وإلى هذا مال المحققون."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ قوله:﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ ، ﴿ وَاصْبِرْ﴾ منسوخ بآية السيف. وهو قول كثير من المفسرين[3].

---

١ - المحكم في اللغة :أصله المنع، وأحكمه: أتقنه فاستحكم ومنعه من الفساد. القاموس مادة حكم. واصطلاحا: هو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام. البرهان(٦٨/٢).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ل١٥٦) (١٩٦/٥).

٣ - الطبري(١٢٢/١١)، الثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ١٠٩،ابن عطية (١٤٧/٣)، الرازي (٣١٢/١٧)، القرطبي (٣٨٩/٨)، ابن جزي (١٨٣/٢)، الخازن آية ١٠٩، ابن =

قال الطبري:" قال ابن زيد[1]، في قوله: ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَاصْبِرْ حتى يَحْكُمَ اللَّهَ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ﴾ قال: هذا منسوخ حتى يحكم الله، حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم."

وقال الثعلبي:" قال ابن عباس: نسختها آية القتال."

وقال الواحدي :" ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ﴾ نسخته آية السّيف؛ لأنّ الله سبحانه حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب."

القول الثاني: إنّ قوله:﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾، ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ محكم غير منسوخ. وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾ بحفيظ موكول إليّ أمركم وحملكم على ما أريد، إنما أنا بشير ونذير . ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾لك بالنصرة عليهم والغلبة."

قال ابن الجوزي:" والصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ."

وقال القرطبي:" وقيل: ليس منسوخاً."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول بالنسخ فقد ذكره كثير من المفسرين، ودليلهم:

ما نقل عن ابن عباس، وابن زيد.

=

عادل(١٠/٤٢٠)، الشوكاني (٢/٤٧٦)، الألوسي(١١/٦٠٢).

١ - وسنده قال الطبري:" حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد.."(١١/١٢٢). قال أبو جعفر النحاس في نواسخ القرآن ص ٤٧١ :"فمذهب ابن زيد أنها منسوخة ، وإنما نسخ منها الصبر عليهم.قال: أنزل الله تعالى بعد هذا الأمر بالجهاد والغلظة عليهم ." ويراجع نواسخ القرآن ص٣٧٤.

٢ - الزمخشري(٢/٢٥٥)، والسمرقندي (٢/١٣٣) أشار إلى ذلك. ابن الجوزي(٤/٦٠)، القرطبي (٨/٣٨٩).

- أن كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف وهى قوله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥][1].

- أن قوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩]. مخصص لآية السيف لا ناسخ .

- وأما القول بالإحكام، فدليلهم:

- أن آية السيف نسخت بقوله تعالى ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩] .
- أن آية السيف نسخ أولها آخرها.
- أنه لا تعارض بين الآيات حتى يصار القول بالنسخ.
- أنه لا يصح دعوى ا لنسخ في آية إلا إذا صح التصريح بنقل صريح عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابي بالنسخ . نعم قد نسب ذلك

---

١ – قال ابن العربي :" نسخت مائة وأربعا وعشرين آية ، ثم نسخ آخرها أولها." نقله عنه السيوطي في الإتقان (٣/ ٧٠).

إلى ابن عباس ﷺ ولكن من غير تصريح منه.

- لا يقال بالنسخ وإنما يقال : إن الله تعالى أمر رسوله بالصبر حتى يحكم الله وقد حكم تعالى بقتل الكفار بآية السيف.

الترجيح:

يترجح القول بعدم النسخ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لعدم وجود التعارض بين الآيات .

قال ابن الحصار[1]: " وقد يحكم به – أي النسخ – عند وجود التعارض المقطوع به من علم التأريخ، ليعرف المتقدم والمتأخر."[2]

- لأنه [إذا دار الأمر في الآي بين الإحكام والنسخ، ف الأول هو المرجح] [3]. وهي قاعدة مهمة من قواعد الترجيح.

- لأنه [لا تصح دعوى النسخ في آية ، إلا إذا صح التصريح بنسخها] ،

قال ابن الحصار: " إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ، أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا."

وقال أيضا :" ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ، ولا معارضة بينة؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده ﷺ. والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي

---

١ – عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد ، القرطبي المالكي، أبو المطرف، العلامة قاضي الجماعة،توفي سنة ٤٢٢هـ. سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٧)، شذرات الذهب (٢٢٣/٣)، شجرة النور(١١٣/١).

٢ – الإتقان (٧١/٣).

٣ – محاسن التأويل للقاسمي (٣٧٥/١٥) سورة التوبة آية ٥.

والاجتهاد."[1]

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

من المعنيّ بقوله ﴿ ﴿وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ ؟

قال أبو حيان:" وروي أنه لما نزلت : واصبر، جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: ((**إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**))[2]".[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المعنيّ هم الأنصار فبعد النزول جمعهم الرسول ﷺ وأوصاهم

---

١ - الإتقان (٣/ ٧١).

٢ - الحديث أخرجه البخاري في ص حيحه في عدة مواضع كتاب المساقاة / باب كتابة القطائع ،حديث رقم(٢٣٧٧) من حديث أنس ﷺ دعا النبي ﷺ الأنصار ليقطع لهم بالبحرين ... فقال : ((إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)).

وفي كتاب الخمس / باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم حديث رقم (٣١٤٧)، وفيه قصة توزيع غنائم حنين . وفيه فقال رسول الله ﷺ سترون بعدي أثرة...الحديث.

وفي كتاب مناقب الأنصار / باب فضل الأنصارحديث رقم(٣٧٩٤) قصة قطع البحرين. وفي كتاب الفتن (٤/ ٣١٢) حديث رقم(٧٠٥٢). قال عبد الله بن زيد قال النبي ((اصبروا حتى تلقوني على الحوض)).

وفي صحيح مسلم / كتاب الأمارة حديث رقم(٤٨) عن أسيد بن الحضير في قصة الأنصاري الذي طلب من رسول الله ﷺ أن يستعمله....هكذا ذكرت في كتب الأحاديث ، ولم تذكر رواية بلفظ : لما نزلت{ واصبر} ...الخ.

وقال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف(٤/ ٨٦) حديث رقم(١٨٦):" لما نزلت ﴿ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ جمع رسول الله ﷺ الأنصار...الخ، ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند ، والقصة المذكورة متفق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث، ومن حديث أسيد بن حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك بل سببه قسمة غنائم حنين."ا.هـ

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/ ١٩٧).

بالصبر.وهو قول جماعة من المفسرين،[1] واختاره أبو حيان.[2]

قال الثعلبي:" قال الحسن: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ الأنصار وقد تجمع خيرتهم فقال : ((**إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**)) قال أنس ﷺ: فلم نصبر. فأمرهم بالصبر كما أمره الله به."

وقال الزمخشري :" وروي أنها لما نزل ت جمع رسول اللـه ﷺ الأنصار فقال :((**إنكم ستجدون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني**))."

وقال القرطبي:" وقال ابن عباس: لما نزلت جمع النبيّ ﷺ الأنصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال: ((**إنكم ستجدون بعدي أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**))."

القول الثاني: المعنيّ هو الرسول ﷺ ولم يجمع الأنصار بعد نزول هذه الآية، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل. وَهُوَ خَيرُ الحاكمينَ يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين."

وقال السمرقندي :"﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على تكذيبهم، ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ يعني: يقضي

---

١ - الثعلبي آية١٠٩، الزمخشري(٢/٢٥٥)، القرطبي(٨/٣٨٩)، البقاعي(٣/١٩٥).

٢ - ووجه اختياره أنه ذكره قولا واحدا فقط . وكذا ذكره في النهر الماد بحاشية (٥/١٩٧)البحر المحيط طبعة دار الفكر.

٣ - الطبري(١١/١٢٢)، السمرقندي (٢/١٣٣)، ابن عطية (٣/١٤٧)، الرازي (١٧/٣١٢)، البيضاوي (٣/٢١٨)، النسفي (٢/٢٥٧)، الخازن آية ١٠٩، ابن عادل (١٠/٤٢٠)، أبي السعود(٤/١٧٩)، الألوسي (١١/٦٠٢).

الله تعالى بعذابهم، في الدنيا وفي الآخرة."

وقال ابن عطية:" ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على شقاء الرسالة وما ينالك في الله من الآذى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فقد ذكروا أن الآية سببا في جمع الرسول ﷺ للأنصار وحثهم على الصبر مستدلين بالرواية المذكورة..
- وأما القول الثاني ففد فسروا الآية بالمعنى الدالة عليه، ودليلهم:

ﷺ. أن قوله ﷺ : ((**إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**)). لم يكن بسبب نزول الآية، وإنما له قصة أخري.

ﷻ. أن الرواية بالنص المذكور ، ذكرت في بعض التفاسير بدون إسناد، ولا توجد في كتب الأحاديث التي ذكرته.

الترجيح:

يترجح القول أن المعنيّ في الآية هو الرسول ولم يخصص أحدا من الناس بها وذلك:

ﷺ. لدلالة معنى الآية فإن المعنى بعيد كل البعد عن القصة المذكورة في الحديث .

ﷻ. لأنه [كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو لإجماع الأمة فهو رد]. وهذه قاعدة مهمة من قواعد الترجيح.

آخر ترجيحات سورة يونس ولله الحمد والمنة

والله تعالى أعلم

ترجيحات أبي حيان

في سورة هود

□ قال تعالى ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١].

في الآية مسألتان[1]:

المسألة الأولى

ما معنى قوله ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾؟

المسألة الثانية

ما معنى قوله ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾؟

قال أبو حيان:" وأحكمت صفة له. ومعنى الأحكام: نظمه نظماً رصيناً[2] لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . وهو الموثق في الترصيف . وعلى هذا فالهمزة في أحكمت ليست للنقل، ويجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً، فالمعنى : جعلت حكيمة كقولك : تلك آيات الكتاب الحكيمة على أحد التأويلين في قو له: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ وقيل: من أحكمت الدابة إذا منع ها من الجماح [3] بوضع الحكمة عليها، فا لمعنى: منعت من الفساد[4] كما قال جرير[5]:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا[6]

وعن قتادة:" أحكمت من الباطل "[7]، قال ابن عطية: "(أحكمت) أتقنت."[8]

١- جعلتهما بهذا الوضع لأن فصلهما يؤدي إلى التكرار المخل .

٢ - في المطبوع (رضيا).

٣- من جمح الفرس، كمنع ،جمحا وجموحا وجماحا، وهو جموح : اعتز فارسه ، وغلبه. القاموس ص ٢٧٦.

٤ - في المطبوع (من النساء) واللائق بالسياق ما أثبت من المخطوط .

٥- جرير بن عطية الخطفي التميمي البصري، أبو حرزة شاعر زمانه، شاعر زمانه، مدح خلفاء بني أمية، توفي سنة ١١٠هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٠)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٥)، شذرات الذهب (١/ ١٤١).

٦ - ديوان جرير ص ٧٢، واللسان(٣/ ٩٥٣) (حكم).

أتقنت."[1] شبه ما يحكم من الأمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآن في الأول، ثم فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره عل ى محمد ﷺ فثم على بابها، وهذه طريقة الإحكام والتفصيل . إذ الإحكام صفة ذاتية، والتفصيل إنما هو بحسب من يفصل له، والكتاب أجمعه مح كم مفصل، والإحكام الذي هو ضد النسخ، والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال، إنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك. وحكى الطبري [2] عن بعض المتأولين : أحكمت بالأمر والنهي، وفصلت بالثواب والعقاب . وعن بعضهم : أحكمت من الباطل، وفصلت بالحلال والحرام، ونحو هذا من التخصيص الذي ه و صحيح المعنى، ولكن لا يقتضيه اللفظ. وقيل: فصلت معناه فسرت، وقال الزمخشري : " ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص، أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية، أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة، أو فصل بها ما يحتاج إليه العباد أي بيّن ولخص"[3]."[4]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة عشر قولا:

القول الأول: المراد (أحكمت) نظمت آياته نظماً ر صيناً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . و(فصلت) أي فصلت بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره.وهو قول كثير من المفسرين[5]،

=

١ - سيأتي بيانه في القول الثالث.

٢ - المحرر الوجيز(١٤٨/٣).

٣ - جامع البيان (١٢٢/١١).

٤ - الكشاف (٢٥٧/٢).

٥ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٥) (٢٠١/٥).

٦- الطبري (١٢٢/١١) وهو اختياره وسيأتي ذكره في الترجيح .الواحدي في الوجيز آية ١، الزمخشري (٢٥٧/٢)، الرازي (٣١٤/١٧)، القرطبي (٢/٩)، البيضاوي (٢١٩/٣)، النسفي

=

واختاره أبو حيان[1].

قال الواحدي:" ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾بعجيب النّظم، وبديع المعاني ورصين اللّفظ ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ بُيّنت بالأحكام من الحلال والحرام، وجميع ما يحتاج إليه."

وقال الزمخشري:" نظمت نظما رصينا محكماً لا يقع في نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف."

وقال الرازي:" ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ﴾ نظمت نظماً رصيفاً محكماً لا يقع فيه نقص ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف."

القول الثاني : المراد أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثواب والعقاب.قاله الحسن، وذكره جماعة من المفسرين[2].

قال الطبري:" عن الحسن[3]، في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قال: أحكمت بالأمر والنهي، وفصّلت بالثواب والعقاب."

وقال ابن أبي حاتم :" عن الحسن[4] قال: أحكمت بالأمر والنهي."

وقال الماوردي :" أحكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلت بالثواب

=

(٢٥٨/٢)، ابن جزي (١٨٣/٢)، الخازن آية ١، الشربيني (٤٨/٢)، أبي السعود (١٨٢/٤)، الجمل (٣٧٨/٢)، الشوكاني(٤٧٩/٢)، الألوسي(٩٠٢/١١)، السعدي ص٣٧٦.

١ - النهر الماد (١٩٩/٥).

٢ - الطبري(٦٣/١١)، ابن أبي حاتم (١٩٩٥/٦)، الماوردي والبغوي آية ١، ابن الجوزي(٦١/٤)، البيضاوي (٢١٩/٣)

٣ - وسنده قال الطبري : حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرني أبو محمد الثقفي، عن الحسن." وروى عنه خلاف ذلك قال الطبري :" حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن أبي بكر، عن الحسن، قال : وحدثنا عباد بن العوّام، عن رجل، عن الحسن: أُحْكِمَتْ بالثواب والعقاب ثُمّ فُصّلَتْ بالأمر والنهي."

٤ - وسنده قال : حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبد الحميد الحماني أبو يحيى عن أبي بكر الهذلي عن الحسن.."

والعقاب، قاله الحسن."

القول الثالث: المراد أحكمت آياته من الباطل، ثم فصلت، فبين منها الحلال والحرام، قاله قتادة، وذكره جماعة من المفسرين.[1]

قال الفراء:" (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بالحلال والحرام ، والأمر والنهي."

وقال الطبري:" عن قتادة[2]، قوله: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه، فبين حلاله وحرامه وطاعتهومعصيته."

وقال ابن أبي حاتم :"عن قتادة[3] قال:" ثم فصلت بعلمه فبين حلاله من حرامه وطاعته من معصيته."

وقال الماوردي :" أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة."

القول الرابع: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بأن جعلت آيات ه ذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، ذكره بعض المفسرين.[4]

قال الطبري:" عن مجاهد[5] في قول الله:﴿ ثُمَّ فُصِّلَتۡ ﴾ قال: فسرت."

وقال ابن أبي حاتم :" عن مجاهد[6] في قوله:﴿ ثُمّ فُصّلَتْ﴾ يقول فسرت."

---

١ - الفراء(٢/ ٣)، الطبري (١١/ ٦٣)، ابن أبي حاتم (١٩٩٥/٦)، ابن الجوزي (٤/ ٦١)، القرطبي (٩/ ٢)، ابن كثير(٤/ ٢٦٢)، ابن عادل(١٠/ ٤٢٧)، السيوطي في الدر المنثور(٣٩٨/٤).

٢ - وسنده قال الطبري :"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة

٣ - وسنده قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، ثنا صفوان، ثنا الوليد، ثنا سعيد وخليد ، عن قتادة."

٤ - الطبري(١١/ ٦٣)، ابن أبي حاتم(١٩٩٥/٦)، الماوردي والعز بن عبد السلام آية١ .

٥ - وسنده قال:" حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

٦ -وسنده قال:"حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد."

وقال الماوردي:" أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها مح كمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنى قول مجاهد."

القول الخامس: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ للمعتبرين وفصلت أحكامه للمتقين ذكره الماوردي والعز بن عبد السلام[1] .

قال الماوردي:" أحكمت آياته للمعتبرين، وفصلت آياته للمتقين."

وقال العز بن عبد السلام:" أو أُحكمت آياته للمع تبرين وفُصِلت للمتقين، أو أُحكمت آياته في القلوب وفُصِّلت أحكامه على الأبدان.

القول السادس: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ في القلوب وفصلت أحكامه على الأبدان. ذكره الماوردي والعز بن عبد السلام.

قال الماوردي:"أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان."

وقال العز بن عبد السلام:" أو أُحكمت آياته في القلوب وفُصِّلت أحكامه على الأبدان."

القول السابع: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها . ثم (فصلت) بينت بالأحكام من الحلال والحرام والوعد والوعيد ، وجميع ما يحتاج إليه.وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال السمرقندي:" أحكمت، فلم تنسخ، ثم فُصّلت بالحلال والحرام."

وقال الثعلبي :" قال ابن عباس : أُحكمت آياته : لم تنسخ بكتاب كما

---

١ - الماوري في النكت والعيون ، وتفسير العز بن عبد السلام آية ١.

العز بن عبد السلام هو :عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، توفي سنة ٦٦٠هـ. فوات الوفيات (١/٢٨٧)، النجوم الزاهرة(٧/٢٠٨)، الأعلام(٤/ ٢١).

٢ - السمرقندي(٢/ ١٤١)، الثعلبي والبغوي آية ١، ابن الجوزي (٤/ ٦١)، القرطبي(٩/ ٢)، الخازن آية١.

نسخت الكتب والشرائع بها ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بُيّنت بالأحكام والحلال والحرام."

وقال البغوي: "﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به ﴿ ثُمَّ فُصّلَتْ﴾ بُيّنَتْ بالأحكام والحلال والحرام."

القول الثامن: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أحكمها فليس فيها اختلاف ولا تناقض، و(فصلت) أنزلت شيئاً فشيئاً. وذكره بعض المفسرين.[1]

قال السمرقندي: "ويقال: فصلت، أي: أنزلت شيئاً بعد شيء، فلم تنزل جملة واحدة."

وقال البغوي : "أحكمت أحكمها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض وقيل: فُصلتْ أي: أنزلت شيئاً فشيئاً."

وقال النسفي: "جعلت فصولاً سورة سورة وآية وآية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة."

القول التاسع: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ جمعت في اللوح المحفوظ ، و(فصلت) بالوحي، ذكره بعض المفسرين.[2]

قال ابن الجوزي: "أحكمت بمعنى جمعت."

وقال القرطبي: "وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت في التنزيل."

وقال الشوكاني: "وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت بالوحي."

القول العاشر: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أن الفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة حيث لا تقبل المعارضة، وهذا مشعر بالقوة والإحكام ، و (فصلت) جعلت فصولا سورة سورة، وآية آية . وذكره بعض المفسرين.[3]

---

١ - السمرقندي(٢/ ١٢٢)، البغوي آية١، النسفي(٢/ ٢٥٨)، الخازن آية١.

٢ - ابن الجوزي(٤/ ٦١)، القرطبي(٩/ ٢)، الشوكاني(٢/ ٤٧٩).

٣ - الزمخشري(٢/ ٢٥٧)، الرازي(١٧/ ٣١٤)، الجلالين آية ١ .الشربيني(٢/ ٤٨).

وقال الزمخشري:" أو جعلت فصولاً، سورة سورة، وآية آية . وفرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة."

وقال الرازي:" إن ألفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل المعارضة، وهذا أيضاً مشعر بالقوة والإحكام."

وقال الجلالان:" هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بُـيّنت بالأحكام والقصص والمواعظ."

القول الحادي عشر: معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ جعلت حكيمة كقوله تعالى ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.ذكره بعض المفسرين.[1]

قال الزمخشري :" ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة، من (حكم) بضم الكاف، إذا . صار حكيماً: أي جعلت حكيمة، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]"

وقال البيضاوي:" جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا صار حكيماً لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية."

وقال السمين:" ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة، من (حكم) بضم الكاف، إذا . صار حكيماً: أي جعلت حكيمة، كقوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [لقمان:٢]."

القول الثاني عشر : ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ منعت من الفساد . ذكره بعض المفسرين.[2]

قال الزمخشري:" وقيل: منعت من الفساد."

وقال الرازي:" إن الإحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء."

---

١ - الزمخشري(٢/٢٥٧)، البيضاوي(٣/٢١٩)، السمين(٦/٢٧٨).

٢ - الزمخشري(٢/٢٥٧)، الرازي(١٧/٣١٤)، القرطبي(٩/٢).

وقال القرطبي:" والإحكام منع القول من الفساد، أي نُظمت نظماً مُحْكَماً لا يلحقها تناقض ولا خَلَل."

القول الثالث عشر: معنى(أحكمت) أتقنت، ذكره بعض المفسرين.[1]

قال ابن عطية :"و (أحكمت) معناه أتقنت وأجيدت شبه تحكم الأمور المتقنة الكاملة ، وبهذه الصفة كان القرآن في الأزل ثم فصل بتقطيعه وتنويع أحكامه وأوامره على محمد ﷺ في أزمنة مختلفة."

وقال ابن جزي :"(أحكمت) أي أتقنت فهو من الإحكام للشيء .(ثم فصلت) قيل معناه: بينت، وقيل : قطعت سورة سورة."

وقال الشوكاني :" صارت محكمة متقنة، لا نقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن معنى (أحكمت) هو:نظمت نظماً رصيناً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم. و(فصلت آياته) أي فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره، فهو المعنى الذي يقتضيه اللفظ .
- وأما الأقوال الأخرى فالغالب منها يصح به المعنى، ولك ن لا يقتضيه اللفظ.

ويصح أن يندرج أغلبها تحت القول الأول.

- وأما من قال إنها لم تنسخ بكتاب ...الخ ،فيقال: صحيح أنها لم تنسخ بكتاب آخر، لأن القرآن خاتم الكتب السماوية، ولكن نسخت بعض آياته فعلى هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكما.

الترجيح:

١ - ابن عطية(١٤٨/٣)، ابن جزي(١٨٣/٢)، الشوكاني(٤٧٩/٢).

يترجح القول إن معنى أحكمت آياته هو: نظمت نظماً رصيناً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . و(فصلت آياته) أي فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره، فإنه المعنى الذي يقتضيه اللفـظ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه المعنى الجامع الشامل، جامعا لغالب الأقوال الأخرى، شاملا للفظ المراد.

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه: أحكم الله آياته من الدّخل والخلل والباطل، ثم فصلها بالأمر والنهي . وذلك أن إحكام الشيء إصلاحه وإتقانه، وإحكام آيات القرآن إحكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله . وأما تفصيل آياته فإنه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهي"

٢. لمناسبة ختام الآية.

قال البقاعي :" وما أنسب ختام هذه الآية ل لإحكام والتفصيل بقوله : ﴿من لدن﴾ أي نزلت آياته محكمة مفصلة... من إله ﴿حكيم خبير﴾".[1]

٣. لأن [القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية][2]. وهذه قاعدة مهمة من قواعد الترجيح.

---

١ - نظم الدرر(٣/٤٩٨).

٢ - قواعد الترجيح(٢/٥١١).

قال تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾[هود: ٢].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما معنى(أن) في قوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ﴾؟

قال أبو حيان:" وأن لا تعبدوا يحتمل أن يكون (أن) حرف تفسير، لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر، لأنه لا يحتاج إلى إضمار."[1]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: (أن) حرف تفسير، كأنه قيل : لا تعبدوا إلا الله أو آمركم ألا تعبدوا إلا الله. وهو قول كثير من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال الثعلبي:" يحتمل أن يكون موضع أن رفعاً على مضمر تقديره : وفي ذلك الكتاب أن لا تعبدوا."

وقال البغوي :" أي: وفي ذلك الكتاب : أنْ لا تعبدوا إلاّ الله ويكون محل(أن) رفعاً."

وقال الزمخشري:" أو تكون (أن) مفسرة؛ لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله."

القول الثاني: التقدير (لأنْ لا تعبدوا) أو (بأنْ لا تعبدوا)، فيكون مفعولاً من أجله، ووصلت أنْ بالنهي على معنى (لئلا تعبدوا).وهو قول كثير من

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/ ٢٠١).

٢ - الثعلبي والبغوي آية ٢، الزمخشري (٢/ ٢٥٧)، ابن الجوزي (٤/ ٦٣)،الرازي(١٧/ ٣١٧)، القرطبي (٩/ ٢)، البيضاوي (٣/ ٢١٩)، النسفي (٢/ ٢٥٨)، السمين في الدر (٦/ ٢٨٠)، الشربيني (٢/ ٤٨)، ابن عاشور(١١/ ٣١٥).

المفسرين.[1]

قال الفراء:" في موضع نصب بإلقائك الخافض." وهو الباء. والأصل (بألا تعبدوا).

وقال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم فصّلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الآلهة والأنداد."

وقال النحاس:" يجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعبدوا إلا الله . ويجوز أن يكون المعنى:لئلا تعبدوا."

القول الثالث: (أن) نصبت (لا تعبدوا) فالفعل خبر منفي.ذكره السمين وابن عادل.[2]

قال السمين:" ويجوز أن تكون " لا " نافية، والفعل بعدها منصوبٌ بـ (أنْ) نفسها. وعلى هذه التقادير فـ (أنْ): إما في محلِّ جرٍّ أو نصبٍ أو رفع ، فالجرُّ والنصبُ على أنَّ الأصل : لأنْ لا تعبدوا ، أو بأن لا تعبدوا ، فلما حذف الخافضُ جرى الخلافُ المشهور."

قال ابن عادل:" ويجوز أن تكون (لا) نافية، والفعل بعدها منصوبٌ بـ (أنْ) نفسها. وعلى هذه التقادير فـ (أنْ): إما في محلِّ جرٍّ أو نصبٍ أو رفع ، فالجرُّ والنصبُ على أنَّ الأصل: لأنْ لا تعبدوا، أو بأن لا تعبدوا، فلما حذف الخافضُ جرى الخلافُ المشهور."

القول الرابع: (أن) هي المخففة من الثقيلة، وجملة النهي في موضع الخبر، ذكره

---

١ - الفراء(٢/ ٣)، الطبري(١١/ ١٢٣)،النحاس(١/ ٤٩٩)، الثعلبي الواحدي في الوجيزآية ٢، ابن الجوزي (٤/ ٦٣)،الرازي(١٧/ ٣١٧)، القرطبي (٩/ ٢)، البيضاوي (٣/ ٢١٩)، النسفي (٢/ ٢٥٨)، الخازن آية ٢، السمين في الدر (٦/ ٢٨٠)، الشربيني (٢/ ٤٨)، أبي السعود (٤/ ١٨٢)، ابن عاشور(١١/ ٣١٥).

٢ - السمين في الدر(٦/ ٢٨٠)، ابن عادل في اللباب (١٠/ ٤٢٧).

السمين وابن عادل.

قال السمين:" إن تكون مخففة من الثقيلة، و (لا تعبدوا) جملة نهي في محل رفع خبرا ل(أن) المخففة، واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن محذوف."

وقال ابن عادل:" إن تكون أنْ المخففة من الثّقيلة، و (لا تَعْبُدُوا)جملة نهي في محلِّ رفعٍ خبراً لـ (أنْ) المخففة، واسمها على ما تقرّر ضمير الأمر والشّأن محذوفٌ."

القول الخامس: إن هذا الكلام منقطع عما قبله غبر متصل به اتصالا لفظيا بل هو ابتداء كلام قصد به الإغراء على التوحيد على لسانه ﷺ، وأن ما بعدها في حيز المفعول به لمقدر كأنه قيل : الزموا ترك عبادة غير تعالى، ذكره بعض المفسرين.[1]

قال البيضاوي :" ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ للإغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة الغير كأنه قيل : ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركاً."

وقال ابن جزي :" أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله ﷺ ويدل على ذلك قوله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾."

وقال الشربيني:" إن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبيّ ﷺ إغراءً منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة، ويدلّ عليه قوله ﷺ (إنني لكم منه) أي: الله (نذير) بالعقاب على الشرك (وبشير) بالثواب على التوحيد، كأنه قيل ترك عبادة غير الله تعالى بمعنى اتركوها إنني لكم منه نذير وبشير كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[محمد: ٤] ."

---

١ - البيضاوي (٣/٢١٩)، ابن جزي(٢/١٨٣)، الشربيني(٢/٤٨).الألوسي(١١/٢٠٩).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن (أن) حرف تفسير، كأنه قيل: لا تعبدوا إلا الله أو آمركم ألا تعبدوا إلا الله، هو أظهر الأقوال.
- وأما القول بأن التقدير (لأنْ لا تعبدوا) أو (بأنْ لا تعبدوا)، فيكون مفعولاً من أجله، ووصلت أنْ بالنهي على معنى (لئلا تعبدوا).فهو قول كثير من المفسرين، ويتساوى في القوة مع القول الأول.
- وأما القول بأن (أن) نصبت (لا تعبدوا) فالفعل خبر منفي .أو أنها مخففة من الثقيلة فمن تكلم في القواعد المتعلقة بهما، ذكروا (إن) بالإفراد وليس مع اقترانها بـ(لا) مباشرة. فنستبعد القولين.
- وأما القول بانقطاع الكلام عما قبله فهذا مما لا ينبغي أن يلتفت إليه في هذه الآية.

الترجيح:

يترجح القول أن هذه الآية لها دلالة واضحة في الدعوة إلى عبادة الله وحده سواء قلنا إن (أن) مفسرة أو أنها المصدر المنسبك منها ومن صلتها مفعول لأجله.وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال البقاعي: " أرسلناك به قائلاً : (ألا تعبدوا) أي بوجه من الوجوه (إلا الله) أي الإله الأعظم."[1]

٢. لدلالة المعنى في الآية.

قال الشنقيطي: " هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها : هي أن يعبد الله جل وعلا وحده، ولا

١- نظم الدرر (٣/٤٩٨).

يشرك به في عبادته شيء، لأن قوله جل وعلا: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ الآية ـ صريح في أن آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يعبد الله وحده، سواء قلنا إن (أنه) هي المفسرة. أو أن المصدر المنسبك منها ومن صلتها مفعول من أجله، لأن ضابط (أن) المفسرة أن يكون ما قبلها متضمناً معنى القول، ولا يكون فيه حروف القول.

ووجهه في هذه الآية أن قوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ فيه معنى قول الله تعالى لذلك الإحكام والتفصيل دون حروف القول، فيكون تفسير ذلك هو لا تَعۡبُدُوا إِلا ٱللَّهَ .

وأما على القول بأن المصدر المنسبك من (أن) وصلتها مفعول له فالأمر واضح، فمعنى الآية: أن حاصل تفصيل القرآن هو أن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيء. ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٨]. ومعلوم أن لفظة (إنما)من صيغ الحصر، فكأن جميع ما أوحي إليه منحصر في معنى (لا إله إلا الله)."[1]

والله تعالى أعلم

١- أضواء البيان (٣/ ٧).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر عود الضمير في منه إلى الله أي : إني لكم نذير من جهته وبشير."(1)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود إلى الله . وهو قول كثير من المفسرين،(2) واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" قل يا محمد للناس: إني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والإلوهية له."

وقال السمرقندي:" ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ يعني: قل لهم يا محمد إنني لكم من الله تعالى."

وقال الثعلبي:" ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ من الله."

القول الثاني : الضمير يعود إلى الكتاب . ذكره أبو حيان وابن عادل من المفسرين.(3)

قال أبو حيان :" وقيل: يعود على الكتاب أي : نذير لكم من مخالفته،

1- البحر المحيط (ح5/ ل156) (202/5).

2- الطبري(123/11)،السمرقندي(141/2)، ا لثعلبي والبغوي آية 2، الزمخشري (257/2) ،الرازي (317/17)، القرطبي(2/9)، البيضاوي (219/3)، النسفي(258/2)، الخازن آية2، ابن عادل(427/10)، الشربيني (48/2)، أبي السعود (182/4)، ، الشوكاني (479/2)، الألوسي (2/12)، ابن عاشور(315/11).

3 - أبو حيان في البحر المحيط(202/5)، وابن عادل في اللباب (427/10).

وبشير منه لمن آمن وعمل به."

قال ابن عادل:" إنَّهُ يعودُ على الكتابِ، أي: نذيرٌ لكم من مخالفته، وبشيرٌ منه لمن آمن وعمل صالحاً."

القول الثالث: الضمير يعود على العذاب. وهو قول ابن عطية وابن كثير.[1]

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أي من عقابه وثوابه."

وقال ابن كثير:" وقوله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾أي إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب فاجتمعوا فقال: ((**يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تصبحكم ألستم مصدقي ؟**)) فقالوا: ما جربنا عليك كذباً قال : ((**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**))."[2]

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما كون الضمير يعود إلى الله فهو ظاهر الآية.
- وأما كون الضمير يعود على الكتاب أو على العذاب ففيه بعد من دلالة معنى الآية، وإن صح ما استدل به من الحديث إلا أنه بعيد الدلالة في هذا الموضع .

الترجيح:

يترجح عود الضمير إلى الله، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

---

١ – ابن عطية في المحرر الوجيز(١٤٨/٣)، ابن كثير في تفسيره (٢٦٢/٤).

٢ – صحيح البخاري / كتاب التفسير/ باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾/ حديث رقم(٤٧٧٠).

٢. لأن الأصل في عود الضمير هو أن يعود لأقرب مذكور[1] .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/ ٦٢١).

قال تعالى ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾[هود: ٣].

في الآية سبع مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالمتاع الحسن؟

قال أبو حيان :" والمتاع الحسن الرضا بالميسور والصبر على المقد ور، أو حسن العمل وقطع الأمل، أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية، أو الحلال الذي لا طلب فيه ولا تعب، أو لزوم القناعة وتوفيق الطاعة أقوال . وقال الزمخشري:" يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمة متتابعة"[1]. قال ابن عطية : وقيل:" هو فوائد الدنيا وزينتها"[2]. وهذا ضعيف. لأنّ الكفار يشاركون في ذلك أعظم مشاركة، وربما زادوا على المسلمين في ذلك."[3]

الدراسة:

في المسألة تسعة أقوال[4]:

القول الأول : المراد الرضا بالميسور والصبر على المقدور ، ذكره بعض المفسرين.[5]

١- الكشاف (٢/٣٥٧).

٢ - المحرر الوجيز (٣/١٤٨).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/٢٠٢). ووجه كونه ترجيح عند أبي حيان هو : إقراره لكل ما يصدق عليه مسمى المتاع الحسن، واعتراضه على المعنى الغير مناسب.

٤ - هذه التسعة ليست للحصر ، لأنه قد ذكر بعض المفسرين عبارات أخرى فيما يراد بالمتاع الحسن مختلفة اللفظ قليلا عما ذكرته، متشابه في المعنى معها . لم أذكرها لأنها لا تضيف إلى المسألة فوائد أخرى.

٥ - الماوردي والبغوي والخازن آية ٣.

قال الماوردي : -بعد أن ذكر أن فيها ثلاثة أوجه- " أنه الرضا بالميسور ، والصبر على المقدور."

وقال البغوي :" قال بعضهم : العيش الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور."

وقال الخازن:" قال بعضهم: المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور."

القول الثاني: المراد حسن العمل وقطع الأمل، ذكره أبو حيان.

القول الثالث: المراد النعمة الكافية مع الصحة والعافية ، ذكره السمرقندي[1] وأبو حيان.

قال السمرقندي:" يعني: يُعَيّشْكُمْ في الدنيا عيشاً حسناً في خير وعافية."

القول الرابع: المراد الحلال الذي لا طلب فيه ولا تعب، ذكره أبو حيان.

القول الخامس: المراد لزوم القناعة وتوفيق الطاعة ، ذكره القرطبي[2] وأبو حيان.

قال القرطبي:" هو القناعة بالموجود، وترك الحزن على المفقود."

القول السادس: المراد يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمة متتابعة، ذكره بعض المفسرين[3].

وقال الزمخشري:" يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعمة متتابعة."

وقال ابن الجوزي:" وقال ابن قتيبة: يعمركم وأصل الإمتاع: الإطالة."

وقال القرطبي:" وقيل: يمتّعكم يُعمِّركم؛ وأصل الإمتاع الإطالة، ومنه أَمتع

---

١ - التفسير(٢/ ١٤١).

٢ - الجامع لاحكام القلرآن (٩/ ٢).

٣ - الزمخشري(٢/ ٣٥٧)، ابن الجوزي (٤/ ٦٣)، القرطبي(٩/ ٢).

اللَّهُ بك ومَتّع."

القول السابع: المراد فوائد الدنيا وزينتها، ذكره الطبري[1].

قال الطبري:" وقوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها."

القول الثامن: المراد لا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن هلك قبلكم، ذكره القرطبي والبيضاوي[2].

قال القرطبي :" أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم."

وقال البيضاوي:" أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والأرزاق والآجال."

القول التاسع: المراد العيش في أمن ودعة، ذكره بعض المفسرين[3].

قال الثعلبي:" أي يعيشكم عيشاً في (منن) ودعة وأمن وسعة (رزق)."

وقال الواحدي:" يتفضّل عليكم بالرِّزق والسِّعة."

وقال البغوي:" يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكره المفسرون م ن أقوال يصدق عليها مسمى المتاع الحسن، وإن كان من فوائد الدنيا وزينتها، لأن ذلك مما يعين المؤمن على عمارة الأرض ، فالمؤمن الحق يستخدم نعم الله في طاعة الله ، فيكون مآله إلى خير وجنة ورضوان من الله .

---

١ - جامع البيان(١١/ ١٢٤).

٢ - القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢)، تفسير البيضاوي (٣/ ٢١٩)،

٣ - الثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٣،البيضاوي(٣/ ٢١٩)، ابن عادل (١٠/ ٤٢٧)، الجمل(٢/ ٣٨٠).

- أما الكافر فإنه يستخدم نعم الله في إشباع أهوائه ورغباته، ويكون مآله إلى شر ونار وسخط من الله تعالى .

كما قال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٨].

- ولذا فإن تحقق المتاع الحسن مشروط بشرطين في الآية:

الأول: الاستغفار.

الثاني: التوبة والإقلاع عن المعاصي.

الترجيح:

يترجح أن المراد بالمتاع الحسن هو ما ترتب على الاستغفار والتوبة وهو ما يعطيه الله لأهل الإيمان وينتفعون به وذلك:

١. مصداقا لقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

٢. لأن (المتاع الحسن) خاص بأهل الإيمان، أما الكفار فسمى الله ما أعطاهم من الدنيا (متاعا قليلا).

قال ابن عطية :" ووصف المتاع (بالحسن) إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز وجل وفي ثوابه وفرحه بالتقرب إليه بم فترضاته والسرور بمواعيده والكافر ليس في شيء من هذا ، وأما من قال بأن (المتاع الحسن) هو فوائد الدنيا وزينتها فيضعف بأن الكفرة يتشاركون في ذلك أعظم مشاركة."

المسألة الثانية

ما المراد بالأجل في قوله ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾؟

قال أبو حيان:" والأجل المسمى هو أجل الموت قاله: ابن عباس والحسن. وقال ابن جبير: يوم القيامة."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد هو أجل الموت، قاله ابن عباس والحسن، وهو قول كثير من المفسرين.[2]

قال الطبري:" وقوله:﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ يعني الموت."

وقال ابن أبي حاتم :" عن ابن عباس قوله ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾فهو أجل موت الإنسان."

وقال النحاس:" ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ أي إلى الموت."

القول الثاني :المراد هو يوم القيامة ،قاله ابن جبير، وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال ابن أبي حاتم:" عن سعيد بن جبير[4]، في قوله: ﴿ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾قال:إلى

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/ ٢٠٢).

٢ - الطبري(١١/ ١٢٤)،ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٩٧)،النحاس (١/ ٤٩٩)، السمرقندي(٢/ ١٤١)، الثعلبي والواحدي في الوجيز والماوردي والبغوي آية ٣، الزمخشري(٢/ ٣٥٧)، ابن عطية (٣/ ١٤٨)، ابن الجوزي (٤/ ٦٣)، القرطبي (٩/ ٢)، البيضاوي (٣/ ٢١٩)، النسفي (٢/ ٢٥٨)،ابن جزي (٢/ ١٨٤)، ابن عادل (١٠/ ٤٢٧)،البقاعي (٣/ ٤٩٨)،الجلالين آية٣، الشربيني(٢/ ٤٨)، الشوكاني (٢/ ٤٧٩).

٣ - ابن أبي حاتم(٦/ ١٩٩٧)، والماوردي آية٣، ابن الجوزي(٤/ ٦٣).

٤ - وسنده قال: حدثنا جحا بن حمزة، ثنا يحي بن آدم، ثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن =

يوم القيامة.

وقال الماوردي :-بعد أن ذكر فيها ثلاثة أوجه -" أحدها: إلى يوم القيامة ، قاله سعيد بن جبير."

وقال ابن الجوزي:" إنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير."

القول الثالث: المراد إلى وقت لا يعلمه إلا الله، قاله ابن عباس ،وذكره ابن أبي حاتم والماوردي.[1]

وقال ابن أبي حاتم:"عن ابن عباس[2] قال: لا يعلمه إلا الله."

قال الماوردي :-بعد أن ذكر فيها ثلاثة أوجه -" إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى، قاله ابن عباس."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه الموت فهو أظهر الأقوال.
- وأما القول بأنه يوم القيامه، ففيه بعد لأن مقتضى ذلك أن تطول أعمار هم إلى قيام الساعة، وهذا في غاية البعد بل يستحيل ذلك لمخالفة السنن الكونيه.
- وأما القول بأن المراد إلى وقت لا يعلمه إلا الله، فأجل الإنسان مما لايعلمه إلا الله فيندرج في القول الأول، وكذا يصح اندراجه في القول الثاني.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو الموت وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال في الدلالة على المعنى وأولاها.

=

سعيد.."

١ – ابن أبي حاتم(١٩٩٧/٦)، والماوردي آية٣، الألوسي(٣/٢١).

٢ – وسنده قال:حدثنا يونس بن حبيب ، ثنا أبو داود، عن قيس، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ..."

قال الشوكاني: "﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت مقدّر عند الله، وهو: الموت؛ وقيل: القيامة.. والأوّل: أولى."

٢. لأنه بموت الإنسان ينتهى المتاع الدنيوي وبعد ذلك يؤتي كل ذي فضل فضله.فناسب وجود (الأجل المسمى) بين المتاع الحسن وإيتاء كل الفضل.

فهو مناسب لسياق الآية.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والضمير في (فضله) يحتمل أن يعود على الله تعالى أي : يعطي في الآخرة كل من كان له فضل في عمل الخير، وزيادة ما تفضل به تعالى وزاده. ويحتمل أن يعود على (كل)أي: جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء، كما قال : ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾[هود: ١٥] أي جزاءها. والدرجات تتفاضل في الجنة بتفاضل الطاعات."[١]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين.[٢]

قال الواحدي:" يعني: الجنّة ، وهي فضل الله سبحانه."

وقال ابن عطية:" (فضله) يحتمل أن يعود الضمير فيه على الله عز وجل أي يؤتي الله فضله كل ذي فضل وعمل صالح من المؤمنين ـ وهذا المعنى ما وعد به تعالى وتضعيف الحسنة بعشر أمثالها ومن التضعيف غير المحصور لمن شاء."

وقال ابن الجوزي:" في هاء الكناية قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم في معنى الكلام قولان.

أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنة وخير فضله، وهو الجنة.

والثاني: يؤتيه فضله من الهداية إلى العمل الصالح."

القول الثاني: الضمير يعود على جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا، وهو

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/ ٢٠٢).

٢- الواحدي في الوجيز آية ٣، ابن عطية (١٤٨/٣)، ابن الجوزي (٦٣/٤)،القرطبي(٩/ ٢)، الجمل(٢/ ٣٨٠)، الشوكاني(٢/ ٤٨١).

قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري:" وأما قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ فإنه يعني: يثيب كلّ من تفضل بفضل ماله أو قوّته أو معروفه على غيره محتسبا مريدا به وجه الله، أجْزَلَ ثوابه وفضله في الآخرة."

وقال النحاس:" و قوله: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي من كان له عمل صالح، أوتي ثوابه."

وقال السمرقندي:" ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ يعني: يعطي في الآخرة كل ذي فضل في العمل في الدنيا فضله."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير(هاء الكناية) يعود على الله فهو الظاهر.
- أما القول الثاني فهو راجع إلي القول الأول فكل ما يقوله العبد وما يفعله راجع إلى توفيق الله له وتفضله عليه، وكذلك ثواب ذلك العمل من فضل الله تعالى.

الترجيح:

يترجح عود الضمير على الله تعالى وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. لأن كل أمر أو قول فهو من توفيق الله ،وكذا الثواب والعقاب.
٣. لأن [إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر][2].وهي قاعدة

١ - الطبري (١١/١٢٤)، النحاس(١/٤٩٩)،السمرقندي(٢/١٤١)، الماوردي آية٣ ، الواحدي في الوسيط (٢/٥٦٣)، ابن عطية (٣/١٤٨)، البغوي آية ٣، الزمخشري (٢/٣٥٧)، أبي السعود (٤/١٨٢)،الألوسي(٢١/٣).

٢ - قواعد الترجيح (٢/٥٩٣).

من قواعد الترجيح.

قال القرطبي:" ﴿فَضْلَهُ﴾ أي الجنة، وهي فضل الله؛ فالكناية في قوله : ﴿فَضْلَهُ﴾ ترجع إلى الله تعالى."

والله تعالى أعلم

المسألة الرابعة

ما نوع الفعل في قوله﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنّ تولوا مضارع حذف منه التاء أي : وإنْ تتولوا. وقيل: هو ماض للغائبين، والتقدير قيل لهم: إني أخاف عليكم."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الفعل (تولوا) مضارع حذف منه التاء أي : وإنْ تتولوا، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾وإن تتولوا."

وقال الزمخشري:" وَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾وإن تتولوا."

قال القرطبي:" ويجوز أن يكون مستقبلاً حذفت منه إحدى التاءين والمعنى : قل لهم إن تتولّوا فإني أخاف عليكم."

القول الثاني: الفعل (تولوا) ماض للغائبين، والتقدير قيل لهم : إني أخاف عليكم، وهو قول بعض المفسرين[3] .

قال ابن عطية:" فبعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم."

وقال القرطبي:" و (تَوَلَّوْا) يجوز أن يكون ماضياً ويكون ا لمعنى: وإن تولّوا فقل لهم إني أخاف عليكم."

وقال السمين :" والثاني: أنّه فعلُ ماضٍ مسند لضمير الغائبين ، وجاء الخطابُ على إضمار القولِ ، أي: فقل لـهم: إنِّي أخاف عليكم ، ولولا ذلك

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/٢٠٣).

٢ - الواحدي في الوجيز آية ٣، الزمخشري (٢/٣٥٧)،القرطبي(٩/ ٢)،النسفي (٢/٢٥٨)،ابن جزي (٢/١٨٤)، الجلالين آية٣، أبي السعود (٤/١٨٢)، الشوكاني(٢/ ٤٨١)، الألوسي(٢١/ ٣).

٣ - ابن عطية(٣/١٤٨)، القرطبي(٩/٨)، السمين في الدر(٦/٢٨٣)، أبي السعود(٤/ ١٨٢).

لكان التركيب: فإنِّي أخاف عليهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه فعل مضارع فهو أظهر، وأنسب لصيغة الخطاب في الآية، وهي الحاضر.
- وأما القول بأنه فعل ماضي مقدر فإن تولى إذا عدي بعن لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض ، وترك قربه.
- فلا خلاف في معنى (إن تولوا) في هذه الآية.

الترجيح:

يترجح أنه لا خلاف في معنى ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ في هذه الآية، وذلك:

١. لأن الفعل إن كان مضارعا على القول الأول فالمعنى : إن تعرضوا. فقل لهم: إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير.

وإن كان الفعل ماضيا على القول الثاني : فالمعنى: إن أعرضتم، فقل لهم: إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير. فالمعنى واحد لأن الفعل تعدى بعن.

قال السمين :" فإن تولى إذا عدي بعن لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض، وترك قربه.

فمن الأول: قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١] .

ومن الثاني: قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[آل عمران: ٦٣]."[1]

إلا أن كونه مضارع ا أنسب لصيغة الخطاب في سياق الآية، فالآية كلها على مخاطبة الحاضر.

قال ابن عطية:" ..بعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم،

---

١ – عمدة الحفاظ ص٦٤٤، وكذا ذكره الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٥/ ٢٨٢).

وقال بعضهم معناه فإن تتولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر."

والله تعالى أعلم

المسألة الخامسة

ما أصل الفعل في قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾؟

قال أبو حيان :" وقرأ اليماني ،(□) وعيسى بن عم ر(□): وإن تولوا بضم التاء واللام، وفتح الواو،(□) مضارع وليّ، والأولى مضارع تولى."(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: أصل فعل (تولوا) بضم التاء واللام، وفتح الواو، مضارع وليّ، وهو قول بعض المفسرين.(□)

قال الزمخشري:" وقرئ: (وإن تولوا) من ولي."

وقال البيضاوي:" وقرئ: (وَإِن تَوَلَّوْا) من ولي."

وقال السمين:" وقرأ اليماني وعيسى بن عمر : (تُوَلُّوا) بضمِّ التّاءِ، وفتح الواوِ وضم اللام، وهو مضارعُ (ولَّى)؛ كقولك: زكَّى يزكِّي."

وقال ابن عادل:" وقرأ اليماني وعيسى بن عمر: (تُوَلُّوا) بضمِّ التّاءِ، وفتح

---

١ - لم أقف على ترجمته.

٢ - عيسى بن عمر، أبو عمر الهمداني الكوفي، الإمام المقرئ، العابد، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة ١٥٦هـ. التاريخ الكبير(٦/٣٧٩)، الجرح والتعديل(٦/٢٨٢)، سير أعلام النبلاء(٩/ ١٩٩).

٣ - أورد ابن عطية (١٤٨/٣) هذه القراءة فقال:" وقرأ اليماني وعيسى بن عمر: " وإن تُولُوا "، بضم التاء واللام وإسكان الواو.

وكذا أوردها ابن الجوزي فقال:" وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مجلز، وأبو رجاء : (وإن تولوا) بضم التاء." وهذه القراءة شاذة. الشواذ ٥٩.

وقال أبو البقاء العكبري:" يقرأ بضم التاء والواو واللام مشددة مضمومة، أي تولاهم غيرهم." إعراب القراءات الشواذ(١/٦٥٥).

٤ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/٢٠٢).

٥ - الزمخشري(٢/٣٥٧)،البيضاوي(٣/٢١٩)،السمين(٦/٢٨٣)،ابن عادل (١٠/٤٢٧)،أبي السعود(٤/١٨٢)، الألوسي(٢١/٣).

الواوِ وضم اللام، وهو مضارعُ (ولَّى) ؛ كقولك: زكَّى يزكِّي."

وقال أبو السعود:" وقرىء تُوَلّوا من ولّى."

وقال الألوسي:" وقرأ عيسى بن عمرو، واليماني (تَوَلَّوْا) بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ـ ولى ـ من قولهم: ولى هارباً أي أدبر."

القول الثاني: أصل فعل (تولوا) بضم التاء واللام، وفتح الواو، مضارع تولى، اختاره أبو حيان .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- القراءتان من القراءات الشواذ.
- أما من تطرق إلى هذه القراءة فإنهم أجمعوا على أن تولوا من وليّ. إلا أبا حيان فإنه تفرد بأنه من تولى.

الترجيح:

إن ولّى وتولى بمعنى أعرض.

قال الفيروز آبادي :" وولّى تولية : أدبر، كتولى، وولى الشيء، وولى عنه : أعرض، أو نأى."[1]

وقال عبد الفتاح القاضي [2] :"وقرأ ابن محيصن [3] (وإن تولوا) بضم التاء والواو واللام وهو مضارع ولّي من قولهم ولّى هاربا أي أدبر، وأصله بفتح الواو وإنما ضمت إتباعا لما قبلها أو لما بعدها، وقد قرئ بفتحها- مع ضم

١ - القاموس المحيط ص ١٧٣٢.

٢ - عبد الفتاح القاضي شيخ معهد دسوق الأزهر.

٣ - عمر بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ويقال اسمه محمد، مقبول مات سنة ١٢٣هـ، تهذيب الكمال (٤٢٩/٢١) ، تهذيب التهذيب (٤٧٤/٧)، التقريب ص٤١٥.

التاء واللام أيضا- على الأصل"[1].

والله تعالى أعلم

١ - القراءات الشواذ ص ٥٣.

المسألة السادسة

ما المراد باليوم في قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال. وقيل: هو يوم بدر وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل والسبي والنهب ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال ، وهو قول جماعة من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وقوله:﴿ وإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه فأدبروا مولين عن ذلك، فإني أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله، وذلك يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ."

وقال السمرقندي:" يعني: عذاب النار يوم القيامة."

وقال الثعلبي:" وهو يوم القيامة."

القول الثاني: المراد يوم بدر وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل

---

١ - البحر المحيط (ح٥/١٥٦) (٥/٢٠٢).

٢ - الطبري(١١/١٢٤)، السمرقندي (٢/١٤١)الثعلبي والماوردي آية ٣، الواحدي في الوسيط (٢/٥٦٣)، البغوي آية ٣،الزمخشري(٢/٣٥٧)،ابن عطية (٣/١٤٨)،ابن الجوزي (٤/٦٣)، الرازي (١٧/٣١٧)، العز بن عبد السلام ص ٣٢١،البيضاوي (٣/٢١٩)، النسفي (٢/٢٥٨)،ابن جزي (٢/١٨٤)، الخازن آية ٣،السمين في الدر (٦/٢٨٤)،ابن كثير (٤/٢٦٢)،ابن عادل (١٠/٤٢٧)، الجلالين آية ٣،الشربيني(٢/٤٨)،أبي السعود (٤/١٨٢)،الجمل(٤/٣٨٠)، الشوكاني (٢/٤٧٩)، الألوسي (١٢/٣٠٨)،ابن عاشور(١١/٣١٧).

والسبي والنهب،[1] وهو قول بعض المفسرين.

قال ابن عطية:" ويحتمل أن يريد به يوما من الدنيا كبدر وغيرها."

وقال القرطبي:" وقيل: اليوم الكبير هو يوم بدر وغيره."

وقال الشوكاني:" وقيل: اليوم الكبير يوم بدر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بإنه يوم القيامة فهو قول عامة المفسرين، لأنه اليوم الذي يوعد ويتوعد به الناس كافة.

وهذه الآية والتي قبلها خطاب للناس جميعا، فاللفظ هنا مطلق، والمتتبع للفظ القرآني يجد أنه إذا أطلق اليوم فإنه يراد به يوم القيامة، وإذا قيد فإنه يصاحبه وصف يدل على المراد منه.

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٦٣].

- وأما من قال إنه يوم بدر وغيره فيكون هذا التوعد خاصا بفئة معينة من الناس وهم كفار قريش في عهد النبوة فيكون اللفظ مقيدا.

الترجيح:

يترجح القول بأن اليوم هو يوم القيامة،وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه . وذلك:

---

١ - ابن عطية (١٤٨/٣)، القرطبي(٩/ ٢)، الشوكاني(٤٧٩/٢).

١. لدلالة السياق.

قال ابن عطية:" وهو يؤيد أن " اليوم الكبير " يوم القيامة لأنه توعد به."

٢. لأن هذا هو المعهود من استعمال القرآن والمعهود مقدم على غير المعهود

والله تعالى أعلم

المسألة السابعة

ما الموصوف بقوله تعالى ﴿ كَبِيرٍ﴾؟

قال أبو حيان :" ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال. وقيل: هو يوم بدر وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل والسبي والنهب وأبعد من ذهب إلى أنّ كبير صفة لعذاب، وخفض على الجوار."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : الموصوف بكبير هو يوم القيامة، و هو قول جماعة من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

وقال الماوردي:" ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ﴾ وفيه إضمار وتقدير: فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه."

وقال الزمخشري:" هو يوم القيامة، وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل."

وقال العز بن عبد السلام:" ﴿كَبِيرٍ﴾

يوم القيامة لكبر الأمور فيه."

القول الثاني: الموصوف بكبير هو العذاب، ذكره أبو حيان والسمين وابن عادل والجمل[3].

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦) (٥/ ٢٠٢).

٢ - الماوردي آية٣، الزمخشري (٢/ ٣٥٧)، ابن عبد السلام آية ٣،السمين في الدر (٦/ ٢٨٣)، ابن عادل(١٠/ ٤٢٧)، أبي السعود (٤/ ١٨٢)،الجمل (٤/ ٣٨٠)، الألوسي (١١/ ٢٠٨)، ابن عاشور(١١/ ٣١٧)، الجدول في إعراب القرآن (١٢/ ٢١٧).

٣ - سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل، من أهل منية عجيل (إحدى =

قال السمين:" وقيل: بل " كَبيرٍ " صفةٌ لـ " عذابَ " فهو منصوبٌ، وإنّما خفض على الجوارِ؛ كقوله: " هذا جُحر ضبٍّ خربٍ " بجرّ خَربٍ وهو صفةٌ لـ " جُحْرٌ " .

وقال ابن عادل:" وقيل: بل " كَبيرٍ " صفةٌ لـ " عذابَ " فهو منصوبٌ، وإنّما خفض على الجوارِ؛ كقوله: " هذا جُحر ضبٍّ خربٍ " بجرّ خَربٍ وهو صفةٌ لـ " جُحْرٌ "

وقال الجمل:" وقيل: بل " كَبيرٍ " صفةٌ لـ " عذابَ " فهو منصوبٌ ، وإنّما خفض على الجوارِ؛ كقولهم: " هذا جُحر ضبٍّ خربٍ " بجرّ خَربٍ وهو صفةٌ لـ " جُحْرٌ "

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إن كبير هو وصف ليوم القيامة، فذلك لكبر الأمور والأهوال فيه .

فهو يوم عظيم قال تعالى﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾ [المطففين: ٤ – ٥].

وهو يوم ثقيل قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإنسان: ٢٧].

- وأما من قال إن كبير وصف للعذاب فهو منصوب وإنما خفض على الجوار كقولهم: ﴿**هذا جُحر ضبٍّ خربٍ** ﴾ بجرّ خَربٍ وهو صفةٌ لـ " جُحْرٌ "

فإنه يقال : اللفظ القراني له معان معهودة يفسر بها ،لا يفسر بمجرد الاحتمال النحوي.

الترجيح:

=
قرى الغربية بمصر) توفي سنة١٢٠٤هـ. الأعلام (٣/ ١٣١).

يترجح القول إن كبير هو وصف ليوم القيامة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال القرطبي:" أي يوم القيامة، وهو كبير لما فيه من الأهوال."[١]

٢. لأنه [يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق][٢] وهذه من قواعد الترجيح المهمة.

قال ابن القيم[٣] :" لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام .... بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها.."[٤]

٣. لأن هذا هو المعهود من الاستعمال القرآني.

والله تعالى أعلم

---

١ - الجامع لأحكام القرآن (٣/٩).

٢ - قواعد الترجيح (٦٣٥/٢).

٣ - محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد اللله مشهور بابن قيم الجوزية نسبة إلى مدرسة كان أبوه قيما عليها، إمام حافظ، توفي سنة ٧٥١هـ. البداية والنهاية(٢٤٦/٤)، شذرات الذهب (١٦٨/٦).

٤ - بدائع الفوائد(٢٧/٣) باختصار.

قال تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾[هود: ٥].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما سبب نزول الآية ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾؟

قال أبو حيان:" : نزلت في الأخنس بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس. وعنه أيضاً: في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء . وقيل: في بعض المنافقين، كان إذا مر ب الرسول ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله: عبد الله بن شدّاد[1]. وقيل: في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا، على عداوته كيف يعلم بنا؟ذكره الزجاج[2] "[3]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: نزلت في الأخنس بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر . وهو قول جماعة من المفسرين، [4] واختاره أبو حيان.

---

١ - عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي ، ولد على عهد ﷺ، كان من أهل العلم . الاستيعاب (٩٢٦/٣)، أسد الغابة(٢٧٦/٣)، الإصابة (٥/ ٦٠).

٢ - تهذيب معاني القرآن (٢٨/٣).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٦/ ١٥٧) (٢٠٣/٥).

٤- السمرقندي(١٤١/٢)،الثعلبي آية ٥، الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٤، الزمخشري (٢٥٨/٢)، الخازن آية٥، أبي السعود(١٨٢/٤).

قال السمرقندي:" قال الكلبي: نزلت في شأن أخنس بن شريق."

وقال الثعلبي:" نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو ا لكلام، حلو المنظر، يأتي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره."

وقال الواحدي:" نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام، حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي بقلبه ما يكره."

القول الثاني: نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء.قاله ابن عباس، وهو قول بعض من المفسرين.[1]

قال الطبري:: ...سمعت ابن عباس[2] يقرأ (ألا إنّهُمْ تَثْنَونِي صُدُورُهُمْ) قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء.

وفي رواية أخرى:" سمعت ابن عباس[3] يقرأ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ قال: سألته عنه، فقال: كان ناس يستحيون أن يتخلّوا فيُفْضُوا إلى السماء، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء."

وقال ابن أبي حاتم: " قال سمعت ابن عباس[4] يقول: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط، وهم يفضون إلى السماء

١ - الطبري(١٢٥/١١)،ابن أبي حاتم (١٩٩٨/٦)،النحاس(٥٠٠/١)،ابن الجوزي (٦٤/٤)،ابن كثير (٢٦٣/٤)، السيوطي في الدر المنثور(٤٠٠/٤)،الجلالين آية٥.

٢ - وسنده قال:" حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا أبو أسامة، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس." وهي من القراءات الشواذ انظر المحتسب (٤٤١/١)، وإعراب القراءات الشواذ (٦٥٥/١).

٣ - وسنده قال :" حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال : حدثني: حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول، سمعت ابن عباس."

٤ - وسنده قال :" حدثنا أبي، ثنا ابن أبي سريح، ثنا أبو أسامة ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد، قال سمعت ابن عباس."

يتغشون فيما فنزلت هذه الآية."

وقال النحاس :" أنه سمع ابن عباس [1] يقرأ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾ قال: سألته عنه، فقال: كان ناس يستحيون أن يتخلّوا فيُفْضُوا إلى السماء، وأن يصيبوا فيفضوا إلى السماء.فنزل ذلك فيهم."

القول الثالث: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مر بالرسول ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يرى الرسول . قاله عبد الله بن شداد، وهو قول بعض من المفسرين.[2]

قال الطبري :" عن عبد الله بن شداد بن الهاد [3]، قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ ﴾ قال: من رسول الله ﷺ قال: كان المنافقون إذا مرّوا به ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه، فقال الله:﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾. الآية."

وقال الثعلبي:" عن عبد الله بن شداد : نزلت في بعض المنافقين كان إذا مرّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وتغشّى ثوبه كي لا يراه النبي ﷺ."

وقال الماوردي:" إن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي ﷺغطوا رؤوسهم وثنوا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم."

القول الرابع : نزلت في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا، كيف يعلم بنا .وهو قول جماعة من

---

١ - وسنده قال :" ومن صحيح ما فيه ما حدثناه على بن الحسين، قال :قال الزعفراني : حدثنا: حجاج، قال ابن جريج، أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس."

٢ - الطبري(١٢٥/١١)، الثعلبي والماوردي والبغوي آية٥، الزمخشري (٢٥٨/٢)، القرطبي (٩/ ٤)، السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٤).

٣ - وسنده قال:" حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عبد الله بن شداد بن الهاد."

المفسرين.[1]

قال الطبري:" إن ابن عباس[2]، قرأ (ألا إنّهُمْ تَثْنَونِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس: تثنوني صدورهم : الشك في الله وعمل السيئات . يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يستكبر، أو يستكنّ من الله والله يراه، يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ."

وقال النحاس:" ويروى أن بعضهم قال : أغلوت بابي، وأرخيت ستري، وتغشيت ثوبي، وثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلم الله أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون."

وقال الماوردي:" إن رجلاً قال إذا أغلقت بابي وضربت ستري وتغشيت ثوبي وثنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلمهم اللـه تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون ."

نلاحظ ملمسبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق ، فلم أجد له سنداً غير ما ذكره السمرقندي بأنه قول للكلبي، فإن صحت النسبة له فهو ضعيف، وإن لم تصح فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- أما القول بأنه نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فمدار الروايات المذكورة ابن جريج .

وروايات الطبري ليس فيها تصريح بسبب النزول، وإنما ذكر تفسير الآية . وكذا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فلا حرج، وأيضا فإنه لا يلام على حرصه على الستر.

١- الطبري(١٢٥/١١)، النحاس (٥٠٠/١) ،الماوردي آية ٥ ،ابن عطية (١٥٠/٣)، الرازي (٣١٨/١٧)، البيضاوي (٢١٩/٣)، الثعالبي(١١٧/٢)، الشوكاني(٤٧٩/٢).

٢ – وسنده قال:" حدثنا به محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: أخبرت عن عكرمة، أن ابن عباس."

- أما القول إنها نزلت في بعض المنافقين فهو بعيد، لأ ن أسلوب اللفظ ليس فيه دلالة على مخاطبة المنافقين، وكذا من ذكرها من أهل التفسير لم يذكر تصريحا بالنزول، وإنما ذكرت كبيان معنى ، وأيضا لا يناسب هذا كون الآية مكية.
- أما القول إنها في طائفة قالوا : إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا ص دورنا، كيف يعلم بنا ، فليس فيه تصريح بسبب النزول ، وأسلوب الخطاب لا يناسب الجهلة ، وإنما فيه أسلوب تهديد ووعيد .

الترجيح:

يترجح القول أنها في كفار قريش، وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال وأنسبها للفظ والمعنى.

٢. لأن هذا الفعل فعل الكفار في كل عصر، كما قال نوح عليه السلام عن قومه.

قال تعالى ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾[نوح: ٧].

٣. لدلالة السياق، فالآيات السابقة تتحدث عن الكفار ودعوتهم إلى توحيد الله ..

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾؟

قال أبو حيان :" فالضمير في (منه) على قوله[1] عائد على الله، قال ابن عطية: "وهذا هو الأفصح الأجزل في المعنى"[2] انتهى. ويظهر من بعض أسباب النزول أنه عائد على الرسول ﷺ كما قال ابن عطية . قال:" قيل: إنّ هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ تطامنوا وثنوا صدورهم كالمتستر، وردّوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منهم وكراهية للقائه، وهم يظنون أنّ ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية" انتهى."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على الله ، وهو قول جماعة من المفسرين [4]. واختاره أبو حيان.

وقال الطبري:" لأن قوله:﴿ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله: مِنْهُ عائدة على اسم الله."

قال الزمخشري :" يعني: ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم."

---

١ - أي على قول الزمخشري.

٢ - المحرر الوجيز (٣/ ١٥٠).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٧) (٥/ ٢٠٣).

٤ - الطبري(١١/ ١٢٥)،الزمخشري(٢/ ٢٥٨)،ابن عطية (٣/ ١٥٠)،ابن الجوزي (٤/ ٦٤)، الرازي (١٧/ ٣١٨)، العز بن عبد السلا م آية ٥، البيضاوي (٣/ ٢١٩)،النسفي(٢/ ٢٥٩)، ابن جزي (٢/ ١٨٤)، السمين (٦/ ٢٨٨)، ابن عادل (١٠/ ٤٣٤)،البقاعي(٣/ ٥٠٣)، الشربيني (٢/ ٤٨)، الألوسي (٢١/ ٥١).

وقال ابن عطية:" والضمير في (منه) عائد على الله تعالى ، هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى."

القول الثاني : إن الضمير يعود على الرسول ﷺ، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

وقال السمرقندي:" ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ يعني: من النبي ﷺ."

وقال الثعلبي:" ﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾أي من رسول الله ﷺ."

وقال ابن الجوزي:" في هاء (منه) قولان...

الثاني: إلى رسول الله ﷺ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأن الضمير عائد إلى الله فهو أظهر القولين بدلالة السياق.
- وأما القول بعود الضمير إلى النبي ﷺ فقد استدلوا بما جاء في رواية سبب النزول وهي : نزلت في الأخنس بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير إلى الله ،وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه أظهر القولين.

٢. لدلالة السياق.

قال الطبري:" لأن قوله:﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾ بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله : مِنْهُ عائدة على اسم الله، ولم يجر لمح مد ذكر قبل، . فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن الله . فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون

---

١ - السمرقندي(٢/ ١٤١)، الثعلبي والواحدي في الوجيزآية ٥، ابن الجوزي (٤/ ٦٤)، القرطبي (٩/ ٤)، ابن جزي(٢/ ١٨٤)،ابن عادل(١٠/ ٤٣٤)،الألوسي(٢١/ ٥١).

من ذكر الله أولى . وإذا صحّ أن ذلك كذلك، كان معلوما أنهم لم يحدِّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به، فلما أخبرهم جلّ ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلانيتها على أيّ حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز، فقال : ألاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يعني : يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون."

٣. قرينة ختام الآية فقد أوكل علم السر والعلانية لله وحده ، مع التأكيد على ذلك بقوله ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

والله تعالى أعلم

قال تعالى﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود: ٦] .

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالمستقر والمستودع في الآية؟

قال أبو حيان :" قال ابن عباس : مستقرها حيث تأوى إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن."[1]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: المراد مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن .قاله ابن عباس،وهو اختيار أبي حيان، و قول كثير من المفسرين[2].

قال الفراء:" فمستقرها: حيث تأوي ليلاً أو نهاراً ، ومستودعها: موضعها الذي تموت فيه أوتدفن."

وقال الطبري:" وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً . وَمُسْتَوْدَعَها: الموضع الذي يُودِعها، إما بموتها فيه أو دفنها."

وقال السمرقندي:" يعني: يعلم مستقرها حيث تأوي بالليل، ومستودعها

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٥٨) (٥/٢٠٥) ،والنهر الماد (٥/٢٠٥) بحاشية البحر المحيط ط دار الفكر.

٢ - الفراء(٢/ ٤)، الطبري(١٢/ ٢)، السمرقندي(٢/ ١٤١)،الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٦، ابن عطية (٣/ ١٥٠)،القرطبي(٩/ ٦)،البيضاوي(٣/ ٢٢١)، ابن جزي (٢/١٨٥)، الخازن آية٦،ابن كثير (٤/ ٢٦٤)،ابن عادل(١٠/ ٤٣٤)،السيوطي في الدر المنثور(٤/ ٤٠١). الشربيني (٢/ ٥٢).

حيث تموت، وتدفن."

القول الثاني: المراد مستقرها في الجنة أو في النار، ومستودعها في القبر، وهو قول بعض المفسرين.(١)

قال الثعلبي:" وقيل: يعلم مستقرها في الجنة أو في النار، ومستودعها القبر، ويدلّ عليه قوله تعالى في وصف أهل الجنة والنار : ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾[الفرقان: ٧٦] و﴿ سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[الفرقان: ٦٦]."

وقال الماوردي:" إن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار ، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان."

وقال البغوي:" وقيل: المستقر: الجنة أو النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾[الفرقان: ٧٦]."

القول الثالث: المراد مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب ، قاله مجاهد والضحاك، وهو قول جماعة من المفسرين.(٢)

قال الطبري:" وقال آخرون: مُسْتَقَرّها في الرحم، وَمُسْتَوْدَعَها: في الصلب."

وقال النحاس:" وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب."

وقال السمرقندي :" وقال سعيد بن جبير، ومجاهد : المستقر الرحم، والمستودع الصلب."

القول الرابع: المراد مستقرها في أيام حياتها، ومستودعها حين تموت وحين

---

١ - الثعلبي والماوردي والبغوي آية٦، القرطبي(٩/ ٦)، الخازن آية٦.

٢- الطبري(١٢/ ٢)، النحاس (١/ ٥٠١)، السمرقندي (٢/ ١٤١) ، البغوي آية ٦،ابن عطية (٣/ ١٥٠)، ال قرطبي (٩/ ٦)،البيضاوي(٣/ ٢٢١)،ابن جزي (٢/ ١٨٥)،الخازن آية ٦،ابن كثير (٤/ ٢٦٤)، الجلالين آية٦،الألوسي (١٢/ ٥١)، الثعالبي(٢/ ١١٧).

تبعث. وهو قول بعض من المفسرين.[1]

قال الطبري :" وقال آخرون: الـمستقرّ: فـي الرحم، والـمستودع: حيث تـموت."

وقال السمرقندي:" وروي عن عبد الله بن مسعود، قال: مستقرها الأرحام، ومستودعها الأرض التي تموت فيها."

وقال الجلالان:" ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ بعد الموت أو الرحم."

القول الخامس: ما يستقر عليه عملها، ومستودعها ما تصير إليه ، وهو قول الماوردي.[2]

قال الماوردي :" مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة."

القول السادس: المستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان موجوداً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة . وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال الزمخشري :" والمستقرّ: مكانه من الأرض ومسكنه . والمستودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار، من صلب، أو رحم، أو بيضة."

وقال الرازي:" فالمستقر هو مكانه من الأرض والمستودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار في صلب أو رحم أو بيضة."

وقال النسفي:" (المستقرّ) مكانه من الأرض ومسكنه (وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ) حيث

---

١ - الطبري(٢/١٢)، السمرقندي (٢/١٤١)،البيضاوي(٣/٢٢١)، الجلالين آية ٦، الشربيني (٢/٥٢).

٢ - الماوردي آية٦.

٣ - الزمخشري (٢/٢٥٨)، الرازي(١٧/٣١٩)، النسفي(٢/٢٥٩)، البقاعي(٣/٥٠٢)، الشوكاني (٢/٤٧٩).

كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن ، فهو الأقرب من حيث دلالة اللفظ.
- وأما القول إن المراد مستقرها في الجنة أو في النار، و مستودعها في القبر. فيقال : فغير مناسب لترتبت اللفظ القرآني فذكر المستقر ثم المستودع . والاستقرار في الجنة أو النار يكون بعد الموت والبعث.
- وأما القول بأن المراد مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب. فيقال فيه كالقول السابق.
- وأما القول بأن المراد مستقرها في أيام حياتها، ومستودعها حين تموت وحين تبعث.فيندرج تحت القول الأول.
- وأما القول بأن المراد ما يستقر عليه عملها، ومستودعها ما تصير إليه ، فبعيد لعدم دلالة اللفظ عليه.
- وأما القول بأن المراد المستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان موجوداً قبل الاستقرار م ن صلب أو رحم أو بيضة .فيقال: ترتيب اللفظ لا يدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد مستقرها حيث تأوى إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأنه أظهر الأقوال.
٢. لتوافقه مع دلالة الترتيب في اللفظ القرآني فالمستقر ثم المستودع.
٣. لدلالة السياق.

قال الطبري: " وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه، لأن الله جلّ ثناؤه

أخبر أن ما رزقت الدوابّ من رزق فمنه، فأولـى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرّها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام."

٤. لمناسبة ذكر الأ رض في الآية فالدواب في الأرض ومستقرها الأرض ، ومستودعها في الأرض.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بالكتاب في قوله ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والمستقر والمستودع في اللوح يعني : وذكرها مكتوب فيه مبين. وقيل: الكتاب هنا مجاز، وهو إشارة إلى علم الله، وحمله على الظاهر أولى."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد اللوح المحفوظ. وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" ويعني بقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عدد كل دابة، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها في مستقرّها، ومدة لبثها في مستودعها، كلّ ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها".

وقال السمرقندي:" يعني: المستقر، والمستودع. وبيان كل شيء، ورزق كل دابة، مكتوب في اللوح المحفوظ."

وقال الثعلبي :" ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٥٨) (٥/٢٠٥).

٢ - الطبري(١٢/٢)، المرقندي(٢/١٤١)، الثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي أية ٦، الزمخشري (٢/٢٥٨)،ابن عطية (٢/١٥٠)،القرطبي(٩/٦)، البيضاوي (٣/٢٢١)،النسفي(٢/٢٥٩)، الخازن آية٦، ابن كثير (٤/٢٦٤)، الجلالين آية ٦،الشربيني(٢/٥٢)،أبي السعود (٤/١٨٦)، الشوكاني (٢/٤٧٩)، الألوسي(١٢/٥١)، السعدي ص٣٧٧ .

القول الثاني: المراد إشارة إلى علم الله ، وهو قول بعض المفسرين[1].

قال الزجاج:" أي ثابت من علم الله."

وقال ابن الجوزي:" وقال الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في علم الله عز وجل."

وقال الرازي:" قال الزجاج: المعنى أن ذلك ثابت في علم الله تعالى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بإن الكتاب هو اللوح المحفوظ هو الظاهر.
- وأما القول بإنه إشارة إلى علم الله ، فهو قول ضعيف لعدم الدليل، ولمخالفته لظاهر القرآن.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو : المراد اللوح المحفوظ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لموافقته لظاهر القرآن.

قال ابن عطية:" وهذا ضعيف وحمله على الظاهر أولى."

٢. لدلالة آيات أخري على هذا المعنى.

قال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩].

قال السعدي :" اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي

---

١ – الزجاج تهذيب معاني القرآن (٣/٢٨)، ابن الجوزي(٤/٦٥)، الرازي(١٧/٣١٩).

تقع في السماوات والأرض، الجميع قد أحاط بها علم الله ، وجرى بها قلمه، ونفدت فيها مشيئته، ووسعها رزقه.."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ٧ ﴾[هود: ٧].

في الآية أربع مسائل:

المسألة الأولى

ما الدلالة في قوله ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنّ قوله: وكان عرشه على الماء، تقديره قبل خلق السموات والأرض، وفي هذا دليل على أنّ الماء والعرش كانا مخ لوقين قبل."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: فيه دلالة على أنّ الماء والعرش كانا مخلوقين قبل ، قاله مجاهد وقتادة، وهو قول كثير من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ يقول: وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن."

وقال ابن أبي حاتم :" عن مجاهد[3] في قوله ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ قبل أن يخلق شيئا."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/ ٢٠٥).

٢- الطبري(١٢/ ٣)، ابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٠٥)،السمرقندي(٢/ ١٤١)،الواحدي في الوجيز والبغوي آية٧، ابن الجوزي (٤/ ٦٥)،البيضاوي(٣/ ٢٢١)،النسفي(٢/ ٢٥٩)، الخازن آية ٧،ابن كثير (٤/ ٢٦٥)، ابن عادل(١٠/ ٤٤٠)، البقاعي (٣/ ٥٠٥)،الجلالين آية٧، الشربيني(٢/ ٥٢)، الشوكاني (٢/ ٤٧٩)، الألوسي(١٢/ ٦١)،ابن عاشور(١٢/ ٧).

٣ - وسنده قال: حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد."

وقال السمرقندي:" ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ قبل خلق السموات والأرض، لأنه لم يكن تحته شيء، سوى الماء."

القول الثاني: فيه دلالة على وجود الملائكة قبل خلق العرش وا لماء.وهو قول المعتزلة كما ذكره الرازي[1].

قال الرازي:" وقالت المعتزلة: في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما، لأنه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد ينتفع بالعر ش والماء، لأنه تعالى لما خلقهما فإما أن يكون قد خلقهما لمنفعة أو لا لمنفعة والثاني عبث، فب قي الأول وهو أنه خلقهما لمنفعة، وتلك المنفعة إما أن تكون عائدة إلى الله وهو محال لكونه متعالياً عن النفع والضرر أو إلى الغير فوجب أن يكون ذلك الغير حياً، لأن غير الحي لا ينتفع . وكل من قال بذلك قال ذلك الحي كان من جنس الملائكة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن فيه دلالة على أنّ الماء والعرش كانا مخلوقين قبل ، فهو الظاهر والذي ذهب إليه عامة أهل التفسير؛ ودليلهم:

١. عن ابن حصين [2] وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: أتى قوم رسول الله ﷺ، فدخلوا عليه، فجعل يبشرهم ويقولون: أعطنا حتى ساء ذلك رسول الله ﷺ. ثم خرجوا من عنده، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه، فقالوا: جئنا نسلم على رسول الله ﷺ ونتفقّه في الدين، ونسأله عن بدء هذا الأمر، قال: **((فـاقْبَلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَـمْ يَقْبَلْها أُولَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا))** قالوا: قبلنا فقال رسول الله ﷺ: **((كانَ اللّهُ وَلا شَيْءَ غيرُهُ،**

---

١ - مفاتيح الغيب (١٧/ ٣٢٠).

٢ - عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أسلم عام خيبر، توفي سنة ٥٢هـ بالبصرة. الاستيعاب(١٢٠٨/٣)، أسد الغابة(٢٦٩/٤)، الإصابة(٢٧/٥).

وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ، وكَتَبَ فِي الذِّكْرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)). ثُمَّ أتاني آت، فقال: تلْكَ ناقَتُكَ قَدْ ذَهَبَتْ، فَخَرَجْتُ ينقطع دُوَنها السَّرابُ وَلَوَدِدْتُ أنِّي تَرَكْتُها.[1]

- وأما القول إن فيه دلالة على وجود الملائكة قبل خلق العرش والماء، فهو قول باطل نقلاً وعقلاً .

أما النقل فهو مخالف لما جاء في السنة . وهو المفهوم من حديث عمران بن حصين.

وأما العقل فالله هو الخالق يخلق ويقدر لحكمة، ولا يصح أن يقيس الإنسان بفهمه القاصر أموراً لا مجال للعقل أن يدركها.

الترجيح:

يترجح القول إن فيه دلالة على أنّ الماء والعرش كانا مخلوقين قبل . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة القرآن

٢. لدلالة السنة.

٣. لأن[كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد].[2]

والله تعالى أعلم

---

١ - صحيح البخاري / كتاب التوحيد / باب (وكان عرشه على الماء) حديث رقم٧٤١٨.

٢ - قواعد الترجيح (٢/ ٢١٤).

المسألة الثانية

بم تعلق قوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والظاهر تعليق ليبلوكم بخلق."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنه متعلق بقوله (خلق)، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وقوله:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام، ليبلوكُمْ يقول: ليختبركم، أيُّكم أحسنُ عملاً."

وقال الزمخشري:" ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بخلق، أي خلقهن لحكمة بالغة."

وقال ابن عطية :" وقوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ (خلق) والمعنى أن خلقه إياها كان لهذا."

القول الثاني: إنه متعلق بمحذوف م قدر، وهو قول جماعة من المفسرين .[3]

واختلفوا في التقدير على ثلاثة أقوال :

الأول: تقديره: أعلم بذلك ليبلوكم.

الثاني: تقديره:خلقكم ليبلوكم.

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/ ٢٠٦).

٢ - الطبري(١٢/ ٣)، الزمخشري (٢/ ٢٥٩)، ابن عطية (٣/ ١٥٢)، الرازي (١٧/ ٣٢٠)، القرطبي (٩/ ٨)، البيضاوي (٣/ ٢٢١)، النسفي (٢/ ٢٥٩)، ابن جزي (٢/ ١٨٥)، ابن كثير (٤/ ٢٦٥)، البقاعي (٣/ ٥٠٥) ، الشربيني (٢/ ٥٢)،أبي السعود (٤/ ١٨٦)،الشوكاني(٢/ ٤٧٩)، الألوسي (١٢/ ٦١) ، القاسمي(٦/ ٩٦)، ابن عاشور (١٢/ ٧) ، الشنقيطي(٣/ ١٣)، المراغي(١٢/ ٦).

٣ - الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٧،الخازن آية ٧،السمين (٦/ ٢٩٠)،ابن عادل(١٠/ ٤٤٠).

الثالث: جمل محذوفة والتقدير: وكان خلقه لهما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الأخرى، وفعل ذلك ليبلوكم، وهو قول بعض المفسرين

قال الواحدي:" ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أَيْ: خلقها لكم لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياته."

وقال البغوي:" ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم وهو أعلم."

وقال ا بن عطية :" وقال بعض الناس : هو متعلق بفعل مضمر تقديره أعلم بذلك ليبلوكم، ومقصد هذا القائل: أن هذه المخلوقات لم تكن لسبب البشر."

وقال الخازن:" ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم."

وقال السمين:" في هذه اللام وجهان ،أحدهما:

أنها متعلقة بمحذوف فقيل : تقديره:(أعلم بذلك ليبلوكم)، وقيل : ثم جمل محذوفة والتقدير :(وكان خلقه لهما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الآخرة، وفعل ذلك ليبلوكم)، أو تقديره:(خلقكم ليبلوكم)."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول أنه متعلق بقوله (خلق)، فهو أظهر الأقوال والمعاني . لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات عبثا، وإنما لينتفع بها الناس .

قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾[ص: ٢٧].

وخلقكم أيها الناس لعبادته وليعاملكم مع املة من يختبركم ليعلم إحسان المحسن، وإساءة المسيء.

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات: ٥٦]. قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[المؤمنون: ١١٥].

- أما القول أنه متعلق بمحذوف مقدر ففيه بعد:

لأن تقديره :(أعلم بذلك ليبلوكم). يعطي معنى أن المخلوقات لم تكن بسبب البشر.

وأما تقديره:(خلقكم ليبلوكم). فلا حاجة لهذا التقدير لأن المعنى واضح

وأما تقديره بالجمل المحذوفة فإن فيه تكلف، لأن هذا التقدير يدخل ضمن المعنى المفسر للآية.

الترجيح:

يترجح القول إنه متعلق بقوله (خلق)،وهو قول أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:

١. لدلالة اللام في قوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ وهي لام التعليل.

قال ابن عاشور :" وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾ واللاّم للتعليل."

٢. لوضوح المعنى في الآية.

قال الشنقيطي:" صرح في هذه الآية الكريمة أنه خلق السماوات والأرض لحكمة ابتلاء الخلق، ولم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً . ونزه نفسه تعالى عن ذلك وصرح بأن من ظن ذلك فهو من الذين كفروا وهددهم بالنار، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾[ص: ٢٧] وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] وقال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦] ، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ □ □

[الملك: ٢] إلى غير ذلك من الآيات.."

٣. لدلالة الآيات التي سبق ذكرها . □

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما معنى قوله ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾؟

قال أبو حيان :" ومعنى أيكم أحسن عملاً : أهذا أحسن أم هذا . قال ابن بحر[1]: روي عن النبي ﷺ((**أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله**)) ولو صح هذا التفسير عن الرسول ﷺ لم يعدل عنه . وقال الحسن: أزهد في الله . وقال مقاتل : أتقى لله . وقال الضحاك : أكثركم شكراً."[2]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: المعنى أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله»، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال الطبري:" ﴿لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ يقول: ليختبركم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ يقول: أيكم أحسن له طاعة. كما:

حدثنا عن داود بن المحبر[4]، قال: ثنا عبد الواحد بن زيد[5]، عن كليب

---

١ - لم أعرف من هو ابن بحر ، وهكذا ورد في النسخة الخطية وثلاث نسخ مطبوعة من البحر المحيط ، ولعله تصحيف وهو ابن المحبر كما جاء في جامع البيان للطبري (٣/١٢). وسيأتي.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/ ٢٠٥).

٣ - الطبري(٣/١٢)، الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز آ ية٧،الزمخشري(٢/ ٢٥٩)،ابن الجوزي (٤/ ٦٥)، القرطبي (٩/ ٨)،البيضاوي(٣/ ٢٢١)،النسفي(٢/ ٢٥٩)،أبي السعود (٤/ ١٨٦)، الشربيني(٢/ ٥٢).

٤ - داود بن المحبر الطائي، ويقال : الثقفي. صاحب كتاب العقل، قال البخاري : منكر الحديث، وقال أحمد: شبه لاشيء لايدري ما الحديث، قال ابن حجر :متروك الحديث، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات، مات سنة٢٠٦هـ .التأريخ الكبير للبخاري(٣/ ٢٤٤)،الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(٣/ ٤٢٤)،التقريب رقم١٨١١.

بن وائل [□]، عن عبد الله بن عمر، عن النبيّ ﷺ : أنه تلا هذه الآية :
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: ((**أَيُّكُمْ أحْسَنُ عَقْلاً، وأوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وأسْرَعُ فِي طاعَةِ اللَّهِ**)).

وقال الثعلبي:" روى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺأنه قال: ((**ليبلوكم أيّكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله**))."

وقال الماوردي :" ما روى كليب بن وائل عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ **أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلاً وَأَوْرَعُ عَن مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسَرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ**"

القول الثاني: المعنى أيكم أزهد في الله ، قاله الحسن، وهو قول جماعة من المفسرين.[□]

وقال السمرقندي:" يعني: ليختبركم أيكم أحسن أي أخلص عملاً، وأزهد في الدنيا. والاختبار من الله تعالى، هو إظهار ما يعلم من خلقه."

وقال الثعلبي:" قال ابن عباس : أيّكم أعمل بطاعة الله ." قال مقاتل: أيّكم أتقى لله، الحسن: أيّكم أزهد في الدنيا زاهداً وأقوى لها تركاً."

وقال الماوردي –بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه –:" أيكم أزهد في الدنيا ، وهو قول سفيان."

=

١ – عبد الواحد بن زيد البصري، القاص، قال البخاري : منكر الحديث يذكر بالقدر، وقال أيضا : تركوه. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الجوزجاني: سيء المذهب ليس من معادن الصدق . أحوال الرجال للجوزجاني رقم١٨٩،ميزان الاعتدال(٦٧٢/٢)، تعجيل المنفعة ص١٧٧.

٢ – كليب بن وائل التيمي البكري صدوق روى عن ابن عمر . التاريخ الكبير(٢٢٩/٧)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(١٦٧/٧)، التقريب ص٤٦٢.

٣ – السمرقندي(١٤١/٢)،الثعلبي والماوردي آية٧، الشوكاني(٤٧٩/٢)، الألوسي(٦١/١٢).

القول الثالث:المعنى أيكم أتقى لله، قاله مقاتل، ذكره بعض المفسرين.[1]

قال البغوي:" أَعْمَلُ بطاعة الله وأَوْرَعُ عن محارم الله تعالى."

وقال القرطبي:" مقاتل: أيكم أتقى لله."

وقال الشوكاني:" وقيل: الأتقى لله."

القول الرابع : المعنى أيكم أكثركم شكراً ، قاله الضحاك . ذكره جماعة من المفسرين.[2]

وقال الماوردي –بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه -:" الثالث: أيكم أكثر شكراً، قاله الضحاك."

وقال القرطبي:" الضّحاك: أيكم أكثر شكراً."

وقال النسفي:" أكثر شكراً."

القول الخامس: المعنى أيكم أتم عقلا. قاله قتادة وذكره بعض المفسرين.[3]

وقال الماوردي – بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه- :" يعني أيكم أتم عقلاً."، قاله قتادة.

وقال ابن الجوزي –بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه-:" أيكم أتم عقلا، قاله قتادة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما ما ذكره المفسرون من أقوال السلف رحمهم الله تعالى ،فهي تكمل بعضها، وتصلح لتفسير معنى الآية، لأنه لا يراد معنى واحداً من هذه المعاني بذاته.

---

١ - تفسير البغوي آية٧ولم ينسبه لأحد.القرطبي(٩/٨)، الشوكاني(٢/٤٧٩).

٢ - الماوردي آية٧، القرطبي(٩/٨)، النسفي(٢/٢٥٩)، الشوكاني(٢/٤٧٩).

٣ - الماوردي آية٧، ابن الجوزي (٤/٦٥). وذكر ابن أبي حاتم(٦/٢٠٠٦) والقرطبي (٩/٨) عنه بلفظ (أيكم أتم عملا.)

- إلا أن هذه المعاني لابد فيها من أمرين وركنين أساسيين لقبولها. هما:

١. الإخلاص لله تعالى.

٢. متابعة النبي ﷺ .

ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وليس أكثر عملا.

الترجيح:

يترجح القول بأن المعاني المذكورة محتملة لتفسير معنى الآية مع توافر شرطي، الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ.وذلك:

١. لدلالة اللفظ القرآني، فإنه تعالى قال ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾وليس أكثر عملا.

قال ابن كثير : " ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصا لله ﷻ على شريعة رسول الله ﷺ فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين حبط وبطل."[1]

قال الفضيل بن عياض[2]: " ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي : ما أخلصه و أصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: أن يكون لوجه الله،والصواب :أن يكون متبعا فيه الشرع

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٥).

٢ - الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخرساني، أبو على، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، توفي سنة ١٨٧هـ. التاريخ(٧/١٢٣)، الجرح والتعديل(٧/٧٣)، سير أعلام النبلاء(٨/ ٤٢١).

والسنة."[1]

٢. لصيغة الخطاب في مدلولها.

قال أبو السعود:" إيراد صيغة التفضيل مع الابتلاء شامل للفريقين[2] باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط."[3]

والله تعالى أعلم

---

١ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي. ص٣٧٧.

٢ - الفريقان من المحتمل أن يكون المراد بهما الثقلين . كما قال ابن جريج وذكره الطبري عنه (١٥/ ٢٥١) ويحتمل أن يكونا المؤمنين والكافرين ، ويكون كلام أبي السعود تعقبيا لما ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٠٨) قال:" فإن قلت كيف قيل : ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن، فأمّا أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح؟ قلت: الذين هم أحسن عملا هم المتقون، وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده، فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفاً لهم وتنبيهاً على مكانهم منه، وليكون ذلك لطفاً للسامعين، وترغيباً في حيازة فضلهم."

٣ - إرشاد العقل السليم (٤/ ١٨٦).

المسألة الرابعة

ما المشار إليه في قوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر الإشارة بهذا إلى القول أي : إن قولك إنكم مبعوثون إلا سحر أي بطلان هذا القول كبطلان السحر، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلت عليه الجملة من البعث . أي: إن البعث. وقيل: أشاروا بهذا إلى القرآن، وهو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره "[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن المشار إليه هو القول بالبعث بعد الموت، وحقيقته، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال السمرقندي:" ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ما هذا إلا كذب بين حيث يخبرنا أنه يكون البعث."

وقال الواحدي:" ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ للكفَّار بعد خلق الله السّموات والأرض وبيان قدرته ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾كذّبوا بذلك وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيْ: باطلٌ وخداعٌ."

وقال ابن عطية :" ومعنى الآية : إن الله عز وجل هذه صفاته وهؤلاء بكفرهم في حيز إن قلت لهم: إنهم مبعوثون كذبوا وقالوا: هذا سحر."

١- البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٢٠٥/٥).

٢ - الطبري(١٢/ ٣)، السمرقندي (٢/ ١٤١)،الواحدي في الوجيز آية ٧، ابن عطية (٣/ ٥٢)، البيضاوي (٣/ ٢٣١)،ابن كثير (٢٦٥/٤)، البقاعي (٥٠٥/٣)، أبي السعود (١٨٦/٤)، الألوسي (١٢/ ٦١).

القول الثاني: إن المشار إليه هو القرآن. وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الثعلبي:" يعنون القرآن."

وقال البغوي:" يعنون القرآن."

وقال الزمخشري:" أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره."

القول الثالث : إن المشار إليه هو النبي محمد ﷺ على قراءة حمزة[2] والكسائي[3] (ساحر)[4] ، ذكره بعض المفسرين.[5]

قال الرازي :" قرأ حمزة والكسائي (إن هذا إلا سِاحر) يريدون النبي ﷺ والساحر كاذب."

وقال البيضاوي:" وقرأ حمزة والكسائي (إلا ساحر) على أن الإشارة إلى القائل."

وقال النسفي:" ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل."

---

١ - الثعلبي والبغوي آية ٧، الزمخشري(٢/ ٢٥٩)،الرازي(١٧/ ٣٢٠)،البيضاوي(٣/ ٢٢١)، النسفي (٢٥٩/٢)، ابن جزي (١٨٥/٢)،الخازن آية ٧، ابن عادل (١٠/ ٤٤٠)، أبي السعود (٤/ ٨٦)، الشوكاني (٤٧٩/٢)، الألوسي (١٢/ ٦١).

٢ - حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، مولاهم الكوفي الزّيّات، أبو عمارة ، الإمام القدوة شيخ القراءة توفي سنة ١٥٦هـ. طبقات بن سعد (٦/ ٣٨٥)، التاريخ الكبير (٣/ ٥٢)، سير أعلام النبلاء(٧/ ٩٠).

٣ - علي بن حمزة بن فيروز الأسدي، مولاهم الكو في، أبو الحسن، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، الإمام، شيخ القراءة والعربية توفي سنة ١٨٩هـ. تاريخ بغداد (١١/ ٤٠٣)، سير أعلام النبلاء(٩/ ١٣١)، غاية النهاية(١/ ٥٣٥).

٤ - قرأ الجمهور(سحر) وقرأ حمزة والكسائي وخلف (ساحر) انظر: التيسير ص ١٠١ ، النشر (١٩٢/٢)، إتحاف فضلاء البشر ص٣١٨، غيث النفع ص ٣٠٤.

٥ - الرازي (١٧/ ٣٢٠)، البيضاوي(٣/ ٢٢١)، النسفي(٢/ ٢٥٩).ابن عادل(١٠/ ٤٤٠)، الثعالبي (١١٧/٢).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المشار إليه هو القول بالبعث بعد الموت، فوجهه :
إنهم شبهوا البعث في حقيقة وقوعه بالسحر من حيث بطلانهما .
وكذا من حيث أن من وسائل السحر الأقوال المستحيلة والبهتان، فهم يكذبون بالبعث ويقرون بعدم إمكان وقوعه كما هو السحر عندهم .
ويجاب عن ذلك : إن وجه التشبيه غير واضح ولا ملائم؛ لأن السحر مما يعتقد به الكافر ويؤمن به وبإمكانية حصوله لا ينكره بل يلجأ إليه في الغالب لفساد المعتقد . والسحر بالنسبة إليهم موجود ظاهرا وأما نفس البعث فهو منكر معدوم . لذا فإن هذا القول ليس هو المشار إليه بل هو جزء مما ورد فيه.
- وأما القول إن المشار إليه هو القرآن ، فهذا مما دل عليه السياق.
- وأما القول إنه النبي محمد ﷺ فهذا ظاهر من القراءة المستدل بها . وهي من القراءات السبع.

الترجيح:

يترجح القول إن المشار إليه هو القرآن على قراءة ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، وذلك:

١. لدلالة السياق؛ فإن الإخبار بالبعث من خلال الآيات التي تتلى.

قال الطبري :" وقوله:﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي، ليقولن إن هذا إلا سح ر مبين أي ما هذا الذي

تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه، مبين حقيقته أنه سحر."

٢. لقرينة تدل على ذلك من حيث إن للقرآن تأثيراً عجيباً على سامعيه، ولاسيما إن كان ممن يفهم اللغة التي نزل بها، وهؤلاء المعاند ون الذي يشعرون بتأثير هذا القرآن في أسماعهم وقلوبهم لا يستطيعون إيجاد الوصف الحقيقي له وإنما أعظم ما يعرفونه هو السحر، فيظنون بزعمهم أن هذا مؤثر كتأثير السحر على المسحور، سرعان ما يتلاشى بزوال العارض. ولقد قاله كبيرهم فيما حكى الله تعالى عنه ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) ﴾[المدثر: ١٨ – ٢٥].

٣. وقد وردت آيات أخرى تذكر وصف الكفار للقرآن بالسحر قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) ﴾[سبأ: ٤٣].

٤. لأن هذا القول يندرج فيه القول بالبعث . فكل ما أخبر الله به عن البعث فقد جاء في آيات تتلى .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) ﴾[هود: ٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالعذاب في قوله ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾؟

قال أبو حيان : " ولئن أخرنا حكى تعالى نوعاً آخر من أباطيلهم واستهزائهم، والعذاب هنا عذاب القيامة . وقيل: عذاب يوم بدر . وعن ابن عباس: قتل جبريل المستهزئين،[1] والظاهر العذاب الموعود به."[2]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد به عذاب يوم القيامة.وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال الزمخشري:" ﴿الْعَذَابَ﴾عذاب الآخرة."

وقال الرازي :" الأول: قال الحسن: معنى حكم الله في هذه الآية أنه لا يعذب أحداً منهم بعذاب الاستئصال وأخر ذلك إلى يوم القيامة، فلما أخر الله عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي حبسه عنا."

وقال النسفي :" ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾الآخرة."

١- وهم خمسة من رؤساء أهل مكة وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن يغوث ، والحارث بن الطلاطلة أهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر في يوم واحد ، لاستهزائهم بالرسول ﷺ. ذكرقصتهم الطبري والبغوي والقرطبي وابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر:٩٥]. وكذا ذكرها ابن إسحاق في سيرته ص ٢٥٤، وابن هشام (٢/ ٤٠-٤١).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/ ٢٠٦).

٣ - الكشاف (٢/ ٢٥٩)، الرازي (١٧/ ٣٢١)، النسفي (٢/ ٢٥٩)،ابن جزي (٢/ ١٨٥)،أبي السعود (٤/ ١٨٦)، الألوسي(١٢/ ٨١)، القاسمي(٦/ ٩٨).

القول الثاني: المراد به عذاب يوم بدر، وذكره جماعة من المفسرين.[1]

قال الزمخشري:" وقيل: عذاب يوم بدر."

وقال الرازي :" والثاني: أن المراد الأمر بالجهاد وما نزل بهم يوم بدر، وعلى هذا الوجه تأولوا قوله : ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾أي نزل بهم هذا العذاب يوم بدر."

وقال النسفي :" أو عذاب يوم بدر."

القول الثالث: المراد به العذاب الموعود به، وهو شامل للعذاب في الدنيا سواء كان في الجهاد أو غيره، سواء كان فيه استئصال للكفار أم لا، وهو قول جماعة من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب فلم نعجله لهم، وأنسأنا في آجالهم إلى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة."

وقال ابن عطية:" المعنى: ولئن تأخر العذاب الذي توعدتم به عن الله قالوا ما هذا الحابس لهذا العذاب ؟ على جهة التكذيب."

وقال البيضاوي:" ﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ ﴾ الموعود."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به عذاب يوم القيامة، فهو مندرج في القول إن المراد به العذاب الموعود به.
- وأما القول إن المراد عذاب يوم بدر . وعن ابن عباس : قتل

---

١ - الكشاف (٢/٢٥٩)، الرازي (١٧/٣٢١)، النسفي (٢/٢٥٩)،ابن عادل (١٠/٤٤٢)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الألوسي(١٢/ ٨١)، القاسمي(٦/٩٨).

٢ - الطبري(١٢/٥)، ابن عطية (٣/١٥٢)، البيضاوي (٣/٢٢١)، ابن كثير (٤/٢٦٥)،ابن عادل (١٠/٤٤٢)، البقاعي(٣/٥٠٥)، أبي السعود(٤/١٨٦)، الألوسي(١٢/ ٨١)، الثعالبي(٢/١١٧).

جبريل المستهزئين،

فيقال: لم خص يوم بدر بذلك مع أنه وقع العذاب لهم في عدة معارك.

وكذا فإن ما ذكر عن ابن عباس فلا يناسب أن يكون دليلا لهذا القول وذلك لأن قتل المستهزئين وقع قبل يوم بدر، كما ذكره بعض المفسرين وأهل السير.

- وأما القول إن المراد به العذاب الموعود به، فهو أنسب الأقوال ، وسيأتي بيان ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد به العذاب الموعود به،وهو شامل للعذاب في الدنيا سواء كان في الجهاد أم غيره، سواء كان فيه استئصال ل لكفار أم لا، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه قول عام يندرج تحته الأقوال الأخرى.

٢. الأنسب في مقام الخطاب والمخاطبين . فالخطاب تهديد ووعيد ، والمخاطبين الكفار حالهم مع الأنبياء لا يتغير تكذيباً وعناداً واستكباراً واستهزاء واستعجالاً للعذاب ، سواء كان عذاب الدنيا أم الآخرة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: ٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالإنسان في الآية؟

قال أبو حيان: " والظاهر أنّ الإنسان هنا هو جنس، والمعنى إن هذا الخلق في سجايا النا س، ثم استثنى منهم الذين ردّتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح، ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله: إلا الذين صبروا متصلاً."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بالإنسان هو جنس الإنسان، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: " (ٱلإنسـٰنَ) للجنس."

وقال ابن عطية: " و (الإنسان) ها هنا اسم الجنس والمعنى أن هذا الخلق في سجية الناس."

وقال ابن الجوزي - وقد ذكر فيها ثلاثة أقوال -: "والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس."

القول الثاني: المراد بالإنسان هو الكافر، وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/ ٢٠٦).

٢ - الزمخشري(٢/ ٥٩)، ابن عطية (٣/ ١٥٣)،ابن الجوزي(٤/ ٦٦)،الرازي(١٧/ ٣٢٣)، البيضاوي (٣/ ٢٢٢)، النسفي (٢/ ٢٦١)،ابن عادل (١٠/ ٤٤٤)، الشوكاني (٢/ ٤٨٤)، الألوسي (١٢/ ٨٢)، الثعالبي (٢/ ١١٨).

٣ - الرازي (١٧/ ٣٢٣)، القرطبي(٩/ ١٠)، الجلالين آية٩.

قال الرازي :" والقول الثاني : أن المراد منه الكافر، ويدل عليه وجوه :
الأول: إن الأصل في المفرد المحلى بالألف واللام أن يحمل على المعهود السابق لولا المانع، وههنا لا مانع فوجب حمله عليه ، والمعهود السابق ه و الكافر المذكور في الآية المتقدمة.
الثاني: أن الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر لأنه وصفه بكونه يؤساً، وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف: ٨٧] ووصفه أيضاً بكونه كفوراً، وهو تصريح بالكفر ووصفه أيضاً بأنه عند وجدان الراحة يقول: ذهب السيئات عني، وذلك جراءة على الله تعالى، ووصفه أيضاً بكونه فرحاً و ﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[القصص: ٧٦] ووصفه أيضاً بكونه فخوراً، وذلك ليس من صفات أهل الدين."

وقال القرطبي:" الإنسان اسم شائع للجنس في جميع الكفار."

وقال الجلالان :" ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾الكافر."

القول الثالث: المراد بالإنسان هو إنسان معين في عهد النبي ﷺ نزلت فيه الآية ، فقيل : هو الوليد بن المغيرة، وقيل : هو عبد الله بن أمية المخزومي. ذكره الواحدي وابن الجوزي والقرطبي.[1]

قال الواحدي:" قال ابن عباس: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال غيره: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي."

وقال ابن الجوزي:" اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال.:

١ - الواحدي في الوسيط (٥٦٦/٢)، ابن الجوزي في زادالمسير (٦٦/٤)، القرطبي في جامع أحكام القرآن (١٠/٩).

أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس.

والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي."

وقال القرطبي:" ويقال: إن الإنسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت. وقيل: في عبد الله بن أبي أميّة المخزوميّ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول المراد بالإنسان هو جنس الإنسان فهو أظهر الأقوال ، وسيأتي بيان ذلك.
- وأما القول المراد بالإنسا ن هو الكافر بدلالة لفظ كفور، وهو تصريح بالكفر.

فيقال: إن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان فالقول به مردود لما سبق.

- وأما القول المراد بالإنسان هو إنسان معين في عهد النبي ﷺ نزلت فيه الآية .

فيقال: على فرض صحة القول فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الترجيح:

يترجح القول إن القول المراد بالإنسان هو جنس الإنسان، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:

1. لدلالة السياق .

قال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾[هود: ٩ – ١١] .

قال الرازي:" إنه تعالى استثنى منه قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، فثبت أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر."

2. لدلالة النظائر القرآنية.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المعارج: ١٩ - ٢٣].

وقال تعالى ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾سورة العصر .

3. لأنه أظهر الأقوال من حيث تناسب المدلول مع اللفظ.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾[هود: ١٢] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر عود الضمير في به على بعض . وقيل: على ما، وقيل: على التبليغ، وقيل: على التكذيب."[1]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على (بعض).وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية :" والضمير في (به) عائد على (البعض). "

وقال القرطبي:" والهاء في (به) تعود على بعض."

وقال السمين :" والهاء في (به) تعود على (بعض)."

القول الثاني: الضمير يعود على (ما)،وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحي إليك صدرك فلا تبلغه إياهم مخافة أنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَـيْهِ كَنْزٌ أوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٥٩) (٥/٢٠٨).

٢ - ابن عطية (٣/١٥٤)، القرطبي (٩/ ١١)، السمين (٦/ ٢٩٤)، الجمل (٢/ ٣٨٣)، الشوكاني (٤/ ٤٨٦)،الألوسي (١٢/ ١٩)،الثعالبي(٢/ ١١٨).

٣ - الطبري(١٢/ ٧)،ابن عطية(٣/ ١٥٤)، القرطبي (٩/ ١١)، السمين (٦/ ٢٩٤)، الشوكاني (٤/ ٤٨٦). ابن عاشور(١٢/ ١٥)،الثعالبي(٢/ ١١٨).

له مصدّق بأنه لله رسول."

وقال ابن عطية :" ويحتمل أن يعود على (ما)."

وقال القرطبي :" والهاء في (به) تعود على (ما)."

القول الثالث: الضمير يعود على التبليغ ، ذكره بعض المفسرين.(□)

قال السمرقندي :" ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ في البلاغ."

قال الزمخشري:" ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾بأن تتلوه عليهم."

وقال ابن الجوزي :" وفي معنى الآية قولان.

أحدهما: فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة، وضائق بما كلفته من ذلك صدرك، خشية أن يقولوا. لولا أنزل عليه كنز."

وقال القرطبي:" أو على التبليغ."

القول الرابع: الضمير يعود على التكذيب.ذكره بعض المفسرين.(□)

قال القرطبي:" أو التكذيب."

وقال أبو حيان:" وقيل: على التكذيب."

وقال السمين:" وقيل: على التكذيب."

القول الخام س: الضمير يعود على قوله (أن يقولوا). وهو قول بعض المفسرين.(□)

قال الواحدي:" الضائق بمعنى الضيق، قال ابن الأنباري :" أن في موضع

---

١ - السمرقندي(٢/١٤١)، الزمخشري (٢/ ٢٦٠)، ابن الجوزي (٤/٦٨)، القرطبي (٩/ ١١)، البيضاوي (٣/ ٢٢٤)، الخازن آية ١٢، الجلالين آية ١٢، الشربيني (٢/ ٥٢)،أبي السعود (٤/ ١٨٦)، الجمل (٢/ ٣٨٣)، الألوسي(١٢/ ٤٢)، القاسمي(٦/ ١٠١).

٢ - القرطبي (٩/ ١١)، أبي حيان(٥/ ٢٠٨)، السمين(٦/ ٢٩٤)، الألوسي(١٢/ ٤٢).

٣ - الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٦)، البغوي آية ١٢، ابن الجوزي(٤/ ٦٨)،الرازي(١٧/ ٢٠١)،ابن جزي (٢/ ١٨٦)، ابن عاشور(١٢/ ١٥).

خفض بالرد على الباء في به" .يريد: وضائق به صدرك بأن يقولوا ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ ﴾."

وقال البغوي:" ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾: أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿أَن يَقُولُواْ ﴾ أي: لأن يقولوا ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ ﴾ينفقه."

وقال ابن الجوزي :" فأما الضائق، فهو بمعنى الضيق. قال الزجاج: ومعنى ﴿أَن يَقُولُواْ ﴾: كراهية أن يقولوا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بعود الضمير على (بعض) و(ما)، أو التبليغ، أو على تلاوة ما يوحى إليه؛ فهو بعيد ، وذلك لأنه غير ملائم لحقيقة الاصطفاء في النبوة، فالنبي ﷺ لا يضيق صدره بالوحي، وإنما ينشرح صدره به، مع الاهتمام بتلاوته وتبليغه . وإنما كان ﷺ يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان.
- وأما القول بعود الضمير على التكذيب، فإنه يندرج تحت القول بعوده على قوله(أن يقولوا)، لأنه يضيق صدره بتكذيبهم له.
- وأما القول بعود الضمير على قوله (أن يقولوا).فهو أنسب الأقوال وأقربها في بيان المعنى . وسيأتي بيان ذلك.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على قوله(أن يقولوا). وذلك:

١. لأنه أنسب الأقوال في تعظيم مقام النبوة وبيان حقيقة الاصطفاء.

قال ابن عاشور:" والباء في (بِهِ) للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على ما بعده وهو (أَن يَقُولُوا) . و(أَن يَقُولُوا) بدل من الضمير . ومثل ذلك

مستعمل في الكلام كقوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[الأنبياء: ٣]، فيكون تحذيراً من أن يضيق صدره لاقتر احهم الآيات بأن يقولوا : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ ، ويحصل مع ذلك التحذير من أن يضيق صدره من قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[هود: ٧]، ومن قولهم: ما يَحْبس العذاب عنا، بواسطة كون ضائق داخلاً في تفريع التحذير على قولَيْهم السّابقَيْن. وإنما جيء بالضمير ثم أبدل منه لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل ليكون أشد تمكّناً في الذهن، ولقصد تقديم المجرور المتعلق باسم الفاعل على فاعله تنبيهاً على الاهتمام بالمتعلّق لأنّه سبب صدور الفعل عن فاعله فجيء بالضمير المفسر فيما بعدُ لما في لفظ التفسير من الطول، فيحصل بذكر ه بُعد بين اسم الفاعل ومرفوع ة، فلذلك اختصر في ضمير يعود عليه، فحصَل الاهتمام وقُوّيَ الاهتمام بما يدل على تمكنه في الذهن."

٢. أن ذلك يوافق قاعدة : [عود الضمير إلى أقرب مذكور]. ولم يشترط المقررو ن لهذه القاعدة أن يكون ما يعود عل يه الضمير سابق له، وإنما يعود الضمير إلى المحدث عنه.

وممن قرر هذه القاعدة أبو حيان في تفسيره فقال : " ولقائل أن يقول إن الضمير إذا كان صالحا لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد كان عوده على الأقرب راجحا، وقد نص النحويون على هذا ... والجواب : أنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضله كان عوده على المحدث عنه أرجح ولا يلتفت إلى القرب."[1]

وكذا ذكر الزركشي[2] هذه القاعدة، وقرر أن الضمير يعود إلى القريب،

---

١ - البحر المحيط(٧/ ٣٣٠).

٢ - البحر المحيط في أصول الفقه (٣/ ٣٢٥)، والبرهان (٤/ ٣٩).

ولا يرجع إلى ما قبله إلا بدليل، بل عوده إلى المحدث عنه أولى.

٣. لدلالة آيات أخرى توضح ذلك المعنى.

قال تعالى﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الحجر: ٩٧ – ٩٨].

وقال ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النحل: ١٢٧].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[النمل: ٧٠].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ [هود: ١٣].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما نوع (أم) في قوله ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾؟

قال أبو حيان:" الظاهر إنّ أم منقطعة تتقدر ببل، والهمزة أي : بل أتقولون افتراه. وقال ابن القشيري[1]: أم استفهام توسط الكلام على معنى: أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله، [فإن قالوا: إنه ليس من عند الله][2] فليأتوا بمثله انتهى. فجعل أم متصلة، والظاهر الانقطاع كما قلنا."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن (أم) منقطعة ، وهو قول كثير من المفسرين ،[4] واختاره أبو حيان.

---

١ - عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، أبو نصر، الشيخ الإمام المفسر النحوي المتكلم، توفي سنة ٥١٤هـ. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص١٥٨، سير أعلام النبلاء(١٩/ ٤٢٤)، شذرات الذهب(٤/ ٤٥).

٢- مابين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطية.

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٠) (٥/ ٢٠٨).

٤ - البغوي آية ١٣، الزمخشري(٢/ ٢٦٠)، ابن عطية (٣/ ١٥٤)، ابن الجوزي (٤/ ٦٩)، القرطبي (٩/ ١١)، البيضاوي (٣/ ٢٢٤)، النسفي (٢/ ٢٦٢)، ابن جزي (٢/ ١٨٢)،الخازن آية ١٣، السمين (٦/ ٢٩٥)، الجلالين آية ١٣، الثعالبي(٢/ ١١٨)، الشربيني (٢/ ٥٢)، أبي السعود(٤/ ١٨٦)، الجمل (٢/ ٣٨٤)، الشوكاني (٤/ ٤٨٦)، الألوسي (١٢/ ٦٢)، القاسمي (٦/ ١٠٣)، ابن عاشور (١٢/ ١٩).

قال البغوي :" ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه﴾بل يقولون اختلقه."

وقال الزمخشري :" (أم) منقطعة."

وقال ابن عطية :" هذه (أم) التي هي عند سيبويه بمعنى (بل وألف الاستفهام) ، كأنه أضرب عن الكلام الأول ، واستفهم في الثاني على معنى التقرير ، كقولهم: إنها لإبل أم شاء ؟."

القول الثاني: إن(أم) متصلة، وهو قول القشيري كما نقله عنه أبو حيان، وذكر هذا القول السمين والقاسمي من غير ترجيح.

قال ابن القشيري :" أم استفهام توسط الكلام على معنى : أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله، فإن قالوا: إنه ليس من عند الله فليأتوا بمثله."

وقال السمين :" الثاني: أنها متصلة ، فقدروها بمعنى : أيكتفون بما أوحينا إليك من القرآن أم يقولون إنه ليس من عند الله؟."

وقال القاسمي[1] :" وفي (أم) وجهان ...ومتصلة والتقدير: أيكتفون بما أوحينا إليك، وهو ما في الإعجاز، أم يقولون ليس من عند الله ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بإن (أم) منقطعة فهو الظاهر.
- وأما القول إن(أم) متصلة، ففيه بعد عن المعنى المراد.

الترجيح:

يترجح القول إن (أم) منقطعة، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال.

---

١ – جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره ، علما بالدين، توفي سنة١٣٣٢هـ. الأعلام (١٣٥/٢).

٢. لأن فيه بيانا للمعنى المراد في الآية وهو إبطال مزاعم الكفار.

قال ابن عاشور:" {أَمْ} هذه منقطعة بمعنى (بل) التي للإضراب للانتقال من غرض إلى آخر، إلاّ أن (أم) مختصة بالاستفهام فتقدر بعدها همزة الاستفهام. والتقدير: بل أيقولون افتراه. والإضراب انتقالي في قوة الاستئناف الابتدائي، فللجملة حكم الاستئناف . والمناسبة ظاهرة، لأن الكلام في إبطال مزاعم المشركين، فإنهم قالوا: هذا كلام مفترى، وقرعهم بالحجة . والاستفهام إنكاري."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ماالمراد بالمثل في قوله ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والظاهر إن قوله: [مثله][1]، لا يراد به المثلي في كون المعارض عشر سور، بل مثله يدل على مماثلة في مقدار ما من القرآن . وروي عن ابن عباس[2]: أنّ السور التي وقع بها طلب المعارضة لها تين معينة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأ نفال، والتوبة، ويونس، وهود. فقوله: مثله، أي مثل هذه عشر السور، وهذه السور أكثرها مدني، فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد؟ ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن وليس تحديد قدر معين. وهو قول كثير من المفسرين.[4] واختاره أبو حيان

قال الطبري :" فقل لهم: يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات."

وقال السمرقندي :" وقال بعضهم : ...معناه فأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، أي سورة كانت."

وقال ابن عطية:" ووقع التحدي في هذه الآية (بعشر) لأنه قيدها بالافتراء ،

---

١ – ما بين المعقوفتين من المطبوع.

٢ – لم أجد له سندا ، ونقله الألوسي عن أبي حيان.

٣ – البحر المحيط (ح٥/ل١٦١) (٥/٢٠٩).

٤ –الطبري(١٢/٧)، السمرقندي (٢/١٤١)، ابن عطية (٣/١٥٤)، الرازي (٢/٦٢)، القرطبي (٩/١١)، البيضاوي (٢/٢٢٤)، ابن كثير (٤/٢٦٨)، البقاعي(٣/٥١٠)، الألوسي (٢١/٦٢)، ابن عاشور (١٢/١٩).

فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام ، إذ قد عجزهم في غير هذه الآية ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٣] دون تقييد فهذه مماثلة تامة في غيوب القرآن ومعانيه الحجة ، ونظمه ووعده ووعيده وعجزوا في هذه الآية بل قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم إلا نظمه فهذه غاية التوسعة ؛ وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر ، لأن هذه إنما كانت تجيء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا تبالي عن تقديم نزول هذه على هذه: ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة إنما هو بسبب الريب ، ولا يزيل الريب إلا العلم بأنهم لا يقدرون على المماثلة التامة."

القول الثاني: إن المراد المماثلة في العدد عشر سور وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأ نفال، والتوبة، ويونس، وهود . وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال السمرقندي:" قال الكلبي : يعني: بعشر سور مثل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس . وهود لأن العاشرة هي سورة هود."

وقال الزمخشري:" ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ بمعنى أمثاله، ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له."

وقال النسفي:" تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال: اقتصرت منك على سطر واحد ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له."

١ - السمرقندي(٢/ ١٤١)، الزمخشري (٢/ ٢٦٠)، النسفي (٢/ ٢٦٢)، الجلالين آية ١٣،أبي السعود(٤/ ١٨٦)، الشوكاني(٢/ ٤٨٤).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن ، وليس تحديد قدر معين، فهو ظاهر.
- وأما القول إن المراد المماثلة في العدد عشر سور معينة، ففيه نظر. لأنه لا يوجد دليل صحيح صريح يدل على تحديد هذه السور.

وعلى فرض صحة ما نسب لابن عباس ففيه نظر من حيث إن سورة هود مكية، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة مدنيات، أُنزلت بعد سورة هود بمدة طويلة فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد؟

فهذه السورة متقدمة في ترتيب المصحف على سورة هود وليس في النزول.

ولعل هذه الرواية هي رواية الكلبي كما ذكر السمرقندي ولا يخفى ضعفها.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن وليس تحديد قدر معين. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أظهر من حيث الدلالة على المعنى المراد.

٢. لا يوجد دليل على تحديد العشر سور.

قال البقاعي :" (مثله) أي تكون العشر مثل جميع القرآن في طوله وفي مثل احتوائه على أساليب البلاغة وأفانين العذوبة والمتانة والفحولة والرشاقة."

٣. لأنه أبلغ في التحدي الإتيان ولو بأقل قدر مماثل للقرآن.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[هود: ١٤].

في الآية مسألة واحده وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ ؟

قال أبو حيان: " والذي يظهر أن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي لكم عائد على الكفار، لعود الضمير على أقرب مذكور، ولكون الخطاب يكون لواحد . ولترتب الجواب على الشرط ترتباً حقيقياً من الأمر بالعلم، ولا يتجوز بأنه أراد به فدوموا على العلم، ودوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لكم) عائد على الكفار، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبوحيان.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أُنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم الله وإذنه، وأن محمداً لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه، وأن لا إلهَ إلاَّ هُوَ يقول : وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحقّ

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦١) (٥/ ٢٠٩).

٢ - الطبري(١٢/ ٨)، الزمخشري(٢/ ٢٦١)، ابن عطية (٣/ ١٥٥)، ابن الجوزي (٤/ ٦٩)، الرازي (١٧/ ٣٢٧)، القرطبي (٩/ ١٢)،النسفي(٢/ ٢٦٢)، ابن جزي (٢/ ١٨٦)،الخازن والجلالين آية ١٤، الثعالبي(٢/ ١١٩)، الشربيني (٢/ ٥٢)،الألوسي(١٢/ ٣)، النووي الحاوي آية ١٤،ابن عاشور (١٢/ ٢١).

الألوهية على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة."

وقال الزمخشري : " ووجه آخر : وهو أن يكون الخطاب للمشركين، والضمير في ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ ﴾ لمن استطعتم."

وقال ابن عطية:" لهذه الآية تأويلان : أحدهما أن تكون المخاطبة من النبي ﷺ للكفار؛ أي فإن لم يستجب من تدعون إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها فأذعنوا حينئذ واعلموا أنه من عند الله."

القول الثاني: إن الضمير في (فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ) عائد على الكفار، وفي (لكم) عائد على النبي ﷺ، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال السمرقندي:" إن كنتم تزعمون أن محمداً ﷺ يختلقه من ذات نفسه، ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: استعينوا بآلهتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في مقالتكم. فسكتوا، فلم يجيبوا، فنزل قوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ فإن لم يجيبوك، خاطب النبي ﷺ بلفظ الجماعة، كما قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١]."

وقال البغوي:" ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده."

وقال الزمخشري:" معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأنّ رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يتحدّونهم، وقد قال في موضع آخر : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ ﴾[القصص: ٥٠] ."

---

١ - السمرقندي(٢/ ١٤١)، البغوي آية ١٤، الزمخشري (٢/ ٢٦١)،البيضاوي(٣/ ٢٢٤)، النسفي (٢/ ٢٦٢)، ابن كثير(٤/ ٢٦٨)، ابن عادل (١٠/ ٤٤٤)،الثعالبي(٢/ ١١٩)، أبي السعود(٤/ ١٨٦).

نلاحظ سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لكم) عائد على الكفار فهو أظهر القولين، وسيأتي بيانه.
- وأما القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على الكفار، وفي (لكم) عائد على النبي ﷺ. فهو بعيد ، لأنه من ذهب إليه ذكر بعضهم أنه خطاب للنبي ﷺ على سبيل تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيما وتفخيما ومن باب إنه جواز أن يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة، وقال البعض الأخر خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين.
- فهذا القول يستدعي إلى إضمار القول ، وحمل قوله (فاعلموا) على الأمر بالثبات. وليس تحريضا على الإسلام.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لكم) عائد على الكفار. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأقرب لفهم المراد من تفسير الآية.

قال الطبري:" وقد قيل: إن قوله: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾ خطاب من الله لنبيه، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد، فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله. وذلك تأويل بعيد من المفهوم."

٢. لموافقة قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور وهي من قواعد الترجيح المهمة.

٣. لأنه لا يحتاج فيه إليه إضمار في قوله (فاعلموا).

قال الرازي:" اعلم أن الآية المتقدمة اشتملت على خطابين : أحدهما: خطاب الرسول، وهو قوله : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾

والثاني: خطاب الكفار وهو قوله : ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [هود:١٣] فلما أتبعه بقوله : ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ احتمل أن يكون المراد أن الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لتعذرها عليهم، واحتمل أن من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا، فلهذا السبب اختلف المفسرون على قولين: فبعضهم قال: هذا خطاب للرسول ﷺ وللمؤمنين، والمراد أن الكفار إن لم يستجيبوا لكم في الإتيان بالمعارضة، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله. والمعنى: فاثبتوا على العلم ال ذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند الله، ومعنى قوله : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ أي فهل أنتم مخلصون، ومنهم من قال فيه إضمار، والتقدير: فقولوا أيها المسلمون للكفار اعلموا أنما أنزل بعلم الله.

والقول الثاني: إن هذا خطاب مع الكفار، والمعنى أن الذين تدعونهم من دون الله إذا لم يستجيبوا لكم في الإعانة على المعارضة، فاعلموا أيها الكفار أن هذا القرآن إنما أنزل بعلم الله فهل أنتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم، والقائلون بهذا القول قالوا هذا أولى من القول الأول، لأنكم في القول الأول احتجتم إلى أن حملتم قوله : ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ على الأمر بالثبات أو على إضمار القول، وعلى هذا الاحتمال لا حاجة فيه إلى إضمار، فكان هذا أولى، وأيضاً فعود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب، وأقرب المذكورين في هذه الآية هو هذا الاحتمال ال ثاني، وأيضاً أن الخطاب الأول كان مع الرسول ﷺ وحده بقوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٍ ﴾ [هود: ١٣] والخطاب الثاني كان مع جماعة الكفار بقوله : ﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ٣٨] وقوله: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ

لَكَ فَٱعۡلَمۡ﴾ خطاب مع الجماعة فكان حمله على هذا الذي قلناه أولى."

٤. لكون الخطاب يكون لواحد.

٥. لترتب الجواب على الشرط ترتباً حقيقياً من الأمر بالعلم، ولا يتحرر بأنه أراد به فدوموا على العلم، ودوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو . كما ذكر ذلك أبو حيان.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[هود: ١٥] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وظاهر (من) العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا، والجزاء مقرون بمشيئته تعالى كما بين ذلك في قوله تعالى:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾[الإسراء: ١٨] الآية."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد هي عامة في جميع الخلق، قاله جماعة من السلف[2]، وهو قول كثير من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" مَنْ كانَ يُرِيدُ بعمله الحَياةَ الدُّنْ يا وأثاثها وَزِينَتَها يطلب به، نوَفّ إلَيْهِمْ أجور أعْمَالَهُمْ فِيها وثوابها . وَهُمْ فِيها يقول: وهم فـي الدنيا لا يُبْخَسُونَ يقول: لا يُنقصون أجرها، ولكنهم يُوَفَّونه فيها."

وقال السمرقندي:" يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، ولا يريد به وجه الله."

قال ابن العربي[4]:"هي عامة في كل من ي نوي غير الله بعمله، كان معه

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٦١) (٥/٢٠٩).

٢ - كسعيد ابن جبير، وعلى بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان ، وابن عباس والحسن، وميمون بن مهران.ذكره الطبري(١٢/٨) وابن أبي حاتم(٦/٢٠١٠-٢٠١١)بسنده.

٣ - الطبري(١٢/٨)، السمرقندي(٢/ ١٤١)، ابن العربي (٣/١٢)، ابن الجوزي (٤/ ٧١)، الرازي (١٧/٣٢٩)، القرطبي (٩/١٣)، الخازن آية ١٥، البقاعي (٣/٥١٣)،الجلالين آية ١٥، الشربيني (٢/٥٥)، أبي السعود(٤/١٩٣)، الألوسي(١٢/ ٢١)،ابن عاشور(١٢/٢٢).

٤ - محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، أبو بكر، الإمام العلامة =

أصل إيمان ، أو لم يكن."

القول الثاني : المراد هم أهل الكفر فقط . قاله الضحاك،وهو قول بعض المفسرين.(□)

قال النحاس:" قال الضحاك: يعني المشركين، إذا عملوا عملا جوزوا عليه في الدنيا... قال أبو جعفر: وأحسنها قول الضحاك، لقوله بعد ذلك ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾[هود: ١٦]."

وقال الواحدي :" (من كان يريد الحياة الدنيا) أَيْ: مَنْ كان يريدها من الكفَّار، ولا يؤمن بالبعث ولا بالثّواب والعقاب."

قال ابن عطية:" قالت فرقة: ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة: هذا قول قتادة والضحاك."

القول الثالث : المراد هم اليهود والنصارى، قاله أنس، ذكره بعض المفسرين.(□)

قال الرازي :" إن المراد: اليهود والنصارى؛ وهو منقول عن أنس."

وقال ابن كثير:" وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت في اليهود والنصارى."

وقال ابن عادل:" وقال أنس رضي الله عنه المرادُ اليهود والنّصارى."

القول الرابع: المراد هم أهل الرياء، قاله مجاهد. ذكره بعض المفسرين.(□)

=

الحافظ القاضي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٤٣هـ. سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠)، البداية والنهاية (٢٢٨/١٢)، شذرات الذهب(١٤/٤).

١- النحاس(٥٠٢/١)، الواحدي في الوجيز آية ١٥، ابن عطية (١٥٥/٣)،ابن الجوزي(٧١/٤)، الرازي (٣٢٩/١٧)، القرطبي (١٣/٩)،ابن جزي(١٨٧/٢)،ابن عادل (٤٥١/١٠)، الثعالبي (١١٩/٢)، الشوكاني (٤٨٤/٢).

٢ - الرازي(٣٢٩/١٧)،ابن كثير(٢٦٩/٤)، ابن عادل(٤٥١/٣)، الشوكاني(٤٨٤/٢).

٣ - الفراء(٦/٢)،ابن عطية (١٥٥/٣)،الرازي(٣٢٩/١٧)،القرطبي(١٣/٩)،ابن كثير (٢٦٩/٤)، الثعالبي (١١٩/٢).

قال الفراء:" يقول: من كان يريد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس أي لم ينقص في الدنيا."

قال ابن عطية:" وقال مجاهد: هي في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين."

وقال الرازي": إن الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول ﷺ الغنائم من دون أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هي عامة في جميع الخلق، فهو أظهر الأقوال ، وذلك لاندراج كل الأقوال تحته.

مع إن البعض قد استشكله من وجه أن قوله بعدها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ لا يليق بالمؤمن، وذلك: لأن فيه إشارة إلى التخليد في النار، والمؤمن لا يخلد لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء: ٤٨].

وأجيـب عنه بالأتي :

١. إن ما ورد في الإشكال محمول على ما لو كانت وفاته على الكفر.

٢. ليس المراد من الآية الخلود وإنما المعنى ليس لهم إلا النار في أيام معلومة، ثم يخرج منها، بفضل الله ورحمته.

- واستدل القائلون بأن المراد الكفار والمنافقون وأهل الرياء بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ على سبيل الحصر لهؤلاء في دخول النار والخلود فيها.

واستدل القائلون بأن المراد الكفار لتقدم ألآيات السابقة في ذكر أحوالهم.

والجواب عن ذلك: قد سبق الجواب عن المراد بهذه الآية، وأما ذكر الكفار

سابقا، فليس هناك علاقة خاصة في ذلك، وإنما تحذير الكل من العمل الدنيوي البحت والتأكيد على ضرورة الإخلاص من حيث أن المؤمن يزداد حرصاً على إخلاص العمل لله ، وأما الكافر والمنافق والمرائي واليهودي والنصراني فيحرص على الدخول في الإسلام .

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هي عامة في جميع الخلق، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن القول بالعموم يندرج تحته الأقوال الأخرى.

قال ابن الجوزي:" اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال.

أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين."

٢. ولأن الآية بيان لقوله ﷺ((**إنما الأعمال بالنيات**))[1].

قال ابن العربي:" وذلك لأن العبد لا يعطى إلا على وجه قصده، وبحكم ما ينعقد ضميره عليه، وهذا أمر متفق عليه في الأمم من أهل كل ملة."

٣. لأنه أجمع الأقوال وأمنعها.

٤. لأنه قد فسر في آيات أخرى.

قال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[الإسراء: ١٨ - ٢٠].

والله تعالى أعلم

---

١ - رواه البخاري في صحيح ه أول حديث فيه ./كتاب بدء الوحي / باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ ﴾[هود: ١٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾؟

قال أبو حيان :" والضمير في قوله : ما صنعوا فيها، الظاهر أنه عائد على الآخرة."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على الآخرة، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري :"﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ وحبط في الآخرة ما صنعوه، أو صنيعهم، يعني : لم يكن لـه ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة، إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا."

وقال البيضاوي:" ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة، أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله."

وقال النسفي :" وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يزيدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا."

القول الثاني: إن الضمير يعود على الدنيا، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦١) (٥/ ٢١٠).

٢ - الزمخشري(٢/ ٢٦١)، البيضاوي (٣/ ٢٢٦)،النسفي(٢/ ٢٦٣)،الجلالين آية ١٦، الثعالبي (٢/ ١١٩)، الشربيني(٢/ ٥٥)، الشوكاني(٢/ ٤٨٤)، الألوسي(١٢/ ١٣).

٣ - الطبري(١٢/ ١٠)، السمرقندي(٢/ ١٤١)، الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٦٧)، البغوي آية ١٦، =

قال الطبري:" ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا."

وقال السمرقندي:" ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ يعني: ثواب أعمالهم في الدنيا، لأنه لم يكن لوجه الله تعالى."

وقال الواحدي:" ما عملوا في الدنيا من حسنة لأنهم لم يروا لها ثوابا."

القول الثالث : جواز عود الضمير على الآخرة وجواز عوده على الدنيا، وهو قول بعض من المفسرين.[١]

قال ابن جزي :"الضمير في (فيها)هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط، ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا."

وقال أبو السعود:" ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾أي ظهر في الآخرة حُبوطُ ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدِّي إلى الثواب لو كانت معمولةً للآخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البِرّ إذ شرْطُ الاعتدادِ بها الإخلاصُ."

وقال الجمل:"يجوز أن يتعلق فيها بحبط والضمير على هذا يعود على الآخرة أي: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة، ويجوز أن يتعلق بصنعوا فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إن الضمير يعود على الآخرة، فلأن المجرور متعلق بقوله (حبط)، والمعنى: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة.

وأما من قال إن الضمير يعود على الدنيا، فلأنه متعلق بقوله (صنعوا)، وقد عاد عليها قبل في الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[هود: ١٥].

=
ابن الجوزي (٤/ ٧١)،الرازي(١٧/ ٣٣١)، ابن كثير (٤/ ٢٦٩)،الخازن آية١٦، ابن عادل(١٢/ ٢٢).

١ - ابن جزي(٢/ ١٨٧)، أبي السعود(٤/ ١٩٣)، الجمل(٤/ ٣٨٦)، ابن عاشور(١٢/ ٢٢).

- وأما من قال بجواز القولين ، فهو أقرب وأجمع.

الترجيح:

يترجح القول بجواز عو د الضمير على الآخرة و بجواز عوده على الدنيا، وذلك :

١. لتساوي قوة الاستدلال في القولين.
٢. لأنه جمع بين القولين.
٣. لصحة المعنى في كلا القولين.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[هود: ١٧] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالشاهد في قوله ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾؟

قال أبو حيان :" والذي يظهر في تفسير هذه الآية أنه تعالى لما ذكر الكفار وأنهم ليس لهم إلا النار، أعقب بضدهم وهم المؤمنون، وهم الذين على بينة من ربهم، والشاهد القرآن، ومنه عائد على ربه . ويدل على أنّ الشاهد القرآن ذكر قوله: ومن قبله، أي : ومن قبل القرآن كتاب موسى، فمعناه : أنه تظافر على هدايته شيئان: كونه على أمر واضح من برهان العقل، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الإلهيين القرآن والتوراة، فاجتمع له العقل والنقل."[1]

الدراسة:

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول: المراد به القرآن. وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري :" أي شاهد يشهد بصحته، وهو القرآن (مِّنْهُ) من الله."

قال الرازي:" وقال آخرون: بل ذلك الشاهد هو كون القرآن واقعاً على

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٢) (٥/ ٢١٢).

٢ - الزمخشري(٢/ ٢٦١)، الرازي (١٧/ ٣٣١)، البيضاوي(٣/ ٢٢٦)، النسفي(٢/ ٢٦٣)،ابن جزي (١٨٨/٢) ، الثعالبي (٢/ ١١٩)، النووي الحاوي آية ١٧، أبو السعود (٤/ ١٩٣)، الألوسي (١٢/ ٢٣)، القاسمي(٩/ ١٠٦)، ابن عاشور(١٢/ ٢٥).

وجه يعرف كل من نظر فيه أنه معجزة وذلك الوجه هو اشتماله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة وكونه بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله.

وقال البيضاوي :" شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن."

القول الثاني: المراد به الرسول ﷺ ، قاله بعض السلف، (□) وهو قول جماعة من المفسرين.(□)

قال الطبري:" وقال آخرون: يعني بقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ محمداً ﷺ. ذكر من قال ذلك:

"...في قوله(□): ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: الشاهد ﷺ.."

وقال ابن أبي حاتم:" ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني: محمداً شاهد من الله."(□)

وقال الثعلبي :"هو رسول الله ."

القول الثالث: المراد به جبريل عليه السلام، قاله جماعة من السلف، وهو قول وهو قول كثير من المفسرين.(□)

قال الفراء:" يعني جبريل عليه السلام يتلو القرآن، الهاء للقرآن."

وقال الطبري:" وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله :

---

١ - الحسين بن على، مجاهد، ابن زيد، عكرمة.

٢ - الطبري(١٢/ ١٠)،ابن أ بي حاتم (٦/٢٠١٤)،الثعلبي آية عن ١٧عن الحسين، ابن عطية (١٥٧/٣)، الرازي(١٧/ ٣٣١)، القرطبي(٩/ ١٦)،ابن كثير (٤/ ٢٦٩).

٣ - وسنده:" حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين بن عليّ."

٤ - وسنده " حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين بن علي."

٥ - الفراء(٢/ ٦)،الطبري(١٢/ ١٠)،النحاس(١/ ٢٠٥)، السمرقندي (٢/ ١٤١)،الواحدي في الوجيز والبغوي آية ١٧، ابن عطية (٣/ ١٥٧)،الرازي(١٧/ ٣٣١)،ابن كثير (٤/ ٢٦٩)، الخازن آية١٧، البقاعي(٣/ ٥١٢)، الجلالين آية١٧، الشربيني (٢/ ٥٥)، الشوكاني(٢/ ٤٨٤).

﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: قول من قال : هو جبرائيل، لدلالة قوله : وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إماما وَرَحْمَةً علـى صحة ذلك وذلك أن نبيّ الله ﷺ لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دل يلاً على صحة قول من قال : عُنِـي به لسان محمد ﷺ، أو محمد نفسه، أو عليّ على قول من قال: عُنِي به عليّ. ولا يعلم أن أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عُنِي بقوله: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ غير جبريل عليه السلام.

وقال النحاس:" قال النبي ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: جبريل عليه السلام."

القول الرابع: المراد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وذكره بعض المفسرين.[1]

قال الطبري :" وقال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب ... قال عليّ[2] رضي الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان . فقال له رجل : فأنت فأيّ شيء نزل فيك؟ فقال عليّ : أما تقرأ الآية التي نزلت في هود ﴿وَيَتْلُوهُ

---

١ - الطبري (١٢/ ١٠)،ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤)،الثعلبي آية١٧،ابن عطية(٣/ ١٥٧)، ابن الجوزي (٤/ ٧١)، الرازي(١٧/ ٣٣١)، القرطبي(٩/ ١٦)، الخازن آية ١٧.

٢ - وسنده:" حدثنا مـحمد بن عمارة الأسدي، قال : ثنا رزيق بن مرزوق، قال : ثنا صبـاح الفراء، عن جابر، عن عبد الله بن نجي، قال: قال علـيّ رضي الله عنه.

"قال محمود شاكر (١٥/ ٢٧٢) تفسير الطبري:" الأثر١٨٠٤٨- (رزيق بن مرزوق الكوفي المقرئ البجلي)، روى عن أبي الأحوص، وابن عيينه، وسهل بن شعيب. وروى عنه أحمد بن يحي الصوفي، وأبو حاتم الرازي، وقال: صدوق. مترجم في ابن أبي حاتم(١/ ٢/ ٥٠٦). و(صباح الفراء) لم أجده، وأخشى أن يكون هو (صباح بن يحي المزني)، وهو الشيعي المتروك، و (جابر) هو الجعفي(جابر بن يزيد الجعفي)، وهو ضعيف ، بل ربما كان القول فيه أشد، وكان فوق ذلك رافضيا يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال ابن حبان:" كان من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول : إن عليا يرجع إلى الدنيا."و(عبدالله بن نجى بن سلمة الكوفي الحضرمي)، ليس بالقوي، كان أبوه على مطهرة على رضي الله عنه قال البخاري :" فيه نظر ". مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ١٨٤)، وميزان الاعتدال(٢/ ٨٢)، وقال الذهبي:" روى عنه جابر الجعفى، فالنكارة من جابر". ووثقه النسائي. وكان في المطبوعة:" عبدالله بن يحي". لم يحسن قراءة المخطوطة، ولم يعرف الاسم."

شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾"

وقال ابن أبي حاتم:" ...: قال علي"(□): ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾

وقال الثعلبي:" وقيل: هو علي بن أبي طالب."

القول الخامس: المراد به لسان الرسول الذي يتلو القرآن، وهو قول بعض المفسرين(□).

قال الطبري:" وقال محمد بن الحنفية(□): قلت لأبي أنت التالي؟ قال : وما تعني بالتالي؟ قلت : قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال: وددت أني هو ولكنه لسان رسول الله."

وقال النحاس:" وقال الحسن: ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ يعني لسان."

وقال الثعلبي:" وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله ﷺ."

القول السادس: المراد به ملك يحفظه، وهو قول بعض المفسرين.(□)

قال الطبري:" عن مجاهد: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾قال: معه حافظ من الله ملك.

---

١ - وسنده :" عن الحسين بن يزيد الطحان، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا قيس، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله قال: قال على .."

٢- الطبري(١٢/ ١٠)، النحاس (١/ ٥٠٢)، الثعلبي آية ١٧، ابن عطية (٣/ ١٥٧)، ابن الجوزي (٤/ ٧١)، الرازي(١٧/ ٣٣١)، القرطبي(٩/ ١٦)، الخازن آية ١٧.

٣ - وسنده :" حدثني محمد بن خلف، قال : ثنا حسين بن مـحمد، قال : ثنا شيبان، عن قتادة، عن عروة، عن محمد ابن الحنفـية."

ومحمد بن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، أخو الحسن والحسين، وأمه من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية، توفي سنة٨١هـ. طبقات ابن سعد(٥/ ٩١)، تاريخ البخاري(١/ ١٨٢)، سير أعلام النبلاء(٤/ ١١٠).

٤- الطبري(١٢/ ١٠) ، الثعلبي والماوردي آية١٧، ابن الجوزي(٤/ ٧١)، القرطبي (٩/ ١٦)، الخازن آية ١٧.

وقال الثعلبي:" عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويسدّده."

وقال الماوردي:" إنه ملك يحفظه، قالـه مجاهد."

القول السابع: المراد به الإنجيل، وهو قول بعض المفسرين.(١)

قال الفواء:" وقد قيل في قوله ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد أنزل قبله. يذهب إلى أنه يتلوه بالتصديق."

وقال ابن عطية:" وقالت فرقة: هو الإنجيل."

وقال القرطبي:" وقال الفرّاء قال بعضهم : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الإنجيل، وإن كان قبله فهو يتلو القرآن في التصديق."

القول الثامن: المراد به صورة الرسول ﷺ ، وهو قول الثعلبي وابن الجوزي والقرطبي.(٢)

قال الثعلبي:" وقال بعضهم: الشاهد صورة النبي ﷺ ووجهه ومخائله، لأنّ كل من كان له عقل ونظر إليه علم أنه رسول الله."

وقال ابن الجوزي :" إنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله ﷺ."

وقال الرازي:" وعلى هذا الوجه قالوا إن المراد أن صورة النبي ﷺ ووجهه ومخايله كل ذلك يشهد بصدقه، لأن من نظر إليه بعقله علم أنه ليس بمجنون ، ولا كاهن ولا ساحر ولا كذاب والمراد بكون هذا الشاهد منه كون هذه الأحوال متعلقة بذات النبي ﷺ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به القرآن، فهو أظهر الأقوال، وسيأتي بيان

---

١ - الفراء(٢/ ٦)،ابن عطية(٣/١٥٧)، القرطبي(٩/ ١٦)،الخازن آية١٧.

٢ - الثعلبي آية ١٧،ابن الجوزي (٤/ ٧١)، الرازي(١٧/ ٣٣١)، القرطبي(٩/ ١٦).

ذلك.

- وأما القول إن المراد به الرسول ﷺ فإنه يندرج تحته القول بأن المراد به لسان الرسول، والقول بأن المراد به صورة الرسول ﷺ. ودلالة السياق لا تقويه.
- وأما القول بأن المراد به جبريل عليه السلام فيندرج تحته القول بأن المراد به ملك يحفظه، وإن ما ذكر من كون الرسول لم يتل قبل القرآن كتاب موسى فصحته ليس دليلا هنا، لأنه النبي الأمي كما وصفه ربه بذلك، ودلالة السياق تبعده.
- وأما القول بأن المراد به على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ورد في روايات أخرى إنكاره لذلك وذكرها المفسرون . وعدم ثبوت القائل في الرواية فهو مجهول، وليس عليا رضي الله عنه الوحيد من الصحابة رضي الله عنهم الذي انفرد بالتلاوة.
- وأما القول بأن المراد به الإنجيل، فهو بعيد من ناحية إنزاله قبل القرآن .

الترجيح:

يترجح القول بإن المراد هو القرآن. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة قوله تعالى ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ من ناحيتين :

الأولى: دلالة الضمير في قوله ﴿ قَبۡلِهِۦ ﴾فعود على القرآن أنسب وأكثر ملاءمة.

الثانية: دلالة التصريح بقوله ﴿كِتَٰبُ ﴾، فيكون فيه توافق في الوصف.

٢. لدلالة العقل والنقل في كون القرآن كتاب هداية.

قال أبو حيان:" فمعناه: إنه تظافر على هدايته شيئان: كونه على أمر واضح

من برهان العقل، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الإلهيين القرآن والتوراة، فاجتمع له العقل والنقل."

قال السعدي :" ﴿ وَيَتْلُوهُ﴾ أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر، ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقية ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيمانا إلى إيمانه .(و) ثم شاهد ثالث وهو﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ التوراة ."

٣. دلالة السياق .

قال ابن جزي :" والشاهد يريد به القرآن، فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود: ١٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالأشهاد في قوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والأشهاد: جمع شاهد، كصاحب وأصحاب، أو جمع شهيد كشريف وأشراف، والأشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا، أو الأنبياء، أو هما والمؤمنون، أو ما يشهد عليهم من أعضائهم أقوال."[1]

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: هم الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد، وقتادة، وهو قول كثير من المفسرين.[2]

قال الطبري:" وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي ه و جمع صاحب.

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٣) (٥/ ٢١٢).

٢ - الطبري(١٢/ ١٣)، ابن أبي حاتم(٦/ ٢٠١٧)،النحاس(١/ ٥٠٣)، السمرقندي (٢/ ١٤٨)، الثعلبي والماوردي والبغوي آية ١٨، الزمخشري (٢/ ٢٦٣)، ابن عطية (٣/ ١٥٩)، ابن الجوزي (٤/ ٧١)، الرازي (١٧/ ٣٣٢)، الخازن آية ١٨،القرطبي(٩/ ١٨)،النسفي(٢/ ٢٦٣)، ابن جزي (٢/ ١٨٨)، ابن عادل (١٠/ ٤٥٦)، الثعالبي (٢/ ١١٩)، الجلالين آية١٨،الشربيني(٢/ ٥٥)، أبي السعود(٤/ ١٩٣)،الألوسي(١٢/ ٣٣).

...عن مجاهد[1]:﴿ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ قال: الملائكة.

...عن قتادة[2]: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ والأشهاد: الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم."

قال ابن أبي حاتم :" عن مجاهد[3] قال: هؤلاء الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم."

وقال النحاس:" وقال مجاهد: الأشهاد الملائكة."

وقال سفيان: سألت الأعمش عن الأشهاد فقال: هم الملائكة."

قال السمرقندي :" وقال قتادة، ومجاهد، ويقول الأشهاد، يعني : الملائكة."

يعني الرسل:قد بلغناهم الرسالة.وقال الضحاك:ويقول الأشهاد،يعني: الأنبياء."

القول الثاني: هم الأنبياء.وهو قول كثير من المفسرين.[4]

قال الطبري :" وقوله:﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ يعني الم لائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب.

...قال: سمعت الضحاك[5] يقول في قوله : ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ يعني

١- وسنده :" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا نمير بن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد."

٢ - وسنده :" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد،قال: ثنا سعيد، عن قتادة."

٣ - وسنده:" حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد."

٤ - الطبري(١٢/ ١٣)، ابن أبي حاتم (٢٠١٧/٦)، النحاس (٥٠٣/١)،السمرقندي(١٤٨/٢)، الثعلبي والماوردي والبغوي آية ١٨، الزمخشري (٢٦٣/٢)، ابن عطية (١٥٩/٣)، ابن الجوزي(٤/ ٧١)، الرازي (٣٣٢/١٧)، القرطبي (١٨/٩)، النسفي (٢٦٣/٢)،ابن جزي (١٨٨/٢)، الخازن آية ١٨، ابن عادل (٤٥٦/١٠)، أبي السعود (١٩٣/٤)،الشوكاني(٤٨٩/٢)، الألوسي (٣٣/١٢).

٥ - وسنده:" حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال : سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال : سمعت الضحاك."

الأنبياء والرسل."

وقال ابن أبي حاتم :"عن الضحاك[1] يقول في قوله :﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ يعني الأنبياء والرسل."

وقال النحاس:" قال الضحاك : الأشهاد الأنبياء والمرسلون، قال الله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

القول الثالث : هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون،وهو قول جماعة من المفسرين[2]

قال الواحدي:" (وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ) وهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون."

القول الرابع: ما يشهد عليهم من أعضائهم، ذكره أبو حيان وأبو السعود.[3]

قال الماوردي:" إن الأشهاد أربعة : الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم."

وقال ابن الجوزي:" الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد."

قال أبو السعود:" أو من جوارحهم."

القول الخامس: هم الخلائق، وهو قول جماعة من المفسرين.[4]

---

١ - وسنده:" حُدثنا أبي، ثنا عبد العزيز بن منيب، ثنا أبو معاذ النحوي، قال: عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك."

٢ - الواحدي في الوجيز آية١٨، ابن الجوزي(٤/ ٧١)، القرطبي(٩/١٨)، الخازن آية ١٨، الشوكاني (٢/٤٨٩).

٣ - الماوردي آية١٨، ابن الجوزي(٤/ ٧١)،أبي السعود(٤/١٩٣).

٤ - الثعلبي والماوردي والبغوي آية ٨٤، ابن عطية (٣/١٥٩)، ابن الجوزي (٤/ ٧١)،ابن كثير (٤/ ٢٧١)، ابن عادل (١٠/٤٥٦)،الثعالبي(٢/ ١١٩)،الشربيني(٢/٥٥)، الشوكاني (٢/ ٤٨٩)، =

قال الثعلبي:" وقال قتادة: يعني الخلائق."

وقال الماوردي :" الخلائق، قاله قتادة."

وقال البغوي:" وقال قتادة: الخلائق كلهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- إن ما ذكره المفسرون محتمل صحته إلا أنه في الأنبياء آكد .

كما قال تعالى ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الأعراف: ٦].

- وأما من استدل بحديث صفوان بن محرز[1] قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل قال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعته يقول: ((**إن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم**))

ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الآية[2] .

=
الألوسي (١٢/ ٣٣).

١ - صفوان بن محرز المازني البصري، العابد، أحد الأعلام، قال ابن سعد : ثقة له فضل وورع .، حدث عن بعض الصحابة . طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٧)، تاريخ البخاري (٤/ ٣٠٥)، سير أعلام النبلاء(٤/ ٢٨٦).

٢ - صحيح البخاري / كتاب التفسير/ باب ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـ دُ﴾/ حديث رقم(٤٦٨٥).

فالحديث ليس فيه دلالة على معنى الأشهاد .وأنما يدل على عظيم رحمة الله بالمؤمنين وستره عليهم، بالمقابل فضحية كبرى للكفار والمنافقين.

الترجيح:

يترجح القول إن الأنبياء هم الأشهاد، وذلك:

١. بدلالة آيات أخري.

قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[النساء: ٤١].

وقال تعالى ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الأعراف: ٦].

٢. لأن الفائدة في اعتبار قول الأشهاد المبالغة في إظهار الفضيحة.لاسيما ممن بذلوا لهم النصح والإرشاد.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

قول من قوله ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؟

قال أبو حيان :" وقد يظهر أن قوله تعالى : ألا لعنة الله على الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: من كلام الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين، [2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" وقال الله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، يعني: عذابه وغضبه على المشركين."

وقال الرازي:" ثم لما أخبر عن حالهم في عذاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾وبين أنهم في الحال لملعونون من عند الله."

وقال الخازن:" يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته."

القول الثاني: من كلام الأشهاد، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال الزمخشري:" ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم ﴿ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٣) (٥/ ٢١٢).

٢ - السمرقندي(٢/ ١٤٨)،الرازي(١٧/ ٣٣٢)، الخازن آية ١٨،البقاعي (٣/ ٥١٢)،أبي السعود (٤/ ١٩٣)، الشوكاني(٢/ ٤٨٩)،الألوسي(٢١/ ٣٣).

٣ - الزمخشري(٢/ ٢٦٣)، ابن كثير (٤/ ٢٧١)،الثعالبي(٢/ ١١٩)، الشربيني (٢/ ٥٥)، الشوكاني (٢/ ٤٨٩)، الألوسي(٢١/ ٣٣).

اتخذ ولداً وشريكاً، ويقال ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾."

وقال ابن كثير:" وأما الكفار والمنافقون فيقول: ﴿ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾." وهو جزء من حديث صفوان بن محرز.

وقال الثعالبي:" وقوله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾يحتملُ أنْ يكون داخلاً في مفعولِ القولِ، وإِليه نحا بعضُهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه من كلام الله تعالى، فهو الظاهر.
- وأما القول إنه من كلام الأشهاد، ففيه بعد من حيث إن الأشهاد أدوا الشهادة ولا يملكون طرد أحد من رحمته، وهول الموقف يمنع ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إنه من كلام الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الظاهر.
٢. لأنه سبحانه هو المالك والمتصرف يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.
٣. لأن فيه تهويلا عظيما لما يحيق بهم من عاقبة ظلمِهم.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: ٢٠] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" وهذا استئناف إخبار عن حالهم في الآخرة، لأنهم جمعوا إلى الكفر بالبعث الكذب على الله، وصدّ عباده عن سبيل الله، وبغي العوج لها، وهي الطريقة المستقيمة. ما كانوا يستطيعون السمع أخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة يعني : السمع للقرآن، ولما جاء به الرسول ﷺ. وما كانوا يبصرون أي: ينظرون إليه لبغضهم فيه . ألا ترى إلى حشو الطفيل بن عمرو أذنيه من الكرسف [1]، وإباية قريش أن يسمعوا ما نقل إليهم من كلام الرسول حتى تردّهم عن ذلك مشيختهم [2]؟ أو إخبارا عن حالهم إذا ضعف لهم العذاب أي : أنه تعالى حتم عليهم بذلك، فهم لا يسمعون لذلك سماعاً ينتفعون به، ولا يبصرون لذلك."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الكفار، وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيان.[4]

---

١ - والكرسف : القطن. القاموس المحيط ص١٠٩٦.

٢ - قصة الطفيل بن عمرو في طبقات ابن سعد(١٥٧/٢) وعيون الأثر(٢٣٩/١).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٣) (٢١٢/٥).

٤ - الطبري(١٤/١٢)، النحاس (٥٠٤/١)،السمرقندي(١٤٨/٢)،الثعلبي الواحدي في الوجيز والبغوي آية٢٠، ابن عطية(١٥٣/٣)، ابن الجوزي(٧٤/٤)، الرازي(٣٣٥/١٧)، القرطبي(١٩/٩)، =

قال الطبري:" وقوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ فإنه اختلف في تأويله، فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء ا لمشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم، وأنهم لا يسمعون الحقّ، ولا يبصرون حُجَج الله سماع منتفع ولا إبصار مهتد."

وقال النحاس:" ومن أحسن ما قيل فيه وهو معنى قول ابن عباس إن المعنى: لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه بصر مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين."

وقال السمرقندي:" ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: الرؤساء يكون لهم العذاب بكفرهم، وبما أضلوا غيرهم، ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ في العذاب، لا يقدرون أن يسمعوا ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ في النار شيئاً.

ويقال: ذلك التضعيف لهم، لأنهم كانوا لا يستطيعون الاستماع إلى محمد ﷺ، في الدنيا من بغضه."

القول الثاني : الضمير يعود على آلهة الكفار، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقال آخرون: إنما عَني بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ آلهة الذين يصدّون عن سبيل الله . وقالوا: معنى الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ

=

البيضاوي(٣/٢٢٦)، النسفي (٢/٢٦٣)،ابن جزي(٢/١٨٨)،الخازن آية ٢٠، ابن كثير (٤/٢٧١)، ابن عادل (١٠/٤٥٦)، البقاعي (٣/٥١٥)، الثعالبي (٢/١١٩)،الألوسي(٢١/٤٣)، ابن عاشور (١٢/٣٤).

١- الطبري(١٢/١٤)، النحاس (١/٥٠٤)،الثعلبي آية ٢٠، الزمخشري (٢/٢٦٣)، ابن عطية (٣/١٥٣)، ابن الجوزي(٤/٧٤)، ابن عادل(١٠/٤٥٦)، الشوكاني(٢/٤٨٩).

ﵟٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَﵞ يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر . هذا قول رُوي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده."

وقال النحاس:"وقد روي عنه – أي ابن عباس – ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴾ يعني الآلهة.

وقال الثعلبي:" وقال بعضهم: إنما عنى بذلك الأصنام."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الكفار، فهو ظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على آلهة الكفار، فهو بعيد . فكيف ينفي عنهم السمع والبصر، وهم في الحقيقة وأن كانوا يملكونها إلا أنهم لا يغنون عمن يعبدهم من دون الله شيء.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الكفار،وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الظاهر.
٢. لدلالة السياق.
٣. لأن الكفار هم المحدث عنهم في الآية . فالأولى عود الضمير على المحدث عنه، وفقا لقاعدة الترجيح.
٤. لدلالة آيات أخرى على هذا المعنى.

وقال:ﵟ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﵞ[فصلت: ٢٦] .

قال تعالى: ﵟ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ ﵞ[الجاثية: ٧ – ٨] .

قال تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾[هود: ٢٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالبينة في قوله ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر أن البينة غير الرحمة، فيجوز أن يراد بالبينة المعجزة، وبالرحمة النبوّة. ويجوز أن تكون البينة هي الرحمة."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن البينة غير الرحمة ، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب عليّ من إخلاص العبادة له وترك إشراك الأوثان معه فيها.﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوّة والحكمة، فآمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني .

قال نوح[3]: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ قال: قد عرفتُها وعرفتُ بها أمره

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٦٦) (٥/٢١٦).

٢ - الطبري(١٨/١٢)،السمرقندي(١٤٨/٢)،الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٢٨، ابن الجوزي (٧٨/٤)،الرازي(٣٣٩/١٧)،القرطبي(٢٥/٩)،البيضاوي(٢٣٠/٣)،النسفي(٢٦٦/٢)،ابن جزي (١٩٠/٢) ، الخازن آية ٢٨، ابن عادل(٤٦٥/١٠)، البقاعي(٥٢٣/٣)، الشوكاني(٤٩٢/٢)، ابن عاشور(٥٠/١٢).

٣ - وسنده:" حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج."

وأنه لا إله إلا هو، وآتَانِـي رَحْمَةً مِنْ عِنَدِهِ : الإسلام والهدى والإيـمان والحكم والنبوّة."

وقال السمرقندي:" قَالَ نوح: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ يعني: إن كنت على دين ويقين وبيان من ربي، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن ﴾ يقول: أكرمني بالرِّسالة والنُّبُوَّةِ ."

وقال الماوردي:" قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني على ثقة من ربي، الثاني: على حجة من ربي، ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾فيها وجهان:

أحدهما: الإيمان.

والثاني: النبوة، قاله ابن عباس."

وقال الواحدي:" ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾يقينٍ وبرهانٍ ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ نُبوَّةً."

وقال البغوي:" قَالَ نوح ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ أي: بيان من رّبّي ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً ﴾ أي: هدى ومعرفة"

القول الثاني: إن البينة هي الرحمة، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الزمخشري:" بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة."

وقال ابن عطية:" وقوله ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ أي على أمر بيّن جلي، والهاء في (بيّنة) للمبالغة كعلامة ونسابة، و (إيتاؤه الرحمة) هو هدايته للبيّنة، والمشار إليه بهذا

١ - الزمخشري(٢/٢٦٥)، ابن عطية(٣/١٦٤)، أبي السعود(٤/١٩٩)،الألوسي(١٢/٥٤).

كلامِ النبوءة والشرع."

وقال أبو السعود :" المذكور ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾برهانٍ ظاهر ﴿مِّن رَّبِّي ﴾ وشاهدٍ يشهد بصِحّة دعواي ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن﴾ هي النبوةُ، ويجوز أن تكون هي البـينةَ نفسَها جيء بها إيذاناً بأنها ـ مع كونها بـينةً من الله تعالى ـ رحمةٌ ونعمةٌ عظيمة من عنده."

وقال الألوسي:" ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾حجة ظاهرة ﴿مِّن رَّبِّى﴾ وشاهد يشهد لي بصحة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾هي النبوة على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وجوز أن تكون هي البينة نفسها جيء بها إيذاناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة منه سبحانه، ووجه إفراد الضمير في قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي أخفيت على هذا ظاهر، وإن أريد بها النبوة. وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لإرادة كل واحدة منهما، أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفاء البينة خف اء المدعى."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول إ ن البينة غير الرحمة ، فالمفسرون ذكروا فيها معاني كثيرة، مختلفة المبنى لكنها متفقة المعنى.
- وأما القول إن البينة هي الرحمة ، فباعتبار الجمع بين المعاني المذكورة.

الترجيح:

يترجح القول إن البينة غير الرحمه إلا أن بينهما عموما وخصوصا، فالرحمة

أعم من البينة، فالبينة رحمة من الله، ومن رحمة الله تأيد رسله بالبينة.

قال القرطبي:" ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي نبوّة ورسالة؛ عن ابن عباس؛ وهي رحمة على الخلق."

ولأنه من قواعد الترجيح: أن القول المبني على التأسيس مقدم على القول بالتأكيد.[1]

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٢/٤٧٣).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾؟

قال أبوحيان:" الظاهر إنّ الضمير عائد على البينة، وبذلك يحصل الذم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجلية الواضحة، وأنها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم، وذلك بأنه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها . فإن كانت الرحمة هي البينة فعود الضمير مفرداً ظاهر، وإن كانت غيرها كما اخترناه فقوله: وآتاني رحمة من عنده، اعتراض بين المتعاطفين."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير عائد على البينة ، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ، يعني: عميت عليكم هذه البينة."

وقال الماوردي:" ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني البينة في قوله ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ وإنما قال ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ وهم الذين عموا عنها، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها."

وقال البيضاوي:" ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة."

القول الثاني: إن الضمير لا يعود على البينة.وهو قول بعض من المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٦) (٥/ ٢١٦).

٢ - السمرقندي(٢/ ١٤٨)،الماوردي ،البيضاوي(٣/ ٢٣٠)، ابن جزي(٢/ ١٩٠) ، الخازن آية ٢٨، ابن عادل(١٠/ ٤٦٥)، البقاعي(٣/ ٥٢٣)، الشوكاني(٢/ ٤٩٢)، ابن عاشور(١٢/ ٥٠).

٣ - الزمخشري (٢/ ٢٦٥)، القرطبي (٩/ ٢٥)، أبي السعود(٤/ ١٩٩)، الألوسي(١٢/ ٥٤).

قال الزمخشري :" ويجوز أن يريد بالبينة : المعجزة، وبالرحمة : النبوّة. فإن قلت: فقوله: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ظاهر على الوجه الأوّل، فما وجهه على الوجه الثاني؟ وحقه أن يقال فعميتا؟ قلت: الوجه أن يقدّر فعميت بعد البينة، وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة: ومعنى عميت خفيت."

وقال القرطبي:" والمعنى: فَعمِيت الرحمةُ."

قال أبو السعود:" فوجْهُ إفرادِ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ حينئذ ظاهرٌ وإن أريد بها النبوةُ وبالبـينة البرهانُ الدالُّ على صحتها فالإفرادُ لإرادة كلِّ واحدةٍ منهما أو لكون الضميرِ للبينة والاكتفاءِ بذلك لاستلزام خفائِها خفاءَ النبوةِ، أو لتقدير فعلٍ آخرَ بعد البينة، ومعنى عُمِّيت أُخفيت."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- إن هذه المسألة تبع لما ذكر في المسألة السابقة من حيث:
- من قال إن البينة غير الرحمة أعاد الضمير على كل واحدة منها.
- ومن قال إن البينة هي الرحمة فقد عاد الضمير إليهما.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على البينة ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه يتوافق مع قاعدة الترجيح وهي :[حمل ألفاظ الوحي على التباين،[١] أرجح من حملها على الترادف [٢]] [٣] والسبب :

١- التباين في اللغة : أصل مادة بين، وهو بعد الشيء وانكشافه . معجم مقاييس اللغة (١/٣٢٧)، واصطلاحاً: الألفاظ المختلفة للمعاني المختلفة . روضة الناظر مع شرحها (١/٥٣)، التعريفات ص٧٧.

٢- الترادف في اللغة: التتابع. لسان العرب(٩/١١٥).

اصطلاحاً: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. البحر المحيط للزركشي(٢/١٠٥).

لأن التباين هو الأصل والأكثر في اللغة.

٢. لأن القول بالتباين يفيد معنى جديدا بخلاف الترادف الذي يفيد تأكيد ما سبق.

قال ابن تيمية: "إن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر أو معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن."[□]

"وذهب بعض العلماء [□] إلي جواز وقوع الترادف في القرآن لأنه واقع في اللغة، والقران نزل بلغة العرب وعلى أساليبها، وفنون كلامها، والترادف من ذلك... وسواء قيل بالترادف في القرآن أو قيل بعدمه، متى أمكن حمل ألفاظ القرآن على التباين كان ذلك هو المعتمد، لموافقته الأصل، ولإفادته فائدة جديدة وهي أولى من التأكيد."[□]

والله تعالى أعلم

=

١ - قواعد الترجيح (٢/ ٤٨١).

٢ - مجموع الفتاوى(١٣/ ٣٤١).

٣ - منهم الزركشي في كتابه البحر المحيط (٢/ ١٠٨).

٤ - قواعد الترجيح (٢/ ٤٨٦).

قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾[هود: ٢٩].

في الآية مسألة واحده وهي:

علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والضمير في (عليه)عائد إلي الإنذار، وإفراد الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾[هود: ٢] "(1).

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على الإنذار، وهو قول جماعة من المفسرين؛ (2) واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: والضمير في قوله : ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ راجع إلى قوله لم : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾ [هود: ٢٥] ".

وقال البقاعي :" (عليه) أي الإنذار."

وقال الألوسي:" وقيل: الضمير للإنذار، وأفرد الله سبحانه بالعبادة."

القول الثاني : الضمير يعود على الدين، وذكره أبوحيان وأشار إليه الشنقيطي.(3)

قال أبو حيان:" وقيل:على الدين."

١- البحر المحيط (ح٥/ل١٦٧) (٥/٢١٨).

٢ - الزمخشري(٢/٢٦٥)، البقاعي(٣/٥٢٣)، الألوسي(٢١/٥٤).

٣ - أبو حيان(٥/٢١٨)، الشنقيطي(٣/١٣).

وقال الشنقيطي:" إنه يدل أنه أخبر قومه أنه لا يسألهم مالا في مقابلة ما جاءهم به من الوحي والهدى"

القول الثالث : الضمير يعود على الدعوة إلي التوحيد، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" يا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ علـى نصيحتـي لكم ودعايتكم إلى توحيد الله، وإخلاص العبـادة له مالاً: أجرا علـى ذلك."

وقال ابن الجوزي:" أي على نصحي ودعائي إياكم."

وقال القرطبي: أي على الدعاء إلى الله."

القول الرابع: الضمير يعود على تبليغ الرسالة، وهو قول كثير المفسرين.[2]

وقال الثعلبي: أي على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور."

وقال الواحدي: على بتليغ الرِّسالة."

وقال البغوي: أي: على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور."

القول الخامس : الضمير يعود على الإيمان، وهو قول السمرقندي والقرطبي.[3]

قال السمرقندي:" يعني: لا أطلب منكم على الإيمان أجراً، يعني : رزقاً ولا جعلاً."

وقال القرطبي: أي على الإيمان به."

---

١ - الطبري(١٢/ ١٩)، ابن الجوزي (٤/ ٧٨)، القرطبي(٩/ ٢٥)، ابن كثير (٤/ ٢٧٥)، أبي السعود (٤/ ١٩٩)، الألوسي(٢١/ ٥٤)، السعدي ص٣١٨.

٢ - الثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٢٩، ابن عطية (٣/ ١٦٤)، الرازي (١٧/ ٣٤١)، البيضاوي (٣/ ٢٣١)، النسفي (٢/ ٢٦٧)، ابن جزي (٢/ ١٩٠)، الخازن آية ٢٩، ابن عادل (١٠/ ٤٧٣)، الجلالين آية٢٩، الشربيني(٢/ ٥٩)، الشوكاني(٢/ ٤٩٤)، الألوسي(٢١/ ٥٤).

٣ - السمرقندي(٢/ ١٤٨)، القرطبي(٩/ ٢٥)،

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن ما ذكره المفسرون أقوال متقاربة تصح أن تكون معنى يعود الضمير إليه.

الترجيح:

يترجح القول إن كل ما ذكره المفسرون أقوال متقاربة تصح أن تكون معنى يعود الضمير إليه، وذلك:

١. لأنها أقوال متقاربة.

٢. لدلالة السياق.

٣. لأنها أقوال تتعلق بواقع الأنبياء في دعوة أقوامهم.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[هود: ٣٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

معنى قوله ﴿قد جادلتنا ﴾

قال أبو حيان "(قد جادلتنا) الظاهر المبالغة في الخصومة "[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المعنى المبالغة في الخصومة، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا."

قال الثعلبي:" ماريتنا وخاصمتنا."

قال ابن عطية: " معناه: قد طال منك هذا الجدال، وهو المراجعة في الحجة والمخاصمة والمقابلة بالأقوال حتى تقع الغلبة ، وهو مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ومنه : حبل مجدول، أي ممرّ، ومنه قيل للصقر أجدل لشدة بنيته وفتل أعضائه. "

القول الثاني: المعنى حاجحتنا.وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ البحر المحيط (ح٥/ل١٦٨) (٥/٢١٩)

٢ - الطبري (١٢/ ٢٠)، الثعلبي والبغوي آية ٣٢، ابن عطية (١٥٦/٣)، ابن الجوزي (٤/ ٨٠)، القرطبي (٢٧/٩)، البيضاوي (٢٣٢/٣)، النسفي (١٣/٣)، ا لجلالين (٢٦٧/٢)، الشوكاني (٤٩٢/٢) والآلوسي (٢٣٢/٣)، ابن عاشور (١٢/ ٦٠).

٣ - ابن كثير (٢٧٦/٤)، البقاعي (٥٢٥/٣)، أبي السعود (١٩٩/٤).

قال ابن كثير:" أي حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك."

قال البقاعي :" اردت فتلنا وصرفنا عن آرائنا بالحجاج"

وقال أبوالسعود :" صدر عنه ﷺ إظهاراً للعجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد."

نلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن المعنى المبالغة في الخصومة، فهو الظاهر من اللفظ.
- وأما القول إن المعنى حاججتنا، فيحتمل إلا أن حال القوم الكافرين يرده، فهم بقولهم له حاججتنا،يدل على عجزهم في مقابلة الحجة بالحجة، ويدل على تأدبهم معه في اللفظ ، والحال والواقع لا يدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن المعنى المبالغة في الخصومة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه ظاهر من اللفظ.
٢. لأن واقع وحال الكفار دل عليه.
٣. لأنه أبلغ في تصور مقدار الخصومة التى كان يقابل بها كل مصلح من قبل المخالفين.

قال الآلوسي :" وسميت المنازعة جدالاً لأن المتجادلين كأنهما يفتل كل واحد منهما الآخر عن رأيه، وقيل : الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[هود: ٣٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما معنى قوله ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ معنى (يغويكم) يضلكم من قوله : غوى الرجل يغوي وهو الضلال"[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المعنى يضلكم، وهو قول كثير من المفسرين، [2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" قال ابن عباس في رواية عطاء: يضلكم."

وقال ابن عطية:" يضلكم."

وقال القرطبي:" أي يضلّكم."

القول الثاني: المعنى يهلككم، وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال الطبري:" ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾، يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه."

وقال الزمخشري:" وقيل: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أن يهلككم."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٨) (٥/ ٢٢٠).

٢ - الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧١)، ابن عطية(٣/ ١٦٦)،ابن الجوزي (٤/ ٨٠)القرطبي (٢/ ٢٧)، النسفي (٢/ ٢٦٨)،الخازن آيه ٣٤،البقاعي (٣/ ٥٣٥)، الشوكاني (٢/ ٤٩٢) ، ابن عاشور (١٢/ ٦١).

٣ - الطبري (١٢/ ٢٠)، الزمخشري (٢/ ٢٦٧)، ابن عطية (٣/ ١٦٦)، ابن الجوزي (٤/ ٨٠)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، الألوسي(٢١/ ٥).

وقال ابن عطية:" وقالت فرقة معنى قولـه: ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: يهلككم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى يضلكم، فالضلال مقابل الهدي وهو بنصحه لهم يريد هدايتهم.
- وأما القول إن المعنى يهلككم، فالهلاك مقابل النجاة، وهو بنصحه لهم يريد نجاتهم من العذاب.

فكلا القولين له وجه في المعنى والمحصلة واحدة. إلا أنه أقوى في معنى الضلال لأن الهلاك يأتي بعد الضلال.فإن ضلوا عن منهج الحق أهلكوا.

الترجيح:

يترجح القول إن المعنى يضلكم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أظهر وأقوى في إيراده المعنى المطلوب.

٢. لأنه حد فاصل بين النعيم والعذاب، فإن استجابوا للنصح نعموا، وإن ضلوا عذبوا.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[هود: ٣٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿يَقُولُونَ﴾ ؟

قال أبو حيان:" قيل: هذه الآية اعترضت في قصة نوح، والأخبار فيها عن قريش. يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أي: افترى القرآن، وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه، ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده، ولكن الظاهر أن الضمير في يقولون عائد على قوم نوح، أي : بل أيقولون افترى ما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أع رض عنه، فقال عليه السلام قل: إن افتريته فعليّ إثم إجرامي."(١)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على قوم نوح، وهو قول كثير من المفسرين، (٢) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" يعني: قوم نوح يقولون افتراه، أي: اختلقه من تلقاء نفسه."

وقال الواحدي:" يعني قوم نوح."

وقال ابن عطية :" وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ...﴾ الآية، قال الطبري وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير : إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح وهي شأن محمد ﷺ مع كفار قريش، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن

١- البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٩) (٥/ ٢٢٠).

٢- السمرقندي (٢/ ١٤٨)،الواحدي في الوسي ط (٢/ ٥٧١)، ابن عطية (٣/ ١٦٦)، النظام النيسابوري (١٢/ ١٦)، الخازن آيه ٣٥هود، الشوكاني(٢/ ٤٩٦)، الألوسي(٢١/ ١٥).

وافترى هذه القصة على نوح ، فنزلت الآية في ذلك . قال القاضي أبو محمد : وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده ، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام، ويبقى اتساق الآية مطرداً، ويكون الضمير في قوله ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾عائداً إلى العذاب الذي توعدهم به أو على جميع أخباره ، وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به . والمعنى: أم يقول هؤلاء الكفرة افترى نوح هذا التوعد بالعذاب وأراد الإرهاب علينا بذلك؛ ثم يطرد باقي الآية على هذا."

القول الثاني : إن الضمير عائد إلي كفار قريش، وهو قول بعض من المفسرين. ."[1]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن؟ وهذا الخبر عن نوح . قل لهم: إن افتريته فتخرّصته واختلقته فَعَلَيّ إجْرَامي يقول : فعليّ إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم، لا تؤاخَذُون بذنبي ولا إثمي ولا أؤاخذ بذنبكم . ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾ يقول: وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه.

وقال الرازي :" وأكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح عليه السلام، وهذه الآية وقعت في قصة محمد ﷺ في أثناء حكاية نوح، وقولهم بعيد جداً، وقال ابن جزي:" الضمير في (يقولون) لكفار قريش، وفي افتراه لمحمد ﷺ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على قوم نوح، فهو الظاهر من سياق قصة نوح.

١- الطبري(١٢/ ٢٠)، الرازي (١٧/ ٣٣٤)، ابن جزي (٢/ ١٩١)،الخازن آية ٣٥، ابن كثير (٤/ ٢٧٦)، الجلالين آيه ٣٥، أبي السعود(٤/ ١٩٩).

- وأما القول بأن الضمير عائد إلي كفار قريش، فلا دليل صحيح يدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على قوم نوح ، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه ظاهر من سياق قصة نوح في الآيات.

٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى من الخروج.][1]

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح (١٢٥/١).

قال تعالى ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[هود: ٣٧].

في الآية مسألة واحده وهي:

ما معنى (وَوَحۡيِنَا) في الآيةِ؟

قال أبو حيان : " ووحينا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس: لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر[1] .... وقول من قال: معنى ووحينا بأمرنا لك أو بعلمنا ضعيف، لأن قوله: واصنع الفلك، مغن عن ذلك."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد بوحينا بإلهامنا ، وهو قول كثير من المفسرين، [3]واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وقوله﴿ بِأَعۡيُنِنَا﴾ يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك .. عن ابن عباس[4]، قوله: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ وذلك أنه لم يَعلَمَ كيف صنعة

١- الجؤجؤ: بضم الجيم وسكون الهمزة وضم الجيم وهو مجتمع عظام الصدر .المعجم الوسيط (١٠٣/١) .

٢ -البحر المحيط (ح٥/ ل١٦٩) (٢٢١/٥).

٣ - الطبري (٢١/١٢)، السمرقندي(١٤٨/٢)، الثعلبي آيه ٣٧،الزمخشري (٢٦٧/٢)،ابن عطية (١٦٨/٣)، الرازي(٣٤٥/١٧)،القرطبي(٢٩/٩)، النسفي(٢٩٦/٢)، ابن جزي (١٩١/٢)ابن كثير (٢٧٨/٤)، ابن عادل (٤٨٠/١٠)، البقاعي (٥٢٨/٣)، أبي السعود (١٩٩/٤) الشوكاني (٤٩٦/٢)، الألوسي(٤٩/١٢)، ابن عاشور(١٢٣/٤).

٤- وسنده قال الطبري :" حدثني محمد بن سعد، قال : ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس."

الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جُؤجؤ الطائر.

وقال السمرقندي:" يعني: بوحينا إليك."

قال الثعلبي:"على ما أوحينا إليك، قال ابن عباس : وذلك إنّه لم يعلم كيف يصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها على جؤجؤ الطائ."

القول الثاني: المراد بأمرنا لك أو بعلمنا، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري :" قال مجاهد[2]: وَوَحْيِنا قال: كما نأمرك."

وقال الماوردي:" ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها.

الثاني: تعليمنا لك كيف تصنعها."

وقال البغوي:" ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ بأمرنا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد بوحينا إلهامنا، فهو ظاهر من دلالة سياق الآية.
- وأما القول إن بأمرنا لك أو بعلمنا، فهو يدخل ضمن المعنى الأول.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد بوحينا، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لدلالة قوله ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾.

قال ابن عاشور:" ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ عطف على جملة ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾[هود: ٣٦]

---

١ - الطبري(١٢/ ٢١)، الماوردي والبغوي والخازن آية ٣٧، الألوسي(١٢/ ٤٩).

٢ - وسنده قال:" حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخُراساني، عن ابن عباس : ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بأعْيُنِنا وَوَحْيِنا ﴾ قال: بعين الله، قال ابن جريج، قال مجاهد."

وهي بذلك داخلة في الموحى به فتدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك كما دل عليه قوله: (وَوَحْيِنَا) ، ولذلك فنوح عليه السلام أول من صنع الفلك ولم يكن ذلك معروفاً للبشر، وكان ذلك منذ قرون لا يحصيها إلاّ الله تعالى. "

٣. لموافقه قاعدة الترجيح وهي :[إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى.] [١]

والله تعالى أعلم

---

١ – قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/٣٧٣) .

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾ [هود: ٤٠].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالتنور؟

قال أبو حيان – بعد ذكره الأقوال كلها- :" والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار."[1]

الدراسة:

في المسألة تسعة أقوال:

القول الأول: المراد مستوقد النار، وهو قول كثير من المفسرين .[2] واختاره أبو حيان.

قال الفراء :" هو تنور الخابز : إذا فار من أحر مكان في دارك فهي آية العذاب فأسر بأهلك."

وقال الطبري :" قال آخرون : هو التنور الذي يختبز فيه ...عن ابن عباس،[3] قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٠) (٥/٢٢٣).

٢ - الفراء (٢/ ١٤)، الطبري (١٢/ ٢٨)، ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩)، السمرقندي (٢/ ١٤٨)، الثعلبي والماوردي والبغوي آيه ٤٠، ابن عطيه (٣/ ١٧٠)، ابن الجوزي (٤/ ٨٤)، الرازي (١٧/ ٣٤٨)، القرطبي(٩/ ٣٠)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، النسفي (٢/ ٢٧٠)، ابن جزي (٢/ ١٩٢)، ابن كثير (٤/ ٢٧٨)، البقاعي (٣/ ٥٢٨)، الجلالين آيه ٤٠، الثعالبي (٢/ ١٢٣)، أبي السعود (٤/ ١٩٩)، الشوكاني (٢/ ٢٩٦)،الألوسي(٢١/ ١٦).

٣ – وسنده :"حدثني محمد بن سعد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس."

قال ابن أبي حاتم:" عن ابن عباس،[1] قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك."

القول الثاني: المراد وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الطبري:" وقوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، وفار التنور، وهو وجه الأرض... عن ابن عباس[3] أنه قال في قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قال: التنور: وجه الأرض. قال: قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت ومن معك قال: والعرب تسمي وجه الأرض: تنور الأرض.

...عن الضحاك[4]، بنحوه.

...عن عكرمة،[5] في قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾قال: وجه الأرض."

وقال ابن أبي حاتم:" عن ابن عباس[6]: قال:التنور وجه الأرض قيل له:

---

١ – وسنده :"أخبرنا محمد بن سعد فيما كتب إلي، ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس."

٢ – الطبري(١٢/ ٢١)، ابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٢٩)،السمرقندي(٢/ ١٤٨)، الثعلبي والماوردي آية٤٠، ابن الجوزي (٤/ ٨٤)، القرطبي (٩/ ٣٠)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، النسفي (٢/ ٢٧٠)، الشوكاني (٢/ ٢٩٦).

٣ – وسنده:" حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : ثنا هشيم، قال : أخبرنا العوّام بن حوشب، عن الضحاك، عن ابن عباس."

٤ – وسنده:" حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن العوّام، عن الضحاك."

٥ – وسنده:" حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال : أخبرنا الشيباني، عن عكرمة."

٦ – وسنده:" حدثنا أبي، ثنا يعقوب الدورقي، ثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن الضحاك، عن ابن عباس."

إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت ومن معك قال: والعرب تسمي وجه الأرض: تنور الأرض. وروى عن عكرمة ، أنه قال: وجه الأرض."

وقال السمرقندي:" وقال ابن عباس : وفار التنور، يعني : نبع الماء من وجه الأرض."

القول الثالث: المراد أعلى الأرض والمواضع المرتفعة ، قاله قتادة، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقال آخرون: معنى ذلك: وفار على الأرض وأشَرفِ مكان فيها بالماء. وقال: التنور أشرف الأرض ...عن قتادة[2]، قوله: حتى إذَا جاء أمْرُنا وَفارَ التّنُّورُ كنا نُحَدّث أنه أعلى الأرض وأشرفها، وكان عَلَمَاً بين نوح وبين ربه."

وقال الثعلبي:" قتادة: موضع في الأرض وأعلى مكان فيها."

وقال الماوردي:" إن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها، قاله قتادة."

القول الرابع : المراد العين التي بالجزيرة، قاله عكرمة،وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال ابن أبي حاتم :" عن ابن عباس [4] : في قوله ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّور﴾ العين التي بالجزيرة عين الوردة."

وقال الثعلبي:" وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم وإنّما كان بالشام بموضع يقال

---

١ - الطبري(١٢/ ٢١)، الثعلبي والماوردي آية ٤٠، ابن الجوزي (٤/ ٨٤)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، الشوكاني (٢/ ٢٩٦).

٢ – وسنده :" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة."

٣ - ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩)،الثعلبي والماوردي آية ٤٠، ابن الجوزي (٤/ ٨٤)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، الشوكاني (٢/ ٢٩٦)،

٤ – وسنده :" حدثنا أبي، ثنا أبو الجمهر، ثنا سسعيد بن بشير، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس."

له: عين وردة."

وقال الماوردي:" إن التنور العين التي بالجزيرة (عين وردة) ."

القول الخامس : المراد موضع اجتماع الماء في السفينة ، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال القرطبي:" إنه موضع اجتماع الماء في السفينة؛ عن الحسن أيضاً."

وقال الشوكاني:" إنه موضع اجتماع الماء في السفينة، روي عن الحسن."

القول السادس: المراد طلوع الشمس، ذكره ابن الجوزي وأبو حيان.[2]

قال ابن الجوزي:" إنه طلوع الشمس، وهو منقول عن علي أيضا."

القول السابع: المراد نور الصبح،[3]

قال الطبري :" وقال آخرون: هو تنوير الصبح من قولهم: نوّر الصبح تنويراً... عن عليّ[4] ﷺ، قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾قال: هو تنوير الصبح."

وقال ابن أبي حاتم:" عن علي[5] قال: تنوير الصبح."

وقال السمرقندي:" وقال علي بن أبي طالب : يعني: طلوع الفجر، أي تنوير الصبح، يعني: إذا طلع الفجر، كان وقت الهلاك."

القول الثامن: المراد غلبة الماء وظهور العذاب، أي مجاز.وهو قول النسفي وابن

---

١ - القرطبي(٩/ ٣٠)، الشوكاني (٢/٢٩٦)،

٢ - ابن الجوزي(٤/ ٨٤)، أبو حيان(٥/ ٢٣٢).

٣ - الطبري(١٢/ ٢١)، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٢٨)، ابن عطية (٣/ ١٧٠)، السمرقندي(٢/١٤٨)، الثعلبي والبغوي آية٤٠، ابن الجوزي(٤/ ٨٤)، القرطبي (٩/ ٣٠). الشوكاني (٢/ ٢٩٦).

٤ - و سنده :" حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال : ثنا محمد بن فُضَيل، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن عباس مولى أبي جحيفة، عن أبي جحيفة، عن عليّ ." وذكر عدة أسانيد مدارها على عبد الرحمن بن إسحاق.

٥ - من طريق عبد الرحمن بن إسحاق ."

عاشور.[1]

قال النسفي:" هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته."

وقال ابن عاشور :" والذي يظهر لي أن قوله : ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ مثَل لبلوغ الشيء إلى أقصَى ما يتحمل مثله، كما يقال : بلغ السيل الزُبى، وامتلأ الصاع، وفاضت الكأس وتفاقم."

القول التاسع: المراد من مسجد الكوفة؛ وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الثعلبي:" وروى السدي عن الشعبي [3] أنه كان يحلف بالله ما يظهر التنور إلاّ من ناحية الكوفة، وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة."

وقال ابن الجوزي :" إنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبة العرني[4] عن علي عليه السلام. وقال زر بن حبيش[5]: فار التنور من زاوية مسجد الكوفة الكوفة اليمنى."

وقال القرطبي:" الخامس أنه مسجد الكوفة؛ قاله عليّ بن أبي طالب أيضاً؛

---

١ - النسفي (٢/ ٢٧٠)، ابن عاشور (١٢/ ٦٩).

٢ - الثعلبي آية ٤، ابن الجوزي(٤/ ٨٤)، القرطبي(٩/ ٣٠)،

٣ - عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي، أبو عمرو، الإمام علامة العصر، توفي سنة ١٠٥هـ. طبقات ابن سعد(٦/ ٢٤٦)، تاريخ البخاري(٦/ ٤٥٠)، سير أعلام النبلاء(٤/ ٢٩٤).

٤- حبة ، بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة، ابن جوين، بجيم ، مصغر، ال عرني، بضم المهملة وفتح الراء بعدها نون، أبو قدامة الكوفي، صدوق له أغلاط، كان غاليا في التشيع، من الثانية، وأخطأ من زعم أن له صحبة، مات سنة٧٦هـ -وقيل ٧٩هـ.تهذيب الكمال(٥/ ٣٥١)، تهذيب التهذيب(٢/ ١٧٦)، التقريب ص ١٥٠.

٥ - زر بن حبيش بن حباشة بن أوس،الإمام القدوة، مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدي، أدرك أيام الجاهلية، توفي سنة ١٢٧هـ. طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤)، تاريخ البخاري (٣/ ٤٤٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦٦).

وقاله مجاهد. قال مجاهد: كان ناحية التنور بالكوفة. وقال: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الدّاخل مما يلي كندة."

وذهب آخرون الي أن المراد به المعنى المجازي وممن قال به النسفي والخازن وابن عاشور.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مستوقد النار، فهو الظاهر وسيأتي بيانه.
- وأما القول إنه المراد وجه ا لأرض، وأعلى الأرض والمواضع المرتفعة ، وموضع اجتماع الماء في السفينة ، وطلوع الشمس المراد، ونور الصبح المراد غلبة الماء . فلا يستقيم عليها التفسير، وبعضها يمنعه تصريف الكلمة مثل نور الصبح.
- أما القول إن المراد العين التي بالجزيرة ، و مسجد الكوفة فهي أماكن ذكرت، ولا دليل يصح عليها.
- وقد ذهب بعض المفسرين[1] إلي أن جميع المعاني التى ذكرت محتملة ، لأنها ليست بمتناقضة؛ لأن الله عز وجل أخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض؛ قال: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾[القمر: ١١]. فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد مستوقد النار، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه هو الظاهر، ولا يصح صرفه إلا بدليل.

قال البقاعي :"(التنور) وعن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد أنه الحقيقي الذي يخبز فيه ، وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل ، لأن

١ - النحاس(١/٥٠٧)، القرطبي (٩/٣٠).

صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث كما قاله أهل الأصول."

٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر].[1]

قال الطبري :" وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: التَّنُّور قول من قال: هو التنور الذي يختبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانـ يه عند العرب إلا أن تقوم حجة عل ى شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به."

٢. لأنه هو الأصل والحقيقة.

قال الرازي :" فإن قيل: فما الأصح من هذه الأقوال؟

قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يختبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه ولا متناع في العقل في أن يقال : إن الماء نبع أولاً من موضع معين وكان ذلك الموضع تنوراً."

وقال الخازن:" وهذا القول أصح لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه."

والله تعالى أعلم

١- انظر قواعد الترجيح (٢/٣٦٩).

المسألة الثانية

كم عدد الذين آمنوا مع نوح عليه السلام ؟

قال أبو حيان:" وهذه أقوال متعارضة، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل، ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله ﷺ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: هم قليل ولا يعرف عددهم .وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" والصواب من القول فـي ذلك أن يقال كما قال الله :﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قلـيلاً، ولـم يحدد عددهم بـمقدار ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتـجاوز فـي ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله ﷺ."

وقال ابن عطية :" واختلف في ذلك (القليل) فقيل: كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأة وقيل كان جميعهم ثلاثة وثمانين : وقيل كانوا ثمانين في الكل ، قالـه السدي: وقيل: عشرة؛ وقيل: ثمانية، قاله قتادة وقيل: سبعة؛ والله أعلم."

وقال الرازي :" قوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَۚ﴾ قالوا كانوا ثمانين...... وذكروا ماهو أزيد منه وما هو أنقص منه وذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا أن الله تعالى وصفهم بالقلة وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾" .

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧١) (٥/ ٢٢٣).

٢ - الطبري(١٢/ ٢١)، ابن عطية (٣/ ١٧٠)،الرازي (١٧/ ٣٤٨)، الثعالبي (٢/ ١٢٣)، الشربيني (٢/ ٦٣)،

القول الثاني: عدد معين مختلف فيه، وهو قول كثير من المفسرين.[1]

قال الطبري:" واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه في الفلك، فقال بعضهم في ذلك: كانوا ثمانية أنفس – عن قتادة –

وقال آخرون: بل كانوا سبعة أنفس.- عن الأعمش –

وقال آخرون: كانوا عشرة سوى نسائهم. – عن ابن إسحاق –

وقال آخرون: بل كانوا ثمانين نفسا.- عن ابن عباس -."

وقال ابن أبي حاتم:" عن كعب الأحبار[2] أنه قال: والمؤمنون يومئذ اثنان وسبعون فأرسل الله الماء من السماء وفتح الأرض."

وقال السمرقندي:" قال ابن عباس : هم ثمانون إنساناً، وقال الأعمش في قوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ كان نوح، وثلاث بنين، ونساؤهم . وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول هم قليل ولا يعرف عددهم، فهو الظاهر.
- وأما ذكر أعدادهم فلم يرد في ذلك دليل صحيح، ولا فائدة ترجى من معرفة عددهم.

---

١ - الطبري(١٢/ ٢١)، ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٢)، السمرقندي (٢/ ١٤٨)، الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٤٠، ابن الجوزي (٤/ ٨٤)،القرطبي(٩/ ٣٠)، البيضاوي (٣/ ٢٣٢)، النسفي (٢/ ٢٧٠)،ابن جزي(٢/ ١٩٢)، الخازن آية ٤٠،ابن كثير(٤/ ٢٧٨)،ابن عادل (١٠/ ٤٨٠)، البقاعي (٣/ ٥٢٨)، أبي السعود (٤/ ١٩٩)، الشوكاني (٢/ ٤٩٦)، الألوسي (٢١/ ١٦).

٢ - كعب الأحبار بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، أدرك النبي ﷺ أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ كان يهوديا، توفي سنة٣٢هـ. الإصابة(٥/ ٣٢٢) القسم الثاني، سير أعلام النبلاء(٣/ ٤٨٩).

الترجيح:

يترجح القول إنهم قليل ولا يعرف عددهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك :

١. لأنه هو الظاهر من الآية، ومن اللفظ القرآني.

٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي ":[لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة].وجعلت هذه القاعدة ترجيحيه،لأنها ترجح أصل الإبهام والإجمال والاختصار في الآية على تلك التفصيلا ت التي لا دليل عليها، وإنما هي مبنية على أخبار إسرائيلية ."[1]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢٢٥/١).وفيه تفصيلا وافيا للقاعدة .

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤١]

في الآية مسالتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَقَالَ﴾؟

قال أبو حيان :" الضمير في: وقال، عائد على نوح أي: وقال نوح حين أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ومن أمر بحمله : اركبوا فيها. وقيل: الضمير عائد على الله، والتقدير: وقال الله لنوح ومن معه، ويبعد ذلك قوله : إن ربي لغفور رحيم."(1)

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على نوح عليه السلام، وهو قول جماعة من المفسرين،(2) واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : وقال نوح: اركبوا في الفلك بسم الله مَجراها ومُرْساها . وفي الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه، وهو قوله:﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ فحملهم نوح فيها وقال لهم: اركبوا فيها. فاستغني بدلالة قوله: وَقَالَ ارْكَبُوا فيها عن حمله إياهم فيها، فترك ذكره."

---

١ -البحر المحيط (ح٥/ ل١٧١) (٥/ ٢٢٥).

٢ -الطبري (١٢/ ٢٧)،الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٣) ، الثعلبي والبغوي آية ٤١، ابن عطية (٣/ ١٧٢) ، ابن الجوزي (٤/ ٨٧)،الرازي (١٧/ ٣٥٠)، القرطبي(٩/ ٣٦)، النسفي (٣/ ١٨)،ابن جزي (٢/ ١٩٣)، الخازن آية ٤١،ابن كثير (٤/ ٢٧٩)، ابن عادل (١٠/ ٤٨٠)، الجلالين آيه ٤١،الألوسي(٢/ ٨٦)، القاسمي(٦/ ١٢١)، النبهاني آيه ٤١، الجزائري (٢/ ٥٤٤).

وقال الواحدي :" (وَقَالَ) نوح لقومه الذين أمر بحملهم."

وقال الثعلبي:" (وَقَالَ) نوح لهم: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا﴾".

القول الثاني : الضمير يعود على الله ، وذكره القرطبي وابن عادل والشوكاني[1].

قال القرطبي:" قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ﴾أمر بالركوب؛ ويحتمل أن يكون من الله تعالى، ويحتمل أن يكون من نوح لقومه."

وقال ابن عادل:" قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا﴾. يجُوزُ أن يكون فاعلُ (قَالَ) ضمير نوح عليه السلام ويجوزُ أن يكون ضمير الباري - تعالى جل ذكره - أي: وقال اللـه لنوح ومنه معهُ."

وقال الشوكاني :" قولـه: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾القائل: نوح، وقيل: الله سبحانه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على نوح، فهو ظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على الله، فيرده ختام الآية ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ولو رجع الضميرُ إلى الله تعالى لناسب أن يقال: إن ربكم.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على نوح عليه السلام،وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لدلالة ختام الآية.

١- القرطبي (٩/٣٦)، ابن عادل (١٠/٤٨٠)،الشوكاني (٢/٤٩٦).

وقال الشوكاني :" قوله: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ القائل: نوح، وقيل: الله سبحانه. والأوّل: أولى، لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾".

والله تعالى أعلم

المسالة الثانية

لمن الخطاب في قوله﴿ٱرۡكَبُواْ ﴾؟

قال أبو حيان :" قيل: وغلب من يعقل في قوله : اركبوا، وإنْ كانوا قليلاً بالنسبة لما لا يعقل ممن حمل فيها، والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصة، لأنه لا يليق بما لا يعقل."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول : الخطاب لمن يعقل خاصة، وهو قول جماعة من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" ﴿وَقَالَ﴾ نوحٌ لقومه الذين أُمر بحملهم."

قال ابن عطية:" ﴿وَقَالَ﴾ نوح – حين أمر بالحمل في السفينة – لمن آمن معه."

وقال الرازي:" أما قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوح عليه السلام لقومه."

وقال أبي السعود:" ﴿وَقَالَ﴾ أي نوحٌ عليه السلام لمن معه من المؤمنين."

القول الثاني: الخطاب لمن يعقل ومن لايعقل، وهو قول بعض المفسرين.[3]

وقال ابن الجوزي:" ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحا للذين أمر بحملهم ﴿ٱرۡكَبُواْ ﴾ السفينة."

وقال الخازن:" ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة."

---

١ –البحر المحيط (ح٥/ل١٧١) (٢٢٥/٥).

٢ – الواحدي في الوجيز آية٤١،ابن عطيه (١٧٢٩/٣)،الرازي (٣٥٠/١٧)،أبي السعود(١٩٩/٤)، الألوسي (٨٦/٢١)، الشنقيطي(١٨/٣)، الجزائري (٥٤٤/٢).

٣ – ابن الجوزي (٨٧/٤)، الخازن آيه ٤١، ابن كثير (٢٧٩/٤)،البقاعي(٥٣١/٣)، ابن عاشور (٧٣/١٢).

ابن كثير:" يقول تعالى إخباراً عن نوح ﷺ أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما الخطاب لمن يعقل خاصة، فهو الظاهر.

فقد استدل له بقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[المؤمنون: ٢٨ - ٢٩]. فالحمد يصدر من العاقل بلفظه وبفعله و الركوب يكون من فعل العاقل طواعية منه وأما غير العاقل فالركوب ليس باختيار منه وإنما بفعل غيره ممن يعقل والدليل أن هناك ممن عقل رفض الانصياع إلي الأمر بالركوب كابن نوح ﷺ ولم يرد خبر يفيد تخلف بعض ممن لا يعقل عن الركوب ولذا فإنهم كانوا أكثر عددا ممن عقل .

- وأما القول إن الخطاب لمن يعقل ومن لا يعقل، فهو محتمل.

الترجيح:

يترجح ما ذهب إليه أبو حيان ومن وافقه لما سبق بيانه، مع عدم امتناع دخول غيرهم معهم في الخطاب فالركوب شمل الجميع سواء كان بفعله أو فعل غيره والحمد يمكن أن يصدر ممن يعقل وممن لا يعقل كالتسبيح قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤]" .

قال القرطبي:" أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح."

قال الشوكاني:" قيل: ولعلّ نوحاً قال هذه المقالة بعد إدخال ما أمر بحمله من الأزواج، كأنه قيل: فحمل الأزواج وأدخلها في الفلك، وقال للمؤمنين،

ويمكن أن يقال إنه أمر بالركوب كل من أمر بحمله من الأزواج والأهل والمؤمنين، ولا يمتنع أن يفهم خطابه من لا يعقل من الحيوانات، أو يكون هذا على طريقة التغليب"

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[هود: ٤٢] .

في الآية مسألة واحده وهي:

هل الابن المذكور في الآيٓ من صلب نوح أم لا؟

قال أبو حيان :" في قوله : إن ابني من أهلي، وندائه دليل على أنه ابنه لصلبه، وهو قول: ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، وابن جبير، وميمون بن مهران [1]، والجمهور،.......... والذي يدل عليه ظاهر الآية أنه ابنه."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الابن لنوح من صلبه . قاله جماعة من السلف؛ وهو قول كثير من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يعنـي تعالى ذكره بقوله :﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ والفلك تجري بنوح ومن معه فيها فِي مَوْجٍ كالجِبالِ وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ يام، وكانَ فِي مَعْزِلٍ عنه

---

١ - ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، أصله كوفي، ثقة فقيه، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، وكان يرسل، توفي سنة١١٧هـ. تهذيب الكمال(٢٩/ ٢١٠)، تهذيب التهذيب(١٠/ ٣٩٠)، التقريب ص٥٥٦،

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٢) (٥/ ٢٢٦-٢٢٧).

٣ - الطبري (١٢/ ٢٨)،ابن أبي حاتم(٦/ ٢٠٣٤)،النحاس (١/ ٥٠٨)،الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٤٢،الزمخشري(٢/ ٢٧٠)، ابن عطية (٣/ ١٧٢)، ابن الجوزي (٤/ ٨٨)، الرازي (١٧/ ٣٥٣)، القرطبي (٩/ ٣٦)،النسفي(٢/ ٢٧١)، النظام النيسابوري (١٢/ ١٦)، ابن جزي (٢/ ١٩٣)، الخازن آية ٤٢، ابن كثير (٢/ ٢٧٩)، ابن عادل (١٠/ ٤٨٠)،البقاعي(٣/ ٥٣١)، السيوطي في الدر النثور (٤/ ٤٣٣)، الشربيني (٢/ ٦٦)، أبي السعود (٤/ ١٩٩)، الشوكاني (٢/ ٢٩٦)، الألوسي (٢١/ ٨٦)،ابن عاشور(١٢/ ٧٤).

لم يركب معه الفلك: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ الفلك ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾."

وقال ابن أبي حاتم:" عن ابن عباس[1] يعني قوله :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ قال: ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية."

وقال النحاس:" قال عبدالله بن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وكان ابنه."

قال سعيد بن جبير: وهو ابنه، لأن الله خبرنا بذلك.

وقال عكرمة: إن شئتم حلفت لكم أنه ابنه.

وقال الضحاك: هو ابنه، قال تعالى :﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾....

قال أبو جعفر: وهذان القولان حسنان في اللغة.والأول أولى.".

القول الثاني: الابن ليس ابن نوح، ذكره بعض المفسرين.[2]

قال الصنعاني[3]:" عن قتادة قال كنت عند الحسن فقال ونادى نوح ابنه لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قا ل أفرأت قوله إنه ليس من أهلك قال قلت إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه قال إن أهل الكتاب يكذبون."

١- وسنده قال :حدثنا الحسن بن أبي الربيع، ثنا عبد الرزاق أنبانا معمر، عن قتادة، وغيره، عن عكرمة، عن ابن عباس ."(٢٠٣٤/٦).

٢- عبدالرزاق الصنعاني (١٨٢/٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٣٤/٦)، النحاس (٥٠٨/١)، الزمخشري (٢٧٠/٢)، ابن عطية (١٧٢/٣)، ابن الجوزي (٨٨/٤)، الرازي(٣٥٣/١٧)، القرطبي (٣٦/٩)، النسفي (٢٧١/٢)، ابن عادل (٤٨٠/١٠)،البقاعي(٥٣١/٣)، الشوكاني (٢٩٦/٢)، الالوسي (٨٦/٢١)، ابن عاشور(٧٤/١٢).

٣ - عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني الثقة ، أبو بكر عالم اليمن، الحافظ الكبير، توفي سنة ٢١١هـ. طبقات ابن سعد (٥٤٨/٥)، الجرح والتعديل (٣٨/٦)، سير أعلام النبلاء(٥٦٣/٩).

وقال ابن أبي حاتم:" عن الحسن[1] قال: ليس بابنه.

..عن ثابت بن الحجاج الكلابي[2] في قول الله :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ قال: ولد على فراشه."

وقال النحاس:" وقال مجاهد: ليس هو ابنه، ويبين ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[هود: ٤٦] .

قال الحسن: لم يكن ابنه وإنما ولد على فراشه فنسب إليه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه ابنه فهو الصحيح ، وموافق لصر يح القرآن ، مما لايدع مجالا للشك.
- وأما القول إنه ليس ابنه فاستدلوا بما يلي:

١. قراءة من قراء [ابنه –بفتح الهاء من غير ألف –أو ابنها –بإثبات الألف] .

٢. استدل بقوله:﴿ مِنْ أَهْلِي ﴾[هود: ٤٥] ولم يقل: مني، ولنسبته إلى أمّه وجهان، أحدهما : أن يكون ربيباً له، كعمر بن أب ي سلمة لرسول الله ﷺ، وأن يكون لغير رشده.

٣. استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً.

٤. أن نوحا ﵇ قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا

[1] – وسنده:"حدثنا أبو زرعة، ثنا صفوان بن صالح، ثنا الوليد، ثنا خليد وس عيد عن قتادة ، عن الحسن."

[2] – وسنده:" حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا علي بن ثابت الجزري، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج الكلابي."(٢٠٣٤/٦) وثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، ثقة من الثالثة، أخرج له أبو داود. تهذيب الكمال(٣٥١/٤)، تهذيب التهذيب(٢/ ٤)، التقريب ص ١٣٢.

﴿٢٦﴾ [نوح: ٢٦] فكيف ناداه مع كفره ؟

والجواب على ذلك من وجوه:

١. اتفاق المفسرين. على شذوذ قراءة من قرأ [ابنه –بفتح الهاء من غير الف –أوابنها[1] –بإثبات الالف][2] .

٢. اتفاق أهل التفسير على شناعة ما ذكر البعض في ابن نوح من أنه ليس ابنه لصلبه ...الخ ما ذكر ونسبة القول إلي بعض التابعين .[3]

٣. أنه ثبت أن والد رسولنا ﷺ كان كافراً، ووالد إبراهيم عليه السلام كان كافراً بنص القرآن، فكذلك ههنا.

٤. أن نوحاً عليه السلام نادى ابنه وكان يعلم أنه كافر، لكنه ظن أنه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان فصار قوله : ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان وتأكد هذا بقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾أي تابعهم في الكفر واركب معنا. ثم إن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إنه ابن نوح لصلبه. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١- وأخرج ابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ عن علي رضي الله عنه أنه قرأ (ونادى نوح ابنها).الدر المنثور (٤/٤٣٣).قال ابن عطية:"وعلى هذه القراءة يدخل تأويل من قال :(كانت خائنة)." وهذا لا يصح أن يقال في حق أنبياء الله."

٢ – قال القرطبي(٩/٣٦) :" فأما (ونَادَى نُوحٌ ابْنَهَ وَكَانَ) فقراءة شاذّة،"، وانظر المحتسب(١/٤٤٥)، إعراب القراءات (١/٦٦٣)، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص٦٠.

٣- وقال الالوسي:" ونسبة هذا القول إلى الحسن. ومجاهد ـ كما زعم الطبرسي ـ كذب صريح." روح المعاني (٢١/٨٦).وانظر الطبرسي في مجمع البيان (١١/١٥١).

١. لصريح اللفظ القرآني في أنه ابنه أكثر من مرة ومقام .

قال تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود:٤٢].

وقوله ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ [هود:٤٥].

٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهى: [معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة][1]. " فإذا خالفت القراءة الشاذة القراءة المتواترة في مدلولها، ووقع الخلاف بين العلماء في تفسير الآيه بناء على اختلاف معنى القراءتين، ولم يمكن حمل معنى القراءة الشاذة على معنى القراءة المتواترة بحيث يتحد معنى القراءتين، فأولى الأقوال بالصواب في تفسير الآيه، تفسيرها وحملهاعلى مدلول القراءة المتواترة؛ لأن الشاذ لا يقوى على منازعة الثابت المجمع عليه."[2]

٣. لأن في هذا القول تعظيما لمقام الأنبياء بخلاف القول الأخر.

قال النحاس:" والقول الأول أبين وأصح لجلالة من قاله، وأن قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [هود:٤٦].ليس مما ينفي عنه أنه ابنه، وقد قال الضحاك : معناه: ليس من أهل دينك، ولا من أهل ولايتك . وقال سفيان: معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم."

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح (١/ ١٠٤).

٢ - قواعد الترجيح (١/ ١٠٥).

قال تعالى ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ لَا عَاصِمَ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته وأنه نفي كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأنّ من رحم يقع فيه من على المعصوم ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد لا مانع اليوم من أمر الله إلا من رحم، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق : ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ يقول: سأصير إلى جبل أتحصن به من الم اء، فيمنعني منه أن يغرقني . ويعني بقوله:﴿ يَعۡصِمُنِي ﴾ يمنعني، مثل عصام القربة الذي يشدّ به رأسها فيمنع الماء أن يسيل منها . وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾ يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رَحِمنا فأنقذَنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٣) (٥/ ٢٢٧).

٢ - الطبري (١٢/ ٢٨)،الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٧٤)، السمرقندي (٢/ ١٤٨)، الزمخشري (٢/ ٢٧٠)، ابن عطيه (٣/ ١٧٤)،ابن الجوزي (٤/ ٨٨)، الرازي (١٧/ ٢٥٣)، القرطبي (٩/ ٣٦)، النسفي(٢/ ٢٧١)،ابن جزي (٢/ ١٩٣)، والخازن آيه ٤٣، ابن عادل (١٠/ ٤٨٠)،البقاعي (٣/ ٥٣١)، أبي السعود(٤/ ١٩٩)، الشوكاني (٢/ ٤٩٦).

وقال السمرقندي:" ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا مانع اليوم من عذاب الله، أي الغرق، لا جبل ولا غيره ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾يعني: إلا من قد آمن، فعصمه الله."

وقال الواحدي:" لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ هذا استثناء منقطع، المعنى لكن من رحم الله، فإنه معصوم."

القول الثاني: المراد هو: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحم، [1]وهو قول بعض المفسرين.

قال النحاس:" فيه قولان: ... والآخر: أنه على النسبة، فيكون المعنى لا معصوم، كما قال ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[الطارق: ٦].أي: مدفوق."

وقال الزمخشري:" وقيل لا عاصم، بمعنى: لاذا عصمة إلا من رحمه الله، كقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[الطارق: ٦].."

وقال ابن عطية:" وقيل: (عاصم) معناه ذو اعتصام، فـ (عاصم) على هذا في معنى معصوم، ويجيء الاستثناء مستقيماً."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أن السبب في ذلك هو الاختلاف في موضع (من):

- ف(من) في القول الأول: في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله.
- و(من) في القول االثاني : فـي موضع نصب، لأن الـمعصوم بخلاف

١ - النحاس(١/٥٠٩)، الزمخشري(٢/٢٧٠)، ابن عطيه(٣/١٧٤)، ابن الجوزي(٤/٨٨)، الرازي(١٧/٢٥٣)، القرطبي (٩/٣٦)،البيضاوي (٣/٢٣٦)، النظام النيسابوري (١٢/١٦)،ابن عادل الحنبلي (١٠/٤٨٠)،ابن عاشور (١٢/٧٤).

العاصم، والمرحوم معصوم.[1]

- أو: لا عاصِمَ الـيَوْمَ مِنْ أمْرِ اللَّهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ علـى : لَكِنْ مَنْ رحم، ويجوز أن يكون علـى : لا ذا عصمة : أي معصوم، ويكون (إلا من رحم) رفعا بدلاً من العاصم[2].

---

١ – وهو قول نحوي الكوفة. قاله الطبري في جامع البيان(١٢/٢٨).

٢ – ذكره الطبري (١٢/٢٨)، وقد أجاب الرازي عن هذا القول بعدة إجابات في تفسيره (١٧/٣٥٣) . فقال:" وفيه سؤال، وهو أن الذي رحمه الله معصوم، فكيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم وهو قوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾وذكروا في الجواب طرقاً كثيرة.

الوجه الأول: أنه تعالى قال قبل هذه الآية : ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [هود: ٤١] فبين أنه تعالى رحيم وأنه برحمته يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الغرق. إذا عرفت هذا فنقول : إن ابن نوح عليه السلام لما قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال نوح عليه السلام أخطأت ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ والمعنى: إلا ذلك الذي ذكرت أنه برحمته يخلص هؤلاء من الغرق فصار تقدير الآية : لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم وتقديره: لا فرار من الله إلا إلى الله، وهو نظير قولـه ﷺ في دعائه : ((**وأعوذ بك منك**)) وهذا تأويل في غاية الحسن. الوجه الثاني: في التأويل وهو الذي ذكره صاحب (حل العقد) أن هذا الاستثناء وقع من مضمر هو في حكم الملفوظ لظهور دلالة اللفظ عليه، والتقدير: لا عاصم اليوم لأحد من أمر الله إلا من رحم وهو كقولك لا نضرب اليوم إلا زيداً، فإن تقديره لا تضرب أحداً إلا زيداً إلا أنه ترك التصريح به لدلالة اللفظ عليه فكذا ههنا.

الوجه الثالث: في التأويل أن قوله: ﴿لا عَاصِمَ﴾ أي لاذا عصمة كما قالوا : رامح ولابن ومعناه ذو رمح، وذو لبن وقال تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١] ومعناه ما ذكرنا فكذا ههنا، وعلى هذا التقدير : العاصم هو ذو العصمة، فيدخل فيه المعصوم، وحينئذ يصح استثناء قوله: ﴿إلا مَن رَّحِمَ﴾ منه.

الوجه الرابع: قوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾عنى بقوله إلا من رحم نفسه، لأن نوحاً وطائفته هم الذين خصهم الله تعالى برحمته، والمراد: لا عاصم لك إلا الله بمعنى أن بسببه تحصل رحمة الله، كما أضيف الإحياء إلى عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَرَسُولا إِلَى﴾ [آل عمران : ٤٩] لأجل أن الإحياء حصل بدعائه.

=

ويجاب عن ذلك بالقول: أنه لا وجه لهذه الأقوال التـي ذكرت، لأن كلام الله تعالى إنـما يوجه إلـى الأفصح الأشهر من كلام مَن نزل ب لسانه ما وجد إلى ذلك سبيل. ولا حاجة إلى التكلف في المعنى المراد فنجعل (عاصما) في معنى (معصوم)، ولا أن نجعل (إلاّ) بمعنى(لكن)، إذ كنا نجد لذلك من كلام العرب مَخْرجاً صحيحاً.

الترجيح:

يترجح القول في إبقاء عاصم على حقيقة فيكون المراد : لا مانع اليوم من أمر الله إلا من رحم. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأنسب في سياق الكلام.

قال الشوكاني:" فأجاب عنه نوح بقوله : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا مانع، فإنه يوم قد حقّ فيه العذاب وجفّ القلم بما هو كائن فيه، نفى جنس العاصم فيندرج تحته العاصم من الغرق في ذلك اليوم اندراجاً أوّلياً، وعبر عن الماء أو عن الغرق بأمر الله سبحانه تفخيماً لشأنه، وتهويلاً لأمره."

٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابيه القويه والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة].

وقد أشار إليها الإمام الطبري فقال بعد أن ذكر تفصيل الأقوال والنواحي الإعرابية:" ولا وجه لهذه الأقوال التـي حكيناها عن هؤلاء، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأ شهر من كلام مَن نزل بلسانه ما وجد إلى ذلك سبيل، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل (عاصما) في معنى (معصوم)، ولا أن

=

الوجه الخامس: أن قوله: ﴿إلا مَن رَّحِمَ﴾استثناء منقطع، والمعنى لكن من رحم الله معصوم ونظيره قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] ثم إنه تعالى بين بقوله : ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ أي بسبب هذه الحيلولة خرج من أن يخاطبه نوح ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ ."

نجعل (إلاَّ) بمعنى (لكن)، إذ كنا نجد لذلك في معناه الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مَخْرجاً صحيحاً، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه، كما يقال: لا مُنْجِيَ اليوم من عذاب الله إلا الله، ولا مُطِعم اليوم من طعام زيد إلا زيد . فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم."

٣. وأيضا فإن الآية تتحدث عن العاصم لا عن المعصوم فابن نوح قال

سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى ، واسم الفاعل عاصم، فيجب إبقاؤه على حقيقة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

قول من قوله ﴿ وَقِيلَ ﴾؟

قال أبوحيان:" والظاهر أن قوله : وقيل بعداً من قول الله تعالى كالأفعال السابقة، وبنى الجميع للمفعول للعلم بالفاعل."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : هو من قول الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين؛[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض بعد م ا تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق : ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾: أي تَشَرَّبي ..... ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ يقول: أقلعي عن المطر : أمسكي. ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ ذهبت به الأرض ونشفته. ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ يقول: قُضِي أمر الله، فمضي بهلاك قوم نوح. ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾ يعني الفُلْك. استوت: أرست على الجوديّ، وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة. ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يقول : قال الله: أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح."

وقال الزمخشري:" نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٣) (٥/ ٢٢٩).

٢ - الطبري (١٢/ ٢٩)، الزمخشري(٢/ ٢٧١)،ابن عطية(٣/ ١٧٢)، الرازي(١٨/ ٣٥٧) البيضاوي (٣/ ٢٣٦)، ابن كثير(٤/ ٢٨٠)، الثعالبي (٢/ ١٢٦)،أبي السعود (٤/ ١٩٩)،ابن عاشور(١٢/ ٧٨).

لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: ﴿يا أرض﴾، ﴿ويا سماء﴾ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله : ﴿ابلعي ماءك﴾و ﴿أقلعي﴾من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء."

وقال ابن عطية:" وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ الآية، بناء الفعل للمفعول أبلغ في التعظيم والجبروت ، وكذلك بناء الأفعال بعد ذلك في سائر الآية؛ وروي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين."

القول الثاني: هو على سبيل المجاز، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال النحاس:" قيل هذا مجاز لأنها موات . وقيل: جعل فيها ما تُميّز به . والذي قال إنه مجاز قال : لو فُتِّش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفِها، واشتمال المعاني فيها."

وقال القرطبي:" هذا مجاز لأنها موات. وقيل: جعل فيها ما تُميّز به. والذي قال إنه مجاز قال : لو فُتِّش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفِها، واشتمال المعاني فيها."

وقال النسفي:" ﴿ وَقِيلَ﴾ على سبيل المجاز على الإرادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

١ - النحاس في إعراب القرآن(٢/ ٢٨٦)،النسفي(٢/ ٢٧٢)،القرطبي(٩/ ٣٦)،الألوسي(٢/ ٢٧٩).

- أما القول إنه هو من قول الله تعالى، فهو الأظهر.
- وأما القول إنه على سبيل المجاز فبعيد، ويرد على هذا القول بما يلي[١]:

١. إن القول بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال.

٢. ليس كل ما جاز في اللغة جاز في القرآن؛ لأنه بلسان عربي مبين .

الترجيح:

يترجح القول إنه من قول الله تعالى . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأظهر في سياق الكلام.

وقال الرازي:" قوله: ﴿ وَقِيلَ﴾ وذلك لأن هذا يدل على أنه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة، بحيث أنه متى قيل قيل لم ينصرف العقل إلا إليه ولم يتوجه الفكر إلا إلى أن ذلك القائل هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه، على أنه تقرر في العقول أنه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والعالم السفلي إلا هو."

٢. لأنه أبلغ في الكلام وأفخم.

قال البيضاوي :" والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإِيجاز الخالي عن الإِخلال، وفي إيراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار."

---

١ - ملخص من كتاب (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز) للشيخ الشنقيطي. وانظر رسالة في الحقيقة وابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/٤٠٠)،ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/٢١٤).

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة.][1]

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٢/٣٨٧).

قال تعالى﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[هود: ٤٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾؟

قال أبوحيان :" والظاهر أنّ الضمير في أنه عائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله: ﴿ وَنَادَىٰ ﴾ المتضمن سؤال ربه."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير في إنه عائد على ابن نوح ، ومعناه : إن ابنك عمل عملا غير صالح،[2] وهو قول بعض المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" وقيل: معناه: إنّ ابنك ذو عملٍ غير صالحٍ."

وقال الزمخشري:" ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله . وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وأنّ نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك وخصيصك. ومن لم

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٤) (٥/ ٢٢٩).

٢ - والبعض ارجع الضمير إلى ابنه ولكن بتفسير سبق بيان خطئه . قال الماوردي آية ٤٦: بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أقوال:" والثاني: معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالحٍ ، أي أنه لغير رشده، قاله الحسن." وقد أجاب القرطبي (٩/ ٤٥) فقال:" إن قوله: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ ليس مما ينفي عنه أنه ابنه. وقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠] يعني في الدِّين لا في الفِراش، وذلك أن هذه كانت تخبر الناس أنه مجنون."

٣ - الواحدي في الوجيز آية٤٦،الزمخشري(٢/ ٢٧٢)، البيضاوي (٣/ ٢٧٣)،النسفي(٢/ ٢٧٤)، ابن جزي (٢/ ١٩٥)، أبي السعود(٤/ ١٩٩)، الألوسي(٢١/ ٩٧٩).

يكن على دينك ـ وإن كان أمس أقاربك رحماً ـ فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملاً غير صالح، مبالغة في ذمّه."

وقال البيضاوي:" ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾أي عمل عملاً غير صالح."

القول الثاني: إن الضمير يرجع إلى نداء و سؤال نوح ربه، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" عن مـجاهد[2]، قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ قال: سؤالك إياي عمل غير صالح فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ." فقال بعضهم: معناه: إن مسألتك إياي هذه عملٌ غيرُ صالـح...

وقال:"والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأم صار، وذلك رفع (عمل) بالتنوين، ورفع (غير)، يعني: إن سؤالك إياي ما تسألنِيه في ابنك المخالف دينك الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك."

وقال النحاس :"وقال قتادة : معناه إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم في قوله: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[هود: ٤٣] عمل غير صالح، وهذا عمل غير صالح.

وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن عبد الله بن مسعود قرأ [3] (إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم)."

وقال السمرقندي :" وقرأ الباقون: ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ﴾، بالتنوين والضم، وضم

١ - الطبري(١٢/ ٣٠)، النحاس (١/ ٥٠٩)، السمرقندي (١٤٨/٢)ابن الجوزي (٤/ ٨٩)، ابن جزي (١٩٥/٢)، الجلالين آيه ٤٦.

٢ - وسنده:" حدثنا القاسم، قال: ثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن حمزة الزيات، عن الأعمش، عن مجاهد."

٣ - وهي قراءة تفسيرية.

الراء، ومعناه: إنّ سؤالك ودعاءك لابنك الكافر عَمَلٌ غير صالح."

القول الثالث: عود الضمير على الكفر، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري: "...قال: سمعت الضحاك[2] يقول في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ يقول: ليس من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجيَ من أهلك . إنّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ يقول: كان عمله في شرك."

قال السمرقندي: "ثمّ قال: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ قرأ الكسائي: (إِنَّهُۥ عَمِلَ غَيۡرَ صَٰلِحٖ) ، بكسر الميم ونصب الراء. وروت أُمُّ سَلَمَةَ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ هكذا، ومعناه: إن ابنك عمِلَ عَمَلَ المشركين، ولم يعمل عمل المؤمنين."

وقال الثعلبي: "وقرأ أهل الكوفة (عَمِلَ) بكسر الميم وفتح اللام، (غير) بنصب الراء على الفعل ومعناه: إنه عمل الشرك والكفر، وقرأ الباقون (عَملٌ) بفتح الميم وضمّ اللام وتنوين غير بالرفع ومعناه : إنّ سؤالك إياي أن أنجيه عملٌ غيرُ صالح."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنّ الضمير في إنه عائد على ابن نوح، فهو أظهر.
- وأما القول إن الضمير يرجع إلى نداء و سؤال نوح ربه . فعلى قراءة: (عَمَلٌ غَيْرُ) بفتح الميم ورفع اللام منونة، ورفع الراء.[3]
- وأما القول إن الضمير يعود على الكفر . فعلى قراءة (إنه عَمِل غَيْر صالَح) (عمل)بكسر الميم وفتح اللام، (غير) بنصب الراء.[4]. ولا

---

١ - الطبري(١٢/ ٣٠)،السمرقندي(٢/١٤٨)، الثعلبي آية ٤٦، ابن جزي (٢/١٩٥).

٢ - وسنده قال الطبري: "حُدثت عن الحسينِ بن الفرج، قال : سمعت أبا معاذ، قال : ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول."

٣ - وهي قراءة الباقين . النشر (٢/٢١٧) ، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٢١.

٤ - وهي قراءة يعقوب والكسائي. النشر(٢/٢١٧)، اتحاف فضلاء البشر ص ٣٢١.

يخفى ضعف القول لان من المعلوم بداهة أن الكفر من الأعمال الغير صالحه.

- وأما من استدل بقراءة عبد الله بن مسعود فهي ليست بقراءة، وإنما تحمل على وجه التفسير.

الترجيح:

يترجح القول إنّ الضمير في إنه عائد على ابن نوح، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فنوح قال﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[هود:٤٥].

٢. لأنه الأظهر معنى وأنسب قولاً.

قال الواحدي:" وقيل: معناه: إنّ ابنك ذو عملٍ غير صالحٍ فلا تسألني ما ليس لك به علم وذلك أنّ نوحاً لم يعلم أ نّ سؤاله ربّه نجاةَ ولدِه محظورٌ عليه مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه الله سبحانه ذلك."

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي :[إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلي غيره][1] ، والمحدث عنه ابن نوح وليس النداء.

٤. ولموافقته قاعدة الترجيح وهي: [توحيد مرجع الضمائر في السياق أولى من تفريقها][2]، فالضمير في (إنه) الأولى تعود على ابن نوح دون خلاف وكذا (إنه)الثانية تبعا للقاعدة.

---

١ - قواعد الترجيح(٢/٦٠٣).

٢ - قواعد الترجيح(٢/٦١٣).

قال تعالى ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[هود: ٤٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من القائل في قوله ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ﴾؟

قال أبوحيان :" بني الفعل للمفعول، فقيل : القائل هو الله تعالى، وقيل : الملائكة تبليغاً عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله: (منا)."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن القائل هو الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين؛[2] واختاره أبو حيان.

قال القرطبي:" أو قال الله تعالى له : اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض؛ فقد ابتلعت الماء وجفّت."

وقال البقاعي :" (قيل) بالبناء للمفعول دلالة على العظمة والجلال الذي تكون الأمور العظيمة لأجله بأدنى إشارة (يا نوح أهبط)"

وقال الألوسي:" ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴾الخ وهو من الحسن بمكان، وبنى الفعل لما لم يسم فاعله لظهور أن القائل هو الله تعالى."

القول الثاني: إن القائل هم الملائكة تبليغا عن الله. وهو قول بعض المفسرين.

قال القرطبي:" أي قالت (له) الملائكة."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٥) (٥/ ٢٣١).

٢ - القرطبي (٨/٩)،البقاعي (٥٣٤/٣)، الالوسي(٨/٢١)، ابن عاشور (٨٨/١٢)، الجزائري في أيسر التفاسير(٥٤٨/٢)،المراغي في تفسيره (٤٢/١٢). ولم يتطرق أكثر المفسرين إليه.

وقال الألوسي:" وقيل: القائل الملائكة عليهم السلام."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن القائل هو الله تعالى . فهو الأظهر والأنسب، وأول ما يتبادر إلى الذهن.
- وأما القول إنهم الملائكة . فيدخل ضمن القول الأول، لأن الملائكة لا تقول ذلك إلا بأمر اللطيف الخبير.

الترجيح:

يترجح القول إن القائل هو الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

وهو قوله تعالى﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٖ مِّنَّا﴾ بدلالة (منا).

٢. لدلالة ما سبق من الحوار في الآيات السابقة.

قال ابن عاشور:" وكان مقتضى الظاهر أن يقول: قال يا نوح اهبط، ولكنه عدل عنه إلى بناء الفعل للنائب ليجيء على وتيرة حكاية أجزاء القصة المتقدمة من قوله: ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٤٤﴾[هود: ٤٤] فحصل بذلك البناء قضاء حق الإشارة إلى جزء القصة، كما حصل بالفصل قضاء حق الإشارة إلى أن ذلك القول جزء المحاورة. ونداء نوح عليه السلام للتنويه به بين الملأ."

٣. لموافقته لقاعدة الترجيح وهى :[إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج].[1]

والله تعالى أعلم

١ – قواعد الترجيح (١/١٢٥).

قال تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ ﴾[هود: ٥٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله (تولوا) ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ الضمير في (تولوا) عائد على قوم هود، وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل "[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير في(تولوا) عائد على قوم هود، وهو قول جماعة من المفسرين.[2]واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ... وقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ يقول: ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام مجرمين، يعني كافرين بالله."

وقال الثعلبي:" فقال لهم هود: إن آمنتم أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد. ﴿وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ ولا تدبروا مشركين."

وقال البغوي :" فقال لهم هود عليه السلام: إن آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالاً ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٧) (٥/ ٢٣٤).

٢ - الطبري(١٢/ ٣٥)، الثعلبي والبغوي آية ٥٢،الزمخشري(٢/ ٢٧٤)،ابن عطية(٣/ ١٧٩)، القرطبي (٩/ ٤٩)، البيضاوي(٣/ ٢٣٩)، النسفي(٢/ ٢٧٧)، الخازن الجلالين آية٢٥،أبي السعود (٤/ ٢١٦)، الشوكاني (٢/ ٥٠٤)، الالوسي (٢١/ ٣٨)،ابن عاشور(١٢/ ٩٤).

بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن . ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تدبروا مشركين."

القول الثاني: إن الضمير هو عائد على كفار قريش ، وهو قول التبريزي [1] نقله أبو حيان عنه .

قال أبوحيان:" وقال التبريزي: هو عائد على كفار قريش، وهو من تلوين الخطاب، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عمن بحضرة الرسول ﷺ، وكأنه قيل: أخبرهم عن قصة قوم هود، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود، فإن تولوا فقل لهم: قد أبلغتكم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنّ الضمير في(تولوا) عائد على قوم هود، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير هو عائد على كفار قريش ، فهو بعيد . بدلالة الآيات السابقة لهذه الآية والتي تليها . وللمعتبر استخلاص العبرة والعظة منها.

قال تعالى ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥١ - ٥٢].

قال تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا

---

١ - أبو زكريا يحيى بن على الشيباني الخطيب التبريزي؛ إمام اللغة سمع من أبي بكر الخطيب توفى سنة اثنتين وخمس مئة .سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٩)،شذرات الذهب (٥/٤)،كشف الظنون ص١٠٨. ولم أقف على قوله .ولم ينقله سوي أبي حيان فيما اطلعت عليه من كتب التفسير .والله أعلم.

نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[هود: ٥٣].

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير في(تولوا) عائد على قوم هود . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة سياق آيات قصة هود مع قومه كما سبق بيانه.

٢. لأنه الظاهر المتبادر إلى الفهم عند سماع الآيات.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[هود: ٥٨]

في الآيه مسألتان :

المسألة الأولى

ما سبب نجاة هود ومن معه؟

قال أبوحيان :" والظاهر تعلق برحمة منا بقوله : نجينا أي، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم، لا بأعمالهم الصالحة . أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : ﴿ ولما جاء قومَ هود عذابُنا نَـجَّيْنا منه هُودا والَّذِينَ آمَنُوا بـالله مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنا ﴾ يعني بفضل منه عليهم ونعمة، ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يقول: نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجناهم فـي الدنيا من السّخْطة التـي أنزلتها بعاد."

وقال البغوي :" قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ وكانوا أربعة آلاف . ﴿بِرَحْمَةٍ﴾بنعمة ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾وهو

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٨) (٥/ ٢٣٥).

٢- الطبري (١٢/ ٣٧)، البغوي آيه٥٨، ابن عطية (٣/ ٥٠٤)، ابن الجوزي (٤/ ٩٦)، الرازي (١٨/ ٣٦٧)، القرطبي (٩/ ٤٩)، النسفي (٢/ ٢٧٩)، ،ابن عادل (١٠/ ٥٠٤)، البقاعي (٣/ ٥٤٤) الشوكاني (٢/ ٤٠٥)، الالوسي(٢١/ ٩٨)،ابن عاشور (١٢/ ١٠٣).

الريح التي أهلك بها عاداً وقيل : العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة."

وقال ابن عطية :" وقوله ﴿بِرَحۡمَةٍ﴾، إما أن يكون إخباراً مجرداً عن رحمة من الله لحقتهم، وإما أن يكون قصداً إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعماله؛ فتكون الآية - على هذا - في معنى قول رسول الله ﷺ: ((**لا يدخل أحد الجنة بعمله**)) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ((**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمته**))[1] "

القول الثاني : سبب النجاة هو الإيمان والهداية إليه، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الواحدي:" ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾بهلاك عادٍ ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ حيث هديناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر."

وقال ابن الجوزي:" نجيناهم بأن هديناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر."

وقال الرازي :" المراد من الرحمة : ما هداهم إليه من الإيمان بالله والعمل الصالح."

نلاحظ مما إيراده ما يلي:

- أما القول إن سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، فهو الظاهر.
- وإما القوول إن سبب النجاة هو الإيمان والهداية إليه . فهو داخل في القول الأول ضمنا فالإيمان والهداية من رحمة الله لعباده.

---

١ - صحيح البخاري/ كتاب الرقاق / باب القصد حديث رقم (٦٤٦٧)، صحيح مسلم / كتاب صفات المنافقين حديث رقم (٢٨١٦).

٢ - الواحدي في الوجيز أية ٥٨، ابن الجوزي (٤/٩٦)، الرازي(١٨/٣٦٧)،النسفي (٢/٢٧٩)، أبي السعود (٤/٢١٦).

الترجيح:

يترجح القول إن سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة لفظ الرحمة العام، فالنجاة بسبب رحمة الله لهم ورحمة الله شملتهم لإيمانهم بالله وحده سبحانه.

قال أبو حيان: " ويحتمل أن يكون متعلقاً بآمنوا أي : أنّ إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمة الله تعالى إياهم، إذ وفقهم لذلك."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بالعذاب الغليظ في قوله ﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وتكررت التنجية على سبيل التوكيد، ول قلق من لو لاصقت (منا) فأعيدت التنجية وهي الأولى، أو تكون هذه الت نج يةهي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقيها."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة، وهو قول بعض المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" ﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يقول: نجناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجناهم في الدنيا من السّخْطة التي أنزلتها بعاد."

قال ابن عطية:"وقوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد:عذاب الآخرة ."

وقال الرازي :" فالمراد من النجاة الأولى هي النجاة من عذاب الدنيا، والنجاة الثانية من عذاب القيامة، وإنما وصفه بكونه غليظاً تنبيهاً على أن العذاب الذي حصل لهم بعد موتهم بالنسبة إلى العذاب الذي وقعوا فيه كان عذاباً غليظاً."

القول الثاني: المراد عذاب قوم هود في الدنيا، وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٨) (٢٣٥/٥). ووجه كونها ترجيح عطفها على المسألة السابقة فقال والظاهر تعلق برحمة منا.... ثم وتكررت ..."

٢- الطبري (٣٧/١٢)، ابن عطية (١٨٢/٣)، الرازي (٣٦٧/١٧)، القرطبي (٤٩/٩)، النسفي (٢٧٩/٢)، والخازن آيه٥٨، ابن عاشور(٩٨/٢١).

٣ - الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٨، الزمخشري(٢٧٦/٢)، ابن عطية (١٨٢/٣)، البيضاوي (٢٤١/٣)، ابن جزي الكلبي (١٩٧/٢)،البقاعي (٥٤٤/٣)،الجلالان آيه٥٨،الشربيني(٧٢/٢)،أبي =

قال الواحدي:"﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني: ما عُذّب به الذين كفروا."

وقال البغوي:" ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وهو الريح التي أهلك بها عاداً."

وقال الزمخشري :" على معنى : وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ، وذلك أنّ الله ﷻ بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً."

القول الثالث: المراد به عذاب الدنيا والآخرة، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال السمرقندي:" ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يعني: من العذاب الذي عذب به عاد في الدنيا ومما يعذبون به في الآخرة."

وقال الثعلبي:" قيل: أراد بالعذاب الغليظ عذاب القيامة أي كما نجّيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجّيناهم في الآخرة من العذاب."

وقال البغوي:" وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيامة أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة."

نلاحظ ملمسبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة، فهو معنى محتمل.
- وأما القول إن المراد عذاب قوم هود في الدنيا. فهو أظهر.
- وأما القول إن المراد به عذاب الدنيا والآخرة. فإنه جمع بين القولين.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد عذاب قوم هود في الدنيا، وذلك:

=

السعود (٢١٦/٤)، الشوكاني(٥٠٤/٢)، الألوسي(٩٨/٢١).

١ - السمرقندي(١٥٩/٢)، الثعلبي والبغوي آية ٥٨، الزمخشري(٢٧٦/٢)، ابن الجوزي (٩٦/٤)، أبي السعود (٢١٦/٤).

١. لدلالة التكرار. فيكون معنى الآية :أن الله نجى المؤمنين برحمة منه .
ولسائل يسأل من أي شيئ نجاهم ؟ فيكون الجواب : نجاهم من عذاب غليظ؛ فالتكرار لتأكيد منة الرحمن بنجاة المؤمنين.

٢. لأنه أظهر من حيث دلالة السياق.

قال البقاعي: " ﴿وَنَجَّيْنَاهُم﴾ أي بما لنا من ا لعظمة، وبين فظاعة ما أهلك به أعداءهم بقوله: ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي أهلكنا به مخالفيهم وهو الريح الصرصر، وهذا أولى من حمله على عذاب الآخرة لما يأتي من قوله ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] كأنهم كانوا إذا رأوا مخايل العذاب قصدوا نبيهم ومن آمن به ليهلكوهم قبلهم كما صرح به في قصة صالح."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾[هود: ٦٠].

في الآية مسألتان :

المسألة الاولى

من هم الذين أتبعوا اللعنة في الدنيا والآخرة ؟

قال أبو حيان : " والظاهر أن قوله : وأتبعوا عام في جميع عاد . وقال الزمخشري:" لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله ."[1] انتهى. فظاهر كلامه يدل على أن اللعنة مختصة بالتابعين للرؤساء."[2]

الدراسة:

في الآية قولان:

القول الأول : الذين أتبعوا اللعنة هم جميع عاد ، وهو قول بعض من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضباً من الله وسخطة يوم القيامة، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا."

وقال ابن عطية:" وكان التجبر والعناد من خلق عاد لقوتهم، وقوله ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ الآية، حكم عليهم بهذا الحكم لكفرهم وإصرارهم حتى

---

١ - الكشاف (٢/٢٧٧).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٩) (٥/٢٣٥).

٣ - الطبري(١٢/٣٨)، ابن عطية(٣/١٨٣)، الرازي (١٧/٣٦٧)، البيضاوي (٣/٢٤٢)، الخازن آية٦٠.

حل العذاب بهم، و " اللعنة ": الإبعاد والخزي، وقد تيقن أن هؤلاء وافوا على الكفر فيلعن الكافر الموافي على كفره ولا يلعن معين حي ، لا من كافر، ولا من فاسق، ولا من بهيمة."

وقال الرازي:" واعلم أنه تعالى لما ذكر أوصافهم ذكر بعد ذلك أحوالهم فقال : ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي جعل اللعن رديفاً لهم، ومتابعاً ومصاحباً في الدنيا وفي الآخرة."

القول الثاني :الذين أتبعوا اللعنة هم التابعون،وهو قول بعض من المفسرين.[1]

قال الزمخشري:" لما كانوا تابعين لـهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله."

وقال النسفي:" لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين."

وقال أبو السعود:" ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ إبعاداً عن الرحمة وع ن كل خير، أي جُعلت اللعنةُ لازمةً لهم، وعبّر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كلّ مذهبٍ بل تدور معهم حيثما داروا، ولوقوعه في صحبة أتباعهم رؤساءهم يعني أنهم لما اتّبعو هم أُتبعوا ذلك جزاءً لصنيعهم جزاءً وفاقاً."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الظاهر الذي دل عليه السياق.
- وأما القول الثاني ففيه نظر لأنه لا دليل على التخصيص . فإن ما سبق

---

١ - الزمخشري (٢/٢٧٧)، النسفي (٢/٢٧٩)، أبي السعود (٤/٢١٦)، للشوكاني (٢/٥٠).

ذكره من اتباع أمر كل جبار هو وصف لحالهم على العموم .

الترجيح:

يترجح أن الذين أتبعوا اللعنة هم جميع عاد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

١. دلالة السياق.

٢. وهو أقرب من حيث واقع الأمم ، فمن آمن نجا ومن كفر بأي حال من الأحوال فقد هلك وطرد من رحمة الله.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما الفائدة من قوله ﴿ قَوۡمِ هُودٍ ﴾في الآية ؟

قال أبوحيان :" وفائدة قوله: قوم هود مزيد التأكيد للمبالغة في ال تنصيص، أو تعيين عاد هذه من عاد ارم، لأنّ عاد إثنان ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠﴾ [النجم: ٥٠]؛ فتحقق أن الدعاء على عاد هذه، ولم تلتبس بغيرها."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الفائدة هي: التأكيد .وهو قول بعض المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الرازي:" والثاني: أن المبالغة في التنصيص تدل على مزيد التأكيد."

وقال البقاعي:" ﴿قَوۡمِ هُودٍ ﴾ تحقيقاً لهم لأنهم عادان: الأولى والآخرة، وإيماء إلى أن استحقاقهم للإبعاد بما جرى له ﷺ معهم من الإنكار والدعاء عليهم بعد الهلاك كناية عن الإخبار بأنهم كانوا مستحقين لله لاك."

وقال الخازن :" ﴿قَوۡمِ هُودٍ ﴾ عطف بيان لعاد.

فإن قلت: هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود؟

قلت: إن عاداً كانا قبيلتين عاد الأولى القديمة التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم إرم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو أن المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٧٩) (٥/ ٢٣٥).

٢- الرازي (١٨/ ٣٦٧)،ابن جزي (٢/ ١٩٧)،البقاعي (٥/ ٢٢٣)، الخازن آية ٦٠ ،ابن عادل (١٠/ ٥٦٠)، أبي السعود (٤/ ٢١٦)،الجمل (٢/ ٤٠٦).

القول الثاني: الفائدة هي: تعيين . وهو قول بعض من المفسرين، [1] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" ﴿قَوۡمِ هُودٍ﴾عطف بيان لعاد: فإن قلت: ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه؟ قلت: الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه، ولأنّ عاداً عادان : الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى إرم."

وقال الرازي:" ما الفائدة في قوله: ﴿لِّعَادٍ قَوۡمِ هُودٍ﴾.

الجواب: كان عاد عادين، فالأولى: القديمة هم قوم هود، والثانية: هم إرم ذات العماد، فذكر ذلك لإزالة الاشتباه.

وقال ابن جزي:" ﴿ لِّعَادٍ قَوۡمِ هُودٍ ﴾ بيانٍ لأن عادا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- كلا القولين محتمل، إلا إن التعيين، أقوي وأوكد . لأن العذاب إذا حل على قوم عرفوا به وانتشر الخبر فذكرهم للتعيين.

الترجيح:

يترجح القول إن الفائدة هي: التعيين، وذلك:

١. نكاية بالقوم الكافرين.

٢. اختلاف عذاب عاد الأولى عن الثانية.وزوال الاشتباه بالتعيين.

والله تعالى أعلم

١ - الزمخشري (٢/٢٧٧)،الرازي (١٨/٣٦٧)،ابن جزي (٢/١٩٧)،البقاعي (٥/٢٢٣)، الخازن آية٦٠ ،ابن عادل(١٠/ ٥٦٠)، أبي السعود (٤/٢١٦)،الجمل (٢/٤٠٦).

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾[هود: ٦٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ﴾؟

قال أبو حيان : " أي: ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم . وقال الزمخشري: ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة[1] انتهى. وهذا ليس بجد، لأن التنو ين في إذ تنوين العوض ولم يتقدم إلا قوله، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيامة ولا ما يكون فيها، فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيامة."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة. وهو قول جماعة من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي: " ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ﴾أيْ: نجَّيناهم من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمهم ، وبقي العارُ فيهم مأثوراً عنهم ، فالواوُ في (ومِنْ) نسقٌ على محذوف، وهو العذاب."

---

١ - الكشاف (٢/٢٧٧).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٨١) (٥/ ٢٤١).

٣ - الواحدي (٢/ ٥٨٠) ،ابن عطية (٣/ ١٨٦)، البيضاوي (٣/ ٢٤٤)، النسفي (٢/ ٢٨١)، الخازن آيه٦٦، ابن عادل (١٠/ ٥١١)، الشوكاني (٢/ ٢٠٧)، ابن عاشور (١٢/ ١١٤) ، وإليه أشار الطبري (١٢/ ٣٩).

وقال ابن عطية:" والإشارة بقولـه: ﴿يَوۡمِئِذٍۚ﴾ إلى يوم التعذيب."

وقال البيضاوي:" أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة."

القول الثاني: المراد يوم القيامة. وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الزمخشري :" ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة."

وقال البيضاوي:" أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة."

وقال النسفي:" ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن ير يد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة، فهو ما دل عليه ظاهر الآية.
- وأما القول إن المراد يوم القيامة. فاستدل له بالدلالة المعنوية.[2]

الترجيح:

يترجح القول إن المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لدلالة السياق.

---

١ - الزمخشري (٢/٢٧٧)، البيضاوي (٣/٢٤٤)، النسفي (٢/٢٨١)،النظام النيسابوري (١٢/٣٠)، السمين(٦/٣٥٠)، الألوسي (٢١/٤٩).

٢ - قال السمين - بعد أن ذكر كلام شيخه أبي حيان في المسألة -:" قد تكون الدلالة لفظية، وقد تكون معنوية، وهذه من المعنوية ."

١. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك][1].فالآيات السابقة واللاحقة لهذه الآيه تتحدث عن العذاب الذي توعد به نبي الله صالح عليه السلام قومه.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/١٢٥).

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾[هود: ٧٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل عرف إبراهيم عليه السلام الملائكة مباشرة أم هم عرفوه بأنفسهم؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنه لم يعرف أنهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر، وكان مشغوفاً بإكرام الأضياف، فلذلك جاؤوا في صورهم، ولمسارعته إلى إحضار الطعام إليهم، ولأنّ امتناع الملائكة من الأكل لا يدل على حصول الشر، وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فنهوه عن شيء وقع في نفسه، وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الانفطار: ١٢]"[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: لم يعرف أنهم ملائكة. وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيدَيهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدّم إليهم نكرهم، وذلك أنه لما قدّم طعامه ﷺ إليهم فيما ذُكِر، كَفُّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله، وكان إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيفانه مستنكراً، ولم تكن بينهم معرفة، وراعه أمرهم وأوجس في نفسه منهم خيفة."

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ ل١٨٢) (٥/ ٢٤٢).

٢ - الطبري (١٢/ ٤٣)، ابن عبد السلام آيه ٧٠،البيضاوي (٣/ ٢٤٤)، ابن عادل (١٠/ ٥١٩)، الخازن آية ٧٠، ابن عاشور (١٢/ ١١٥).المراغي (١٢/ ٥٩).

وقال ابن عبد السلام :" ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾نَكِر وأنكر واحد ، أو نَكِر إذا لم يعرفهم وأنكرهم وجدهم على منكر.

وقال البيضاوي:" أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروهاً."

القول الثاني: عرف أنهم ملائكة، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الزمخشري :" والظاهر أنه أحسّ بأنهم ملائكة، ونكرهم لأنه تخوّف أن يكون نزولـهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه."

وقال النسفي:" والظاهرة أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه."

وقال الألوسي:" إنهم ملائكة، وظن أنهم أرسلوا لعذاب قومه أو لأمر أنكره الله تعالى عليه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه لم يعرف أنهم ملائكة . فلأنه كان ينزل ناحية من الناس فخاف أن ينزلوا به مكروهاً لامتناعهم من طعامه.
- وأما القول إنه عرف أنهم ملائكة، فهو غير مقبول لأنه لو عرفهم لما خاف منهم ولما قدم لهم طعاما، ولعرف لماذا قدموا .

الترجيح:

يترجح القول إن إبراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة الحال، وهو خوفه منهم، و تقديم الطعام لهم، وإنكار لهم في عدم الأكل.

قال الخازن :" والأقرب أن إبراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول

---

١ - الزمخشري (٢/ ٢٨٠)، النسفي(٢/ ٢٨٢)، الألوسي (٢١/ ٢٠١).

الأمر ويدل على صحة هذا أنه ﷺ قدم إليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف إبراهيم ﷺ ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ يا إبراهيم ﴿ إِنَّآ ﴾ ملائكة الله ﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾".

٢. لأنه الأقرب لحال الأنبياء في عدم معرفة الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾[الجن: ٢٦ – ٢٨].

٣. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل][1].

والله تعالى أعلم

١ – قواعد الترجيح (١/١٣٧).

قال تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾[هود: ٧١] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والذي يظهر والله أعلم أنهم لما لم يأكلوا، وأوجس في نفسه خيفة بعدما نكر حالهم، لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل . فلما قالوا: لا تخف، وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسرّ، فلحقها هي من السرور إن ضحكت، إذ النساء في باب الفرح والسرور أطرب من الرجال وغالب عليهن ذل ك . وقد أشار الزمخشري [1] إلى طرف من هذا فقال : ضحكت سروراً بزوال الخيفة."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن المراد به الضحك المعروف ؛ وهو قول أكثر المفسرين [3]، واختاره أبو حيان؛ واختلفوا في سببه على عدة وجوه هي:

- ضحكت تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.

١ -الكشاف (٢/ ٢٨٠).

٢- البحرالمحيط (ح٥/ ل١٨٣) (٥/ ٢٤٣).

٣- الطبري (١٢/ ٤٣)، النحاس (١/ ٥١٣)،الثعلبي والماوردي والبغ وي آية ٧١، ،الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨١) ،الزمخشري (٢/ ٢٨٠)،ابن عطية (٣/ ١٨٧)،ابن الجوزي (٤/ ١٠٤)،الرازي (١٨/ ٣٧٥)، والعز ابن عبد السلام آيه ٧١ ، البيضاوي (٣/ ٢٤٤)، النسفي (٢/ ٢٨٢)،والنظام النيسابوري (١٢/ ٣٥)، والخازن آية ٧٠، ابن عادل (١٠/ ٥١٩)، الثعالبي (٢/ ١٣٠)، أبي ا لسعود (٤/ ٢٢٤)، واالجمل (٢/ ٤١٠) ، الشوكاني (٢/ ٥٠٩)، الألوسي (٢١/ ٤٠١)،ابن سعدي ص٣٨٦، القاسمي(٦/ ١٤٩)،المراغي (١٢/ ٥٩)،

- ضحكت من أن قوم لوط فـي غفلة وقد جاءت رسل الله لهلاكهم.
- ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط. [(١)]
- ضحكت لما رأت بزوجها إبراهيم عليه السلام الروع.
- ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجباً من أن يكون لها ولد ع لـى كِبَر سنها وسنّ زوجها. [(٢)]
- ضحكت فرحا بزوال الخوف عن إبراهيم عليه السلام حيث قالت الملائكة : ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ وعظم سرورها بسبب سروره بزوال خوفه.
- ضحكت استبشاراً بهلاك قوم لوط.
- قال إبراهيم عليه السلام للملائكة : ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾؟قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بالثمن، فقال: ثمنه أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمدوه على آخره، فقال جبريل لميكائيل عليه السلام: (حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلاً) فضحكت امرأته فرحاً منها بهذا الكلام[(٣)].
- أن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام أرسل إلى ابن أخيك وضمه إلى نفسك، فإن الله تعالى لا يترك قو مه حتى يعذبهم، فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على إبراهيم عليه السلام، فلما أخبروه بأنهم إنما جاؤ وا لإهلاك قوم

١ - وقد ضعف هذا القول والذي بعده ابن كثير (٢٨٧/٤) .فقال:" وقول محمد بن قيس : إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط. وقول الكلبي: إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم ضعفاً ووجداً وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما فلا يلتفت إلى ذلك والله أعلم."

٢ - ضعفه ابن كثير (٢٨٧/٤) فقال:" وقال وهب بن منبه : إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق وهذا مخالف لهذا السياق فإن البشارة صريحة مرتبة على ضحكها."

٣ - قال الطبري (٤٣/١٢):" حدثنـي موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسبـاط، عن السديّ."

لوط صار قولهم موافقاً لقولها، فضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة[1].

قال الطبري :" وقوله: ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ وفي السبب الذي من أجله ضحكت، فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون."

قال النحاس :"فيه أقوال :أحسنها أنه لما لم يأكل نكرهم وخافهم، فلما قالوا:لا تخف وخبروه أنهم رسل،فرح بذلك، فضحكت امرأته سروراً بفرحه."

وقال الثعلبي:" ضحكت سروراً بالأمن عليهم لما قالوا: لا تخف."

القول الثاني : إن المراد ب (ضحكت) أي حاضت، وهو قول جماعة من المفسرين.[2]

قال البغوي :" ﴿فَضَحِكَتْ ﴾قال مجاهد وعكرمة: ضحكتْ أي: حاضت في الوقت تقول العرب : ضحكت الأرنب أي : حاضت. والأكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف."

وقال ابن الجوزي :" وفي قوله: ﴿فَضَحِكَتْ ﴾ثلاثة أقوال...

والثاني: أن معنى ﴿فَضَحِكَتْ ﴾ : حاضت قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتيبة: وهذا من قولهم : ضحكت الأرنب: إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيدا للبشارة بالولد، لأن من لا تحيض لاتحمل."

---

١ - قال الطبري (١٢/٤٣):" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة."

٢ - البغوي آية ٧١، ابن الجوزي (٤/١٠٢)، النسفي (٢/٢٨٢)، والعز ابن عبد السلام آية ٧١، والخازن آيه ٧١ ، ابن كثير (٤/٢٨٧)العوفي عن ابن عباس ،ابن عادل (١٠/٥١٩)،الشوكاني (٢/٥٠٩).

وقال النسفي :" ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ أو فحاضت."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به الضحك المعروف. فهو الأقرب والأظهر.

وأما سببه فلم أجد دليلا يقوي سببا دون الآخر إلا أن ذلك السبب لا بد وأن يكون سبباً جرى ذكره في هذه الآية، وما ذكر هو قول الملائكة لإبراهيم ﴿ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾. والضحك بزوال الخوف، والضحك بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وقد يكون الضحك بسبب تف اجئها بحقيقة الضيوف وكونهم ملائكة لا بشراً مع أن سمتهم الظاهر وأشكالهم كالبشر.

- وأما القول إن المراد ب (فَضَحِكَتۡ) أي حاضت، فهو بعيد . من حيث اللغة والنظر.

أما اللغة فلم يسمع من ثقة.[1]

وإن كان أطلقه البعض على الأرانب .[2] إلا أن ذلك ليس تفسيراً لضحكت ، وإنما جعل ذلك إمارة لما بشرت به فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس منكرا إذا كانت المرأة ما دامت تحيض فإنها مظنة الحبل.[3]

---

١ – قاله الفراء (٢/ ٢٢).

٢ – " وقال مجاهد وعكرمة: فضحكت أي حاضت في الوقت، تقول العرب : ضحكت الأرنب إذا حاضت، وقال مجاهد وعكرمة : فضحكت أي حاضت في ا لوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب إذا حاضت، وضحكت الأرانب فوق الصفا // كمثل دم الخوف يوم اللقا ." قاله الثعلبي آية ٧١. وقال ابن عطية (٣/ ١٨٧): "وهذا القول ضعيف قليل التمكن " وقال أبو السعود :" وقيل: ضحكت حاضَتْ، ومنه ضحِكت الشجرةُ إذا سال صمغُها وهو بعيد" إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٢٤).

٣ – ذكره السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٠٦. وقال:" ظاهر كلام أبو البقاء –أن ضحك بالفتح مختص بالحيض .فإنه قال (بمعنى حاضت) يقال ضحكت الأرانب بفتح الحاء ." الإملاء لأبي البقاء (٢/ ٤٢)، الدر المصون للسمين (٦/ ٣٥٤).

وأما من حيث النظر فإنها من الممكن أن تحمل ولو لم تحيض، بقدرة الواحد الأحد الذي لا يعجزه شيء.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد به الضحك المعروف . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لأنه الأقرب والأظهر في المعنى المراد.

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي:[يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر].[١]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٦٩/٢).

قال تعالى ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ ﴾[هود: ٧٨] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾؟

قال أبو حيان :" هؤلاء بناتي: الأحسن أنْ تكون الإضافة مجازية، أي: بنات قومي، أي البنات أطهر لكم، إذ النبي يتنزل منزلة الأب لقومه. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[الأحزاب: ٦] (وهو أب)[1] لهم ويدل عليه أنّه فيما قيل: لم يكن له الابنتان، وهذا بلفظ الجمع . وأيضاً فلا يمكن أنْ يزوج ابنتيه من جميع قومه."[2]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد نساء أمته ، قاله مجاهد وقتادة، وهو قول كثير من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الفراء:" ويقال بنات قومه . وذلك جائز في العربية؛ لأن الله عزوجل يقول ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[الأحزاب: ٦] في بعض

---

١ - هي في القراءات الشاذة ص١١٩.

٢ - البحرا لمحيط (ح٥/ ل١٨٥) (٥/ ٢٤٦).

٣ - االفراء (٢/ ٢٣)،الطبري (١٢/ ٥٠)،النحاس (١/ ٥١٥)، الماوردي آية ٧٨، الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٣) ، البغوي آيه ٧٨،ابن عطية (٣/ ١٩٣)،الرازي (١٨/ ٣٨٠)، البيضاوي (٣/ ٢٤٦)، الخازن آية ٧٨، ابن كثير (٤/ ٢٨٩)، ابن عادل (١٠/ ٥٣١)،الجمل (٢/ ٤١٣)،ابن عاشور (١٢/ ١٢٦).

القراءة (وهو أب لهم)."

وقال الطبري:" وقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاءوا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتي يعني نساء أمته فانكِحوهن فهُنّ أطْهَرُ لَكُمْ."

وقال النحاس:" فيه أقوال: أحسنها مجاهد قال: يريد نساء أمته، ويقويه قول الله تعالى ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦].ويروى أن أبيّ بن كعب، وابن مسعود قرآ (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)."

القول الثاني: المراد بناته لصلبه، وهو قول جماعة من المفسرين.[١]

قال الزمخشري :" أراد أن يقي أضيافه ببناته، وذلك غاية الكرم، وأراد : هؤلاء بناتي فتزوّجوهنّ وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً."

وقال ابن الجوزي:" وفي قولـه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ قولان.

أحدهما: أنهن بناته لصلبه، قالـه ابن عباس."

وقال النسفي:" فتزوجوهن أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً في ذلك الوقت."

القول الثالث: إن لوطا عليه السلام لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا. ذكره النحاس، السعدي، والشنقيطي[٢].

قال النحاس:" وقال عكرمة : عليه السلام لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته،

---

١ - الزمخشري(٢/٢٨٢)، ابن الجوزي (٤/١٠٦)، النسفي (٢/٢٨٤)،ابن عبدالسلام آيه ٧٨، السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥٦)، الشوكاني(٢/٥١٣)، الألوسي(٢١/٢١١).

٢- النحاس في معاني القرآن (١/٥١٥)، السعدي في تيسير الكريم ا لرحمن ص٣٨٦، الشنقيطي أضواء البيان (٣/٢٠).

وإنما قال لهم هذ لينصرفوا."

وقال السعدي:" قوله ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ من أضيافي وهذا كما عرض سليمان عليه السلام على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه لاستخراج الحق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن ولاحق لهم فيهن والمقصود الأعظم دفع هذه الفاحشة الكبرى ."

وقال الشنقيطي:" واختلف العلماء في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾في الموضعين على أقوال:

أحدها: أنه أراد المدافعة عن ضيفه فقط، ولم يرد إمضاء ما قال، وبهذا قال عكرمة وأبو عبيدة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد نساء أمته. فاستدلوا بقوله تعالى﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] وقراءة (وهو أب لهم). وهي من شواذ القراءات كما سبق بيانه.لكن تؤخذ من باب التفسير.
- وأما القول إن المراد بناته لصلبه، فيقال : كيف جمع، وقد كن اثنتين؟

والجواب: أنه قد يقع الجمع على اثنين، كقولـه : ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾[الأنبياء: ٧٨] .

وكذا يقال لهم: كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين؟

فالجواب:

١. أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزا في صدر الإسلام ، فقد زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبه بن أبي لهب وأبي العا ص وهما كافران. حتى نسخ.

٢. أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، ...يؤكده أن عرضهن عليهم

موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

- وأما القول إن لوطا عليه السلام لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، وإنما قال لهم هذ لينصرفوا. فلا دليل واضح يدل عليه.

الترجيح:

ما ذكره المفسرون من الأقوال محتمله ألا أن أرجحها هو ما جاء في اللفظ القرآني وهو أن البنات هن بنات نبي الله لوط عليه السلام حقيقة وذلك:

١. لأن عرض بنلته على هؤلاء من باب دعوتهم إلى الحق والفطرة السليمة في النكاح ومما لاشك فيه أن أنبياء الله عليهم السلام أرفق الناس بالخلق ولاسيما أقوامهم فكأن حال لوط عليه السلام يقول لهم :إن باب التوبة والعودة إلى الطريق المستقيم تبدأ بترك أعظم جريمة في تأريخ البشرية وأنا عون لكم في ذلك بأن أزوجكم بناتي فهو قدو ة لقومه فإن تابوا وقبلوا العرض فلاشك أن بقية القوم سيفعلون مثل ما فعل نبيهم وقدوتهم فيزوجون بناتهم لمن أراد منهم العودة إلي الحق ."

٢. وهذا موافق لقاعدة الترجيح وهي : [لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.] [1]

٣. ولأن فيه إقامة الحجة عليهم لآخر لحظة من حياتهم قبل نزول العذاب عليهم وبشهادة نبيهم.

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح (١/١٣٧).

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾[هود: ٧٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما معنى قوله ﴿ مِنْ حَقٍّ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ معنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة، قالوا له ذلك على وجه الخلاعة."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المعنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الماوردي:" فيه وجهان:

أحدهما: ما لنا فيهن حاجة، قاله الكلبي."

وقال البغوي:" وقيل: معناه مَالَنا فيهنّ من حاجة وشهوة."

وقال ابن الجوزي:" فيه قولان.

أحدهما: مالنا فيهن حاجة، ..عن ابن عباس."

القول الثاني: المعنى ليس لنا من حق لأنهن لسن لنا أزواجاً ، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٨٦) (٥/٢٤٧).

٢ - الماوردي آية ٧٩، البغوي ايه٧٩، ابن الجوزي(٤/١٠٦)، الرازي (١٨/٣٨٠)، ابن عبد السلام آية ٧٩، البيضاوي (٣/٣٤٦)، النسفي (٢/٢٨٥)، النظام النبسابوري (١٢/٣٥)، ابن جزي (٢/٢٠١)، الخازن آية ٧٩، ابن كثير (٤/٢٨٩)، ابن عادل (١٠/٥٣١)، الشوكاني ٠٢/٥١٣)، الالوسي (٢١/٣١١)، ابن عاشور (١٢/١٢٩)، الجزائري آيه ٧٩.

٣ - قاله ابن أبي حاتم عن ابن إسحاق (٦/٢٦٣)،الطبري (١٢/٥٢)، الماوردي والبغوي آية ٧٩، الواحدي في الوجيز (١/٥٢٩)، ابن الجوزي (٤/١٠٦)، ابن عبد السلام آيه ٧٩، الخازن آية٧٩.

قال ابن أبي حاتم:" عن ابن إسحاق[1]، قال: قالُوا: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقٍّ ﴾: أي من أزواج ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾."

وقال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط للوط: لَقَدْ عَلِمْتَ يا لوط ما لَنا في بَنَاتِكَ مِنْ حَق لأنهنَ لَسْن لنا أزواجاً."

وقال الماوردي:" الثاني: ليس لنا بأزواج، قاله محمد بن إسحاق."

القول الثالث: المعنى ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا ولا لنا عادة نطلب ذلك، وهو قول ابن عطية والقرطبي.[2]

قال ابن عطية :" روي أن قوم لوط كانوا قد خطبوا بنات لوط فردهم ، وكانت سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً ، فلذلك قالوا: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقٍّ ﴾.

قال القاضي أبو محمد : وبعد أن تكون هذه المخاطبة ، فوجه الكلام: إنا ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هم قصدنا ولا لنا عادة نطلبها في ذلك."

وقال القرطبي:" روي أن قوم لوط خطبوا بناته فردّهم، وكانت سنتهم أن من ردّ في خِطبة امرأة لم تحل له أبداً؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ وبعد ألاّ تكون هذه الخاصيّة. فوجه الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هنّ قصدنا، ولا لنا عادة نطلب ذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة. فقد دل واقع حالهم عليه.

---

١ - وسنده:" حدثنا محمد بن العباس مولى بني هاشم، ثنا عبد الرحمن بن سلمة، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق."

٢ - ابن عطية(٣/١٩٣)، القرطبي (٩/٧٣).

- وأما القول المعنى ليس لنا من حق لأنهن لسن لنا أزواجا، فهو حقيقة.
- وأما القول المعنى ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا ولا لنا عادة نطلب ذلك، فلأن طبعهم الشذوذ والعياذ بالله.

ولذا فإن ما ذكره المفسرون من الأقوال يكمل بعضه بعضا.

الترجيح:

يترجح القول إن ما ذكره المفسرون محتمل ويمكن الجمع بينها وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. بدلالة الحال التي كان عليها قوم لوط.

والله تعالى أعلم

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾[هود: ٨١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ وَلَا يَلۡتَفِتۡ ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر أن قوله ولا يلتفت، من التفات البصر."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد هو التفات البصر . وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" لا ينظر أحدٌ إلى ورائه إذا خرج من قريته."

وقال ابن عطية:" والظاهر في (يلتفت) أنها من التفات البصر."

وقال الخازن :" يعني ولا يلتفت منكم أحد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه."

القول الثاني: المراد النهى عن التخلف؛ وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال السمرقندي:" يعني: لا يتخلف منكم أحد."

وقال الزمخشري:" وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها، فإن هواها إليهم، فلم يسر بها."

وقال ابن الجوزي :"فيه قولان:...الثاني: يعني لا يتخلف منك أحد ، قاله

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٨٧) (٥/٢٤٩).

٢ - الواحدي في الوجيز (١/٥٢٩)، ابن عطية (٣/١٩٥)،الخازن آيه٨١، الشربيني(٢/ ٨٠).

٣ - السمرقندي (٢/١٦٨)، الكشاف (٢/٢٨٣)،ابن الجوزي (٤/١٠٦)،النسفي (٢/٢٨٦)، البيضاوي (٣/٢٤٩)،ابن عادل (١٠/٥٣١)، أبو السعود (٤/٢٢٤)،الشوكاني (٢/٥١٣).

ابن عباس."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هو التفات البصر، فهذا هو المعنى المشهور الحقيقي للالتفات.
- وأما القول إن المراد النهى عن التخلف، والتخلف هو الانصراف عن المسير[1]،قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ [يونس: ٧٨].

فيقال أما الاستدلال بالآية فليس بواضح، لأن المراد بها الصرف عن معتقد، فهو صرف معنوي، وأما في قصة لوط فهو التفات حقيقي.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو التفات البصر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لكي لا يروا العذاب، رحمة بهم.

٣. لأنه المعنى المتبادر للذهن .

٤. ولموافقة قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ و الضعيف والمنكر.][2]

والله تعالى أعلم

---

١ - وقال الراغب:" يقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾[يونس: ٧٨] . أي تصرفنا." مفردات القرآن ص٤٧٢ .

٢ - قواعد الترجيح (٢/٣٦٩).

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣]

في الآية مسالتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر أن ضمير هي عائد على القرى التي جعل الله أعاليها أسافلها، والمعنى: أنّ ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام، يمرّ عليها قريش في مسيرهم، فالنظر إليه وفيها فيه اعتبار واتعاظ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : عود الضمير على قرى قوم لوط، وهو قول جماعة من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

وقال الزمخشري: " وقيل الضمير للقرى، أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم."

وقال الرازي: " وقيل: الضمير في قوله : ﴿وَمَا هِيَ﴾ للقرى. أي وما تلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة من كفار مكة ببعيد، وذلك لأن القرى كانت في الشام، وهي قريب من مكة.

وقال النسفي: " الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٨٨) (٥/ ٢٥٠).

٢ - الزمخشري (٢/ ٢٨٤)، الرازي (١٨/ ٣٨٤)، النسفي (٢/ ٢٨٧)،ابن جزي (٢/ ٢٠٢)، ابن عادل (١٠/ ٥٣١)، الجلالين آيه ٨٣، ابن عاشور(١٢/ ١٣٧).

القول الثاني: عود الضمير على الحجارة، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري:" وأما قوله:﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره متهدّدا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شِرِكهم."

وقال البغوي:" (وَمَا هِيَ) يعني: تلك الحجارة."

وقال ابن عطية:" وقوله (وما هي) إشارة إلى الحجارة."

القول الثالث: عود الضمير على النقمة أو العقوبة المفهومه من السياق . وهو قول ابن كثير وابن عادل.

قال ابن كثير:" وقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ أي وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه."

وقال ابن عادل:" وقيل: يعودُ على العُقوبةِ المفهومة من السِّياقِ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على قرى قوم لوط ،فهو محتمل إلا أنه بعيد بدلالة السياق.
- وأما القول إن الضمير يعود على الحجارة، فهو الأظهر والأقرب.
- وأما القول إن الضمير يعود على النقمة أو العقوبة. فهي محتمله على ما يفهم من السياق ، ويمكن أن تدخل في القول بأنها الحجارة.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الحجارة، وذلك:

١. لأنها أقرب مذكور .

---

١ - الطبري (٥٧/١٢)، البغوي آيه ٨٣، ابن عطية (١٧٣/٣)، أبي السعود (٢٢٤/٤)، البيضاوي (٢٥١/٣)، الخازن آيه ٨٣.

٢. لموافقة لقاعدة الترجيح وهي : [إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر][1] .

٣. لأنها اداة العذاب التي ورد وصف شامل ودقيق لها، وقربها من الظالمين يدخل ضمن الوصف .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/٥٩٣).

المسألة الثانية

ما المراد بالظالمين في الآية ؟

قال أبو حيان :" والظاهر عموم الظالمين."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: المراد عموم الظالمين، ويدخل فيهم ظالمو الأمة، وهو قول جماعة من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الفراء :" يقول: من ظالمي أمتك يا محمد ."

وقال النحاس:" المعنى من ظالمي هذه الأمة."

وقال البغوي:" وقال قتادة وعكرمة : يعني ظالمي هذه الأمة واللّهِ ما أجار اللّهُ منها ظالماً بعدُ."

القول الثاني: المراد كفار قريش، وهو قول كثير من المفسرين.[3]

وقال النحاس:" قال مجاهد: يرهّب بهذا قريشا."

وقال الطبري:" وأما قوله:﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره متهدّداً مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شِركهم."

وقال الواحدي:" قال قتادة : والله ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ ل١٨٨) (٥/ ٢٥٠).

٢ - الفراء (٢/ ٢٤)، النحاس (١/ ٥١٧)، البغوي آية ٨٣، ابن عطية (٣/ ١٩٧)، ابن الجوزي (٤/ ١١١)، الرازي (١٨/ ٣٨٤)، القرطبي (٩/ ٧٣)، النسفي (٢/ ٢٨٧)، ابن جزي (٢/ ٢٠٢)، والخازن آيه ٨٣، ابن كثير (٤/ ٢٩٣)،الشوكاني (٢/ ٥١٣).

٣- النحاس (١/ ٥١٧)، الطبري (١٢/ ٥٧)،الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٨٥) ، البغوي آية ٨٣، الزمخشري (٢/ ٢٨٤)، ابن الجوزي (٤/ ١١١)، الرازي (١٨/ ٣٨٤)، ال بيضاوي (٣/ ٢٥١)، الجلالين آيه٨٣، أبو السعود (٤/ ٢٢٤)، الشوكاني (٢/ ٥١٣). ابن عاشور (١٢/ ١٣٤).

فاتقوا الله وكونوا ع لى حذر . وأكثر المفسرين على أن المراد بالظالمين ها هنا كفار قريش يرهبهم الله بها."

القول الثالث: المراد قوم لوط، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الفراء:" ويقال: ما هي من الظالمين يعني قوم لوط أنها لم تكن تخطئهم."

وقال ابن الجوزي:" في المراد بالظالمين ها هنا ثلاثة أقوال:..

والثالث: أنهم قوم لوط، فالمعنى : وما هي من الظالمين، أي : من قوم لوط ببعيد، والمعنى: لم تكن لتخطئهم."

وقال القرطبي:" يعني قوم لوط؛ أي لم تكن تخطئهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد عموم الظالمين، ويدخل فيهم ظالمو الأمة، فهو قول عام يندرج تحته باقي الأقوال . واستدلوا با لحديث: ((إنه سيكون في أمتي خسف ومسخ وقذف بالحجارة))[2].

وبحديث: ((سيكون في أواخر أمتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنساء بالنساء فإذا كان كذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلا وما هي من الظالمين ببعيد))[3].

والجواب عن ذلك مايلي:

1. الآية في سياق الخصوص وهي قصة قوم لوط وكيفية عذابهم . ولكل معتبر أخذ العظة والعبرة من خلال العلم بما جرى للأقوام السابقين.

---

١ - الفراء (٢/ ٢٤)، ابن الجوزي (٤/ ١١١)، القرطبي (٩/ ٧٣)، الخازن آية ٨٣ .

٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠): رواه أبو يعلى والبزار وفيه مبارك بن سحيم وهو متروك."

٣ - لم أجده بهذا اللفظ وإنما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠) مثله. وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو متروك.

٢. وما ذكر من الأحاديث ليس تفسيراً للآية وإنما إخبار لما سيقع لهذه الأمة من أحداث.

٣. ودخول عموم الظالمين المرتكبين لهذه الجريمة محتمل أن يقع عليهم مثل عذاب سابقيهم.

- وأما القول إن المراد كفار قريش، فهو بعيد، وإنما ذكر ذلك ليتأملوا حال الأمم السابقة ويأخذوا العظة والعبرة منه.
- وأما القول إن المراد قوم لوط، فهو أظهر الأقوال، وهم المعنيون بهذا الحدث الجلل. ولمتدبر العظة والعبرة مما حصل لهم.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد قوم لوط. وذلك:

١ - لدلالة السياق.

٢ - لموافقة قاعدة الترجيح وهي:[كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة الآية وسياقها فهو رد.][1].

٣ - لأنه أظهر الأقوال، وأقربها إلى تحديد المعنيين بأحداث القصة.

٤ - لأن ه ذه العقوبة بهذه الكيفية خاصة بقوم لوط أول من فعل ذلك، ومن فعل فعلهم له عقوبة من الله تشابه عقوبتهم ولكن ليس بذات التفاصيل ، لأن الأول عليه من الإثم والعقوبة ما ليس لغيره.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/٣٤٩).

قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾[هود: ٨٧] .

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالصلاة في الآية؟

قال أبوحيان : " والظاهر أنه أريد بالصلاة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة."[1]

الدراسة:

في المسألة أقوال:

القول الأول : المراد بالصلاة هي الصلاة المعهودة، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" يعني: أكثرة صلواتك تأمرك."

وقال الثعلبي:" قال ابن عباس: كان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا."

وقال الماوردي:" في (صلاتك) ثلاثة أوجه:

...الثاني: صلاتك التي تصليها لله تعبّداً."

القول الثاني : المراد :قراءتك ، قاله الأعمش ، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ل١٩٠) (٥/٢٥٤).

٢ - السمرقندي (٢/١٦٨)، الماوردي والبغوي آية٨٧، الزمخشري (٢/٢٨٦)، ابن عطية(٣/٢٨٦)، ابن الجوزي (٤/١١٥)، الرازي (١٧/٣٨٧)، القرطبي (٩/٨٤)، النسفي (٣/٢٥٣)، ابن جزي (٢/٢٥٣)، الخازن آية ٨٧، الثعالبي (١/٣٠٣)، الشربيني (٢/٨٢)، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكاني (٢/٥١٧)، الألوسي(٢١/٣٢١).

٣ - عبد الرزاق (٢/١٨٢)،للطبري (١٢/٦٢)من طريق عبد الرزاق ، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٢)، =

قال عبدالرزاق:" عن الثوري عن الأعمش في قوله تعالى ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ ﴾ قال أقراءتك."

وقال الطبري:" وقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ ﴾ كان الأعمش يقول: في قوله: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ ﴾ قال: قراءتك."

وقال ابن أبي حاتم:" عن الأعمش في قوله تعالى ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ ﴾ قال: أقراءتك."

القول الثالث: المراد :الدين والإيمان، وهو قول بعض المفسرين.(□)

قال الماوردي :" الثالث: دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع."

وقال الواحدي:" يريدون: دينُك يأمرك، أَيْ: أفي دينك الأمر بذا ؟."

وقال ابن الجوزي:" وفي المراد بصلواته ثلاثة أقوال. أحدها: دينه."

القول الرابع: المراد:دعواتك، ذكره ابن عطية، والثعالبي.(□)

قال ابن عطية:" وقيل: أرادوا: أدعواتك."

وقال الثعالبي:" وقيل: أرادوا: أدعواتُكَ."

القول الخامس: المراد: مساجدك، ذكره ابن عطية.

قال ابن عطية:" وقيل: أرادوا: أمساجدك؟."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد بالصلاة هي الصلاة المعهودة، فهو الظاهر.

=
البغوي آية٨٧،ابن عطية(٣/٢٨٦)، ابن الجوزي (٤/١١٥)، القرطبي(٩/ ٨٤)، الخازن آية ٨٧، ابن كثير (٤/٢٩٥)، الشوكاني(٢/٥١٧).

١ – الواحدي في الوسيط (٢/٥٨٦)،ابن الجوزي (٤/١١٥)،الرازي(١٧/٣٨٧)، الخازن آية ٨٧، ابن عادل(٤/٣٩٥).

٢ – ابن عطية (٣/٢٨٦)، الثعالبي(٣/٣٠٣).

- وأما القول المراد : قراءتك، فالقراءة ضمن في الصلاة.
- وأما القول المراد :الدين والإيمان، وه و أشمل الأقوال ، إلا إن عادة الكفار في السخرية إن يسخروا بفعل في الدين ظاهر دائما.
- وأما القول المراد: دعواتك، والدعاء ضمن الصلاة، والدين.
- وأما القول المراد: مساجدك، فهو بعيد ، لأن اللفظ لا يدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد به الصلاة على وجه الحقيقة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن الصلاة هي العبادة الأكثر ظهورا ، فهي تشتمل على أفعال وأقوال خاصة بها، لا يمكن إخفاءها وشعيب أشتهر بكثرة الصلاة.

قال الألوسي:" وتخصيصهم إسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفاً بذلك..... وهذا الإسناد حقيقي لا مجازي غاية ما في الباب أنهم قصدوا الحقيقة تهكماً."

٢. لدلالة قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ابن عطية :" وجعلوا الأمر من فعل الصلوات على جهة التجوز ، وذلك أن كل من حصل في رتبة من خير أو شر ففي الأكثر تدعوه رتبته إلى التزيد من ذلك النوع : فمعنى هذا : ألما كنت مصلياً تجاوزت إلى ذم شرعنا وحالنا؟ فكأن حاله من الصلاة جسرته على ذلك فقيل: أمرته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥]."

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي:[القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على

ما عدم ذلك][1].

٤. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل][2]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣١٢/١).

٢ - قواعد الترجيح (١٣٧/١).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله : ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ الذي كانوا يفعلونه في أموالهم ه و بخس الكيل والوزن المقدّم ذكره."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد هو بخس الكيل والوزن، وهو قول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" من نقصان الكيل والوزن."

وقال الماوردي:" فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما كانوا عليه من البخس والتطفيف."

وقال الواحدي:" من البخس والظُّلم، ونقص المكيال والميزان."

القول الثاني: المراد هو حذف الدراهم[3]. وهو قول جماعة من المفسرين.[4]

قال الطبري:"عن زيد بن أسلم،[5] فـي قوله:﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ ل١٩٠) (٥/ ٢٥٠)، وذكر قراءة آخرىفقال :" وقرأ الضحاك بن قيس، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي : بالتاء فيهما على الخطاب، ...والظاهر أنه إيفاء المكيال والميز ان. وقال سفيان الثوري: كان يأمرهم بالزكاة."وكذا قال ابن كثير .

٢- السمرقندي (١٦٨/٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية٨٧، الزمخشري (٢٨٦/٢)، ابن عطية (٢٨٦/٣)، ابن الجوزي(١١٥/٤)، الرازي(٣٨٧/١٧)، ابن عبد السلام آية٨٧، القرطبي (٨٤/٩)، النسفي(٢٥٣/٣)، ابن جزي(٢٥٣/٢)، الخازن آية ٨٧، ابن كثير (٢٩٥/٤)، الثعالبي (٣٠٣/١)، الشربيني(٨٢/٢)، أبي السعود(٢٣١/٤)، الشوكاني(٥١٧/٢)، الألوسي (٣٢١/٢١).

٣ – حذفه يحذفه: أسقطه. القاموس ص١٠٣٢.

٤ – الطبري(٣٨/١٢)، ابن أبي حاتم(٢٠٧٢/٦)، النحاس(٥١٨/١).

٥ – وسنده :" ثنا حماد بن خالد الخياط، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم."

نَشَـٰٓؤُاْ﴾ قال: كان مما نهاهم عنه: حذف الدراهم."

وقال ابن أبي حاتم :" عن زيد بن أسلم [1]، في قوله : ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ قال: كان مما نهاهم عنه: حذف الدراهم."

وقال النحاس:" روى عن زيد بن أسلم أنه قال : كان مما نهاهم عنه : حذف الدراهم."

القول الثالث: المراد قطع الدنانير والدراهم. وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الطبري:" قال ابن زيد، [3] في قوله :﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ قال: نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم، فقالوا : إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نشاء، إن شئنا قطعناها، وإن شئنا حَرّقناها، وإن شئنا طرحناها."

وقال الثعلبي:" قال أهل التفسير: كان هذا نهياً لهم عنه وعذبوا لأجله قطع الدنانير والدراهم.

وقال الماوردي:" الثالث: قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه."

القول الرابع : المراد كان يأمرهم بها فيمتنعون منها ،[4] وهو قول بعض المفسرين.[5]

---

١ - وسنده :" حدثنا أبو سعيد الأشج، حماد بن خالد الخياط، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم."

٢ - الطبري(١٢/٣٨)، الثعلبي والماوردي آية٨٧ ،البغوي آية٨٧، الزمخشري (٢/٢٨٦)، ابن عطية (٣/٢٨٦).

٣ - وسنده :" حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد."

٤ - وهذا القول على قراءة الضحاك بن قيس، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي : بالتاء فيهما على الخطاب، والظاهر أنه إيفاء المكيال والميزان.

٥ - الماوردي آية٨٧، ابن الجوزي(٤/١١٥)، ابن كثير (٤/٢٩٥)، الألوسي(٢١/٣٢١).

قال الماوردي:" الثاني: الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثوري."

وقال ابن الجوزي:" قال سفيان الثوري: إنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا."

وقال ابن عبد السلام:" أو الزكاة التي أمرهم بها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكره المفسرون كلها معاني محتمله، يصح التفسير بها منفرده، مع إمكان الجمع بينها، فكلها تندرج تحت باب المعاملات الماليه وهى محتملة للبخس والغش والتدليس،ولأن ا لنهي جاء عن ترك كل ما فيه إفساد للمال.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد المراد هو بخس الكيل والوزن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

1. لدلالة السياق.

قال تعالى ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ ﴾[هود: ٨٤].

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

لماذا قالوا لشعيب عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ ؟

قال أبوحيان :" وقوله: إنك لأنت الحليم الرشيد ظاهره أن إخبار منهم عنه بهذين الوصفين الجميلين، فيحتمل أن يريدوا بذلك الحقيقة أي : أنك للمتصف بهذين الوصفين، فكيف وقعت في هذا الأمر من مخالفتك دين آبائنا وما كانوا عليه، ومثلك من يمنعه حلمه ورشده عن ذلك . أو يحتمل أن يريدوا بذلك إنك لأنت الحليم الرشيد بزعمك إذ تأمر نا بما تأمر به . أو يحتمل أن قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم، قاله قتادة. والمراد: نسبته إلى الطيش والعي كما تقول للشحيح : لو رآك حاتم لسجد لك، وقالوا للحبشي : أبو البيضاء."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: قالوا ذلك: حقيقة، وهو قول جماعة من المفسرين.[2]

قال الماوردي:" فيه ثلاثة أوجه:

الثالث: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه والحقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلِم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله."

وقال البغوي:" ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرادوا: السفيه الغاوي والعرب تصف الشيء بضده فتقول : للديغ سليم وللفلاة مفازة."

---

١ -البحر المحيط (ح٥/ل١٩٠) (٢٥٠/٥).

٢ - الماوردي والبغوي آية٨٧، ابن عطية (٢٠٠/٣)، ابن الجوزي(١١٥/٤)، الرازي (٣٨٧/١٧)، الشوكاني

وقال ابن عطية :" وقيل: بل قالوه على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه ، فكأنهم فندوه، أي أنه حليم رشيد فلا ينبغي لك أن تأمرنا بهذه الأوامر."

القول الثاني: قالوا ذلك: استهزاء وسخرية، قاله ابن جريج[1]، وابن زيد،[2] وهو قول أكثر المفسرين.[3]

قال الطبري:" وأما قولهم لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ فإنهم أعداء الله قالوا ذلك له استهزاء به وإنـما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام

وقال الماوردي:" أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به، قاله قتادة."

وقال الواحدي:" أيْ: السّفيه الجاهل، وقالوا: الحليم الرّشيد على طريق الاستهزاء."

القول الثالث: قالوا ذلك : لينفوا عنه الحلم والرشد . قاله الماوردي، وابن عطية.

قال الماوردي:" الثاني: معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه ا لنفي، قاله ابن عباس."

---

١ - قال الطبري(١٢/ ٦٢): حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج : ﴿ إنّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرّشِيدُ ﴾ قال: يستهزءون."

عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد القرشي الأموي، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، صاحب التصانيف، توفي سنة ١٥٠هـ. تاريخ البخاري (٥/ ٤٢٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥)، تهذيب التهذيب(٦/ ٤٠٢).

٢ - قال الطبري(١٢/ ٦٢): حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله : ﴿ إنّكَ لأَنْتَ الحَلِيمُ الرّشِيدُ ﴾ المستهزؤون يستهزؤون بأنك لأنت الحليم الرشيد."

٣- الطبري(١٢/ ٦٢)، الماوردي آية٨٧، الواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٦)، البغوي آية٨٧، الزمخشري (٢/ ٢٨٦)، ابن عطية (٣/ ٢٠٠)، ابن الجوزي (٤/ ١١٥)، الرازي (١٧/ ٣٨٧)، النسفي (٢/ ٢٨٨)، ابن كثير (٤/ ٢٩٥)، الجلالان آية ٨٧، أبي السعود (٤/ ٢٣١)، الشوكاني (٢/ ٥١٧)، ابن عاشور (١٢/ ١٤١).

وقال ابن عطية :" فقيل: إنما كانت ألفاظهم : إنك لأنت الجاهل السفيه ، فكنى الله عن ذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنهم قالوا ذلك له حقيقة، فهو ظاهر من اللفظ، فالكفار يعرفوا أن صفات انبيائهم رفيعه، ويقرون بها ومع ذلك يخالفوهم كبرا وعنادا.
- وأما القول إنهم قالوا ذلك : استهزاء وسخرية،فمحتمل، وهذه طريقتهم، إلا أن السياق لا يساعده.
- وأما القول إنهم قالوا ذلك لينفوا عنه الحلم والرشد، فيدخل في باب الاستهزاء أيضا.وما المانع لو أخبرنا الله تعالى بالوصف الحقيقي الذي قالوه في حق نبي من أنبياء الله عليهم صلاة الله وسلامه، فقد جاء في القرآن ما وصف الكفار به الرسول من قولهم كاهن وساحر...الخ.

الترجيح:

يترجح القول إنهم قالوا ذلك له حقيقة، وذلك:

1. لدلالة السياق.
2. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة.][1]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/٣٨٧).

قال تعالى ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود: ٨٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالرزق الحسن في الآية؟

قال أبو حيان :" والظاهر في قوله: ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ أنه الحلال الطيب من غير بخس ولا تطفيف أدخلتموه أموالكم . قال ابن عباس : الحلال، وكان شعيب ﷺ كثير المال."[1]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: المراد الحلال الطيب، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ يعني حلالاً طيباً"

وقال ابن أبي حاتم :" عن الضحاك[3] قال: الرزق الحسن: الحلال."

وقال النحاس:" ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ قيل: حلالاً."

١- البحر المحيط (ح٥/ل١٩٠) (٥/٢٥٣).

٢- الطبري (١٢/٦٣)،ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٣)، النحاس (١/٥١٨)، الماوردي والثعلبي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٨٨، ، الزمخشري (٢/٢٨٧)، الرازي (١٨/٣٩٠)، ابن عبد السلام آية٨٨ القرطبي (٩/ ٨٤)، النسفي (٢/٢٨٨)، الخازن آية٨٨، ابن كثير (٤/٢٩٥)،ابن عادل (١٠/٥٤٣)،البقاعي(٣/٥٦٥)، الجلالين آية ٨٨، الشربيني(٢/ ٨٢)، الشوكاني (٢/٥١٧).

٣ – وسنده قال:" حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أبو أسامة، عن سلمة بن نشيط، عن الضحاك."

القول الثاني: المراد النبوة والحكمة، وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

وقال الماوردي:" فيه تأويلان:

الثاني: أنه النبوة، ذكره ابن عيسى، وفي الكلام محذوف وتقديره، أفأعدل مع ذلك عن عبادته."

وقال الزمخشري:" ﴿رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾وهو ما رزقه من النبوّة والحكمة."

وقال ابن الجوزي:" ثلاثة أقوال... والثاني: النبوة."

القول الثالث : المراد خالصا من الفساد،وهو قول ابن عطية وابن جزي والثعالبي.[2]

قال ابن عطية:" يريد: خالصاً من الفساد الذي أدخلتم أنتم أموالكم."

وقال ابن جزي:" أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم أموالكم."

وقال الثعالبي:" : أي: سالماً من الفَسَادِ الذي أَدْخَلْتُم في أَمْوالكم.

القول الرابع: المراد العلم والمعرفة ، وهو قول بعض المفسرين.[3]

قال الثعلبي:" وقيل: علماً ومعرفة."

وقال البغوي:" وقيل: الرزق الحسن: العلم والمعرفة."

وقال ابن الجوزي:" والثالث: العلم والمعرفة."

القول الخامس: المراد التوفيق والهدى، وهو قول بعض المفسرين.[4]

قال النحاس :" ما وفق له من الطاعة."

---

١ - الماوردي آية ٨٨، الزمخشري (٢/٢٨٧)، النسفي (٢/٢٨٨)، ابن كثير (٤/٢٩٥)، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكاني (٢/٥١٧)، الألوسي (٢١/٤٢١)، ابن عاشور (١٢/١٤٣).

٢ - ابن عطية (٣/٢٠٠)، ابن جزي (٢/٢٠٣)، الثعالبي (٢/١٣٤).

٣ - الثعلبي والبغوي آية٨٨، ابن الجوزي (٤/١١٥)، القرطبي (٩/٨٤)، الخازن آية٨٨، ابن عادل (١٠/٥٤٣)، الشوكاني (٢/٥١٧).

٤ - النحاس (١/٥١٨)، السمرقندي (٢/١٦٨)، القرطبي (٩/٨٤)، الشوكاني (٢/٥١٧).

وقال السمرقندي:" ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ يعني: بعثني بالرسالة فهداني لدينه."

وقال القرطبي:"وقيل: أراد به الهدى والتوفيق،

القول السادس: المراد الكثير، وهو قول السمرقندي والبغوي

وقال السمرقندي:" ووسع عليّ من رزقه."

قال البغوي:" وقيل: كثيراً. كان شعيب عليه السلام كثير المال."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هو الحلال الطيب، فهو أظهر الأقوال، ويصح أن يندرج تحته القول إن المراد هو الخالص من الفساد والكثير .
- وأما القول إن المراد هو النبوة والحكمة، فإنه يندرج تحته العلم والمعرفة والتوفيق والهدي. ومع احتمال صحته إلا أن السياق لايدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو الحلال الطيب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق، لأن دعوة شعيب عليه السلام مع قومه بعد توحيد الله هي قضية المال وكيفية كسبه وإنفاقه في الوجوه المشروعة.

٢. لأنه أقرب من حيث لفظ الرزق.

٣. لأن شعيبا عليه السلام ذكر البينة أولا ثم الرزق الحسن . فرتب الأهم فالمهم النبوة والعلم ...الخ ، ثم الحلال الكثير.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾[هود: ٩١].

في الآية مسالتان :

المسألة الأولى

ما معنى ضعيفاً ؟

قال أبو حيان:" الظاهر أنه ضعيف الانتصار والقدرة."[1]

الدراسة :

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول : المعنى إنه ضعيف الانتصار والقدرة ، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً."

وقال ابن عطية:" والظاهر من قولـهم: (ضعيفاً) أنه ضعيف الانتصار والقدرة."

وقال الرازي:" إنه الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه."

القول الثاني: المعنى إنه ضعيف البصر، قالـه سفيان.وذكره بعض المفسرين[3]

قال الطبري :" قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال: كان ضعيف البصر. قال

١- البحر المحيط (ح٥/ل١٩١) (٥/٢٥٦).

٢- الزمخشري(٢/٢٨٨)، ابن ع طية(٣/٢٠١)، الرازي (١٧/٣٩١)، البيضاوي (٢/٢٥٦)، ابن جزي (٢/٢٠٤)،الخازن آيه ٩١،ابن عادل (١٠/٥٤٣)، الشربيني(٢/٨٢)،أبي السعود(٤/٢٣١)، الشوكاني (٢/٥١٧)، الألوسي(٢١/٩٢١)، ابن عاشور(١٢/١٤٨).

٣- الجامع (٩/٨٤). ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٦) الماوردي آية ٩١، القرطبي (٩/٨٤)، البيضاوي (٢/٢٥٦)، النسفي (٣/٢٨٩)، ابن كثير (٤/٢٩٧)، الشربيني (٢/٨٢)، الشوكاني (٢/٥١٧)، الألوسي (٢١/٩٢١).

سفيان[1]: وكان يقال له خطيب الأنبياء."

وقال ابن أبي حاتم :" قوله:﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال: كان ضعيف البصر. قال سفيان: وكان يقال له خطيب الأنبياء."

قال الماوردي:" فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ضعيف البصر، قاله سفيان."

القول الثالث: المعنى إنه أعمى، قاله سعيد بن جبير ، وقتادة وهو قول جماعة من المفسرين.[2]

قال الطبري :" ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذكر أنه كان ضريرا."

وقال ابن أبي حاتم:" عن سعيد بن جبير[3] عن ابن عباس قال:كان ضرير البصر."

وقال الزمخشري:" وقيل: ﴿ضَعِيفًا﴾ أعمى. وحمير تسمى المكفوف: ضعيفاً، كما يسمى ضريراً."

القول الرابع: المعنى إنه ضعيف البدن، وهو قول بعض المفسرين.[4]

قال الماوردي:" الثاني: ضعيف البدن، حكاه ابن عيسى."

وقال ابن عطية:" وقيل: كان ناحل البدن زمنه."

---

١ - وسنده:" حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان." وكذا ابن أبي حاتم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين.

٢ - الطبري (١٢/ ٦٤)، ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٧٦)،النحاس(١/ ٥١٩)،السمرقندي (٢/ ١٦٨)، الثعلبي والماوردي والبغوي والواحدي في الوجيز آيه ٩١، الزمخشري (٢/ ٢٨٨)، ابن عطية (٣/ ٢٠١)، ابن الجوزي(٤/ ١١٥)، القرطبي (٩/ ٨٤)، السيوطي في الدر المنثور آيه ٩١، الشوكاني (٢/ ٥١٧).

٣ - وسنده:" من طريق عباد عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير."

٤- الماوردي آية ٩١، ابن عطية (٣/ ٢٠١)، القرطبي (٩/ ٨٤)، البقاعي (٣/ ٥٨٦). الشوكاني (٢/ ٥١٧).

القول الخامس: المعنى إنه قليل العقل، وذكره الماوردي.

قال الماوردي:" قليل العقل."

القول السادس: المعنى إنه ذليل مهين، قاله الحسن،[1] وذكره بعض المفسرين.

قال السمرقندي:" وقال مقاتل: يعني: ذليلاً لا قوة لك، ولا حيلة."

وقال الماوردي:" الخامس: ذليلاً مهيناً، قالـه الحسن."

وقال الزمخشري:" وعن الحسن (ضَعِيفًا) مهيناً."

القول السابع: : قليل المعرفة وحيداً، قالـه السدي.ذكره الماوردي[2] .

قال السمرقندي:" يقال: وحيداً لم يوافقك من عظمائنا أحد."

وقال الماوردي:" الرابع: قليل المعرفة وحيداً، قالـه السدي."

القول الثامن: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها . ذكره الماوردي وابن الجوزي.

وقال الماوردي:" السابع: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها."

وقال ابن الجوزي:" عاجزا عن التصرف في المكاسب."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى ضعيف الانتصار والقدرة، فهو أظهر الأقوال . ويمكن أن يندرج تحته المهين.
- وأما باقي الأقوال فهي ترك للظاهر من غير دليل . وكل قول منها مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف.

الترجيح:

---

١ - السمرقندي(١٦٨/٢)، الماوردي آية ٩١، القرطبي (٨٤/٩)، ابن الجوزي (١١٥/٤)،الجلالين آية ٩١، الشوكاني(٥١٧/٢).

٢ - السمرقندي(١٦٨/٢)، النكت والعيون آيه ٩١. القرطبي (٨٤/٩)،

يترجح القول إن المعنى إنه ضعيف الانتصار والقدرة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. هو الظاهر الدال على واقع القوم مع نبيهم.

وقال الخازن :" ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ ﴾ ....هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ يعني جماعتك وعشيرتك."

وقال ابن عادل:" وأيضاً قولـهم بعد ذلك ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَۖ ﴾ فنفوا عنه القُوَّة التي أثبتوها في رهطه وهي النُّصرة؛ فوجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النُّصرة."

٢. تناسبه مع المعنى الواصف لحالة الإعراض من الكفار.

قال ابن عطيه - بعد أن ذكر الأقوال -:" وهذا كلـه ضعيف ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه؛ والظاهر من قو لهم:﴿ ضَعِيفًا﴾ أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه."

٣. أنه المعنى الحقيقي الواضح في وصف معنى الضعف .

قال ابن عاشور :" ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ ﴾أي وإنّك فينا لضعيف، أي غير ذي قوّة ولا منعة . فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أذَاهُ وذلك ممّا يُرى لأنّه تُرى دلائله وسماته.

وذكر فعل الرؤية هنا للتّحقيق، كما تقدّم في قوله تعالى : ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾[هود: ٢٧] بحيث نزّلوه منزلة من تُظنون أنهم لا يرون ذلك بأبصارهم فصرحوا بفعل الرؤية."

المسألة الثانيه

ما المراد بقوله ﴿لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾[1] ؟

قال أبو حيان :" لرجمناك. ظاهره القتل بالحجارة، وهي من شر القتلات، وبه قال ابن زيد "[2]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد به القتل بالحجارة، وهو قول كثير من المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وقال بعضهم: معناه لقتلناك. ذكر من قال ذلك:

...قال ابن زيد،[4] في قوله: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ قال: قالوا: لولا أن نتقي قومك ورهطك لرجمناك .﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ يعنون: ما أنت ممن

---

١ - " الرجم في اللغة : عبارة عن الرمي، وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل، ولما كان هذا الرجم سبباً للقتل لا جرم سموا القتل رجماً وقد يكون بالقول الذي هو القذف، كقوله : ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: ٢٢] وقوله: ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [سبأ: ٥٣] وقد يكون بالشتم واللعن، ومنه قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] وقد يكون بالطرد كقوله :﴿رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك: ٥]." قاله الرازي (١٧/ ٣٩١).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٩١) (٥/ ٢٥٦).وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم توفي سنة ١٨٢ هـ.

٣ - الزجاج في معاني القرآن (٣/ ٧٤)،الطبري (١٢/ ٦٤)،السمرقندي (٢/ ١٦٨)، الثعلبي والماوردي والواحدي في الوجيز آية٩١،البغوي آية٩١،الزمخشري(٢/ ٢٨٨)،ابن الجوزي (٤/ ١١٥)، الرازي (١٧/ ٣٩١)، ابن عبد السلام آية ٩١،القرطبي (٩/ ٨٤)،البيضاوي (٣/ ٢٥٦)، النسفي (٣/ ٢٨٩)، ابن جزي (٢/ ٢٠٤)، والخازن آية ٩١، ابن كثير (٤/ ٢٩٧)،ابن عادل (١٠/ ٥٤٣)، البقاعي أية ٩١،السيوطي في الدر المنثور آية ٩١،الالوسي (٢١/ ٩٢١).

٤ - وسنده:" حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد."

يكرم علينا، فيعظم علينا إذلاله وهَوَانُه، بل ذلك علينا هَين."

وقال السمرقندي:" يعني: لولا عشيرتك لقتلناك، لأنهم كانوا يقتلون رجماً."

وقال النحاس :"أي ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم."

القول الثاني: المراد السب والشتم، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقوله: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾ يقول: يقولون: ولولا أنت في عشيرتك وقومك لرجمناك، يعنون: لسببناك."

وقال ابن أبي حاتم:" أي لشتمناك وآذيناك ولفعلنا بك."[2]

وقال ابن عطية :" وقيل معناه : (لرجمناك) بالسب - وبه فسر الطبري . وهذا أيضاً تستعمله العرب. ومنه قوله تعالى : ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦]."

القول الثالث: المراد لأبعدناك وأخرجناك. ذكره الرازي وأبو حيان.

قال الرازي:" الثاني: لشتمناك وطردناك."

وقال أبو حيان:" وقيل: لأبعدناك وأخرجناك من أرضنا."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به القتل بالحجارة، فهو الأظهر.
- وأما القول إن المراد السب والشتم و لأبعدناك وأخرجناك فهي أقوال محتملة.

الترجيح:

يترجح القول إن جميع المعاني التي ذكرها المفسرون محتملة، وذلك :

---

١ - الطبري (١٢/ ٦٤)ورجحه، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٦)، ابن عطية (٣/ ٢١) ،الرازي (١٨/ ٣٩١)، القرطبي (٩/ ٨٤)، الخازن آية٩١، ابن كثير(٤/ ٢٩٧).

٢ - وهو قول أبي روق وسنده :" حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب، ثنا بشر بن عماره، عن أبي روق ."

١. لأن مجرد القذف بالحجارة وبدون قصد القتل هو أيضاً من الأساليب التي يستخدمونها.

٢. لأن التهديد منهم مراده إلحاق أنواع الأذى به ابتداء من أقل شيء وانتهاء بأعظمها وأشرها وهو القتل فكل حسب استطاعة في ذلك.

٣. لأن السياق يدل على استيعاب اللفظ لكل أنواع الرجم.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾[هود: ٩٢] .

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر في قوله : واتخذتموه، أن الضمير عائد على الله تعالى أي: ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به ."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول كثير من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أَعْزَزْتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففت م بربكم، فجعلتموه خ لف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظمونه حقّ عظمته . يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل: نبذ حاجته وراء ظهره: أي تركها لا يلتفت إليها، وإذا قضاها قيل: جعلها أمامه ونُصْب عينيه."

وقال الواحدي:" كأنّه يقول : حفظكم إيّاي في الله أولى منه في رهطي ﴿ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ ﴾ ألقيتموه خلف ظهوركم، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعزّ وأكبر من جميع خلقه."

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٩٢) (٥/ ٢٥٦).

٢ - الطبري (١٢/ ٦٤)، الواحدي في الوجيز (١/ ٥٣٢)، الزمخشري (٢/ ٢٨٨)،ابن الجوزي (٤/ ١١٥)، ابن عبد السلام آية ٩٢ ،البيضاوي (٣/ ٢٥٦)، النسفي (٢/ ٢٨٩)،البقاعي (٣/ ٥٧٠)، السيوطي (٤/ ٤٦٩) ،أبي السعود (٤/ ٢٣١)، الشوكاني (٢/ ٥١٧)، الألوسي (٢١/ ٩٢١).

وقال الزمخشري:" قلت: تهاونهم به ـ وهو نبيّ الله ـ تهاون بالله، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[النساء: ٨٠] ، ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ ﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به."

القول الثاني : إن الضمير يعود على أمر الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الفراء :" رميتم بأمر الله وراء ظهوركم."

وقال النحاس :" قال أهل اللغة: المعنى: واتخذتم أمر الله وراءكم ظهريا."

وقال البغوي :" أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه."

القول الثالث: إن الضمير يعود على كتاب الله تعالى، وهو قول ابن كثير.[2]

قال ابن كثير:" يقول: أتتركوني لأجل قومي ولا تتركوني إِعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله ﴿وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ ﴾ أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الله فهو أظهر الأقوال.
- وأما القول يعود على أمر الله أو كتاب الله فلا دليل عليه يخصصه، وإنما هما ضمن القول الأول.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن

---

١ - الفراء (٢/٢٦)،النحاس(١/٥١٩)،البغوي آية ٩٢،ابن عطية (٣/٢٠١)،القرطبي (٩/٨٤)، الخازن آية ٩٢،

٢ - (٤/٢٩٧).

وافقه. وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال، وأقربها من حيث دلالة السياق.

٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهي: [إعادة الضمير إلى أقرب مذكور أولى من إعانته إلى مقدر][١].

٣. لأن قومه لم يقولوا ذلك لشخصه وإنما لما جاء به من عند الله.

قال الشوكاني:" وجملة: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ مستأنفة، وإنما قال أعزّ عليكم من الله، ولم يقل أعزّ عليكم مني، لأن نفي العزّة عنه وإثباتها لقومه استهانة به، والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله ﷻ، فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعزّ عليه من الله، فا ستنكر ذلك عليهم، وتعجب منه وألزمهم ما لا مخلص لـهم عنه، ولا مخرج لـهم منه بصورة الاستفهام، وفي هذا من قوّة المحاجة ووضوح المجادلة وإلقام الخصم الحجر ما لا يخفى، ولأمر ما سمي شعيب خطيب الأنبياء، والضمير في ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ ﴾راجع إلى اللـه سبحانه. والمعنى: واتخذتم الله ﷻ بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسلـه إليكم."

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/٥٩٣).

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾[هود: ٩٦ - ٩٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر أن يراد بقوله : أمر فرعون أمره إياهم بالكفر وجحد معجزات موسى عليه السلام، ويحتمل أن يريد الطريق والشأن."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بأمر فرعون هو أمره إياهم بالكفر وتكذيب موسى عليه السلام، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري:"﴿ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ يقول: فكذّب فرعون وملؤه موسى عليه السلام، وجحدوا وحدانـية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملأ فرعون دون أمر الله، وأطاعوه فـي تكذيب موسى عليه السلام وردّ ما جاءهم به من عند الله علـيه . يقول تعالـى ذكره : ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ يعني: أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله منه، فـي تكذيب موسى عليه السلام، إلـى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل يورده نار جهنم .

وقال الزمخشري:" تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادّعى الإلهية وهو بشر

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ ل١٩٣) (٥/٦٥٨).

٢ - الطبري (١٢/٦٦)، الزمخشري (٢/٢٩٠)، ابن عطية (٣/٢٠٤)، ابن الجوزي (٤/١١٩)، الرازي (١٨/٣٩٥)، البيضاوي (٣/٢٥٦)، النسفي (٢/٢٩١)، ابن عادل آية ٩٧، أبي السعود (٤/٢٣١)،الشوكاني (٢/٥٢٢)، الألوسي (٢١/٦٣١).

مثلهم، وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد."

وقال ابن عطية :" والمعنى: أرسلناه إليهم ليؤمنوا بالله تعالى ، فصدهم فرعون فاتبعوا أمره ولم يؤمنوا وكفروا."

القول الثاني: المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، وهو قول القرطبي وابن كثير.[1]

قال القرطبي :" أي شأنه وحاله، حتى اتخذوه إلها."

وقال ابن كثير :" أي منهجه ومسلكه وطريقته في الغي."

القول الثالث: المراد بأمر فرعون الأول هو ما عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى عليه السلام، والأمر الثاني هو طريقه وحاله. وهو قول الخازن.[2]

قال الخازن :" ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى عليه السلام ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير."

نلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن المراد بأمر فرعون هو أمره إياهم بالكفر وتكذيب موسى عليه السلام، فيندرج في القول الثاني.
- وأما القول إن المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، فهو الظاهر.
- وأما القول بالفرق بين الأمرين وهو القول الثالث، فبعيد.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، وذلك:

١. لأنه جمع بين القولين، ومنع من اختلاط الأمر.

---

١ – القرطبي(٩/٢٠٤)، ابن كثير(٤/٢٩٩).

٢ – التفسير آية ٩٧.

٢. لوضوح الدلالة على المراد.

٣. لأن في تكرار لفظ (أمر فرعون) فيه سر بلاغي من لفت الأنظار إلى عاقبة هذا الأمر.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [هود: ١٠٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالقرى في الآية ؟

قال أبو حيان :" الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم، وما حل بهم من الع قوبات، أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى . ويحتمل أن يعني بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وأن يعني القرى عموماً أي : هذا النبأ المقصوص عليك هو ديدن المدن إذ كفرت، فدخل المدن المعاصرة."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وهو قول كثير من المفسرين.[2]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة، والنبأ الذي أنبأناكه فيها من أخبار ا لقرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله، نقصه عليك فنخبرك به."

وقال الواحدي :" من أخبار القرى المهلكة."

وقال الزمخشري :" أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك."

القول الثاني: المراد عموم القري، ذكره أبو حيان، وهو قول وابن عاشور.

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٩٩) (٥/٢٥٩).

٢ - الطبري (١٢/٦٢)،الواحدي في الوسيط (٢/٥٨٩)،الزمخشري (٢/٢٩٠)، ابن الجوزي (٤/١٢٠)، البيضاوي (٣/٢٥٦)،النسفي (٢/٢٩٢)،الخازن آيه ١٠٠،أبي السعود (٤/٢٣٩)، الألوسي (٢١/٨٢١).

قال ابن عاشور : " وليس المراد القرى المذكورة في هذ ه السورة خاصة .
والمقصود من هذه الجملة الأعتبار."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هو قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، فهو ظاهر من سياق الآيات.
- وأما القول إن المراد هو عموم القرى . فيدخل فيه قرى أهل الإيمان . ولايوجد دليل يخصصه.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وذلك:

١. لدلالة السياق .

٢. لأنه ليس كل القرى ظالمة كافرة.

٣. لأن أخذ العظة والعبرة مطلوب في كل حال.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) ﴾ [هود: ١٠٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والخطاب في فلا تك متوجه إلى من داخله الشك، لا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: والله أعلم قل يا محمد لكل من شك لا تك في مرية مما يعبد هؤلاء، فإنّ الله لم يأمرهم بذلك، و إنما اتبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم وإعراضاً عن حجج العقول."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الخطاب متوجه لكل من شك لا إلى الرسول ﷺ وهو قول القرطبي والشوكاني.[2] واختاره أبو حيان.

قال القرطبي:" جزم بالنهي؛ وحذفت النون لكثرة الاستعمال . ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ أي في شك ، من الآلهة أنها باطل . وأحسن من هذا : أي قل يا محمد لكل من شك ﴿ لاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمّا يَعْبُدُ هَؤُلاَءِ ﴾ أن الله ﷻ ما أمرهم به، وإنما يعبدونها كما كان آباؤهم يفعلون تقليداً لهم."

وقال الشوكاني :" وهذا النهي له ﷺ هو تعريض لغيره ممن يداخله شيء من الشك. فإنه ﷺ لا يشك في ذلك أبداً."

القول الثاني: الخطاب متوجه إلي النبي ﷺ، وهو قول جماعة من المفسرين .

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٩٧) (٥/ ٢٦٥).

٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٩٤)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٢٨).

وصرح بذلك البعض،[1] وأشار إليه آخرون[2] .

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تك فـي شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام أنه ضلال وباطل وأنه بالله شرك، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آبـاؤهم من قبل."

وقال الواحدي :" ﴿فَلَا تَكُ﴾ يامحمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾

وقال ابن الجوزي:" ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: فلا تك يا محمد في شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المشركون من الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلدون آباءهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الخطاب متوجه لكل من شك لا إلى الرسول ﷺ. فلا دليل يشير إليه.
- وأما القول إن الخطاب متوجه إلي النبي ﷺ، فإنه هو الظاهر من اللفظ.

الترجيح:

يترجح القول إن لفظ الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له ولأمته جمعا بين القولين. وذلك:

١. لدلالة السياق، والمعنى المفهوم من النهي.

قال ابن عطية :" لفظ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له ولأمته، ولم يقع لأحد شك فيقع عنه نهي ولكن من فصاحة القول في بيان ضلالة الكفرة إخراجه في

١- الطبري (١٢/٧٣)،الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٢)،ابن الجوزي(٤/١٢٥)،النسفي (٢/٢٩٥)، الخازن والجلالين آية ١٠٩،الخطيب الشربيني (٢/٩١)،أبي السعود (٤/٢٣٩)،أبي بكر الجزائري (٢/٥٨٠) .

٢ - البغوي آية ١٠٩ ،الزمخشري (٢/٢٩٤)،الرازي (١٨/٤٠٤)،البيضاوي (٢/٢٥٦)،ابن جزي (٢/٢٠٦)، ابن عادل (١٠/٥٦٢)،الألوسي(٢١/٤٥١).

هذه العبارة، أي حالهم أوضح من أن يمترى فيها."[1]

٢. ومن القواعد الأصولية : أن النهي عن الشيء لا يستلزم أن يكون الشخص متلبساً بما نهي عنه [2]، كما أن الأمر بالشيء لا يستلزم أن يكون المأمور غير ممتثل لما أمر به[3].

والله تعالى أعلم

١ -المحرر الوجيز(٣/٢٠٩).

٢ - كما يقال لمسلم: لا تشرك، وكما قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١] وهذا مما استفدته من توجيهات فضيلة المشرف .

٣ - كما قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد: ٢٨] أي: استمروا.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾[هود: ١١٠].

في الآية مسالتان:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والظاهر عود الضمير فيه على الكتاب لقربه."[١]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الكتاب، وهو قول كثير م ن المفسرين .[٢]

واختار أبو حيان .

قال الطبري :" ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم."

وقال الواحدي :" أي: إن كذبوا بالكتاب الذي آتيناك فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي آتينا موسى."

وقال البغوي:" ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾التوراة ﴿ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ﴾ فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن يُعزّي نبيه ﷺ."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل١٩٧) (٥/ ٢٦٦).

٢ - الطبري (١٢/ ٧٣)، الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٢)، البغوي آية ١١٠، الزمخشري(٢/ ٢٩٤)، ابن عطية(٣/ ٢٠٩)، ابن الجوزي (٤/ ١٢٥)، البيضاوي (٣/ ٢٥٦)، النسفي (٢/ ٢٩٦)، الخازن والجلالين آية١١٠، ابن عادل (١٠/ ٥٧٥)، أبي السعود (٤/ ٢٣٩)، الشوكاني(٢/ ٥٢٨)، الألوسي (٢١/ ٦٥١)، ابن عاشور (١٢/ ١٦٩).

القول الثاني: الضمير يعود على موسى ﷺ، وذكره أبو حيان وابن عادل.

قال أبو حيان:" ويجوز أن يعود على موسى ﷺ. ويلزم من الاختلاف في أحدهما الاختلاف في الآخر."

قال ابن عادل :" ويكون الضَّمير لموسى ﷺ أي: فاختلف عليه "

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على الكتاب.فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على موسى ﷺ. فلا يظهر لمخالفته دلالة السياق.

الترجيح:

يترجح أن يعود الضمير إلى الكتاب وهو التوراة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أقرب مذكور.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهى: [الأصل عود الضمير لأقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه].[١]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/ ٦٢١).

المسالة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى ، إذ هم المختلفون فيه."[1]

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على قوم موسى، واختاره أبو حيان.

القول الثاني : الضمير يعود على قوم النبي محمد ، وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الواحدي :" قال ابن عباس: يريد إني أي أخرت أمتك إلى يوم القيامة ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك."

وقال أبو السعود :" ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي لأوقع القضاءَ بـين المختلفين من قومك بإنزال العذابِ الذي يستحقه المبطِلون ليتميّزوا به عن المُحِقّين، وقيل : بين قوم موسى وليس بذاك."

وقال الألوسي:" أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين."

القول الثالث: الضمير يعود على قوم موسى وعلى قوم النبي ؛ وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل١٩٧) (٥/٢٦٦).

٢ - الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٢)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الالوسي (٢١/٦٥١)، ابن عاشور(١٢/١٦٩).

٣ - الزمخشري(٢/٢٩٤)، ابن عطية (٣/٢٠٩)، النسفي (٢/٢٩٦)،الشوكاني(٢/٥٢٨)، الثعالبي (٢/١٣٩).

قال الزمخشري: " ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين قوم موسى أو قومك. وهذه من جملة التسلية أيضاً."

وقال ابن عطية : " يحتمل أن يريد به أمة موسى ، ويحتمل أن يريد به معاصري محمد ﷺ؛ وأن يعمهم اللفظ أحسن -عندي- ويؤكد ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ ."

وقال النسفي: " بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل."

القول الرابع: الضمير يعود على المكذب والمصدق، وهو قول الطبري وابن الجوزي.[1]

قال الطبري: " لقضي بين المكذب منهم به والمصدّق بإهلاك الله المكذّب به منهم وإنجائه المصدّق به."

وقال ابن الجوزي: " فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن."

القول الخامس : الضمير يعود على المؤمن والكافر، وهو قول ابن عطية والقرطبي.[2]

قال ابن عطية: " ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لفصل بين المؤمن والكافر."

وقال القرطبي : " ولولا ذلك لقضى بينهم أجلهم بأن يثيب المؤمن ويعاقب الكافر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على قوم موسى عليه السلام ، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على قوم النبي محمد ﷺ، فلا دليل على الخصوص.

---

١ - جامع البيان للطبري (١٢/٧٣)،زاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٥).

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/١٠٣).

- وأما القول إن الضمير يعود على قوم موسى ﷺ وعلى قوم النبي ﷺ ؛ فهو قول بالعموم.
- وأما القول إن الضمير يعود على المكذب والمصدق و المؤمن والكافر، فيندرج في القول السابق.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على قوم موسى ﷺ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لأنهم المحدث عنهم بدلالة ما يفهم من الآية.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ [هود: ١١١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما الذي يشمله قوله﴿ كلًا ﴾؟

قال أبو حيان:" الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: يشمل كل مؤمن والكافر . وهو قول جماعة من المفسرين، [2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وإن كلّ هؤلاء الذين قصصنا عليك يا مح مد قصصهم في هذه السور، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بـالتشديد من العقاب."

وقال الواحدي :" ﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ من البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر."

وقال الزمخشري :" يعني: وإنّ كلهم، وإن جميع المختلفين فيه."

القول الثاني: كفار الأمم الذين قص القرآن قصصهم .

القول الثالث : يشمل كفار هذه الأمة، قاله مقاتل وذكره أبو حيان والألوسي[3] .

١- البحر المحيط (ح٥/ ل١٩٧) (٢٦٦/٥).

٢- الطبري(٧٤/١٢)،الواحدي في الوجيز آية ١١١ ،الزمخشري(٢٩٤/٢)،ابن عطية(٢٠٩/٣)،ابن الجوزي (١٢٦/٤)، الرازي (٤٠٦/١٨)، القرطبي (١٠٤/٩)، البيضاوي (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩٦/٢)، الخازن آية١١١، البقاعي(٥٨١/٣٣)، الشربيني(٩١/٢)،أبي السعود (٢٣٩/٤)، الجمل (٤٢٧/٢)، الشوكاني(٥٢٨/٢)، الألوسي(٦١/٢١)،ابن عاشور(١٧٣/١٢).

٣ - أبو حيان(٢٦٦/٥)، الألوسي(٦١/٢١).

قال أبو حيان:" وقال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة."

وقال الألوسي:" وقال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه يشمل كل مؤمن وكافر، فهو ظاهر. إلا أن عبارة بعضهم تشير إلى أن كلا تشمل عموم المذكورين في القصص التي ذكرت في هذه السورة ونص بعضهم بقوله (كل المختلفين).
- وأما القول إنه يخص كفار هذه الأمه. فلا دليل على التخصيص.

الترجيح:

يترجح القول إنه يشمل كل مؤمن وكافر، وهو قول أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال الرازي:" المعنى أن من عجلت عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسل ومن كذب فحالهم سواء في أنه تعالى يوفيهم جزاء أعمالهم في الآخرة، فجمعت الآية الوعد والوعيد فإن توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ توكيد الوعد والوعيد، فإنه لما كان عالماً بجميع المعلومات كان عالماً بمقادير الطاعات والمعاصي فكان عالماً بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء، فحينئذ لا يضيع شيء من الحقوق والأجزية وذلك نهاية البيان."

والله تعالى أعلم

قال الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالحسنات في الآية ؟

قال أبوحيان :" والظاهر عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السيئات وهي الصغائر، ويدل عليه الحديث الصحيح : ((**ما اجتنبت الكبائر**))[1] وذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين : إلى أنّ الحسنات يراد بها الصلوات الخمس، وإليه ذهب عثمان عند وضوئه على المقاعد [2]، وهو تأويل مالك.[3]

وقال مجاهد: الحسنات قول الرجل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [4]. وينبغي أن يحمل هذا كله على جهة المثال في الحسنات، ومن أجل أنّ الصلوات الخمس هي

---

١ - صحيح مسلم/ كتاب الطهارة / باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة / حديث رقم (٢٣٣).

٢ - قال محمود شاكر في جامع البيان (٥١٢/١٥) :"وهذا الخبر صحيح الإسناد رواه أحمد في مسنده مطولا رقم :٥١٣" ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/١)والمقاعد: بفتح الميم وبالقاف، جمع مقعد عند باب الأقبر بالمدينة قيل:موضع بقرب المسجد اتخذه عثمان ﷺ للقعود فيه لقضاء حوائج الناس، وقيل :هي مساقف حولها .وقيل:هي دكاكين عند دار عثمان ﷺ ،وقال الداودي :هي الدرج .انظر الفتح الرباني للبنا(٣٠٨/١)، ومعجم البلدان حرف الميم .

٣ - الموطأ (٣٣/١) جامع الوضوء / بعد حديث رقم (٧٣) قال مالك: أراه يريد هذه الآية [هود:١١٤].

٤ - جامع البيان للطبري (٥١٥/١٥).

أعظم الأعمال"[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السيئات وهي الصغائر ، وقول جماعة من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية:" والذي يظهر أن لفظ الآية لفظ عام في الحسنات خاص في السيئات بقوله ﷺ: ((**ما اجتنبت الكبائر**)).

وقال القرطبي:" قال ابن عطية : والذي يظهر أن اللفظ عام في الحسنات خاص في السيئات؛ لقوله ﷺ: ((**ما اجتنبتِ الكبائر**)).

وقال ابن كثير:" يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة."

القول الثاني: المراد أن الحسنات هي الصلوات المفروضة وهو قول جماعة من السلف[3] .وهو قول جماعة من المفسرين.[4]

قال الطبري :" قال[5]: والذي نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس لهنّ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٠) (٥/ ٢٧٠).

٢ - ابن عطية(٣/ ٢١١)، القرطبي (٩/ ١٠٨)، ،ابن كثير(٤/ ٣٠٤).

٣- كعب ومحمد بن كعب القرظي وعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وابن عباس وسلمان الفارسي والحسن البصري والضحاك ومجاهد ومسروق ورواياتهم في تفسير الطبري (١٢/ ٧٩)وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩١).

٤ - الطبري (١٢/ ٧٦)،السمرقندي(٢/ ١٧٧)، الواحدي(٢/ ٥٩٦)،البغوي آية ١١٤، الزمخشري (٢/ ٢٦٦)، ابن الجوزي (٤/ ١٢٨)،الرازي(١٧/ ٤٠٩)، القرطبي (٩/ ١٠٨)، البيضاوي(٣/ ٢٥٦)، الخازن آية ١١٤ ،ابن عادل(١٠/ ٥٧٥)،الجلالين آية ١١٤، الشربيني(٢/ ٩١)، الشوكاني(٢/ ٥٢٨)، السعدي ص٣٩١.

٥ - وسنده:" حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن أبي محمد ابن الحضرمي، قال: ثنا كعب في هذا المسجد قال."

الحسنات التي يذهبن السيئات كما يغسل الماء الدرن.

...[1] في قوله ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال: هنّ الصلوات الخمس.

...عن ابن عباس[2]: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال: الصلوات الخمس.

عن مجاهد[3]: إنّ الحَسَنَاتِ الصلوات...

وأولى التأويلين بالصواب ذلك قول من قال في ذلك : هُنّ الصلوات الخمسُ، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال : ((**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الـخَمْسِ مَثَلُ نَهْرٍ جارٍ على بـابِ أحَدِكُمْ يَنْغَمِسُ فِـيهِ كُلَّ يَ وْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَاذَا يُبْقِـينَ مِنْ دَرَنِهِ**))[4]، وإن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال إذا خصّ بالقصد بذلك بعض دون بعض."

وقال السمرقندي:" يعني: الصلوات الخمس، يكفرن السيئات فيما دون الكبائر."

وقال الواحدي :" إنّ الصّلوات الخمس تكفِّر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر."

القول الثالث: المراد قول (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، قاله مجاهد. وذكره بعض المفسرين.

---

١ - حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن أفلح، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول:"

٢- وسنده:" حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن عباس."

٣ - وسنده:" قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد."

٤ - صحيح البخاري/ كتاب مواقيت الصلاة/ باب الصلوات الخمس كفارة/ حديث رقم (٥٢٨). وصحيح مسلم/ كتاب المساجد/ باب المشي إلى الصلاة/ حديث رقم(٦٦٧).

قال الطبري:" وقال آخرون: هو قوله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. عن مجاهد[1]: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول المراد عموم الحسنات فهو أظه ر الأقوال وأقربها إلى المعنى . وبقية الأقوال تندرج تحته.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السيئات وهي الصغائر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لعموم الأدله.

٣. لموافقته قاعدة الترجيح وهي [يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.][2] .

" فمتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها - من قبيل التفسير بالمثال ،أو بالجزء، أو بالثمرة، أو بنحو ذلك- ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم ألفاظها،ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً ،أو يقوم

---

١ - وسنده قال الطبري :" حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد."

٢ - قواعد الترجيح (٥٢٧/٢)

الدليل على ذلك."[1]

والله تعالى أعلم

١- قواعد التدبر الأمثل للميداني ص٥٩ بتصرف يسير .

المسألة الثانية

ما المشار إليه في قوله ﴿ذلك﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ الإشارة قوله ذلك، إلى أقرب مذكور وهو قوله : أقم الصلاة أي إقامتها في هذه الأوقات."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن المشار إليه هو الصلاة وهو قول بعض المفسرين .[2] واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي:" يعني: الصلوات الخمس توبة للتائبين."

وقال ابن عطية :" وقوله ذلك إشارة إلى الصلوات ، ووصفها بـ (ذكرى)، أي هي سبب ذكر وموضع ذكرى."

وقال الثعالبي:" إِشارة إِلى الصلوات، أي: هي سببُ الذكْرَى، وهي العظَةُ."

القول الثاني: إن المشار إليه هو الإخبار أن الحسنات يذهبن السيئات،فيكون في هذه الذكرى حضا على فعل الحسنات ، وقد ذكره ابن عطية[3] وأبوحيان .

قال ابن عطية:" ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الإخبار بـ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ، فتكون هذه الذكرى تحض على الحسنات."

وقال أبو حيان :" وقيل: إشارة إلى الإخبار بأ نّ الحسنات يذهبن السيئات، فيكون في هذه الذكرى حضًا على فعل الحسنات."

القول الثالث : إن المشار إليه هو ما تقدم من الوصية بالاستقامة، وإقامة الصلاة ، والنهي عن الطغيان، والركون إلى الظالمين . وبه قال كثير من

١- البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٠) (٥/ ٢٧٠).

٢- السمرقندي(٢/ ١٧٧)، ابن عطية(٣/ ٢١١)، الثعالبي(٢/ ١٤٠).

٣ - المحرر الوجيز(٣/ ٢١١).

المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ يقول تعالى: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظلم وتهددت فيه، والذي وع دت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السيئات تذكرة ذكّرت بها قوما يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعيده فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه فلا يجيب داعيا ولا يسمع زاجراً."

قال الثعلبي:" (ذَٰلِكَ) الذي ذكرناه."

وقال البغوي :"(ذَٰلِكَ) الذي ذكرناه."

القول الرابع: إن المشار إليه هو القرآن.وهو قول بعض المفسرين.[2]

قال الثعلبي:" وقيل: هو إشارة إلى القرآن."

وقال الواحدي:" يعني القرآن عظه لمن ذكره."

وقال البيضاوي:" وقيل: إلى القرآن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكره المفسرون من المعاني يصح أن يكون المشار إليه.

الترجيح:

يترجح جميع ماذكره المفسرون من المعاني فالاختلاف تنوع وليس اختلاف

---

١ – الطبري (١٢/٧٦)،الثعلبي والبغوي آية ١١٤،الزمخشري (٢/٢٦٦)،ابن الجوزي (٤/١٢٨) ، الرازي (١٨/٤٠٩)، البيضاوي (٣/٢٥٦)، النسفي (٢/٢٩٨)،الخازن آية ١١٤، البقاعي (٣/٥٨٥)، الثعالبي (٢/١٤٠)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الألوسي (٢١/٤٦١)، ابن عاشور (١٢/١٧٨).

٢ – الثعلبي آية ١١٤، الواحدي في الوسيط (٢/٥٩٦)، البيضاوي (٣/٢٥٦)، الخازن آية ١١٤، أبي السعود (٤/٢٣٩).

تضاد. وذلك:

١. لدلالة السياق في الآيات المتقدمة.

٢. لأن ما ذكر من المعاني يصح أن يكون مفتاح باب التوبه والعمل الصالح.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[هود: ١١٦].

في الآية مسألة واحدة هي:

ما المراد بالذين ظلموا في الآية ؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنّ الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : المراد هم تاركو النهي عن الفساد، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات، أي : لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء . ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم."

وقال الرازي:" وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات."

وقال البيضاوي:" إذ المعنى: فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا

١ - البحر المحيط (ح٥/٢٠١) (٥/٢٧١).

٢ - الزمخشري (٢/٢٦٦)، الرازي (١٨/٤٠٩)،البيضاوي (٣/٢٥٦)،النسفي (٢/٢٩٨)،أبو السعود (٤/٢٣٩) ،الألوسي (٢١/٤٦١)،ابن عاشور (١٢/١٧٨).

مجرمين."

القول الثاني: المراد هم الذين ظلموا. وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الطبري:" واتبعوا الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها، إيثارا له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله."

وقال البغوي:" واتبع الذين ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة."

وقال ابن الجوزي:" اتبعوا مع ظلمهم ما أترفوا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما ما ذكره المفسرون من المعاني فيصح أن يكون هو المراد.

الترجيح:

يترجح ما ذكره المفسرون من الأقوال. وذلك:

١. لأن الذين ظلموا من صفتهم ترك النهي عن المنكر بل هم الذين يأمرون الناس به وينهونهم عن فعل المعروف.

٢. لدلالة الوصف .

والله تعالى أعلم

١ - الطبري (٨٣/١٢)، البغوي آية ١١٦، ابن الجوزي (١٣٠/٤)، الخازن آية ١١٦،ابن كثير(٣٠٩/٤).

قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨].

في الآية مسألة واحده وهي:

ما المراد بالاختلاف في قوله ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾؟

قال أبوحيان:" والظاهر أن قوله : ولا يزالون مختلفين، هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق، وأنّ المعنى في الحق والباطل قاله: ابن عباس."[1]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: المراد الاختلاف في الحق والباطل؛ قاله ابن عباس؛ وهو قول أكثر المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال ابن أبي حاتم:" عن ابن عباس[3] .قال: أهل الحق وأهل الباطل."

وقال الماوردي :" مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة، قاله ابن عباس."

وقال الزمخشري:" فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا."

القول الثاني: المراد الاختلاف في الأديان؛ قا له عطاء؛ وهو قول جماعة من المفسرين.[4]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٢) (٥/ ٢٧٢).

٢ - ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٣)، الماوردي آية ١١٨،الزمخشري(٢/ ٢٩٨)، ابن الجوزي (٤/ ١٣٢)، البيضاوي (٣/ ٢٥٦)، النسفي (٢/ ٢٩٩)،أبي السعود (٤/ ٢٣٩)، الشوكاني (٢/ ٥٣٣)، ا لألوسي (٢١/ ٧٦١)، ابن عاشور (١٢/ ١٨٨).

٣ - وسنده :"حدثنا أبي ،ثنا محمد بن عمران، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس."ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة .

٤ - الطبري(١٢/ ٨٤)، ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩٣)، السمرقندي(٢/ ١٧٧)، الثعلبي والماوردي آية ١١٨، الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩٧)، البغوي آية ١١٨، الرازي(١٧/ ٤١٢)، القرطبي (٩/ ١١٤)، =

قال الطبري:" فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان. فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسي، ونحو ذلك ." وقال قائلو هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان... عن عطاء[1]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ قال: اليهود والنصارى والمجوس. والحنيفية هم الذين رحم ربك."

وقال ابن أبي حاتم:" قال الحسن[2]: الناس مختلفون على أديان شتى."

وقال السمرقندي :" وقال عطاء : ولا يزالون مختلفين، يعني : اليهود والنصارى، والمجوس."

القول الثالث: المراد الاختلاف في السعادة والشقاوة؛ وهو قول بعض المفسرين.[3]

وقال الماوردي:" مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربك بالتوفيق."

وقال ابن عطية :" وقالت فرقة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في السعادة والشقاوة، وهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها، ويكون الاختلاف – على هذا التأويل – يدخل فيه المؤمنون إذ هم مخالفون للكفرة."

القول الرابع: المراد الاختلاف في الرزق فمنهم غني وفقير ؛ قاله الحسن.[4]

قال الطبري :" وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في

=

ابن جزي (٢/٢٠٨)، الخازن آية ١١٨، ابن كثير (٤/٢٠٩)، ابن عادل (١٠/٥٩٦)، الثعالبي (٣/٥٨٩)، الجلالين آية ١١٨، الشربيني (٢/٩٦)، الشوكاني(٢/٥٣٣).

١ – وسنده:" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء.

٢ – وسنده:" حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا ابن علية، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن."

٣ – الماوردي آية ١١٨، ابن عطية(٣/٢١٥)،

٤ – الطبري (١٢/٨٤)، الماوردي آية ١١٨،ابن عطية(٣/٢١٥)، الشوكاني(٢/٥٣٣)،

الرزق، فهذا فقير وهذا غنّى ... أن الحسن[1] قال: مختلفين في الرزق، سخر بعضهم لبعض."

وقال الماوردي:" مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة. قاله الحسن.

وقال ابن عطية:" وقال الحسن أيضاً: لا يزالون مختلفين في الغنى والفقر."

القول الخامس: المراد الاختلاف في الأهواء؛ قاله عكرمة.[2] .

قال ابن الجوزي :" أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس."

القول السادس: المراد يخلف بعضهم بعضاً، ذكره الماوردي.

وقال الماوردي :" أنه معنى مختلفين أي يخلف بعضهم بعضاً ، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً ، فاقتتلوا ومنه قولهم: ما اختلف الجديدان، أي جاء هذا بعد ذاك."

القول السابع : المراد الاختلاف في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة.ذكره الماوردي.

وقال الماوردي:" مختلفين في المغفرة والعذاب .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الاختلاف في الحق والباطل، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الاختلاف في الأديان ، فهو يندرج في القول الأول لأن الإسلام دين الحق وما عداه باطل قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ٨٥] .

---

١ – وسنده:" حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، أن الحسن."

٢ – ابن الجوزي(٤/١٣٢).

- وأما القول إن الاختلاف في السعادة و الشقاوة، فهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها.
- وأما القول إن الاختلاف في الرزق فمنهم غني وفقير؛ فهذا قول بعيد معناه من معنى الآية.
- وأما القول إن الاختلاف في الأهواء؛ فهذا القول يندرج في القول إن المراد الاختلاف في السعادة والشقاوة.
- وأما القول إن المراد يخلف بعضهم بعضاً ، أو الاختلاف في المغفرة والعذاب، فهما بعيدان عن سياق الآية.

الترجيح:

يترجح القول إن الاختلاف في الحق والباطل، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

1. لدلالة السياق.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ فآمن بالله وصدّق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسله وما جاءهم من عند الله.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم."

2. لأنه محور الصراع في البشرية منذ أن خلق الله الخلق.

3. لأن بسببه نجا أناس وعذب آخرون. □

والله تعالى أعلم

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[هود: ١١٩]

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿خَلَقَهُمْ ۗ﴾؟

قال أبوحيان:" وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود عليه الضمير إلا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء أو الرحمة كما قال مجاهد، وقتادة أو كلاهما كما قال ابن عباس[1]. وقد أبعد المتأولون في تقدير غير هذه الثلاث ..-وذكر الأقوال[2]-.. ولولا أن هذه الأقوال سطرت في كتب التفسير لضربت عن ذكرها صفحاً."[3]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير يعود على الاختلاف . وهو قول جماعة من المفسرين.[4]

---

١ - أقوال السلف انظرها في تفسير الطبري (٨٢/١٢)،وابن أبي حاتم (٢٠٩٤/٦)،الدر المنثور (٤٩١/٤).

٢ -قال أبوحيان:" فروي أنه إشارة إلى ما عده . وفيه تقديم وتأخير أي : وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين، ولذلك خلقهم أي لملء جهنم منهم، وهذا بعيد جداً من تراكيب كلام العرب. وقيل: إشارة إلى شهود ذلك اليوم المشهود، وقيل: إلى قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥] وقيل: إشارة إلى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، وقيل : إشارة إلى قوله: ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ [هود: ١١٦] وقيل: إشارة إلى العبادة، وقيل: إلى الجنة والنار، وقيل: للسعادة والشقاوة . وقال الزمخشري : ولذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام، أولاً من التمكين والاختيار الذي عنه الاختلاف، خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى. وهو على طريقة الاعتزال."

٣ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٢) (٢٧٣/٥).

٤- الطبري(٨٢/١٢)، الثعلبي آية ١١٩،البغوي آية ١١٩، الزمخشري (١٩٨/٢)، الرازي =

قال الطبري :" وأما قوله :﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ ﴾ فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي تأويـله، فقال بعضهم: معناه: وللاختلاف خلقهم."

وقال الثعلبي:" قال الحسن ومقاتل بن حيان وعطاء: وللاختلاف خلقهم."

وقال البغوي:" قال الحسن وعطاء: وللاختلاف خلقهم.

القول الثاني: إن الضمير يعود على الرحمه.[1]

قال السمرقندي:" يعني: الحنيفة خلقهم للرحمة."

وقال الماوردي:" للرحمة خلقهم، قاله مجاهد."

القول الثالث: إن الضمير يعود على الاختلاف والرحمة.[2]

قال الواحدي :" أَيْ: خلق أهل الاختلاف للاختلاف ، وأهل الرّحمة للرّحمة."

وقال ابن عطية :" فجاءت الإشارة بذلك إلى الأمرين : الاختلاف والرحمة وقد قاله ابن عباس."

وقال ابن الجوزي:" إنه يرجع إلى ماهم عليه . قال ابن عباس : خلقهم فريقين، فريقا يرحم فلا يختلف، وفريقا لا يرحم يختلف."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على الاختلاف، فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على الرحمه. فمحتمل .
- أما القول : إن الضمير يعود على الاختلاف والرحمة ، فهو جمع بين الأقوال.

=

(٤١٢/١٨)، البيضاوي(٢٥٦/٣) ،الخازن آية ١١٩،ابن عادل (٥٩٦/١٠)،البقاعي(٥٨٩/٣)،أبي السعود (٢٣٩/٤)،الألوسي(٧٦/٢١)،ابن عاشور(١٨٨/١٢).

١ - السمرقندي(١٧٧/٢)،الماوردي آية ١١٩، ،ابن عطية(٢١٥/٣)، القرطبي (١١٤/٩)، الجلالان آية ١١٩ .

٢ - الواحدي في الوجيز آية ١١٩ ،ابن عطية(٢١٥/٣)،ابن الجوزي(١٣٢/٤)، القرطبي(١١٤/٩)، الجلالان آية١١٩.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الاختلاف، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال الخازن:" فحاصل الآية أن الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ، وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الاتفاق ومصيرهم إلى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواماً للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواماً للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية." [1]

٢. لأنه أقرب مذكور،

قال النحاس :"وهذه الآية من المشكل ،وقد قيل فيها أقوال .... وأبينها قول الحسن ...ويكون المعنى : ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم، إلا من رحم الله،وأهل الإسلام لا يختلفون في دينهم،ولذلك خلق أهل السعادة للسعادة،وأهل الشقاء للشقاء ،وبين هذا قوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود:١١٩]." [2]

والله تعالى أعلم

آخر ترجيحات سورة هود ولله الحمد والمنة

---

١ - التفسير آية ١١٩.

٢ - معاني القرآن (١/٥٢٤).

ترجيحات أبي حيان

في

سورة يوسف

قال تعالى ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ [يوسف: ١]

في الآية مسألة واحدة وهي:

ماالمراد بالكتاب في الآية؟

قال أبو حيان:" والظاهر أن المراد بالكتاب القرآن."(1)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد بالكتاب القرآن وهو قول بعض المفسرين (2)، واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:"﴿ تِلۡكَ ﴾ يعنى هذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ يعني: القرآن لأنه يبين الهدى والرشد."

وقال ابن عطية:" و ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن."

وقال الرازي:" ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ وهو القرآن"

القول الثاني: إن المراد بالكتاب السورة وهو قول جماعة من المفسرين(3).

قال الزمخشري:" و ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ السورة، أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم. أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر. أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم. أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف ."

١- البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٤) (٥/٢٧٨).

٢- الواحدي(٢/٥٩٨)، ابن عطية (٣/٢١٨)، الرازي (١٨/٤١٧)، القرطبي (٩/١١٨)،ابن جزي (٢/٢٠٩)، ابن كثير(٤/٣١٣)،ابن عادل(١١/ ٣)،الجلالان آية(٤)،الشربيني(٢/ ٩٩).

٣ - الزمخشري(٢/ ٢٠٠)، البيضاوي(٣/ ٢٧١)،النسفي(١/ ٣٠٩)،الشوكاني(٣/ ٣١).

وقال البيضاوي:" ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾."

وقال النسفي:" تلك إشارة إلى آيات هذه السورة، والكتاب المبين السورة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه القرآن فهو ظاهر من دلالة السياق.
- وأما القول بأنه السورة فلا وجه لهذا التخصيص، وإنما هي جزء من الكتاب.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد بالكتاب القرآن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.وما دل عليه السياق هو الأولى في التفسير.

قال ابن كثير :" وقوله :﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي هذه آيات الكتاب، وهو القرآن المبين، أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة، ويفس رها ويبينها﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[يوسف: ٢].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾[يوسف: ٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والضمير في (أَنزَلۡنَٰهُ)، عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف، وقيل: على القرآن، وقيل : على نبأ يوسف، قاله الزجاج وابن الأنباري. وقيل: هو ضمير الإنزال."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير يعود على القرآن.وهو قول أكثر المفسرين [2]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه، وذلك قوله عزّ وجلّ:﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾."

وقال الماوردي:" قوله ﷻ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ فيه وجهان:
أحدهما: إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً بلسان العرب ، وهو قول الجمهور.
الثاني: إنا أنزلنا خبر يوسف ؑ قرآناً، أي مجموعاً عربياً أي يعرب عن المعاني بفصيح من القصص وهو شاذ."

وقال ابن عطية:" والضمير في قوله: ﴿أنزلناه﴾ لـ ﴿الكتاب﴾ ، والإنزال: إما

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٤) (٥/ ٢٧٩).

٢- الطبري(١٢/ ٨٩)، الماوردي آيه ٢،ابن عطية (٣/ ٢١٨)،القرطبي(٩/ ١١٨)، االبيضاوي (٣/ ٢٧١)، الخازن آيه ٢،ابن كثير (٤/ ٣١٣)،ابن عادل (١١/ ٣)،البقاعي(٤/ ٣)،الجلالان آيه ٢،أبو السعود (٤/ ٢٥٠)، الشوكاني(٣/ ٤) ، الألوسي(٢١/ ٥٨١)،ابن عاشور(١٢/ ٢٠١).

بمعنى الإثبات، وإما أن تتصف به التلاوة والعبارة."

القول الثاني: إن الضمير يعود على نبأ يوسف عليه السلام.وهو قول الزجاج وابن الانباري -كما ذكره أبو حيان-وقول ابن عبد السلام[1].

قال الزجاج:" ويجوز أن يكون ﴿ أناأنزلناه﴾ أي أنزلنا خبر يوسف وقصته."

وقال ابن عبد السلام:" ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ خبر يوسف عليه السلام، أو الكتاب عند الجمهور."

القول الثالث: أنه هو ضمير الإنزال. ذكره أبو حيان والألوسي.

قال أبو حيان :" وقيل: هو ضمير الإنزال."

وقال الألوسي:" وقيل: هو للإنزال المفهوم من الفعل"

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على القرآن فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على نبأ يوسف عليه السلام، فلا يخفى ضعفه[2]، لعدم الدلالة عليه.
- وأما القول : إنه ضمير الإنزال فهو بعيد.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على القرآن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لعموم الآيات الدالة على ذلك.

٢. لأنه هو الظاهر.

---

١ - تهذيب معاني القرآن للزجاج(٣/ ٦١)، تفسير ابن عبد السلام آيه٢.

٢ - قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢١٨):"وقال الزجاج : الضمير في ﴿أنزلناه﴾ يراد به خبر يوسف.قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف."

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[يوسف: ٤].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ماذا رآى يوسف عليه السلام في منامه؟

قال أبو حيان:" والظاهر أنه رأى في منامه كواكب والشمس والقمر. وقيل: رأى إخوته وأبويه، فعبر عنهم بذلك،"[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: رأي كواكب والشمس والقمر وهو قول أكثر المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كنت يا مح مد لم ن الغافلين عن نبإ ي وسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهي م، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا يقول : إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً"

وقال الزمخشري:" رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له."

وقال ابن عطية:" وقيل: إنه قد رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر فتأولها يعقوب إخوته وأبويه، وهذا قول الجمهور."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٥) (٥/ ٢٨٠).

٢- الطبري (١٢/ ٩٠)، الزمخشري (٢/ ٣٠١)، ابن عطية (٣/ ١٣٧)، الرازي (١٨/ ٤٢٠) ،النسفي (٢/ ٣٠٣)، الخازن آيه ٤، البقاعي(٤/ ١٠)، الجلالان آيه ٤،الشوكاني(٣/ ٤)، الألوسي(٢١/ ٩٨١)، ابن عاشور (١٢/ ٢٠٥).

القول الثاني : رأى إخوته وأبويه ، فعبر عنهم بذلك . وهو قول السدي كما ذكره الطبري[1] .

قال الطبري :" عن السديّ[2]، في قوله : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾. الآية، قال: رأى أبويه وإخوته سجوداً له. فإذا قيل له ع من قال إن كان حقًّا، فإن ابن عباس فسره."

وقال ابن عطية :" وقيل: إنما كان رأى إخوته وأبويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر ، وهذا ضعيف ترجم به الطبري ثم أدخل عن قتادة والضحاك وغيرهما كلاماً محتملاً أن يكون كما ترجم وأن يكون مثل قول الناس."[3]

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إنه رأى كواكب والشمس والقمر فهو الظاهر.
- وأما ا لقول بأنه رأى إخوته وأبويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر، فهو بعيد لمخالفته لصريح القرآن، ولأن ابن أبي حاتم ذكر عن السدي أنه تفسير للرؤيا[4]

الترجيح:

يترجح القول إن يوسف عليه السلام رأى الكوكب والشمس والقمر له ساجدين وفسر ذلك بالأب والأم والأخوة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

---

١ - حدثني الحارث، قال: ثني عبد العزيز، قال : ثنا شريك، عن السديّ، في قوله :﴿ إنّي رأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً والشّمْسَ والقَمَرَ﴾. الآية، قال: رأى أبويه وإخوته سجوداً له. فإذا قيل له عمن قال إن كان حقًّا، فإن ابن عباس فسره.

٢ - وسنده قال:" حدثني الحارث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا شريك، عن السديّ."

٣ - المحرر الوجيز(٣/٢١٩).

٤ - التفسير (٧/٢١٠١).

١. لموافقته لصريح القرآن.

قال ابن كثير: " وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام إن الأحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً سواه، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روي هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الث وري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم."[1]

والله تعالى أعلم

---

١ - التفسير (٤/٤٩٨).

المسألة الثانية

هل الشمس والقمر مندرجان في الأحد عشر كوكباً؟

قال أبوحيان:" والظاهر إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً، ولذلك حين عدهما الرسول ﷺ لليهودي ذكر الأحد عشر كوكباً غير الشمس والقمر[1]، ويظهر من كلام الزمخشري [2] أنهما مندرجان في الأحد عشر."[3]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً ،وهو

١ - قال الطبري:" حدثني عليّ بن سعيد الكندي، قال : ثنا الحكم بن ظهير، عن السديّ، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر، قال : أتى النبيّ ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي، فقال له : يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ قا ل: فسكت رسول الله ﷺ، فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها . قال: فبعث رسول الله ﷺ إليه، فقال: **((هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إنْ أخْبَرْتُكَ بِأَسْمائها؟))** قال: نعم، فقال: **((جَرْبـانُ والطَّارِقُ، والذَّيّالُ، وذُو الكَتِفَـينِ، وقابِسٌ، وَوَثّابٌ وَعمودَانِ، والفَلِـيقُ، والـمُصْبَحُ، والضّرُوحُ، وَذُو الفَرْغِ، والضّياءُ، والنورُ))**. فقال الـيهوديّ: والله إنها لأسماؤها.

قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج سعيد بن منصور والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان في الضعفاء ، وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في دلائل النبوة .هذا الخبر تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وهومتروك كما في التهذيب (٤٢٧/٢) والتقريب رقم(١٤٤٥) وقال :وأنكر العقيلي حديثه في تسمية نجوم يوسف عليه السلام وقال أبو شهبة في الإسرائيليات ص٢١٩ :"والذي يظهر :أنه من الإسرائيليات ،وألصقت بالنبي ﷺ زوراً ثم إن سيدنا يوسف عليه السلام رأى كواكب بصورها لا بأسمائها ،ثم ما دخل الاسم فيما ترمز إليه الرؤيا ؟!"

٢ – الكشاف (٣٠١/٢).

٣ – البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٥) (٥/ ٢٨١).

قول جماعة من المفسرين.[1] واختاره أبو حيان.

قال الطبري : وذكر أن الأحد العشر الكواكب ا لتي رآها في منامه ساجدة مع الشمس والقمر."

وقال النسفي: "قيل: الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر."

وقال الخازن:" قال أهل التفسير: رأى يوسف عليه السلام في منامه كأن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له."

القول الثاني: إنّ الشمس والقمر مندرج ان في الأحد عشر كوكباً .وهو ظاهر قول الزمخشري.

قال الزمخشري :" فإن قلت لم أخر الشمس والقمر؟ قلت : أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص، بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما أخر جبريل، وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي : رأيت الكواكب مع الشمس والقمر."

وقال الألوسي:" وزعم بعضهم أن الواو للمعية وليس بذاك وتخصيصهما بالذكر وعدم الاندراج في عموم الكواكب لاختصاصهما بالشرف وتأخيرهما لأن سجودهما أبلغ وأعلى كعباً."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً فهو الظاهر وما دل عليه صحته تعبير الرؤيا.
- وأما القول إن الشمس والقمر مندرج ان في الأحد عشر كوكباً . فهو

١- الطبري (١٢/ ٩٠)،النسفي (٢/٣٠٣)،الخازن آيه ٤،البقاعي(٤/ ١٠)،الجلالين آيه ٤، الشوكاني (٣/ ٤)، الألوسي (٢١/ ٩٨١)، ابن عاشور (١٢/ ٢٠٥).

بعيد لأن العطف يقتضي المغايره، ويرده ظاهر الآية وصريح العبارة القرآنية، وبه يفسد تفسير الرؤيا بسجود أبويه وأخوته.

- وأما لم أخر ذكر الشم س والقمر عن الكواكب ؛فقد أجاب أبو حيا ن بذلك فقال:" والذي يظهر أن التأخير إنما هو من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ولم يقع الترقي في الشمس والقمر جرياً على ما استقر في القرآن من أنه إذا اجتمعا قدمت عليه . قال تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ ﴾[الرحمن: ٥] وقال: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩ ﴾[القيامة: ٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴾[يونس: ٥] وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها، واستمداده منها، وعلو مكانها."

الترجيح:

يترجح القول إ نّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً ، وهو قول أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:

١. لموافقته لصريح القرآن.
٢. لأنه بدلالته يتوافق السياق القرآني مع واقع تفسير الرؤيا في ضبط عدد الساجدين.
٣. لموافقته قاعدة العطف يقتضي المغايره.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[يوسف: ٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من هم آل يعقوب ؟

قال أبو حيان :" وآل يعقوب الظاهر أنه أولاده ونسلهم أي : نجعل النبوة فيهم. وقال الزمخشري: هم نسله وغيرهم. وقيل أهل دينه وأتباعهم، كما جاء في الحديث: من آلك؟ فقال : ((**كُلِّ تقي**))،[1] وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر. وقيل: المراد يعقوب نفسه خاصة"[2]

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: إن آل يعقوب عليه السلام أولاده ونسلهم. وهو قول أكثر المفسرين[3]. واختاره أبو حيان.

قال البغوي:" ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ أي: على أولاده فإنّ أولاده كلهم كانوا

---

١ - الفوائد المسمي بمعاني الأخبار للكلاباذي، قال: حدثنا محمد بن عمر المعدل، قال حدثنا عبدالله البغوي، قال: حدثنا شيبان بن فروخ، قال : حدثنا نافع بن هرمز، عن أنس رضي الله قال : قالوا يارسول الله من آل محمد، قال: لقد سألتموني عن شيء ما سألني عنه المسلمون قبلكم: آل محمد كل تقي. فيه نافع أبي هرمز كما في تهذيب الكمال (٥٩٨/١٢) في ترجمة شيبان بن فروخ، وضعفه الإمام أحمد في العلل رقم (٣١٧٧) وسماه نافع السلمي، وفي الجرح والتعديل (٨/ ١/ ٤٥٥) متروك الحديث.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٧) (٢٨٢/٥).

٣ - البغوي آية ٦، ابن عطية (٢٢٠/٣)، ابن الجوزي (١٣٩/٤)، الرازي (٤٢٢/١٨)، ابن عبد السلام آية ٦، ابن جزي (٢١٠/٢)، الخازن آية ٦، ابن عادل (٥/١١)،البقاعي(٤/ ١١)،أبي السعود(٢٥٠/٤)، الألوسي (٢٩١/٢١).

أنبياء."

وقال ابن عطية :" وقوله: ﴿ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ يريد في هذا الموضع الأولاد والقرابة التي هي من نسله، أي يجعل فيهم النبوءة."

وقال ابن الجوزي :" إنهم ولده، قاله ابن عباس."

وقال البيضاوي :"﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ يريد به سائر بنيه، ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله."

القول الثاني: إن آل يعقوب عليه السلام هم أهل دينه وأتباعه وهو قول الطبري[1].

قال الطبري :"﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ يقول: وعلى أهل دين يعقوب عليه السلام وملته من ذرّيته وغيرهم."

القول الثالث: إن آل يعقوب هم امرأته وأولاده . ذكره ابن الجوزي وأبو حيان؛ وبه قال ابن عاشور[2].

قال ابن الجوزي:" يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل."

وقال أبو حيان:" وقيل: امراته وأولاده الأحد عشر."

وقال ابن عاشور:" فالمراد من آل يعقوب عليه السلام خاصتهم وهم أبراؤه وزوجه."

القول الرابع : إن آل يعقوب هم نسله وغيرهم .وهو قو ل الزمخشري والنسفي[3].

قال الزمخشري:" وآل يعقوب عليه السلام. أهله وهم نسله وغيرهم."

وقال النسفي:" وآل يعقوب عليه السلام أهله وهم نسله وغيرهم."

---

١ – جامع البيان (١٢/٩٢٩).

٢ – التحرير والتنوير(١٢/٣١٥).

٣ – الكشاف الزمخشري (٢/٣٠٣)، تفسير النسفي (٢/٢٠٤).

القول الخامس: إن آل يعقوب ﷺ هو يعقوب نفسه خاصة. ذكره أبو حيان.

نلاحظ مما سبق إيراده من الأقوال ما يلي:

- أما القول إن آل يعقوب ﷺ أولاده ونسلهم ، فهو الظاهر لدلالة السياق وسيأتي بيانه.
- وأما القول إن آل يعقوب ﷺ هم أهل دينه وأتباعه، فهو ضعيف بدلالة اللغة والعرف.
- وأما القول إن آل يعقوب ﷺ هم امرأته وأولاده .، فمحتمل وتخرج المرآة بقرينة البشارة بالنبوة.
- وأما القول إن آل يعقوب ﷺ هم نسله وغيرهم، أما نسله فصحيح ، وأما غيرهم فلا.
- وأما القول إن آل يعقوب ﷺ هو يعقوب ﷺ نفسه خاصة، فالعطف يقتضي المغايره .

الترجيح:

يترجح القول بأن آل يعقوب ﷺ هم أولاده ونسلهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فالآيات تتحدث عن يعقوب وبنيه عليهم السلام،

واستدلال يعقوب ﷺ بما سيكون لهم من النبوة والفضل كما كان لآبائهم من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

٢. بدلالة المعنى اللغوي لآل . فإن " أصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء

استدلالاً بضوء الكواكب فلذا قال وعلي آل يعقوب.[1]

٣. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية].[2]

والله تعالى أعلم

١ - الكشاف(٢/٣٠٣)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٢/١٦٢).

٢ - قواعد الترجيح (٢/٥١١).

قال تعالى﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ ﴾[يوسف: ٩].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

من القائل في قوله﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنّ ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ من جملة قولهم، وقيل: هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك . والظاهر أن ﴿ ٱطۡرَحُوهُ ﴾ هو من قولهم أن يفعلوا به أحد الأمرين."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : هو من قول إخوة يوسف عليه السلام. وهو قول كثير من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف عليه السلام أو اطرحوه فـي أرض من الأرض."

وقال ابن عطية:" وقوله: ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ الآية، كانت هذه مقالة بعضهم . أو ﴿ٱطۡرَحُوهُ﴾ معناه: أبعدوه."

وقال الرازي:" واعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالو ا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه : وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين : القتل أو التغريب إلى

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٨) (٥/ ٢٨٤).

٢ - الطبري (١٢/ ٥٣)،ابن عطية (٣/ ٢٢١)، الرازي(١٨/ ٤٢٥)،القرطبي(٩/ ١٢٩)، البيضاوي (٣/ ٢٧٥)، النسفي(٢/ ٣٠٥)،الخازن آية٩،ابن كثير (٤/ ٣١٨٩)،ابن عادل(١١/ ٢٠)،أبي السعود (٤/ ٢٥٠)، الشوكاني(٣/ ٧)،الألوسي(٢١/ ٤٩١).

أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك، ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم : ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ والمعنى أن يوسف عليه السلام شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة."

وقال القرطبي:" في الكلام حذف؛ أي قال قائل منهم : ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ ليكون أحسم لمادة الأمر."

القول الثاني: هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف عليه السلام فيما يفعل به فقالوا ذلك. ذكره الرازي و أبو حيان .

قال الرازي :" واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر بالقتل من كان؟ على قولين: أحدهما: أن بعض إخوته قال هذا. والثاني: أنهم شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله، ولم يقل ذلك أحد من إخوته."

وقال أبو حيان :" وقيل: هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه من قول إخوة يوسف عليه السلام.فهو الظاهر من دلالة اللفظ.
- وأما القول إنه من قول قوم استشارهم أخوة يوسف عليه السلام فيما يفعل به فقالوا ذلك. فهو بعيد بدلالة إقدامهم على ما فعلوه بسرية تامة وحيلة منهم فيستبعد استشارتهم لأخرين.

الترجيح:

يترجح القول الأول أن القائلين هم إخوة يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

☐

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي: [كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله.][1]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح(٢/٣٩٤).

المسألة الثانية

ما المراد بالصلاح في قوله﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وصلاحهم إما صلاح حالهم عند أبيهم وهو قول مقاتل، أو صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل وهذا أظهر، وهو قول الجمهور منهم الكلبي."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد صلاح حالهم عند أبيهم؛ وهو قول مقاتل، وذكرجماعة من المفسرين.[2]

قال السمرقندي:" يعني: تصلح أحوالكم عند أبيكم، بعد ذهاب يوسف."

قال الماوردي:" ﴿ يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ فيه وجهان:...

ويحتمل ثالثاً: أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل."

وقال البغوي:" وقال مقاتل: يُصْلِحْ أمركم فيما بينكم وبين أبيكم."

القول الثاني: المراد صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل ، وهو قول أكثر المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٠٨) (٥/ ٢٨٤).

٢- السمرقندي(٢/ ١٨٤)، الماوردي والبغوي آية ٩،الزمخشري(٢/ ٣٠٤)،ابن الجوزي (٤/ ١٤١)، النسفي (٢/ ٣٠٥)، الخازن آية٩،أبو السعود(٤/ ٢٥٠)،الشوكاني(٣/ ٧)،الأ لوسي(٢١/ ٤٩١).

٣- الطبري (١٢/ ٩٣)، السمرقندي (٢/ ١٨٤)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٩، الزمخشري (٢/ ٣٠٤)، ابن عطية (٣/ ٢٢١)، ابن الجوزي (٤/ ١٤١)، الرازي(١٨/ ٤٢٥)، القرطبي (٩/ ١٢٩)، النسفي (٢/ ٣٠٥)، الخازن آية ٩،ابن كثير (٤/ ٣١٨)،ابن عادل (١١/ ٢٠)، أبو السعود =

قال الطبري:" ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذي يرك بونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين."

وقال السمرقندي:" ويقال: وتكونوا من بعد هلاكه قوماً تائبين إلى الله تعالى. "

قال الماوردي:" أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، قالـه السدي."

القول الثالث : المراد صلاح أمور دنياهم. وقد ذكره بعض المفسرين.[□]

قال الماوردي:" أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاح الدين."

وقال الزمخشري:" ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلوّ وجه أبيكم."

وقال البيضاوي:" صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول المراد صلاح حالهم عند أبيهم فهو محتمل لأنهم ما فعلوه بابعاد يوسف عن أبيه إلا لأجل أن تصلح أحوالهم.
- وأما القول المراد صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل ،فهو وارد لأن ما فعلوه ذنب شنيع .
- وأما القول المراد صلاح أمور دنياهم فهو محتمل ويندرج في القو ل الأول.

الترجيح:

ما ذكره المفسرون من المعاني محتمله ولكن يترجح القول الثاني وهو

=
(٤/ ٢٥٠)، الشوكاني(٣/ ٧)، الألوسي(٢١/ ٤٩١).

١- الماوردي آية ٩، الزمخشري(٢/ ٣٠٤)، البيضاوي(٣/ ٢٧٥)، الشوكاني(٣/ ٧).

صلاح حالهم بالتوبة وذلك:

١. لأنه هو المتبادر إلي الذهن عند أقدام الإنسان على فعل الذنب.

٢. أن من طرق الشيطان في غواية العباد تسويف التوبة لتسهيل فعل المعصية ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾[الإسراء: ٦٤].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾؟

قال أبو حيان:" والظاهر إنّ الضمير في ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ عائد على يوسف عليه السلام... ويدل على أنّ الضمير عائد على يوسف عليه السلام قوله لهم قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون . وقيل: الضمير في إليه عائد على يعقوب عليه السلام، وإنما أوحي إليه ليأنس في الظلمة من الوحدة، وليبشر بما يؤول إليه أمره، ومعناه : للتخلص مما أنت فيه، ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك"[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ الضمير عائد على يوسف عليه السلام. وهو قول كثير من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" وقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ ﴾ يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرنّ إخوتك بأمرهم هذا يقول: بفعلهم هذا الذي فعلوه بك.﴿وَهُمْ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢١٠) (٢٨٨/٥).

٢- الطبري (٩٥/١٢)،الواحدي(٦٠٣/٢)،البغوي آية ١٥، الزمخشري (٣٠٦/٢)،ابن عطية (٢٢٣/٣)، ابن الجوزي (١٤٥/٤)، الرازي (٤٢٨/١٨)، القرطبي (١٤١/٩)، البيضاوي (٢٧٥/٣)، النسفي (٣٠٧/٢)،الخازن آية ١٥،ابن كثير (٣٢٠/٤)،ابن عادل (٣٥/١١)، البقاعي (١٥/٤)، السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٤)عن مجاهد، الشربيني (١٠٦/٢)،أبي السعود (٢٥٠/٤)، الشوكاني (٩/٣)، الألوسي (٣٠٢/٢١).

لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يقول: وهم لا يعلمون ولا يدرون."

وقال الواحدي:" أوحى الله إلى يوسف عليه السلام تقويةً لقلبه في البئر."

وقال البغوي:" أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتصدقنّ رؤياك ولتخبرنّ إخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحي الله وإعلامه إيّاه ذلك قاله مجاهد."

القول الثاني: إنّ الضمير عائد على يعقوب عليه السلام.ذكره بعض المفسرين[1]. مع ردهم له .

قال ابن عطية:" والضمير في ﴿إِلَيْـهِ ﴾ عائد إلى يوسف عليه السلام. وقيل: على يعقوب عليه السلام، والأول أصح وأكثر."

وقال القرطبي:" وقيل: (الهاء) ليعقوب عليه السلام؛ أوحى الله تعالى إليه ما فعلوه بيوسف عليه السلام، وأنه سيعرِّفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم."

وقال الألوسي:" وزعم بعضهم أن ضمير ﴿إِلَيْـهِ ﴾ يعود على يعقوب عليه السلام وليس بشيء كما لا يخفى ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إنّ الضمير عائد على يوسف عليه السلام، فهو ظاهر.
- وأما القول : إن الضمير عائد على يعقوب عليه السلام.فهو بعيد ، لأنه لو علم بذلك ولاسيما أنه وحي من الله ، لما أصابه ما أصابه من الهم والحزن على فراق ابنه ، ولتدارك الموقف من أوله ، ولوبخ أبنائه على فعلتهم.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

---

١ - ابن عطية(٣/٢٢٣)، القرطبي(٩/١٤١)،أبو حيان (٥/٢٨٨)، الألوسي(٢١/٣٠٢).

١. لدلالة السياق .

٢. لموافقة لقاعدة الترجيح وهي :[توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها][1]،والضمائر في الآية تعود إلى يوسف عليه السلام فهو المحدّث عنه .

٣. لدلالة قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ ﴾[يوسف: ٨٩].

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح(٢/٧١٧).

قال تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[يوسف: ١٩].

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

هل الوارد واحد أم جماعة ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أن الوارد واحد . وقال ابن عطية : والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى . وحمل على معنى السيارة في قوله : فأرسلوا، ولو حمل على اللفظ لكان الترئيب فأرسلت واردها."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الوارد واحد، وهو قول أكثر المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الماوردي :" وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لـهم . وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك بن ذعر بن حجر بن يكه بن لخم."

وقال البغوي:" فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك قوله ﷻ :﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيىء الأرشية والدلاء."

وقال الزمخشري:" ﴿فَأَرْسَلُواْ ﴾ رجلا يقال له مالك ابن ذعر الخزاعي، ليطلب لهم الماء. والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم."

١- البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٢) (٥/ ٢٨٨).وفي المطبوع (لكان الترتيب).

٢ - الماوردي والبغوي آية ١٩،الزمخشري(٢/ ٣٠٨)،الرازي(١٨/ ٤٣٤)،القرطبي(٩/ ١٥٢)، البيضاوي (٣/ ٢٧٨)، النسفي (٢/ ٣٠٩)،ابن جزي (٢/ ٢١٢)،الخازن آية ١٩،ابن كثير (٤/ ٣٢٢)، الجلالين آية ١٩،أبي السعود(٤/ ٢٥٠)، الشوكاني(٣/ ١٢)، ابن عاشور (١٢/ ٢٤١).

القول الثاني : إن الوارد جماعة.وقد ذكر ابن عطية[1] .

قال ابن عطية:" و " الوارد " هو الذي يأتي الماء ليسقي منه لجماعة، ويروى أن مدلي الدلو كان يسمى مالك بن ذعر ، والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى الجماعة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الوارد واحد فهو الظاهر.
- وأما القول إن الوارد جماعة، فيرده دلالة السياق في قوله ﴿ قَالَ يَـٰبُشۡرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٞۚ ﴾ .

الترجيح:

يترجح القول إن الوارد واحد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لأن السيارة تطلق على الجماعة وهم ارسلوا واحدا منهم ليستقي لهم .

قال ابن الجوزي :" قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ ﴾ أي: قوم يسيرون ﴿ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ﴾ قال الأخفش : أنث السيارة وذكر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال."[2]

والله تعالى أعلم

١ – المحررالوجيز ص٩٨٤ ط. دار الأندلس ، وهو ساقط من بعض النسخ .

٢ – زاد المسير(٤/ ١٤٩).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ يَـٰبُشۡرَىٰ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وقوله﴿ يا بشراي ﴾ هو على سبيل السرور والفرح بيوسف ، إذ رأى أحسن ما خلق . وأبعد السدّي في زعمه أنّ بشرى اسم رجل، وأضاف البشرى إلى نفسه كأنه قال : تعالى فهذا من آوانك."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: قوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف .
وهو قول أكثر المفسرين.[2] وعزاه بعضهم إلى قتادة، واختاره أبو حيان.

قال الطبري:" عن قتادة[3] يا بشرى هذا غلام قال بشرهم واردهم حين وجد يوسف "

وقال الزمخشري:" نادى البشرى، كأنه يقول: تعالى، فهذا من آونتك."

وقال الرازي:" في تفسير النداء وجهان : الأول: قال الزجاج:" معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة ف إذا قلت : يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا "[4]. الثاني..: كأنه يقول : يا أيتها البشرى هذا الوقت وقتك، ولو كنت ممن يخاطب لخوطبت الآن ولأمرت بالحضور.

واعلم أن سبب البشارة هو أنهم وجدوا غلاماً في غاية الحسن وقالوا :

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٢) (٥/ ٢٨٨).

٢- الطبري (١٢/ ٩٩)،النحاس(١/ ٥٣٣)،الماوردي آية ١٩،الزمخشري (٢/ ٣٠٨)،ابن عطية (٣/ ٢٢٨)، ابن الجوزي(٤/ ١٤٩)، الرازي (١٨/ ٤٣٤)، القرطبي(٩/ ١٥٢)، البيضاوي(٣/ ٢٧٨)، النسفي (٢/ ٣٠٩)،ابن كثير (٤/ ٣٢٢)، الجلالين آية ١٩،أبي السعود(٤/ ٢٥٠).

٣ - وسنده قال الطبري:" حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة."

٤ - تهذيب معاني القرآن (٣/ ٦٨).

نبيعه بثمن عظيم ويصير ذلك سبباً لحصول الغنى."

القول الثاني : إنّ بشرى اسم رجل وهو قول السدّي .وذكره جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري : " عن السدى[2] يا بشرى هذا غلام قال نادى رجلاً من أصحابه يقال له بشرى فقال: يا بشرى هذا غلام."

وقال الماوردي:" ﴿ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ فيه قولان:

الثاني: أنه نادى أحدهم ، كان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام ، قاله السدي."

وقال ابن الجوزي:" وذكر السدي أنه نادى بذاك أحدهم وكان اسمه بشرى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن قوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف عليه السلام.

هو أقرب إلي ظاهر الآية وهو المتبادر إلى فهمه عند سماع الآية.

- وأما القول إ نّ بشرى اسم رجل ، فهو بعيد، لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً، ولأمر في غاية الأهمية.

الترجيح:

يترجح إن قوله: يا بشراي هو على سبيل السرور والفرح بيوسف عليه السلام.

وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه،وذلك:

١. لدلالة المعنى في السياق.

---

١ - الطبري (٩٩/١٢)، الماوردي آية ١٩، ابن الجوزي (١٤٩/٤)،الرازي (٤٣٤/١٨)، القرطبي (١٥٢/٩)، البيضاوي (٢٧٨/٣)، النسفي (٣٠٩/٢)،ابن كثير (٣٢٢/٤)،الجلالين آية ١٩،أبي السعود (٢٥٠/٤).

٢ - وسنده قال الطبري:" حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي."

قال النحاس :"وهذا القول الصحيح - أي القول الأول -.... والمعنى في نداء البشرى: التنبيه لمن حضر؛ وهو أوكد من قولك تبشرت."

وقال القرطبي : " قال النحاس : قول قتادة أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً؛ وإنما يأتي بالكناية كما قال ﷻ ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ ﴾[الفرقان: ٢٧] وهو عقبة بن أبي معيط، وبعده ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ ﴾[الفرقان: ٢٨] وهو أمية بن خلف."

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله].[١]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٤٩/٢).

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾؟

قال أبو حيان:" وأسروه. الظاهر أنّ الضمير للسيارة التي الوارد منهم أي : أخفوه من الرفقة، أو كتموا أمره من وجدانهم له في الجب وقالوا : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر. وقال ابن عباس: الضمير في وأسروه وشروه لإخوة يوسف عليه السلام، وأنهم قالوا للرفقة : هذا غلام قد أبق لنا فاشتروه منا، وسكت يوسف عليه السلام مخافة أن يقتلوه، وذلك أنه روي أن بعضهم رجع إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف عليه السلام ويقفوا على الحقيقة من فقده، فلما علموا أن الوارد قد أخذوه، جاءوهم وقالوا تلك المقالة."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ الضمير يعود للسيارة التي الوارد منهم ، قاله مجاهد، وهو قول أكثر المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وأما قوله وأسروه بضاعة فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم وأسره الوارد المستقي وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا لهم هو بضاعة استضعناها بعض أهل مصر لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به أن يطلبوا منهم فيه الشركة .. عن مجاهد[3]

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٢) (٥/٢٨٨).

٢ - الطبري(١٢/ ٩٩)،النحاس(١/ ٥٣٣)،السمر قندي(٢/ ١٨٤)،الماوردي آية١٩،البغوي آية ١٩، الزمخشري (٢/٣٠٨)،ابن عطية (٣/٢٢٨)، ابن الجوزي (٤/ ١٤٩)،الرازي (١٨/ ٤٣٤)، القرطبي (٩/ ١٥٢)، البيضاوي (٣/٢٧٨)،النسفي(٢/ ٣٠٩)،ابن كثير (٤/ ٣٢٢)،الجلالين آية ١٩، أبي السعود (٤/ ٢٥٠).

٣ - وسنده :" حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد."

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه إن ع لموا بثمنه وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه: استوثق منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعني ويبشر فاشتراه الملك والملك مسلم."

وقال السمرقندي :" قال:﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ يعني: التُّجار بعضهم من بعض، وقال بعضهم لبعض : اكتموه من أصحابكم لكيلا يسألوكم فيه شركة ، فإن قالوا لكم ما هذا الغلام؟ قولوا: استبضعنا بعض أهل الماء، لنبيعه لهم بمصر."

وقال البغوي :" قال مجاهد : أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هو بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة."

القول الثاني: إن الضمير يعود إلى إخوة يوسف عليه السلام وهو منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري :" وقال آخرون إنما عنى بقوله وأسروه بضاعة إخوة يوسف عليه السلام أنهم أسروا شأن يوسف عليه السلام أن يكون أخاهم قالوا هو عبد لنا ذكر من قال ذلك.

عن ابن عباس[2] قوله وأسروه بضاع ة يعني إخوة يوسف عليه السلام أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم فكتم يوسف عليه السلام شأنه مخافة أن تقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه قال : يا بشرى هذا غلام يباع فباعه إخوته."

١- الطبري (١٢/ ٩٩)،الزمخشري (٢/ ٣٠٨)، ابن الجوزي(٤/ ١٤٩)،الرازي (١٨/ ٤٣٤)، القرطبي (٩/ ١٥٢)، البيضاوي(٣/ ٢٧٨)،النسفي(٢/ ٣٠٩)،ابن كثير (٤/ ٣٢٢)،أبي السعود (٤/ ٢٥٠).

٢ - وسنده :" حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس."

وقال الزمخشري :" وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف ﷺ، وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف ﷺ مخافة أن يقتلوه."

وقال ابن الجوزي:" أنهم إخوته، أسروا أمره، وباعوه، وقالوا : هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس."

القول الثالث: إن الضمير يعود على الذين شروه ، ذكره الماوردي.

قال الماوردي:" ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

الثالث: أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لـهم."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إنّ الضمير يعود للسيارة التي الوارد منهم
- وأما القول إن الضمير يعود إلى إخوة يوسف ﷺ فهو مترتب على القول الأول فهو تبع له في القصة.
- وأما القول إن الضمير يعود على الذين شروه، فهو بعيد جدا عن المراد

الترجيح:

يترجح مما سبق القول إ نّ الضمير يعو د للسيارة التي الوارد منهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق؛ وترتب الأحداث في القصة.

قال الواحدي:"﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ رفقةٌ تسير للسّفر﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ أرسلها في البئر ، فَتَشَبّثَ يوسف ﷺ بالرِّشاء فأخرجه الوارد، فلمّا رآه ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾أيْ: يا فرحتا ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ أسرّه الوارد ومَنْ كان معه من التُّجار من غيرهم ، وقالوا: هذه بضاعةٌ

استبضعها بعض أهل الماء ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بيوسف عليه السلام، فلمّا علم إخوته ذلك أتوهم ، وقالوا: هذا عبدٌ آبقٌ منّا ، فقالوا لهم: فبيعوناه، فباعوه منهم، وذلك قوله: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾".[1]

٢. ولموافقته قاعدة الترجيح وهي: [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه][2].

والله تعالى أعلم

١ - الوجيز (١/ ٥٤٢).

٢ - قواعد الترجيح(١/ ٢٩٩).

قال تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يوسف: ٢٠].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر إن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ عائد على السيارة، أي : وباعوا يوسف عليه السلام. ومن قال: إن الضمير في وأسروه عائد على إخوة يوسف عليه السلام جعله عائداً عليهم أي : باعوا أخاهم يوسف عليه السلام بثمن بخس........ وذلك أن الذين باعوه إن كانوا الواردة فإنهم لم يعطوا به ثمناً، فما أخذوا فيه ربح كله وإن كانوا إخوته، فالمقصود خلو وجه أبيهم منه لا ثمنه."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على السيارة وهو قول بعض المفسرين [2]، واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:"﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ وباعوه﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً، أو زيف ناقص العيار ﴿دَرَاهِمَ ﴾ لا دنانير ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة تعدّ عدّاً ولا توزن.... ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أوّل

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢١٣) (٥/٢٩٢).

٢- الزمخشري (٢/٣٠٨)، النسفي (٢/٣٠٩)، أبي السعود (٤/٢٥٠)، ابن عادل (١١/٤٦)، الشوكاني (٣/١٢).

مساوم بأوكس الثمن. ويجوز أن يكون معنى﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ واشتروه، يعني الرفقة من إخوته."

وقال النسفي :"معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق ويروى أن إخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبق."

وقال أبو السعود :"﴿ وَشَرَوْهُ ﴾أي باعوه والضمير للوارد وأصحابه."

القول الثاني : إن الضمير يعود على إخوة يوسف .وهو ق ول بعض المفسرين[1]

قال الطبري :" القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وشروه به وباع إخوة يوسف عليه السلام."

وقال الرازي :" والمراد من قوله:﴿ وَشَرَوْهُ ﴾أي باعوه يقال: شريت الشيء إذا بعته، وإنما وجب حمل هذا الشراء على ا لبيع، لأن الضمير في قوله : ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ وفي قوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ عائد إلى الإخوة فكذا في قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ يجب أن يكون عائداً إلى الإخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع."

وقال القرطبي:" أي نقص؛ وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم؛ أي باعوه بثمن مبخوس، أي منقوص . ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه،

---

١ – الطبري (١٢/ ٩٩)،الرازي(١٨/ ٤٣٤)،القرطبي(٩/ ١٥٤)،الألوسي(٢١/ ٧١٢)،وذكر جملة من المفسرين كلا القولين.

وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلوّ وجه أبيهم عنه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

الترجيح:

يترجح عود الضمير في قوله ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ على السيارة، وهو اختيار أبي ح يان ومن وافقه، وذلك على معنيين :

١. على معنى باعوه بثمن بخس لأنهم التقطوه فلا يبالون بثمه لهوانه عندهم

٢. على معنى اشتروه من إخوته بثمن بخس لأن مراد إخوته التخلص منه وليس الربح.

ولموافقة قاعدة [توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من فريقها][1].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٢/٦١٣).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر عود الضمير في فيه إلى يوسف عليه السلام أي: لم يعلموا مكانه من الله تعالى."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام؛ وهو قول أكثر المفسرين[2]؛ واختاره أبو حيان.

قال الطبري:"﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إخوة يوسف في يوسف عليه السلام من الزاهدين، لا يعلمون كرامته عند الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه لتكون الم نافع التي كانت مصروفة إلى يوسف عليه السلام دونهم مصروفة إليهم."

وقال البغوي:"﴿ وَكَانُواْ ﴾ يعني: إخوة يوسف﴿ فِيهِ ﴾أي: في يوسف عليه السلام ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله."

وقال الرازي:" والضمير في قوله: ﴿فِيهِ ﴾ يحتمل أن يكون عائد إلى يوسف عليه السلام."

القول الثاني: إن الضمير يعود على الثمن. وذكره بعض المفسرين[3] .

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢١٣) (٥/٢٩٢).

٢- الطبري (١٢/٩٩)، البغوي آية ٢٠، الرازي (١٨/٤٣٤)، القرطبي (٩/١٥٤)، البيضاوي (٣/٢٧٩)، النسفي (٢/٣٠٩)، أبي السعود(٤/٢٥٠)،الألوسي(٢١/٧١٢).

٣ - ابن الجوزي(٤/١٥٠)، الرازي(١٨/٤٣٤)،الألوسي(٢١/٧١٢).

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ الزهد: قلة الرغبة في الشيء. .....(و)في هاء فيه قولان...والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. "

وقال الرازي:" ويحتمل أن يكون عائداً إلى الثمن البخس والله أعلم."

وقال الألوسي:" وقيل: ضمير ﴿فِيهِ﴾ للثمن وزهدهم فيه لرداءته أو لأن مقصودهم ليس إلا إبعاد يوسف عليه السلام."

نلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام؛ فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على الثمن، فهو بعيد لأنهم لم يخططوا لبيعه وإنما همهم التخلص بأي طريقة.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة الظاهر.

٢. لأن مقصد إخوته التخلص منه وليس الربح فهو على كل حال ليس ذا أهمية عندهم .

٣. ولأن أحداث القصة تدور على يوسف عليه السلام وكيفية التخلص منه.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: ٢١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير في على أمره الظاهر عوده على الله قاله ابن جبير، لا يمنع عما يشاء ولا ينازع فيما يريد، ويقضي. أوعلى يوسف عليه السلام قاله الطبري[1]، أي: يدبره ولا يكله إلى غيره . قد أراد أخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين .[3] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:"﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ على ما أراد من قضائه ، لا يغلبه غالبٌ على أمره ، ولا يُبطل إرادته منازعٌ."

وقال ابن كثير :"﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ أي إذا أراد شيئاً فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف ، بل هو الغالب لما سواه. قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ

---

١ - جامع البيان (١٢/١٠٤).

٢- البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٤) (٥/٢٩٣).

٣ - الواحدي في الوجيز (١/٥٤٢)،ابن كثير (٤/٣٢٤)، الجلالين آيه ٢١، الشوكاني (٣/١٢)، الألوسي (٢١/٩١٢)، ابن عاشور(١٢/٢٤٥).

عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ : أي فعال لما يشاء."

وقال الجلالان:"﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ تعالى لا يعجزه شيء."

القول الثاني : إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام؛ وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال الطبري:" وقوله:﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره : والله مستولٍ على أمر يوسف عليه السلام يَسُوسُه ويدبره ويحوطه. والهاء في قوله: على أَمْرِهِ عائدة على يوسف عليه السلام."

وقال الماوردي :" غالب على أمر يوسف عليه السلام حتى يبلغ فيه ما أراده له ، قاله مقاتل."

وقال البغوي:" وقيل: هي راجعة إلى يوسف عليه السلام معناه: إن الله مستول على أمر يوسف عليه السلام بالتدبير والحياطة لاَ يَكِلُه إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الله تعالى فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام فيندرج في القول الأول ضمنا.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على لفظ الجلالة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

---

١ - الطبري (١٢/١٠٦)،الماوردي والبغوي آيه٢١، الزمخشري (٢/٣٠٨)، ابن عطية (٣/٢٣٠)، ابن الجوزي (٤/١٥٢)، الرازي (١٨/٣٦)، القرطبي (٩/١٥٧)، البيضاوي (٣/٢٨٠)، النسفي (٢/٢١٠)، ابن جزي (٢/٢١٣)، الخازن آيه ٢١.

١. لدلالة العموم.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى].[1]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/١٧٢).

قال تعالى ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

في الآية مسألة واحده وهي:

علام يعود الضمير في قوله﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ ﴾ ؟

قال أبو حيان:" والضمير في إنه الأصح إنه يعود على الله تعالى أي: إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام . وإما أن يكون ضمير الشأن و عني بربه سيده العزيز فلا يصلح لي أن أخونه، وقد أكرمني أكرم مثواي وائتمني قاله : مجاهد، والسدي، وابن إسحاق [1]. ويبعد جداً، إذ لا يطلق نبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولا بمعنى السيد، لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكاً له."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الضمير يعود على الله تعالى، ذكره بعض المفسرين .[3] واختاره أبو حيان.

قال البغوي :" وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد : إن الله تعالى ربّي أحسن مثوايَ أي: آواني ومن بلاء الجبِّ عافاني."

وقال ابن الجوزي :" ويجوز أن يكون (إِنَّهُۥ رَبِّيٓ) يعني الله ﷻ (أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ) أي: تولاني في طول مقامي."

---

١ - انظر جامع البيان (١٢/١٠٦).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٥) (٥/٢٩٤).

٣ - البغوي آية٢٣،ابن الجوزي(٤/١٥٥)،البيضاوي(٣/ ٢٨١)،ابن عاشور (١٢/٢٤٩).

وقال البيضاوي:" وقيل الضمير لله تعالى أي إنه خالقي أحسن منزلتي بأن عطف على قلبه فلا أعصيه."

القول الثاني : إن الضمير يعود على سيده العزيز، وهو قول أكثر المفسرين[1].

قال الطبري:" وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾يقول: إن صاحبك وزوجك سيدي."

وقال الواحدي :"﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ إن الذي اشتراني هو سيدي."

وقال البغوي :"﴿ :"﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يريد أن زوجك قطفير سيدي ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ أي: أكرم منزلي. هذا قول أكثر المفسرين."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الله تعالى ففيه نظر من حيث دلالة المعنى.
- وأما القول إن الضمير يعود على سيده العزيز فهو الظاهر من السياق.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على العزيز وذلك:

١. لدلالة السياق، فما سبق من الآيات وهو قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

١- الطبري(١٠٦/١٢)، البغوي آية ٢٣،الزمخشري(٣٠٨/٢)،ابن عطية (٢٣٢/٣)، ابن الجوزي (١٥٥/٤)، الرازي (٤٣٩/١٨)، القرطبي (١٦٢/٩)، البيضاوي (٢٨١/٣)، النسفي (٣١١/٣)، الخازن آيه٢٣، ابن كثير (٣٢٥/٤)،الجلالين آيه ٢٣، الشوكاني(١٦/٣).

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: ٢١]، يقوي هذا القول فيوسف عليه السلام أراد أن يذكرها بقول العزيز لها لما اشتراه وهو أن تكرم مثواه لأنه في مقام الولد بالنسبة لهما.

٢. لدلالة الحال فيوسف عليه السلام سماه ربا بحكم أنه اشتراه فهو سيده.

قال الألوسي:" وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ ﴾ تعليل ببعض الأسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي التي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها، والضمير للشأن، وفي تصدير الجملة به من الإيذان بفخامة مضمون ها ما فيه مع زيادة تقريره في الذهن أي إن الشأن الخطير هذا أي هو ربي أي سيدي العزيز أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي على أكمل وجه فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه؟ وفيه إرشاد لها إلى رع اية حق العزيز بألطف وجه، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والسدي.وابن إسحاق، وتعقب بأن فيه إطلاق الرب على غيره تعالى فإن أريد به الرب بمعنى الخالق فهو باطل لأنه لا يمكن أن يطلق نبي كريم على مخلوق ذلك، وإذا أريد به السيد فهو عليه السلام في الحقيقة مملوك له، وإن كان فيما ذكر نظر ظاهر ـ اختار في (البحر) أن الضمير لله تعالى."[1]

والله تعالى أعلم

١ - روح المعاني(٢١/٣٢٢).

قال تعالى﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[يوسف: ٢٤].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾؟

قال أبو حيان : " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : لقد قارفت لولا أن عصمك الله...... وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين. "[1]

الدراسة:

في المسألة سبعة أقوال:

القول الأول : إنه هم بمواقعتها وعزم عليه. قال ابن عباس: وحل الهميان [2] وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة، وهو قول جمهور المفسرين[3].

قال الطبري : " فأما ما كان من همّ يوسف عليه السلام بالمرأة وهمها به، فإن أهل العلم قالوا فـي ذلك ما أنا ذاكره ...."- وذكر روايات عن ابن عباس ومجاهد

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٥/٢١٦) (٥/٢٩٥).

٢ - شداد السراويل انظر لسان العرب (٦/٤٧٠٦).

٣ - الطبري (١٢/١٠٨)،الزجاج (٣/٧٠) تهذيب معاني القرآن، ابن أبي حاتم (٧/٢١٢٢). الواحدي في الوسيط (٢/٦٠٨)،البغوي آيه ٢٤، القرطبي (٩/١٦٢)،والجلالين آيه ٢٤،وذكره كثير من المفسرين لمجرد ذكر القول ورده بعضهم .

وسعيد بن جبير وعكرمة ؛ثم قال -:" فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف عليه السلام بمثل هذا وهو لله نبيّ؟ قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم: كان ممن ابتلي من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها ليكون من الله عز وجل على وَجَل إذا ذكرها، فيجدّ في طاعته إشفاقاً منه، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته.

وقال آخرون : بل ابتلاهم الله بذلك ليعرّفهم موضع نعمته عليهم، بصفحه عنهم وتركه عقوبته عليه في الآخرة.

وقال آخرون: بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنه إذا تابوا.

وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأوّلوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة..."

وقال الزجاج :"والذي عليه المفسرون أنه هم بها وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته إلا أن الله تفضل بأن أراه البرهان ألا ترى أنه قال : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣]"[1].

وقال الواحدي:"وأما هم يوسف عليه السلام فذكر ابن عباس وجلة أهل التفسير: (أنه حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن .....وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك والسدي ومجاهد وابن أبي بزة والأعمش والحسن هذا قول المتقدمين."

القول الثاني : إنه همت بالمعصية وكانت مصرّة، وهمّ يوسف عليه السلام ولم يواقع ما همّ به؛ فبين الهمتين فرق؛ فهمه من حديث نفس من غير عزم . ذكره جماعة

---

١ - قوله ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ هو من قول امرأة العزيز.

من المفسرين [1].

قال الواحدي :"...وذكر المتأخرون فرقا بين الهمين فقال أبو العباس أحمد بن يحيى [2] : "همت المرأة بالمعصية مصرة على ذلك ، وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين الهمين فرق ؛وشرحه ابن الأنباري فقال:" همت المرأة عازمة على الزنا ويوسف عليه السلام عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهم ذنباً إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه ....

.... والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهم ليوسف عليه السلام غير عائبين له بل نقول إن انصرافه بعد إثبات الهم ونهيه نفسه عن هواها تعظيما لله ومع رفة يحقه أدل على وفور الثواب وتكامل الأجر" ؛ والذين أثبتوا الهم ليوسف عليه السلام من علي وابن عباس ووهب وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه [3] ؛ وقد قال الحسن :"إن الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييراً لهم ولكنه قصها عليكم لئلا تقنطوا من رحمته ."وقال أبو عبيد :" يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله على أنبيائه أوكد وهي لهم ألزم فإذا كان يقبل التوبة منهم فهي إلى قبولها منكم أسرع."

وقال البغوي :" وقال بعض أهل الحقائق : الهمُّ هَمَّان: همٌّ ثابتٌ وهو إذا

---

١ - الواحدي في الوسيط (٢/٦٠٨)، البغوي آية٢٤، ابن عطية (٣/٢٣٢) ،ابن العربي (٣/٢٤)، القرطبي (٩/١٦٢)، البيضاوي (٣/٢٨٢)،النسفي (٢/٣١١)،ابن جزي (٢/٢١٤)،الشوكاني (٣/١٦)، الألوسي(٢١/٤٢٢).

٢ - هو ثعلب (٢٠٠-٢٩١ هـ).

٣ - بعض المفسرين جمع بين القولين الأول والثاني فكان هذا من جملة حكايتهم الجمع بين القولين .

كان معه عزم وعقد ورضى مثل همِّ امرأة العزيز والعبد مأخوذ به وهمٌّ عارضٌ وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل همّ يوسف عليه السلام فالعبد غير مؤاخذ به مالم يتكلم أو يعمل ... وذكر حديث... أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ((قال الله عزّ وجلّ: **إذا تحدث عبدي بأنْ يعملَ حَسنةً فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها**))[1] "

وقال ابن العربي :"..كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادن ا الذين استخلصناه م.والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة ،فما ألمّ بشيء ولا أتى بفاحشة.فإن قيل :فقد قال الله ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قلنا: ... وبينا أن الله سبحانه ما أخبر عنه أنه أتى في جانب القصة فعلا بجارحة، وإنما الذي كان منه الهمّ،وهو فعل القلب ، ....كان بمدينة السلام إمام ....يعرف بابن عطاء تكلمّ يوماً على يوسف عليه السلام وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه؛ فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال: يا شيخ يا سيدنا فإذًا يوسف عليه السلام همّ وما تَمّ؟ قال : نعم لأن العناية من ثَمّ . فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره واستيفائه..."

القول الثالث : إنه همّ بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها قالـه بعض المفسرين[2] .

قال الماوردي :".. إنه همّ بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم

---

١ - صحيح مسلم / كتاب الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت/ حديث رقم(١٢٩).

٢ - الماوردي آية ٢٤، ابن الجوزي(٤/١٥٦)، العز ابن عبد السلام آيه ٢٤،

بمواقعتها قاله بعض المتأخرين...."

وقال ابن الجوزي : " ....إنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضربني، ذكره ابن الأنباري."

وقال ابن عبد السلام :"....﴿ وَهَمَّ﴾ بضربها....".

القول الرابع : إن في الكلام تقديما وتأخيرا، تقديره : ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لـهم بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الـهم . قاله قطرب[1] كما ذكره بعض المفسرين.[2]

قال الماوردي :" إن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، قاله قطرب ."

قال ابن الجوزي :".. أن في الكلام تقديما وتأخيرا، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لـهم بها، فلما رأى البرها ن، لم يقع منه الـهم، فقدم جواب «لولا» عليها، كما يقال : قد كنت من الـهالكين، لولا أن فلانا خلصك، لكنت من الـهالكين .. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب (لولا) عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب... "

وقال القرطبي :"...قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير؛ كأنه أراد

---

١ – محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي الشهير بقطرب، نحوي، عالم بالأدب واللغة،من أهل البصرة ، من الموالي، كان يرى رأي المعتزلة النظامية،توفي سنة ٢٠٦هـ.تاريخ بغداد (٢٩٨/٣)، شذرات الذهب (١٥/٢)، الأعلام(٩٥/٧).

٢ – الماوردي آية ٢٤، ابن الجوزي(١٥٦/٤)، القرطبي (١٦٢/٩)، العز ابن عبد السلام آيه ٢٤،ابن كثير(٣٢٦/٤).

ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها..."

القول الخامس : إنه تمناها أن تكون له زوجة ، ذكره ابن الجوزي وابن كثير.[1]

قال ابن الجوزي :"أنها همت به أن يفترشها، وهم بها، أي: تمناها أن تكون لـه زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس."

وقال ابن كثير :" وقيل: تمناها زوجة."

القول السادس : إنه هم بالفرار منها؛ ذكره الثعلبي وابن الجوزي[2].

قال الثعلبي :" وقال بعضهم: وهمّ بالفرار منها، وهذا لا يصحّ لأنّ الفرار مذكور وليس له في الآية ذكر."

وقال ابن الجوزي :"... أنه هم بالفرار منها، حكاه الثعلبي، وهو قول مرذول، أفتراه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها؟."

القول السابع : إن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله . وهو قول الرازي والبقاعي [3] ؛ واختاره أبو حيان .

قال الرازي :"... إن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل، والهم المحرم، وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين، وبه نقول وعنه نذب..."

وقال البقاعي:" ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ أي أوقعت الهم ، وهو القصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بمواقعته ، ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز فاشتد طلبها ﴿وَهَمَّ بِهَا ﴾ كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب ﴿لَوْلَآ أَن

---

١ - ابن الجوزي (٤/١٥٦)، ابن كثير(٤/٣٢٦).

٢ - تفسير الثعلبي آيه ٢٤، ابن الجوزي (٤/١٥٦).

٣ - مفاتيح الغيب (١٨/٤٤٤)، تفسير البقاعي (٤/٢٦).

رَّءَا ﴾ أي بعين قلبه ﴿بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ الذي آتاه إياه من الحكم والعلم ، أي لهمّ بها، لكنه لما كان البرهان حاضراً لديه حضور من يراه بالعين ، لم يغطه وفور شهوة ولا غلبة هوى، فلم يهم أصلاً مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب ، فلولا المراقبة لهمّ بها لتوفر الدواعي غير أن نور الشهود محاها أصلاً، وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه مع أنه هو الذي تدل عليه أساليب هذه الآ يات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء."

مما سبق إيراده يتضح ما يلي:

- أما القول الأول : وهو إنه هم بمواقعتها وعزم عليه. وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم مستدلين بما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره إلا أنه لا يناسب مقام النبوة والاصطفاء قاعدة الترجيح عند المفسرين وهي : [كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود][1] لعدة أمور :

قال الرازي :" واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة... –منها–...أن الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب . وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكما ل قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنوا ع الإساءة إلى ذلك المنعم المعظم من منكرات الأعمال . إذا ثبت هذا فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات

١ - قواعد الترجيح (١/٣٢٨).

الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول ﷺ المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة. ثم إنه تعالى قال في غير هذه الواقعة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء ....-و- هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم .....-ثم- أن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة، أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف ﷺ أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية. .-وكذا- أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية."

وقال ابن جزي :"أكثر الناس في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف ،فمنهم مفرط ومفرّط،وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف ﷺ من حيث الفعل الذي أراده وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحلِّ التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله."

وقال أبو حيان :" وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في

بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة."

- وأما القول الثاني إنه همت بالمعصية وكانت مصِرّة، وهمّ يوسف عليه السلام ولم يواقع ما همّ به؛ فبين الهمتين فرق؛ فهو قول وسط بين من فسر الهم بالفعل بما لا يناسب مكانة الأنبياء عند الله تعالى وبين من أنكر الهم برمتة وسيأتي بيان ذلك .
- وأما القول الثالث فضعيف لعدم الدلالة عليه في اللفظ والمعنى .

قال ابن عطية :" وقالت فرقة: كان " هم " يوسف عليه السلام بضربها ونحو ذلك.... وهذا ضعيف البتة."

وقال الشنقيطي :" وتأويل الهم بأنه هم بضربها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه."

- وأما القول الرابع إن في الكلام تقديما وتأخيرا فقد رده بعض المفسرين كابن الجوزي .

وقال ابن كثير : وقيل: هم بها لولا أن رأى برهان ربه أي فلم يهم بها، وفي هذا القول نظر من حيث العربية."

وقال الشوكاني :" ولما كان الأنبياء معصومين عن الـهمّ بالمعصية والقصد إليها شطح أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع ت كلف، فمن ذلك ما قالـه أبو حاتم قال: كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فلما أتيت على ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ قال: هذا على التقديم والتأ خير: كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها."

- وأما القول الخامس : إنه تمناها أن تكون له زوجة ؛ فهو ضعيف ولا وجه له فكيف بنبي كريم ابن كريم ابن كريم ابن كريم يتمنى من هي في ذمة غيره فكيف وهو من اشتراه واتخذه ولداً ورباه.
- وأما القول السادس إ نه هم بالفرار منها ، فهو ضعيف وقد سبق بيان

ذلك .

- وأما القول السابع : إن يوسف ﷺ لم يقع منه همّ بها البتة ، فالله قال في كتابه العزيز ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ فكيف يقال أنه لم يهم البته .

قال الشنقيطي :"... هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب : أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[يونس: ٨٤] أي إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب، لأن جواب الشروط وجواب (َ وْلا) لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالآية المذكورة."

الترجيح:

بالنظر في الأقوال السابقه يترجح القول الثاني وهو إنها همت بالمعصية وكانت مصِرّة، وهمّ يوسف ولم يواقع ما همّ به؛ فبين الهمتين فرق ؛ فهمه من حديث نفس من غير عزم ؛وذلك لعدة أمور :

١. أن الله تعالى ذكر أنه هم بها ولكن هم وما تم وسياق الآيات في أحداث قصة يوسف أكد هم المر أة وإصرارها عليه من خلال تغليق الأبواب وتهيؤها له ..الخ أما يوسف ﷺ فهم وما تم ويظهر ذلك من هروبه إلى الباب .

قال ابن تيمية :"والمقصود إن يوسف ﷺ لم يفعل ذنبا ذكره الله عنه ،وهو سبحانه لايذكر عن أحد من الأنبياء ذنبا إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف ﷺ عن هذه ا لكلمة، كما لم يذكر عنه استغفارا من مقدمات الفاحشة ، فعلم أنه لم يفعل ذنبا في هذا ولا هذا ،بل هم هما تركه لله ،فأثيب

عليه حسنة ."(□)

٢. أن هذا القول هو الأنسب لمقام أنبياء الله فالله سبحانه يتولاهم بعنايته من قبل الاصطفاء بالنبوة فكيف تكون العناية بعدها .وقد ذكر القرآن أخطاء وقعت من أنبياء الله تابوا من بعدها لكن لاتصل بهم إلي ما ذكر في الروايات في قصة يوسف عليه السلام فالخطأ وارد لكن ليس بهذا القبح الذي لايوصف به آحاد الناس المشتهر صلاحهم في المجتمع فكيف بأنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه ؛ولاعبرة بقول من قال إن ذلك وقع قبل النبوة فسياق الآيات يرده فقد ذكر الله تعالى قبل هذه الآيه قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف: ٢١ - ٢٢].

قال ابن عطية :" وقوله: ﴿حُكْمًا ﴾ يحتمل أن يريد الحكمة والنبوءة ، وهذا على الأشد الأعلى، ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوءة، وهذا أشبه إن كانت قصة المراودة بعد هذا. و ﴿وَعِلْمًا ﴾ يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك. ويحتمل أن يريد بقوله : ﴿حُكْمًا ﴾ أي سلطاناً في الدنيا وحكماً بين الناس ب الحق. وتدخل النبوة وتأويل الأحاديث وغير ذلك في قوله: ﴿وَعِلْمًا ﴾.

وقال :" والذي أقول في هذه الآية : إن كون يوسف عليه السلام نبياً في وقت هذه

---

١ – التفسير الكبير (٥/ ٥٩) والمقصود بقوله (ولم يذكر عن يوسف عليه السلام استغفاراً من هذه الكلمة) هي قوله عليه السلام ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف :٤٢] للناجي وسيأتي في مسألة مستقله .

النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية ، وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكماً وعلماً ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته ، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة؛ وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر ، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك، لأن العصمة مع النبوة."

٣.إن هذا القول وسط بين من أثبت الهم وما تلاه من وصف شنيع وبين من نفاه .

قال الرازي : " واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام ، وتلك المرأة وزوجها، والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب (١). أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام : ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[يوسف: ٢٦] وقوله عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[يوسف: ٣٣] وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة :﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾[يوسف: ٣٢] وأيضاً قالت:﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٥١] وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾[يوسف: ٢٨ - ٢٩]

١ - ويظهر ذلك في عبارة ابن كثير حيث قال :" اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام، وقد روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وطائفة من السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره، والله أعلم".

وأما الشهود فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦] وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات : أولها: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة. والثاني: قوله: ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ مع أنه تعالى قال : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] والرابع: قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ .... وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف عليه السلام من المخلصين...."

وقال السعدي :"هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف عليه السلام من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً ،لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوع الفعل ،فقدم محبة الله عليها ،وأما محنته بإخوته،فصبره صبر اضطرار،بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختيار ه وليس له ملجأ إلا الصبر عليها ،طائعاً أو كارهاً وذلك أن يوسف عليه السلام بقي مكرماً في بيت العزيز ،وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك ...فصبر عن معصية الله ،مع وجود الداعي القوي فيه ؛لأنه قد هم فيها هما تركه لله ،وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بال سوء ورأى من برهان ربه ما أوجب له البعد

والانكفاف ،عن هذه المعصية الكبيرة ....."[1]

والله تعالى أعلم

١ – تيسير الكريم الرحمن ص٣٩٦.

المسألة الثانية

ما المراد بقوله﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والبرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه ا لله، وأنه[1] لا يمكن الهم به فضلاً عن الوقوع فيه."[2]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول : إن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة . وهو قول جماعة من المفسرين[3].

قال الطبري :" وأما البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام فترك من أجله مواقعة الخطيئة، فإن أهل العلم مختلفون فيه، فقال بعضهم: نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة..."وذكر في ذلك روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الماوردي :" إن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، قال ابن عباس: نودي أي ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع."

وقال ابن عطية:" واختلف في " البرهان " الذي رأى يوسف عليه السلام، وقيل: نودي. واختلف فيما نودي به، فقيل ناداه جبريل: يا يوسف، تكون في ديوان

---

١ - في المطبوع (والله).

٢ - البحر المحيط (حـ٥/ل٢١٦) (٥/٢٩٥).

٣- الطبري (١٢/١٠٨)،الثعلبي والماوردي والبغوي آ ية ٢٤، ابن عطية (٣/٢٣٢)،ابن الجوزي (٤/١٥٦)، الرازي (١٨/٤٤٤)، القرطبي (٩/١٦٢)، البيضاوي (٣/٢٨٢)،النسفي(٢/٣١١)،ابن جزي (٢/٢١٤)، الخازن آية ٢٤،ابن كثير (٤/٣٢٦)،الجلالين آية٢٤،الجمل (٢/٤٤٥)،الشوكاني (٣/١٦)،الألوسي(٢١/٤٢٢) وذكروا معه بعض الأقوال الآخرى وهم بين معدد لها وبين راد على بعضها.

الأنبياء. وتفعل فعل السفهاء؟ وقيل : نودي: يا يوسف، لا تواقع المعصية فتكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى - ناداه بذلك يعقوب - ، وقيل غير هذا مما في معناه."

القول الثاني : إنه رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يقول: يا يوسف عليه السلام أتهمٌ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير. وذكره بعض المفسرين.[1]

قال الفراء :" ذكروا أنه رأى صورة يعقوب عليه السلام."

قال الطبري :" وقال آخرون: البرهان الذي رأى يوسف عليه السلام فكفّ عن مواقعة الخطيئة من أجله صورة يعقوب عليه السلام يتوعدّه." وذكر من قاله من السلف.

قال الواحدي :" وهو أنّه مُثِّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أصابعه يقول : أتعمل عمل الفجّار، وأنت مكتوبٌ في الأنبياء، فاستحيا منه."

القول الثالث: رأى آية من آيات ربه، حجزه الله بها عن معصيته ، واختلفوا في الآية المكتوبه، ذكره ابن عطية والقرطبي.[2]

قال ابن عطية :" وقيل: كان " البرهان " كتاباً رآه مكتوباً ، فقيل: في جدار المجلس الذي كان فيه ، وقيل: بين عيني زليخا ، وقيل: في كف من الأرض خرجت دون جسد؛ واختلف في المكتوب ، فقيل: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[الرعد: ٣٣]، وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء: ٣٢] وقيل غير هذا."

---

١ - الفراء(٢/ ٤٠)، الطبري (١٢/ ١٠٨)، الواحدي في الوجيز آية٢٤، والبغوي آية ٢٤،ابن عطية (٣/ ٢٣٢) ، ابن الجوزي (٤/ ١٥٦)، النسفي (٢/ ٣١١).

٢ - ابن عطية (٣/ ٢٣٢)، القرطبي(٩/ ١٦٢).

وقال القرطبي:" وقيل: رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢ ﴾[الإسراء: ٣٢]. وقال ابن عباس: بدت كفّ مكتوب عليها ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ ﴾[الانفطار: ١٠]."

القول الرابع : إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب .ذكره بعض المفسرين.[1]

قال الطبري :" وقال آخرون: بل رأى تمثال الملك ."

وقال الماوردي :" أن البرهان الذي رآه. الملك قفطير سيده، قاله ابن إسحاق."

وقال ابن كثير :" ..عن ابن عباس: رأى خيال الملك يعني سيده، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم : إنما هو خيال قطفير سيده حين دنا من الباب."

القول الخامس: إن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها: ما وراء هذه الستر؟ فقالت: صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه. فقال: إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه، قاله الضحاك وذكره البغوي والقرطبي.[2]

قال البغوي :" ..قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف : لِمَ فعلتِ هذا؟ . فقالت: استحييتُ منه أن يراني على المعصية . فقال يوسف عليه السلام: أتستحين مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربّي وهرب."

وقال القرطبي :" وهذا البرهان غير م ذكور في القرآن؛ فرُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن زليخاء قامت إلى صنم مكلّل بالدرّ والياقوت في زاوية

---

١ – الطبري (١٠٨/١٢)،الماوردي آية٢٤، ابن كثير (٣٢٦/٤).

٢– والبغوي آية ٢٤، القرطبي(١٦٢/٩).

البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة؛ فقال يوسف عليه السلام: أنا أولى أن أستحي من الله؛ وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن فيه إقامة الدليل."

القول السادس:والبرهان الذي رآه يوسف عليه السلام هو ما آتاه الله عز وجل من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله ،وهو قول بعض المفسرين، [١]واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وقال آخرون: بل البرهان الذي رأى يوسف عليه السلام ما أوعد الله عز وجل على الزنا أهله."وذكر عدة روايات عن محمد بن كعب القرظي .

وقال الماوردي :" إن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنا."

وقال ابن الجوزي :" إن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنا، روي عن محمد بن كعب القرظي، قال ابن قتيبة : رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح."

وقال السعدي :" ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أنه قد أطال المفسرون في تعيين البرهان الذي رآه، واختلفت أقوالهم في ذلك اختلافاً كثيراً.
- أن الأقوال الخمسة الأولى متشابهه من حيث إن البرهان الذي رآه شيء محسوس ماثلا أمامه ولذا جمع الطبري بينها فقال :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف عليه السلام

١ - الطبري (١٠٨/١٢)،الماوردي آية٢٤، ، ابن الجوزي (١٥٦/٤)، البقاعي (٢٦/٤)، الألوسي (٤٢٢/٢١)، السعدي ص٣٩٦.

١ - تيسير الكريم الرحمن ص٣٩٦.

وامرأة العزيز كلّ واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف عليه السلام برهان ربه، وذلك آية من آيات الله، زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة. وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب عليه السلام، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأيّ ذلك من أيّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمِه ."

- أنه قد ضعف هذه الأقوال المحققون من المفسرين كابن عطية فقال: " واختلف في " البرهان " الذي رأى يوسف عليه السلام..-وذكر الأقوال ثم قال - وهذا ضعيف." وكذا الرازي .
- وأما القول السادس فهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول إن البرهان: هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لاختلاف الروايات وعدم مناسبة ما جاء فيها لمقام النبوة .

قال الرازي :" ومن الذي يضمن لنا أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين."

قال ابن تيمية :"..وأما ما ينقل من أنه حل سراويله، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عليه السلام عاضا على يده، وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولارسوله ،وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء، وقدحا فيهم ،وكل من نقله من

المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفا واحدا ."[1]

وقال الشنقيطي : " هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين:

- قسم لم يثبت نقله عمن نقله عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.
- وقسم ثبت عن بعض من ذكر، ومن ث بت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن، المزاحم لل يقين: أنه إنما تلقاه عن الإسرائيليات. لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه ﷺ.

وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبي الله يوسف عليه السلام بأنه جلس بين رجلي كافرة أجنبية، ير يد أن يزني بها . اعتماداً على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب . كقصة الكف التي خرجت له أربع مرات، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها، لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوام الفساق. فما ظنك بخيار الأنبياء.."[2]

٢. أن هذا القول مناسب لسياق الآية في تفسير الهم منه فالعاصم له هو الله سبحانه وتعالى وأعظم دليل على أن أكثر الناس معرفة بالله هم أنبياؤه عليهم صلوات الله وسلامه وهم أشد خوفا منه ورجاء به كما أنهم أشد الناس بلاء.

٣. أن هذا القول تظهر مناسبته لقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يوسف: ٢٢].

٤. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي :[القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب

١ - التفسير الكبير لابن تيمية (٥/٧٨).

٢ - أضواء البيان (٣/٣٢).

إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية]. [1]

١ - قواعد الترجيح (١/٣٢٨).

قال تعالى﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يوسف: ٢٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالشاهد في قوله﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" فشهد شاهد من أهلها . فقال أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وهلال بن يساف، والضحاك : كان ابن خالتها طفلاً في المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحجة وروي في الحديث: ((إنه من الصغار الذين تكلموا في ٱلْمَهْدِ)) وأسنده الطبري[1]. وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم : ((**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وابن السوداء**))[2]. وقيل: كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب، ولا ينافي ذ لك قول قتادة، كان رجلاً حليماً من أهلها ذا رأي يأخذ الملك برأيه ويستشيره . وقيل: كان حكماً حكمه زوجها فحكم بينهما، وكان الشاهد من أهلها ليكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة. ويحتمل أن يكون معهما في الدار بحيث لا يشعر به، فبصر بما جرى بينهما، فأغضبه الله ليوسف ﷺ، وشهد بالحق. ويبعد قول مجاهد وابن حبيب

---

١ - جامع البيان (١١٥/١٢) قال : حدثنا الحسن بن محمد، قال: أخبرنا عفان، قال: ثنا حماد، قال: أخبرني عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: ((**تَكَلَّمَ أرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ**)) فذكر فِيهِمْ شاهِدَ يُوسُفَ .قال محمود شاكر :رواه أحمد في مسنده رقم :٢٨٢٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥، وفي آخره قال ابن عباس :تكلم في المهد أربعة صغار عيسى بن مريم،وصاحب جريج ،وشاهد يوسف ،وابن ماشطة فرعون)ولم يرفع هذا الأخير إلي رسول الله ﷺ .وإسناده صحيح .جامع البيان تحقيق محمود شاكر (١٦/ ٥٤).

٢ - صحيح البخاري / كتاب الأنبياء/ باب قول الله﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ / حديث رقم (٣٤٣٦) ،وصحيح مسلم/كتاب البر والصلة/ باب تقديم بر الوالدين على التطوع / حديث رقم (٢٥٥٠) وفي الباب رقم(٨).

أنّ الشاهد هو القميص المقدود لقوله : شاهد من أهلها، ولا يوصف القميص بكونه شاهداً من أهل المرأة. وسمى الرجل شاهداً من حيث دل على الشاهد، وهو تخريق القميص."[1]

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول: إنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.وهو قول أكثر المفسرين[2].

قال الطبري :" وأما قوله:﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد، فقال بعضهم: كان صبيًا في المهد...- وذكر الروايات في ذلك ثم قال -.. والصواب من القول في ذلك، قول من قال : كان صبيًا في المهد للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر من تكلم في المهد، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف عليه السلام."

وقال القرطبي :" وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة : الأوّل أنه طفل في المهد تكلم؛ قال السّهيلي: وهو الصحيح؛[3] للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ وهو قوله: ((**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**)) وذكر فيهم شاهد يوسف عليه السلام ،... وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((**تكلم أربعة وهم صغار**)) فذكر منهم شاهد يوسف عليه السلام."

وقال ابن كثير :" ..عن ابن عباس في قوله ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢١٧) (٢٩٧/٥).

٢ - الطبري (١١٥/١٢)،الماوردي والبغوي آية ٢٦،الزمخشري (٣١٢/٢)،ابن الجوزي (١٦٢/٤)، القرطبي (١٧٢/٩)،البيضاوي (٢٨٣/٣)،النسفي (٣١٣/٢)،ابن جزي (٢١٥/٢)، الخازن آية ٢٦، ابن كثير (٣٢٨/٤)، الجلالين آية ٢٦،البقاعي (٣١/٤).الشوكاني (١٦/٣)،الألوسي(٧٢٢/٢١).

٣ - التعريف والإعلام للسهيلي ص ٨٠-٨١.

قال: كان صبياً في المهد، وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبياً في الدار، واختاره ابن جرير: وقد ورد فيه حديث مرفوع.."

القول الثاني : إنه رجل حكيم من أهلها، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وهو قول جماعة من المفسرين [1] واختاره أبو حيان [2].واختلفوا في صلة قرابته بالمرأة على قولين :

١. إنه ابن عمها .

٢. إنه ابن خالتها .

قال الواحدي :" ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾أي أعلم معلم وأبين مبين وكان رجلا حكيما من أقارب المرأة ."

وقال ابن عطية :" ...روي إن الشاهد لكان الرجل ابن عمها، قال: انظر إلى القميص فإن كان قده من دبر فكذبت ، أو من قبل فصدقت ، قاله السدي. وقال ابن عباس: كان رجلاً من خاصة الملك، قاله مجاهد وغيره..."

وقال ابن الجوزي :" إنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة [3] عن ابن عباس. وقال أبو صالح [4] عن ابن عباس : كان ابن عم لها، وكان رجلاً

---

١ - الواحدي في الوسيط (٦٠٩/٢)،الزمخشري (٣١٢/٢)،ابن عطية (٢٣٦/٣)،ابن الجوزي (١٦٢/٤)، الرازي (٤٤٧/١٨)،البقاعي (٣١/٤)،ابن عاشور (٢٤٩/١٢).

٢ -ودلالة اختياره اعتراضه على القول الأول وتضعيفه للقول الثالث والرابع .

٣ - عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، زهيربن عبدالله بن جدعان، أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، الإمام الحجة، ولد في خلافة علي أو قبلها، توفي سنة ١١٧هـ. طبقات بن سعد (٤٧٣/٥)، تاريخ البخاري (١٣٧/٥)، سير أعلام النبلاء(٨٨/٥).

٤ - باذام ويقال: باذان حدث عن مولاته أم هانيء، واخيها علي ، وأبي هريرة، وابن عباس، قال ابن معين: ليس به يأس، وإذا حدث عن الكلبي فليس بشيء، توفي سنة ١٢١هـ. طبقات بن سعد (٣٢٠/٥)، التاريخ الكبير(١٤٤/٢)، سير أعلام النبلاء(٣٧/٥).

حكيماً ، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة، وقال بعضهم كان ابن خالة المرأة."

وقال الرازي :" إنه كان لها ابن عم وكان رجلاً حكيماً واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة فلما نظروا إلى القميص ورأوا الشق من خلفه.."[1]

القول الثالث : إنه شق القميص، قاله مجاهد، ورده بعض المفسرين.

قال الطبري :" فأما ما قاله مـجاهد من أنه القميص الـمقدود فما لا معنى له لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة."

قال ابن عطية :" وقال مجاهد - أيضاً - الشاهد القميص... وهذا ضعيف لأنه لا يوصف بأنه من الأهل."

وقال الرازي :" أنه شق القميص، رواه ابن أبي نجيح [2] عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله((مِّنْ أَهْلِهَآ))."

القول الرابع : إنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن ، قاله مجاهد.

---

١ - الطبري (١٢/١١٥)، ابن عطية (٣/٢٣٦)، الرازي (١٨/٤٤٧).

٢- عبد الله بن أبي نجيح : يسار المكي، أبو يسار، الثقفي مولا هم، ثقة رمي بالقدر وربما دلس، من السادسة، توفي سنة ١٣١هـ. تهذيب الكمال (١٦/٢١٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٥٤)، التقريب رقم(٣٦٦٢).

ورده بعض المفسرين[1] ممن ذكر القول .

قال ابن كثير : "..عن مجاهد: كان من أمر الله تعالى، ولم يكن إنسياً وهذا قول غريب."

وقال الشوكاني :" عن مجاهد قال : إنه ليس بإنسيّ ولا جنيّ هو خلق من خلق الله. قلت: ولعله لم يستحضر قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ ."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إ نه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، فقد اختلفوا في الذين تكلموا في المهد.

قال ابن عطية :" ومما يضعف هذا أن في صحيح البخاري ومسلم: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وابن السوداء الذي تمنت له أن يكون كالفاجر الجبار ، فقال: لم يتكلم وأسقط صاحب يوسف عليه السلام منها، ومنها أن الصبي لو تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون أن يحتاج إلى الاستدلال بالقميص. وأسند الطبري إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: " تكلم في المهد أربعة " ، فذكر الثلاثة وزاد صاحب يوسف..."

إن الأثر الذي ذكر فيه الأربعة الذين تكلموا في المهد موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الألوسي :" وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر."

- أما القول إنه رجل حكيم من أهلها، فهو ظاهر.
- أما القولين الثالث والرابع فهما ضعيفان بدلالة السياق، وهو قوله﴿ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

الترجيح:

١ - ابن كثير (٣٢٨/٤)، الشوكاني (١٦/٣).

يترجح القول إن الشاهد من أهلها سواء أكان رجلا أم طفلا وذلك :

١. لوجود قرينة دالة على براءة يوسف عليه السلام مما اتهم به ولو كان الشاهد طفلا بالمهد ونطق ببراءة يوسف لكان ت قرينة لوحدها بالبراءة والصدق والتأييد ولأغنت عن كل دليل آخر ؛وكذا كونه من أهلها دليلا آخر وحجه أخرى لبراءة يوسف عليه السلام .

قال السعدي :"..ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه،قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها ،فمن الله في القضية بمعرفة الصادق منهما ،تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام،فانبعث شاهد من أهل بيتها ، يشهد بقرينة من وجدت معه ءا هو الصادق ..."[1]

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي: [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه].

٣. لدلالة السياق.

قال الرازي - بعد أن ذكر القولين قول ا لجبائي[2] في تضعيف القول الأول وترجيح الثاني واستدلاله على ذلك من وجوه عدة هي - :" الأول: أنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من البراهين القاطعة القاهرة، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر دليل ظ ني ضعيف والعدول عن الحجة القاطعة حال حضورها وحصولها إلى الدلالة الظنية لا يجوز. الثاني: أنه تعالى قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ وإنما قال من أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة لأن الظاهر من

١ - تيسير الكريم الرحمن ص٣٩٦.

٢ - محمد بن عبد الوهاب البصري، أبو علي، شيخ المعتزلة،وصاحب التصانيف، مات بالبصرة سنة ٣٠٣ هـ. الفرق بين الفرق ص١٦٧، سير أعلام النبلاء(١٨٣٩/١٤)، شذرات الذهب(٢٤١/٢).

حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار، فالمقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها تقوية قول ذلك الرجل وهذه الترجيحات إنما يصار إليها عند كون الدلالة ظنية، ولو كان هذا القول صادراً عن الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها، وبين أن لا يكون من أهلها وحينئذ لا يبق ى لهذا القيد أثر.

والثالث: أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا على من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاطة بها."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[يوسف: ٢٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من القائل﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" يوسف أعرض عن هذا أي : عن هذا الأمر واكتمه، ولا تتحدث به . وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف، ثم أقبل عليها وقال : واستغفري لذنبك، والظاهر أنّ المتكلم بهذا هو العزيز."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ المتكلم بهذا هو العزيز . وهو قو ل أكثر المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الماوردي :"﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ﴾ هذا قول الملك لزوجه ، وهو القائل ليوسف عليه السلام أعرض عن هذا."

وقال الواحدي :" قال لامرأته :توبي أنت من ذنبك ."

وقال البغوي :" ثم قال لامرأته: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ ﴾ أي: توبي إلى الله."

القول الثاني : إن المتكلم بهذا هو الشاهد. وهو قول الطبري والقرطبي[3].

قال الطبري:" وهذا فيما ذكر ابن عباس، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٧) (٥/ ٢٩٨).

٢ - الماوردي آية ٢٩، الواحدي (٢/ ٦٠٩)، البغوي آية ٢٩، الزمخشري (٢/ ٣١٢)، ابن عطية (٣/ ٢٣٦)، النسفي (٢/ ٣١٣)،ابن جزي (٢/ ٢١٦)،الخازن آية ٢٩،ابن كثير (٤/ ٣٢٩)،البقاعي (٤/ ٣١)، الجلالين آية٢٩،الشوكاني (٣/ ١٦)،الألوسي(٢١/ ٤).

٣ - الطبري في جامع البيان (١٢/ ١١٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٧٢).

الشاهد أنه قال للمرأة ولـيوسف ﷺ."

وقال القرطبي- بعد ذكره للآية - :" القائل هذا هو الشاهد."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إنّ المتكلم بهذا هو العزيز، فهو ظاهر.
- وأما القول إن المتكلم بهذا هو الشاهد فهو بعيد لقرينة مكانة صاحب القضية.

الترجيح:

يترجح القول الأول وهو إن القائل هو العزيز زوج المرأة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لعظم الحدث ومكانة الأشخاص الاجتماعيه فالشاهد أدى ما أمر به وليس من الحكمة بمكان أن يوجه أي عبارة إلى زوج العزيز أو إلى يوسف ﷺ فهو يعرف حدود الأمر المطلوب .

٢. دلالة السياق في القصة قال تعالى﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾[يوسف: ٢٥].فالزوج هو أول من عرف الحد ث وهو السيد والزوج وهو الآمر والناهي.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾[يوسف: ٣١].

في الآية أربع مسائل:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الضمير يعود على النسوة و هن خمس : امرأة خبازة ، وامرأة ساقيه، وامرأة بوابه ، وامرأة صاحب دوابه،و امرأة سجانه،ذكره بعض المفسرين.[2]

قال الماوردي :" كن أربعاً : امرأة الحاجب وامرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة القهرمان. قال مقاتل: وامرأة صاحب السجن."

وقال البغوي :" وقلن - وهنّ خمس نسوة : امرأة حاجب الملك وامرأة صاحب الدواب وامرأة الخباز وامرأة ا لساقي وامرأة صاحب السجن قاله مقاتل."

وقال القرطبي:" وذلك أن القصة انتشرت في أهل مصر فتحدّث النساء . قيل: امرأة ساقي العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢١٩) (٥/ ٣٠١).

٢ - الماوردي والبغوي آية ٣٠ ، القرطبي (٩/ ١٧٥)،البيضاوي(٣/ ٢٨٤)،النسفي (٢/ ٣١٣).

سجنه. وقيل: امرأة الحاجب؛ عن ابن عباس وغيره."

القول الثاني : إن الضمير يعود على النسوة القائلة ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[يوسف: ٣٠] قاله قتادة ؛ وأشار إليه كثير من المفسرين،[1] واختاره أبوحيان .

قال الطبري :"..... عن قتادة[2]، قوله:﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ ﴾: أي بحديثهنّ، ﴿أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ يقول: أرسلت إلى النسوة اللاتي تحدّثن بشأنها وشأن يوسف."

وقال الألوسي :" والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على النسوة و هن خمس : امرأة خبازة ، وامرأة ساقيه، وامرأة بوابه ، وامرأة صاحب دوابه،وامرأة سجانه، فهو خاص.
- وأما القول : إن الضمير يعود على النسوة اللاتي قلن ما قلن في حق امرأة العزيز، فهو عام وهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على النسوة اللاتي قلن ما قلن في حق امرأة العزيز، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه ظاهر الآية.

٢. لموافقته لقاع دة الترجيح وهي :[لايجوز العدول عن ظاهر الآية إلا

١- الطبري (١١٩/١٢) ،البغوي آية ٣١،الزمخشري (٣١٦/٢)،ابن الجوزي (١٦٥/٤)، الرازي (٤٥٠/١٨)،البيضاوي (٢٨٤/٣)،النسفي (٣١٣/٢)،ابن جزي (٢١٧/٢)،الخازن آية٣١، ابن كثير (٣٢٩/٤)، االبقاعي (٢٣/٤).الألوسي(٦/٢١).

٢ – وسنده قال الطبري:" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة."

بدليل][1]

٣. لأنه قول عام يندرج تحته القول الأخر.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/١٣٧).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ ؟

قال أبو حيان :" ومعنى أكبرنه: أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع. ...وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي [1]، عن أبيه، عن جده : معناه حضن، وأنشد بعض الناس [2] حجة لهذا التأويل:

نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا [3]

قال ابن عطية : "وهذا قول ضعيف، والبيت مصنوع مختلق، كذلك قال الطبري وغيره من المحققين ، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمة الله" [4] ...." [5]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن معنى أكبرنه : أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع.

وهو قول مجاهد وقتادة والسدي ؛ وبه قال أكثر المفسرين، [6] واختاره

---

١ – عبد الصمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو محمد، الهاشمي، العباسي، الأمير ، عم السفاح والمنصور، توفي سنة ١٨٥هـ. تاريخ بغداد (١١/ ٣٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٢٩)، شذرات الذهب (١/ ٣٠٧).

٢ – في المطبوع (النساء).

٣ – لا يعرف قائله وهو في التهذيب (١٠/ ٢١١)،واللسان (٥/ ٣٨٠٨)مادة (كبر).وذكره المفسرون.

٤ – المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٧).

٥ – البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٠) (٥/ ٣٠٢).

٦ – الفراء (٢/ ٤٢)، الطبري (١٢/ ١١٩)،الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٠)،البغوي آية ٣١، الزمخشري (٢/ ٣١٦)، ابن الجوزي (٤/ ١٦٥)،الرازي(١٨/ ٤٥٠)،القرطبي (٩/ ١٧٥)، البيضاوي (٣/ ٢٨٤)، النسفي (٢/ ٣١٣)، ابن جزي (٢/ ٢١٧)، الخازن آية٣١،ابن كثير (٤/ ٣٢٩)، االبقاعي (٤/ ٢٣)، أبي السعود (٤/ ٢٦٢).

أبو حيان[1] .

قال الفراء : " أعظمنه أن يكون بشرا."

وقال الطبري : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فلما رأين يوسف عليه السلام أعظمنه وأجللنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل."

وقال الواحدي:" أعظمنه وهالهن أمره وبهتن بالنظر إليه .."

القول الثاني : إن معنى أكبرنه :حضن ،وهو قول يروى عن ابن عباس .وقد ذكره المفسرون[2] عنه .

قال البغوي :" وقيل: أكبرنَه أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح."

وقال الزمخشري :" يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته : دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدّ الصغر إلى حدّ الكبر."

القول الثالث : إن معنى أكبرنه : وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً ، ذكره الماوردي[3] .

قال الماوردي :" معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إن معنى أكبرنه : أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع، فهو الظاهر.
- وأما القول إن معنى أكبرنه : حضن، فقد رده كثير من المفسرين وأهل

١- واختاره بدلالة نقله قول ابن عطية في تضعيف القول الثاني وسيأتي ظهور اختياره للقول الأول في المسألة التالية في هذه الآية .وانظر النهر الماد لأبي حيان (٥/ ٣٠١) بحاشية البحر .

٢- البغوي آية ٣١، الزمخشري (٢/ ٣١٦)، ابن الجوزي (٤/ ١٦٥)،الرازي(١٨/ ٤٥٠)، القرطبي (٩/ ١٧٥)، البيضاوي (٣/ ٢٨٤)،النسفي (٢/ ٣١٣)،ابن جزي (٢/ ٢١٧)،الخازن آية٣١ ،االبقاعي (٤/ ٢٣)، أبي السعود (٤/ ٢٦٢).

٣ - النكت والعيون آية ٣١ .ذكره عن ابن بحر.

اللغة وتأوله بعضهم على فرض صحة الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الطبري : " وهذا القول، أعنـي القول الذي رُوي عن عبد الصمد، عن أبـيه، عن جده، فـي معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ أنه حِضْنَ﴾، إن لم يكن عنى به أنهنّ حضن من إجلالهنّ يوسف وإعظامهنّ لما كان الله قسم له من البهاء والجمال، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايَنتهنّ إياه، فقول لا معنى له لأن تأوي ل ذلك: فلما رأين يوسف أكبرنه، فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف عليه السلام، ولا شكّ أنه من المحال أن يَحِضْن يوسف عليه السلام، ولكن الخبر إن كان صحيحاً عن ابن عباس على ما رُوي، فخليق أن يكون كان معناه فـي ذلك : أنهن حضن لما أكبرن من حُسن يوسف عليه السلام وجماله فـي أنفسهن ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك. وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده فـي أكبرن بـمعنى حضن، بـيتاً لا أحسب أن له أصلاً، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة، وذلك:

نَأْتِـي النِّسَاءَ على أطْهارِهِنّ وَلا نَأْتِي النّساءَ إذَا أكْبَرْنَ إكْبـارا."

وقال ابن الجوزي : " حضن، رواه الضحاك عن ابن عباس . وروى علي بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال : حضن من الفرح، قال : وفي ذلك يقول الشاعر:

نأتي النساء لدى أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

وقد روى هذا المعنى عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، ورده بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال : ليس في كلام العرب (أكبرن) بمعنى (حضن). ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمنه حضن [1]، وكذلك روي عن الزجاج[2] أنه أنكره."

---

١ - مجاز القرآن (٣٠٩/١).

٢ - قال الزجاج في معاني القرآن : " وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة . والهاء في (أكبرنه) تنفي =

- أما القول الثالث إن معنى أكبرنه: وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً يندرج في معنى القول الأول.

الترجيح:

يترجح القول إن معنى أكبرنه : أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأمور:

١. دلالة السياق فقد حصل ذهول النساء و تقطيع الأيدي من شدة جماله.
٢. لمناسبة المعنى في تفسير السياق القرآني فـ[كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة الآية وسياقها فهو رد على قائله .][1] وهذه قاعدة من قواعد الترجيح .
٣. قوة اللفظ في تفسير المعنى وإجماع المفسرين عليه .

والله تعالى أعلم

=
هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول : النساء قد حضرنه يا هذا لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول ." التهذيب (٧٣/٣).

١ - قواعد الترجيح (٣٦٣/٢).

المسألة الثالثة

ما نوع الهاء في قوله﴿أَكْبَرْنَهُ ﴾ وعلام تعود ؟

قال أبو حيان :" وإجماع القراء[1] على ضم الهاء في الوصل دليل على أنها ليست هاء السكت [2]، إذ لو كانت هاء السكت، وكان من أجرى الوصل مجرى الوقف، لم يضم الهاء. والظاهر أن الضمير يعود في أكبرنه على يوسف [و][3]إن ثبت أن أكبر بمعنى حاض، فتكون الهاء عائدة على المصدر أي : أكبرن الإكبار."[4]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الهاء هاء السكت، وهو قول بعض المفسرين.[5]

قال القرطبي:".. وأجاب الأزهري[6] فقال: يجوز أَكْبرت بمعنى حاضت؛ لأن المرأة إذا حاضت في الابتداء خرجت من حَيِّز الصغر إلى الكبر؛ قال : والهاء في (أَكْبَرْنَهُ) يجوز أن تكون هاء الوقف لا هاء الكناية..."

وقال أبو السعود :" وقيل: معنى أكبرْنَ حِضْن والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضْن لـه من شدة الشبَق ."

وقال الشوكاني :".. قال الأزهري: أكبرن بمعنى حضن، والهاء للسكت،

---

١ - النشر (١/٢٣٩).

٢ - السكت قطع الصوت زمنا هو دون زمن التوقف عادة من غير تنفس ... ولايجوز الوقف إلا على ساكن. إتحاف فضلاء البشر ص٨٥.

٣ - أضفتها للحاجة النص. وهي غير موجود في النسخ .

٤ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٢٠) (٥/٣٠٣).

٥ - القرطبي (٩/١٧٥)، أبي السعود (٤/٢٦٢)، الشوكاني (٣/ ٢٠).

٦ - محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، أبو منصور، له تهذيب اللغة، توفي سنة٣٧٠هـ. سير أعلام النبلاء(١٦/٣١٥)، شذرات الذهب(٣/ ٧٢).

يقال: أكبرت المرأة أي: دخلت في الكبر بالحيض، وقع منهنّ ذلك دهشاً وفزعاً لما شاهدنه من جماله الفائق، وحسنه الرائق."

القول الثاني : إن الهاء ليست هاء السكت وإنما ضمير للمصدر أو تعود على يوسف. وهو قول بعض المفسرين.[1] واختاره أبو حيان.

قال القرطبي – بعد ان ذكر قول الأزهري السابق -:" وهذا مزيّف، لأن هاء الوقف تسقط في الوصل، وأمثل منه قول ابن الأنباري : إن الهاء كناية عن مصدر الفعل، أي أكبرن إكباراً، بمعنى حِضْن حَيْضاً . وعلى قول ابن عباس الأول تعود الهاء إلى يوسف ﷺ؛ أي أعظمن يوسف ﷺ وأجْلَلْنه."

وقال البيضاوي :" والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف ﷺ على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق."

وقال الألوسي :" وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن معنى أكبرن حضن ...وكأنه إنما سمي الحيض إكباراً ل كون البلوغ يعرف به فكأنه يدخل الصغار سن الكبر فيكون في الأصل كناية أو مجازاً، والهاء على هذا إما ضمير المصدر فكأنه قيل: أكبرن إكباراً. وإما ضمير يوسف عليه السلام على أسقاط الجار أي حضن لأجله من شدّة شبقهن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الهاء هاء السكت فهو بعيد بدلالة المعنى.
- وأما القول : إن الهاء ليست هاء السكت وإنما تعود على يوسف، فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الهاء ليست هاء السكت وإنما ضمير للمصدر فهو مبني على قول ضعيف سبق بيان ذلك في المسألة السابقة.

---

١ – القرطبي (٩/١٧٥)، البيضاوي (٣/٢٨٤)، الألوسي (٣١/٦).

الترجيح:

يترجح القول إن الهاء ليست هاء السكت وإنما ضمير تعود على يوسف، أي أعظمن يوسف عليه السلام وأجْلَلْنه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لإجماع القراء على ضم الهاء في الوصل.

١. لدلالة المعنى الظاهر.

٢. لأن مقصد امرأة العزيز من ذلك هو أ ظهار شدة دهشة النسوة لرؤية يوسف.فهذادلالة الحال والواقع وهي قرينة تضاف إلى المعنى المطلوب.

والله تعالى أعلم

المسألة الرابعة

ما المراد بالأيدي في قوله ﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم . وقال عكرمة: الأيدي هنا الأكمام."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم .ذكره بعض المفسرين[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" إنهن حززن بالسكين في أيديهن .."

وقال ابن الجوزي :" حززن أيديهن، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاماً."

وقال النسفي :" ...وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن."

القول الثاني : إن الأيدي الأكمام، ذكره أبو حيان عن عكرمة ولم أجد أحدا من المفسرين فيما اطلعت عليه ذكره .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الحقيقة المتبادره.
- وأما القول الثاني فهو غير معروف .

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٢٠) (٣٠٣/٥).

٢ - الطبري (١١٩/١٢)،ابن الجوزي (١٦٥/٤)،االنسفي (٣١٣/٢)،ابن كثير (٣٢٩/٤)،البقاعي (٢٣/٤)،أبي السعود (٢٨٤/٣)،الشوكاني (٢٠/٣)،ابن عاشور (٢٦١/١٢)،

الترجيح:

يترجح القول الأول إنها هي الجوارح المعروفة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه [يجب حمل نصوص القرآن على الحقيقة .][1] وهي قاعدة ترجيحة مهمة، ولذا لا يشك اثنان في ذلك عند سماع اللفظ ولا يتبادر إلي الذهن غير ذلك .

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر].[2]

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح (٢/٣٨٧).

٢ - قواعد الترجيح (٢/٣٦٩).

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يوسف: ٣٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالآيات في قوله ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والآيات هي: الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام. قال مجاهد وغيره: قد القميص، فإن كان الشاهد طفلاً فهي آية عظيمة، وإن كان رجلاً فيكون استدلالاً بالعادة. والذي يظهر أنّ الآية إنما يعبر بها عن الواضح الجلي، و جمعها يدل على ظهور أمور واضحة دلت على براءته، وقد تكون الآيات التي رأوها لم ينص على جميعها في القرآن، بل رأوا قول الشاهد . وقد القميص وغير ذلك مما لم يذكره . وأما ما ذكر عكرمة أن من الآيات خمش وجهها، والسدي من حز أيديهن، فليس في ذلك دلالة على البراءة فلا يكو ن آية."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الآيات هي : كل علامة واضحة دلت على براءة يوسف عليه السلام، وهو قول بعض المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي :" يعني آيات براءة يوسف عليه السلام."

وقال ابن جزي :"أي الأدلة على براءته ."

وقال ابن كثير :" ثم ظهر له م من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى حين، أي إلى مدة، وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات، وهي الأدلة

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٣) (٥/ ٣٠٧).

٢ - الواحدي في الوسيط (٢/ ٦١٢)، ابن جزي (٢/ ٢١٨)، ابن كثير (٤/ ٣٣١)، الجلالين آية٣٥.

على صدقه في عفته ونزاهته."

القول الثاني : إن الآيات هي : المذكوره في السورة ، وهو قول كثير من المفسرين [1]. واختلفوا فيها فذكروا منها : قول الشاهد ، قد القميص ،خمش الوجه ، حزالأيدي ، ذهاب عقولهن ، قول العزيز إن كيدكن عظيم ،جماله وعفته، صدق يوسف .

قال الطبري :" ورأوا أن يسجُنوه مِنْ بَعْ دِ ما رَأَوُا الآياتِ ببراءته مما قدفته به امرأة العزيز. وتلك الآيات كانت: قَدّ القميص من دُبر، وخمشا فـي الوجه، وقطع أيديهن."وذكر جماعة من السلف ذكروها كابن عباس ومجاهد وقتادة .

وقال الماوردي :" قدُّ القميص وحز الأيدي...و... ما ظهر لهم من عفته وجماله."

وقال البغوي :"﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ الدالة على براءة يوسف عليه السلام من قَدِّ القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الآيات هي : كل علامة واضحة دلت على براءة يوسف عليه السلام فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني فإنه يندرج في القول الأول؛ ويستثنى مما ذكروه ما لا يدل على أنه آية لبراءة يوسف عليه السلام مثل خمش الوجه وقطع اليد وقول العزيز وذهاب العقول وجماله وعفنه.

الترجيح:

يترجح القول إن الآيات هي : كل علامة واضحة دلت على براءة يوسف

---

١ - الطبري (١٢/١٢٥)، الماوردي والبغوي آية ٣٥، ابن عطية (٤/٣٦)،ابن الجوزي (٤/١٦٩)، الرازي (١٨/٤٥٥)، القرطبي (٩/١٨٦)،البيضاوي (٣/٢٨٧)، النسفي (٢/٣١٧)،الخازن آية ٣٥، البقاعي (٤/٣٦)، الشوكاني (٣/٢٤).

عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص][1] وهي قاعدة مهمة، "فإذا اختلفت أقوال المفسرين في تفسير آية من كتاب الله تعالى فمنهم من يحملها على عموم ألفاظها، ومنه م من يخصصها ويقصرها على بعض أفراد العموم، فالصواب هو حملها على العموم، ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلّي عام يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها –من قبيل التفسير بالمثال ،أو بالجزء ،أو بالثمرة ،أو بنحو ذلك –ولا معارض له ،وتشهد الأدلة لصحته ،فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم ألفاظها ،ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتما ،أو يقوم الدليل على ذلك "[2].

٣. لدلالة الحال فلا بد من وجود دليل أو أكثر محسوس لمعرفة الحقيقة.

والله تعالى أعلم

١– قواعد الترجيح (٢/٥٢٧).

٢ – انظر التدبر الأمثل ص٥٩ .بتصرف يسير .

قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يوسف: ٣٦].

في الآية مسألة واحدة وهي :

هل (أعصر عنباً) و (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) تفسيرا أم قراءة ؟

قال أبو حيان :" وقرأ أبي وعبد الله :(أعصر عنباً)، وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لمخالفته سواد المصحف، وللثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمراً....وفي مصحف عبد الله:(فوق رأسي ثريداً تأكل الطير م نه)، وهو أيضاً تفسير لا قراءة."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن (أَعْصِرُ عنبا) و (أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي ثريدا) تفسير لا قراءة، وهو قول جماعة من المفسرين [2] دون الإشارة إلي ما ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه. واختاره أبو حيان وابن عادل.

قال الماوردي :" وقوله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ ﴾[3] أي عنباً ..."

وقال البغوي :"﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾ وهو صاحب الشراب ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ ﴾ أي: عنباً سمي العنب خمراً باسم ما يؤول إليه ..... ﴿وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ ﴾ وهو

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٤) (٥/٣٠٨).

٢ - الماودي والبغوي آية ٣٦،ابن الجوزي (٤/ ١٧٠)،الرازي (١٨/ ٤٥٥)،البيضاوي (٣/٣٨٧)، النسفي (٢/٣١٧)، الخازن آية ٣٦، ابن كثير (٤/٣٣٢)،البقاعي (٤/ ٣٦)،الشوكاني (٣/ ٢٤).

٣ - " هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة ﴿إني أراني أعصر خمرا ﴾ وذلك أن المعصور حينئذ هو العنب، فسماه خمرا لما يصير إليه من بعد حكاية لحاله المستأنفة." قاله ابن جني في المحتسب (٢/ ١٥).

الخباز: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾ وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأ سي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه."

وقال ابن عادل :" وقراءة أبيّ ﷺ ، وعبدالله ﷺ: (أعْصِرُ عِنَباً) ، لا تدلُّ على الترادف؛ لإرادتهما التفسير ، لا التلاوة، وهذا كما في مصحف عبدالله ﷺ : (فَوْقَ رأسِي ثَرِيداً) ، فإنه اراد التّفسيرَ فقط."

القول الثاني : إن (أعصر عنبا) و (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) قراءة. وهو قول بعض المفسرين[1] .

قال الطبري :" وعني بقوله:﴿ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ أي إني أرى في نومي أني أعصر عنبً وكذلك ذلك في قراءة ابن مسعود ﷺ".

وقال الزمخشري :" ﴿ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ يعني عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه... وفي قراءة ابن مسعود ﷺ(أعصر عنباً)."

وقال ابن عطية :" وفي قراءة أبي بن كعب ﷺ وعبد الله بن مسعود ﷺ (إني أراني أعصر عنباً)".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن (أَعْصِرُ عنبا) و (أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي ثريدا) تفسير لا قراءة، وذلك حسب القواعد التي ذكرها العلماء في شروط القراءة وسيأتي بيانه.
- وأما القول إن (أَعْصِرُ عنبا) و (أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي ثريدا) قراءة، فهي قراءة شاذة .

---

١ - الطبري (١٢/١٢٦)،والزمخشري (٢/٣١٩)،وابن عطية (٣/٢٤٢)،القرطبي (٩/١٨٨).وقد ذكروا قراءة (أعصر عنبا) فقط .

الترجيح:

يترجح القول إن قوله(أعصر عنبا) وقوله(فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) تفسير لا قراءة . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأن العلماء اشترطوا لصحة القراءة وثبوتها أن يتوفر فيها ثلاثة أركان:

١. صحة السند[1] .

٢. موافقة أحد المصاحف ولو احتمالا .

٣. موافقة العربية ولو بوجه .

فمتى اختل ركن من أركان القراءة الصحيحة وصفت القراءة بالشذوذ[2] .

قال أبو عبيد - بعد أن ذكر بعضا من القراءات الشاذة المروية عن الصحابة :"فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة،قد صارت مفسرة للقرآن ،وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير ،فيستحسن ذلك ،فكيف إذا روى لباب أصحاب محمد ﷺ ،ثم صار في نفس ال قراءة،فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل على أنها من العلم الذي لايعرف العامة فضله ،إنما يعرف ذلك العلماء ."[3]

والله تعالى أعلم

---

١ - ويقصد به :أن يروي القراءة العدل الضابط عن مثله كذلك حتى تنتهي ،وتكون مع ذلك مما عرف واشتهر عند أئمة الشأن الضابطين له ، غير معدود عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم . النشر (١/ ١٣).

٢ - انظر الإبانه لمكي ص٣٩ ،والنشر (١/ ١٤)،والقراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي ص٧.

٣ - فضائل القرآن ص٩٥.

قال تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٌ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ ﴾[يوسف: ٣٧].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أن قوله لا يأتيكما إلى آخره، أنه في اليقظة."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة . قاله ابن جريج وهو قول بعض المفسرين[2] واختاره أبو حيان .

قال الزمخشري :" لما استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول : اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما."

وقال النسفي :"... وإنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك."

وقال البقاعي :"﴿ لَا يَأۡتِيكُمَا ﴾ أي في اليقظة."

القول الثاني : المراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام . قاله السدي وابن

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٥) (٥/٣٠٧).

٢ - الزمخشري (٢/٣٢٠)،النسفي (٢/٣١٨)،البقاعي (٤/٣٦)،أبي السعود (٤/٢٧٤)،ابن عاشور (١٢/٢٧٠).

إسحاق وهو قول بعض من المفسرين[1] .

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: قالَ يوسف للفتيين الذين استعبراه الرؤيا: لا يَأْتِيكُما أيها الفتيان في منامكما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إلاَّ نَبَّأْتُكُما بتأْوِيلِهِ فـي يقظتكما قَبْلَ أنْ يَأْتِـيَكُما."

وقال ابن كثير:" يخبرهما يوسف عليه السلام أنهما مهما رأيا في المنام من حلم فإنه عارف بتفسيره يخبرهما بتأويله قبل وقوعه، ولهذا قال : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾. ومجاهد: يقول ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في نومكما ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ﴾ ، وكذا قال السدي."

وقال الجلالان :"﴿ قَالَ ﴾ لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ في منامكما ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ في اليقظة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن المراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة فما جاء في اليقظة هو مترتب على ما جاء في الرؤي ا، وما أتي في اليقظة حقيقة وواقع مشاهد وملموس لا يحتاج إلى تأويل.
- وأما القول : المراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام فهو الظاهر، وعبر عنه بالإتيان دلالة ع لى صدق التأويل وأنه سيتحقق في الواقع كما شاهداه، لأن هذا التأويل مما علمه الله إياه وليس اجتهادا.

وفي كثير من الأحوال يرى الإنسان رؤيا كأنها واقع في اليقظه، فيستيقظ يظنها حقيقة من وضوح ما يرى، وقد تحقق له كما رأها.

---

١ -الطبري (١٢٨/١٢)،ابن كثير (٣٣٢/٤).الجلالين آية ٣٧.

الترجيح:

يترجح إن المراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام وذلك:

١. لدلالة السياق لأن كلا الرجلين رأى في المنام رؤيا فالأول رأى أنه يعصر خمراً والثاني رأى أنه يحمل خبزا وفسره يوسف عليه السلام لهما .

٢. أن الأمر الذي يحتاج إلي تأويل هو الرؤى وليست الأمور التي في اليقظة فيوسف عليه السلام ظاهر أخباره لهما أن الله علمه التأويل .وهو سبب نجاته من السجن

٣. يقين يوسف بتحقق الرؤيا عبر عنه بلفظ يدل على أنها واقع حقيقي لا رؤيا ولعل هذا يعد أسلوبا من أساليب البلاغة القرآنية.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[يوسف: ٤٢].

في الآية أربعة مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالظنّ في قوله ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير عائد على الذي وهو الساقي أي : لما أخبره يوسف عليه السلام بما أخبره، ترجح عنده أنه ينجو، ويبعد أن يكون الظن على بابه، ويكون مسنداً إلى يوسف عليه السلام على ما ذهب إليه قتادة والزمخشري."[١]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الظنّ هو اليقين قاله مجاهد وهو قول جماعة من المفسرين،[٢] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :"يقول تعالى ذكره : قال يوسف عليه السلام للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾".

وقال الواحدي :"﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ أي أيقن وعلم وهو الساقي .

وقال البغوي :" ﴿وَقَالَ ﴾ يعني: يوسف عليه السلام عند ذلك ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ ﴾ أي: علم ﴿ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ وهو الساقي ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾".

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٦) (٥/ ٣١٠).

٢ - الطبري (١٢/ ١٣١)،الواحدي (٢/ ٦١٤)،البغوي آية ٤٢،ابن عطية (٣/ ٢٤٥)،القرطبي (٩/ ١٩٤)، الخازن آية ٤٢،البقاعي (٤/ ٤٣)،الجلالين آية ٤٢،أبي السعو د(٤/ ٢٧٤)،الشوكاني (٣/ ٢٨)، االألوسي (١٢/ ٢٤٧)ط دار الفكر .وذكر الماوردي آية ٤٢،وابن الجوزي (٤/ ١٧٤)، والرازي (١٨/ ٤٦٣)القولين .

القول الثاني : إن الظن على بابه الذي هو خلاف اليقين . قاله قتادة وهو قول بعض المفسرين .

قال الزمخشري :" الظانّ هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد . وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي، أويكون الظنّ بمعنى اليقين."

وقال النسفي :" الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين."

وقال البيضاوي :" الظان يوسف عليه السلام إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الظنّ هو اليقين، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الظن هو خلاف اليقين فهو بعيد ، لأن يوسف عليه السلام اخبر الناجي بنجاته بوحي من الله في تعليمه تفسير الرؤى ، فهو على يقين من نجاته وخروجه من السجن.

الترجيح:

يترجح القول إن الظنّ هو اليقين والعلم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق، سواء أكان الظان يوسف عليه السلام وهو الارجح قال تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[يوسف: ٣٧]. فكيف يكون ظنه خلاف اليقين مادام أن التأويل مماعلمه الله وخصه به .

أم كان الظان هو الساقي قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ

نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يوسف: ٣٦].وقد وثقا به فهو عندهما من المحسنين فكيف يظن به خلاف اليقين .

قال الطبري :" وهذا الذي قاله قتادة من أن عِبارة الرؤيا ظنّ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء . فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها لم يؤمن مثل ذلك في كلّ أخبارها، وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حقّ وصدق . فمعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف عليه السلام لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ ﴾ ثم يؤكد ذلك بقوله:﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ عند قولهما: لم نر شيئاً ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه أنه كائن لا محالة لا شكّ فيه، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهما : ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾. فبيّنٌ إذن بذلك فساد القول الذي قاله قتادة في معنى قوله : ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾."

وقال ابن عطية :" وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ ﴾ الآية. " الظن " هاهنا – بمعنى اليقين، لأن ما تقدم من قوله : ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ يلزم ذلك، وهو يقين فيما لم يخرج بعد إلى الوجود : وقال قتادة: " الظن " – هنا – على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن.

قال القاضي أبو محمد–(ابن عطية)–: وقول يوسف عليه السلام: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ دل

على وحي ولا يترتب قول قتادة إلا بأن يكون معنى قوله ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي قضي كلامي وقلت ما عندي وتم، والله أعلم بما يكون بعد."

وقال القرطبي :" (ظن) هنا بمعنى أيقن، في قول أكثر المفسرين وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين؛ قال: إنما ظنّ يوسف نجاته لأن العابر يظن ظنًا وربك يخلق ما يشاء؛ والأوّل أصح وأشبه بحال الأنبياء وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظنا في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء، فإن حكمهم حق كيفما وقع."

وأيضا فإن تفسير الظنّ بمعنى اليقين موافق لقاعدتي الترجيح[1] وهما:

١.[القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينس ب لها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية] ٢.[كل قول طعن في عصمة النبوة ومقا م الرسالة فهو مردود]. وهذا مما فهم من كلام العلماء السابق ذكره .

وقال الألوسي :"والظان هو يوسف عليه السلام ...وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[البقرة: ٤٦] ونظائره."

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح(٣٢٨/١).

المسألة الثانيه

لم قال يوسف ﷺ ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾؟

قال أبو حيان :" والذي أختاره أن يوسف ﷺ إنما قال لساقي الم لك: اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله، كما توصل إلى إيضاح الحق للساقي ورفيقه."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: اذكرني عند الملك أي : بعلمي ومكانتي وما أنا عليه مما آتاني الله. وهوقول ابن عطية والشوكاني.[2]

قال ابن عطية :" ومعنى الآية: قال يوسف ﷺ لساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك ﴿ ٱذْكُرْنِى ﴾ عند الملك، فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته ، ويحتمل أن يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق ، أو يذكره بهما."

وقال الشوكاني :" أمره بأن يذكره عند سيده ويصفه بم ا شاهده منه من جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب."

القول الثاني: اذكرني بمظلمتي وما امتحنت به بغير حق.قاله ابن إسحاق .وهو قول كثير من المفسرين [3].

قال الطبري :" اذكرني عند سيدك، وأخبره بمظلمتي وأني محبوس بغير جرم."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٦) (٥/ ٣١٠).

٢ - ابن عطية في المحرر الوجيز(٣/ ٢٤٥)،والشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٨).

٣ - الطبري (١٢/ ١٣١)،الواحدي (٢/ ٦١٤)،البغوي آية ٤٢،الرازي (١٨/ ٤٦٣)، القرطبي (٩/ ١٩٤)، البيضاوي(٣/ ٢٨٩)، النسفي(٢/ ٣٢٠)، الخازن آية٤٢، ابن كثير (٤/ ٣٣٤)، البقاعي (٤/ ٤٣)، أبي السعود(٤/ ٢٧٤).

وقال الواحدي :"اذكرني عند ربك أي عند الملك صاحبك وقل له :إن في السجن غلاما محبوسا ظلما ."

وقال البغوي :" قل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً طال حبسه."

القول الثالث : اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله . واختاره أبو حيان .وتفرد به .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكر من المعاني التي ذكرها المفسرون محتمله إلا أنها متفاوته حسب الأهمية.

الترجيح:

كل المعاني المذكورة داعية لطلب ذكره عند الملك إلا أن ذكر مظلمة شاب سجن ظلما وزورا ومكيدة ومن ثم طلب البراءة مقدم أولا:

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[يوسف: ٥٠].

ثم إنه مع رسوخه في العلم وتحليه بخلق جم دل عليه . كل هذه الأمور مجتمعة من دواعي إعادة النظر في كيفية دخوله إلى السجن مع وجود هدف سام يحركه ويدفعه ألا وهو الدعوة إلى الواحد الأحد.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والضمير في فأنساه عائد على الساقي، ومعنى ذكر ربه : ذكر يوسف عليه السلام لربه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة . وإنساء الشيطان له بما يوسوس إليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف عليه السلام، لما أراد ا لله بيوسف عليه السلام من إجر إلى أجر[1] بطول مقامه في السجن .... وقيل: الضمير في أنساه عائد على يوسف عليه السلام. ورتبوا في ذلك أخباراً لا يليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام."[2]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير في فأنساه عائد على الساقي ، قاله مجاهد وابن إسحاق وغيره .وهو قول بعض من المفسرين.[3]واختاره أبو حيان.

قال البغوي :" أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عليه السلام للملك تقديره : فأنساه الشيطان ذكره لربه."

وقال ابن كثير :" عائد على الناجي، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد."

وقال البقاعي :" ﴿فَأَنسَـٰهُ﴾ أي الساقي ﴿ٱلشَّيۡطَـٰنُ﴾ أي البعيد من الرحمة المحترق باللعنه ﴿ذِكۡرَ﴾ يوسف عليه السلام عند ﴿رَبِّهِۦ﴾ أي بسبب اعتماده عليه في ذلك."

---

١ - في المطبوع: (من إجزال أجره).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٦) (٥/ ٣١٠).ووجه اختيار رده للقول الآخر لتعظيم مقام النبوة .

٣ - البغوي آية ٤٢،ابن كثير (٤/ ٣٣٤)،البقاعي (٤/ ٤٣)،أبي السعود(٤/ ٢٧٤).وكثير منهم ذكر القولين من غير ترجيح

القول الثاني: إن الضمير في فأنساه عائد على يوسف عليه السلام؛وهو قول جماعة من المفسرين[1].

قال الطبري :" وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف عليه السلام من قِبَل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بـما هو فيه خلاصه، ولكنه زلّ بها، فأطال من أجلها فـي السجن حَبسه وأوجع لها عقوبته..... عن ابن عباس [2]، قال: قال النبيّ ﷺ: ((**لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوسُفُ**)) يعني الكلمة التي قال: ((**ما لَبِثَ فـي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ**)) يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله ......- و- عن الحسن، قال: قال نبيّ الله ﷺ: ((**رَحِمَ اللّهُ يُوسُفَ لَوْلا كَلِمَتُهُ ما لَبِثَ فـِي السّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ**))[3]، يعني قوله : ﴿اذْكُرْنِي عِنـدَ رَبِّكَ ﴾. قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمر

١- الطبري (١٢/١٣١)، الماوردي آية ٤٢،وكذا الواحدي في الوسيط (٢/٦١٤)،والزمخشري (٢/٣٢١)، ابن عطية (٣/٢٤٥)،ابن الجوزي(٤/١٧٤)،الرازي (١٨/٤٦٣)،القرطبي (٩/١٩٤)، البيضاوي (٢/٤٦)، النسفي (٢/٣٢٠)،ابن جزي (٢/٢١٩)،الخازن آية ٤٢،الشوكاني (٣/٢٨)، ابن عاشور (١٢/٢٧٨).

٢ – وسنده قال :" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو بن مـحمد، عن إبراهيـم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس." قال محمود شاكر: فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً." جامع البيان (١٦/١١٢).

وقال ابن كثير:" ويقال: إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة وغيرهم، وأسند ابن جرير ههنا حديثاً فقال : حدثنا ابن وكيع، حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، قال : قال النبي ﷺ: ((**لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله**))، وهذا الحديث ضعيف جداً، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضاً. وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاًعن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم." التفسير(٤/٣٣٤).

٣- وهذا الأثر مر سل لا حجة فيه . قاله محمود شاكر محقق تفسير الطبري (١٦/١١٢).

فزعنا إلى الناس."

وقال الماوردي:" إن يوسف عليه السلام أنساه الشيطان ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه. روى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**رحم الله يوسف عليه السلام لولا الكلمة التي قال : اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث))**[1]."

وقال الواحدي :" قال مجاهد أنسى الشيطان يوسف عليه السلام الاستعانة بربه وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك فعوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وهذا قول ابن عباس .."ثم ذكر القول الآخر .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في فأنساه عائد على الساقي فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني فإنه ضعيف لضعف دليله وما يترتب عليه نسبته في حق نبي الله يوسف عليه السلام .

وأما الاستدلال بحديث أبي هريرة فلا دلالة فيه على نسبة النسيان إلى يوسف وكذا أنه يجوز الاستعانة بالناس في دفع الظلم لاسيما من ولاة الأمور بحسب مكانتهم .

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الساقي، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

١- أخرجه ابن حبان ر قم (٦٢٠٦)،وابن أبي حاتم (٢١٤٨/٧)رقم (١١٦٣٤).وسنده قال:" حدثنا أبي ، ثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد الله، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال .." وذكره اليهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٠)وقال:" رواه أحمد – حديث رقم(٨٥٦٢)- وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث."

قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: ٤٥] فهنا وصفان:

١. الذي نجا منهما .وهو الساقي .

٢. تذكر بعد مدة من الزمن؛ ولا يتذكر إلا من نسى؛ وهو الساقي .

ويضاف إلى دلالة السياق أمر آخر وهو ضعف القول الثاني.

قال ابن تيمية :" بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه ،وهذا هو الصواب ،فإنه مطابق لقوله ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ قال تعالى﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ والضمير يعود إلى القريب ،إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك ، ولأن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه ؛بل كان ذاكراً لربه. وقد دعاهما قبل تعبير الرؤيا على الإيمان بربه وقال لهما ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠]. وقال لهما قبل ذلك : ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ أي في الرؤيا ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ﴾ يعني التأويل ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف: ٣٧ - ٣٨]. فهذا يذكر ربه عز وجل ، فإن هذا مما علمه ربه ،لأنه ترك ملة قوم مشركين لايؤمنون بالله ......ثم بعد ذلك عبرالرؤيا ...ثم لما قضى تأويل الرؤيا : ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف عليه السلام

ذكر ربه ؟وإنما أنسى الشيط ان الناجي ذكر ربه .أي الذكر المضاف إلى ربه والمنسوب إليه ،وهو أن يذكر عنده يوسف عليه السلام ..."[1]

والله تعالى أعلم

١ - التفسير الكبير (٥/ ٥٥ -٥٧)، باختصار.

المسألة الرابعة

ما المراد بقوله ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إن قوله: فلبث في السجن، إخبار عن مدّة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج. وقيل: هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتيين."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد لبث مدّة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج .
وانفرد أبو حيان بهذا القول؛ فيما اطلعت عليه .

القول الثاني : المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين قاله ابن إسحاق. وهو قول جماعة من المفسرين[2] .

قال الطبري :" فلبث يوسف عليه السلام في السجن لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل: اذكرني عند سيدك بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك."

وقال الماوردي :" قال ابن عباس رضي الله عنه : عوقب يوسف عليه السلام بطول السجن بضع سنين لما قال للذي نجا من هما اذكرني عند ربك ، ولو ذكر يوسف عليه السلام ربه لخلصه."

وقال ابن عطية :" والذي روي في هذه الآية أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين ثم نزلت له قصة الفتيين وعوقب على قوله ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ بالبقاء في السجن سبع سنين، فكانت مدة سجنه اثنتي عشرة سنة."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٦) (٥/ ٣١٠).

٢- الطبري (١٢/ ١٣١)،الماوردي آيه ٤٢،ابن عطية (٣/ ٢٤٥)،الرازي(١٨/ ٤٦٣)، القرطبي (٩/ ١٩٤)، البيضاوي (٣/ ٢٨٩)، ابن جزي (٢/ ٢٢٠)،الخازن آية ٤٢،البقاعي (٤/ ٤٣)،أبي السعود (٤/ ٢٧٤).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد لبث مدّة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج فهو بعيد لعدم الدلالة عليه.
- وأما القول إن المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين، فهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين، وذلك :

١. لأنه المتبادر إلى الذهن بالتعبير بالفاء في قوله ﴿ فَلَبِثَ ﴾.

٢. لأنه قول جميع المفسرين ماعدا أبي حيان فيما اطلعت عليه، وهذا يشبه الإجماع إن لم يكن إجماعا بالفعل، والقول المعتمد على الإجماع مقدم على غيره.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٤]

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام أي : لسنا من أهل تعبير الرؤيا. ويجوز أن تكون الأحلام المنفي علمها أرادوا بها الموصوفة بالتخليط والأباطيل أي : وما نحن بتأويل الأحلام التي هي أضغاث بعالمين أي: لا يتعلق علم لنا بتأويل تلك، لأنه لا تأويل لها إنما التأويل للمنام الصحيح، فلا يكون في ذلك نفي للعلم بتأويل المنام الصحيح، ولا تصور علمهم."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام التي هي أضغاث. وهو قول جماعة من المفسرين.[2]

قال الطبري :" وما نحن بما تئول إليه الأحلام الكاذبة بعالِمين ... لأن معنى الكلام: ليس هذه الرؤيا بشيء إنما هي أضغاث أحلام."

وقال الواحدي :" أحلامٌ مختلطةٌ لا تأويل لها عندنا."

وقال ابن الجوزي :" ليس للرؤيا المخلتطة عندنا تأويل."

القول الثاني : إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا، وهو قول الزمخشري

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٢٧) (٥/ ٣١١).

٢- الطبري (١٢/ ١٣٤)،الواحدي في الوجيز آية ٤٤،ابن الجوزي (٤/ ١٧٥)، الرازي (١٨/ ٤٦٤)، البيضاوي (٢/ ٢٩١)،النسفي (٢/ ٣٢١)،ابن جزي (٢/ ٢٢٠)،ابن كثير (٤/ ١٣٤)، أبي السعود (٤/ ٢٧٤)، ابن عاشور (١٢/ ٢٧٩).

والقرطبي.[1] واختاره أبو حيان .

قال الزمخشري : " .... وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير."

وقال القرطبي : " نفوا عن أنفسهم علم التعبير . والأضغاث على هذا الجماعات من الرؤيا التي منها صحيحة ومنها باطلة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام التي هي أضغاث فمحتمل.
- وأما القول إ نهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا فهو ظاهر، وأقوى .

الترجيح:

يترجح القول إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤى جملة واحدة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه والدليل على ذلك :

١. دلالة السياق من وجهين :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[يوسف: ٤٣] ، فكان الرد المباشر منهم كما قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[يوسف: ٤٤].ولو كان عندهم أدنى علم لذكروا ذلك .

- قول الساقي:﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ فعلم أن القوم عجزوا عن التأويل،

---

١ - الزمخشري ٠٢/٣٢٣)، القرطبي (٩/٢٠٠).

لا أنهم ادّعوا ألاّ تأويل لها.

٢. خوفهم من الملك فلو ادعوا التفسير وقال بما علموه وكان الواقع غير ذلك لعاقبهم عليه عقابا شديدا .

٣. لطف الله بيوسف عليه السلام أن عرض الملك الرؤيا عليهم فظهر جهلهم فلما عبرها يوسف وقعت عنده موقعا عظيما فعلم تفرده بعلم تفسير الرؤى.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[يوسف: ٤٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المقصود بقوله﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر أن قوله: تزرعون سبع سنين دأباً خبر، أخبر أنهم تتوالى لهم هذه السنون لا ينقطع فيها زرعهم للريّ الذي يوجد."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المقصود أن يوسف عليه السلام أخبرهم أنه تتوالى لهم هذه السنون لا ينقطع فيها زرعهم. وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" يقول: تزرعون هذه السبع السنين، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى . والدّأب: العادة."

وقال الماوردي :" قوله عز وجل : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

وقال القرطبي:" أي متوالية متتابعة."

القول الثاني : المقصود أن يوسف عليه السلام أمرهم بالزراعة مدة سبع سنين، وهو قول الواحدي والماوردي والجلالان[3] .

قال الواحدي :"﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ ﴾ أَيْ: ازرعوا ﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ متتابعةً."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٢٨) (٥/٣١٤).

٢- الطبري (١٢/١٣٦)،الماوردي آية ٤٧،القرطبي (٩/٢٠٢)البيضاوي (٣/٢٩٢)،ابن كثير (٤/٣٣٥)، أبي السعود (٤/٢٧٤)ابن عاشور (١٢/٢٨٦).

٣ - الواحدي في الوجيز والماوردي آية٤٧ والجلالان في التفسير آية ٤٧.

وقال الماوردي :" الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة."

وقال الجلالان :" ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ ﴾ أي ازرعوا ﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ متتابعة وهي تأويل السبع السمان ."

القول الثالث : المقصود به خبر في معنى الأمر . وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال الزمخشري :" ﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ خبر في معنى الأمر، كقوله: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ ﴾[الصف: ١١] وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد، فهو يخبر عنه . والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾."

وقال الرازي :" اعلم أنه عليه السلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال: ﴿تَزْرَعُونَ﴾ وهو خبر بمعنى الأمر، كقوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[البقرة: ٢٢٨] ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾[البقرة: ٢٣٣] وإنما يخرج الخبر بمعنى الأمر، ويخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في الإيجاب، فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ ."

وقال النسفي :" محنتك ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف:٤٧] هو خبر في معنى الأمر كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾[النساء: ٥٩] .."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول فهو الأقرب للصواب.
- وأما القول الثاني ففيه نظر لأن يوسف عليه السلام في مقام تأويل رؤيا ولم

١ - الزمخشري (٣٢٤/٢)،الرازي(٤٦٦/١٨)،النسفي(٣٢٢/٢)،الخازن آية ٤٧،البقاعي (٥١/٤). وابن عطية ذكر الأقوال الثلاثة (٢٤٩/٣).

يمكن من منصب بله لم يخرج من السجن .

- أما القول الثالث جمع بين القولين الأول والثاني .

الترجيح:

يترجح القول إن المقصود هو إخبارهم أنه تمر عليهم سبع سنين يزرعون فيها، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأن المطلوب م ن يوسف عليه السلام تأويل الرؤيا ومن في منزلته ومكانته يعرف حق المعرفة ماهو المطلوب منه؛ ولا يستسي غ العاقل أن يصدر كلامه بأمر وهو ليس في مقام إصدار الأمر .

٢. دلالة السياق.

قال ابن جزي :"هذا تعبير للرؤيا وذلك أنه عبرالبقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة إذا داوم عليه ... فما حصدتم فذروه في سنبله هذا رأى أرشدهم يوسف عليه السلام إليه ."[1]

والله تعالى أعلم

١ - التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢١).

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ ﴾[يوسف: ٥٠].

في الآية مسألة واحدة هي:

من المراد بالرب في قوله ﴿ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" إن ربي أي: إن الله بكيدهنّ عليم. أراد أن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد عوده، واستشهد بعلم الله على أنهن كدنه، وأنه بريء مما قذف به. أو أراد الوعيد لهن، أو هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه . وقال ابن عطية: "ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه، ففي ذلك استشهاد به وتقريع له"[1]. وما ذكره ابن عطية من هذا الاحتمال لا يسوغ."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : المراد إن الله بكيدهنّ عليم ، وهو قول كثير من المفسرين[3] واختاره أبو حيان .

قال البغوي :"﴿ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ أي: إن الله بصنيعهن عالم."

وقال الزمخشري :" ﴿إِنَّ رَبِّى ﴾ إنّ الله تعالى:﴿ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله."

وقال البيضاوي:" وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن."

---

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٥١).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٢٩) (٥/٣١٦).

٣ - البغوي آية ٥٠،الزمخشري (٢/٣٢٥)،البيضاوي (٣/٢٩٢)،النسفي (٢/٣٢٣)،الخازن آية ٥٠، البقاعي (٤/٥٢)، الشوكاني (٣/٣٤) ، ابن عاشور (١٢/٢٨٨)

القول الثاني : المراد بالرب العزيز مولاه.وهو قول بعض المفسرين.[1]

قال الماوردي :" ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فيه وجهان:... الثاني: أن سيدي الذي هو العزيز بكيدهن عليم."

قال الجلالان :" ﴿ إِنَّ رَبِّي ﴾ سيدي ﴿ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد إن الله بكيدهنّ عليم فهو الظاهر.
- وأما القول إن المراد بالرب العزيز مولاه ففيه نظر ، فلو كان لديه علم بما حدث لما كان هناك حاجة في سؤالهن ومجرد الكلام في المكيدة عبث.

الترجيح :

يترجح القول إن المراد بالرب هو الله سبحانه وتعالى. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق ،

٢. لدلالة اللفظ القرآني ، لما وجه كلامه إلي الرسول قال له

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠].

ثم قال ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فلما فرق في الضمير عرف إن المقصود ليس بواحد.

والله تعالى أعلم

---

١ - الماوردي آية ٥٠، ابن عطية(٣/ ٢٥١)،وتقدم، الرازي (١٨/ ٤٦٩)، الجلالين آية ٥٠.

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف: ٥٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من قائل ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان: " الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله: قالت. والمعنى: ذلك الإقرار والاعتراف بالحق، ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أخنه في غيبته وألكذب عليه[1]، وأرميه بذنب هو منه بريء."[2]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنه من كلام امرأة العزيز، وهو قول بعض المفسرين،[3] واختاره أبو حيان.

قال ابن تيمية: "...فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن حيث قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف: ٥٠ - ٥٢].

فهذا كله كلام امرأة العزيز، ويوسف عليه السلام إذ ذاك في السجن لم يحضر إلى الملك

---

١ - في المطبوع: والذب عنه.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٢٩) (٥/٣١٦).

٣ - ابن تيمية في التفسير الكبير (٥/٧٨)، ابن كثير (٤/٣٣٦)، إبي السعود(٤/٢٧٤)، ابن عاشور (١٢/٢٩٢).

ولاسمع كلامه ولارآه. ولكن لما ظهرت براءته في غيبته كما قالت امرأة العزيز ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾[يوسف :٥٢]. أي لم أخنه في حال مغيبه عني ،وإن كنت في حال شهوده راودته."

وقال ابن كثير :" تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة."

وقال أبو السعود:﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ وكانت حاضرةً في المجلس..﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي ذلك التثبيتُ المؤدي إلى ظهور حقيقة الحال ﴿ لِيَعۡلَمَ ﴾ أي العزيز ﴿ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ ﴾ في حرمته كما زعمه لا علماً مطلقاً.."

القول الثاني : إنه من كلام يوسف عليه السلام مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريج وابن إسحاق، وهو قول جماعة من المفسرين[1] .

قال الفراء:" وقوله قال يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ قال ذلك يوسف عليه السلام لما رجع إليه الساقي فأخبره ببراءة النسوة إياه ."

وقال الطبري :" يعني بقوله﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ هذا الفعل الذي فعلته من ردّي رسول الملك إليه، وتركي إجابته والخ روج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النِّسْوَة اللاتِي قطَّعْنَ أيْدِيَهُن، عن شأنهنّ إذ قطعن أيديهن، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته بالغيب."

وقال الواحدي :".. قال يوسف عليه السلام:.. ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾.."

١ - الفراء (٢/٤٧)،الطبري (١٢/١٤٠)،الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٢،الزمخشري (٢/٣٢٦) ، البيضاوي (٣/٢٩٢)،النسفي (٢/٣٢٤)،البقاعي (٤/٥٨)،الجلالين آية ٥٢ ،الشوكاني (٣/٣٤)،الألوسي (١٢/٢٦١).

القول الثالث : إنه من كلام العزيز وذكره ابن الجوزي[1] ذكره بعد القولين .

قال ابن الجوزي :" والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته.."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما القول الثاني فلا يخفى ضعفه لمن تأمل في سياق الآيات .
- أما القول الثالث فهو بعيد لأن محور الكلام في هذه الحالة يدور بين الملك والنساء من غير حضور يوسف عليه السلام والعزيز .

قال النحاس :"....عن ابن عباس[2] قال جمع فرعون[3] النسوة فقال لهن : أنتنّ راودتن يوسف عن نفسه ؟ فقالت امرأة العزيز "﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فقال يوسف عليه السلام ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ ...وهذا كلام غامض عند أهل العربية لأن كلام يوسف عليه السلام مختلط بما قبله وغير منفصل منه ..."[4]

وقال ابن الجوزي :" واختلفوا في القائل لهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئا ثم تصله بالحكاية عن آخر.."

وقال ابن تيمية :"وقد قال كثير من المفسرين :إن هذا من كلام يوسف عليه السلام، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول،[5]وهو قول في غاية الفساد ،ولا دليل

---

١ – زاد المسير (٤/١٨٢).

٢ – وسنده قال:" روى إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس، قال:..."

٣ – يقصد الملك وعبر عنه بفرعون من باب إطلاق الاسم على كل ملك.

٤ – معاني القرآن (١/٥٤٧).

٥ – وقد سبق ذكرهم عند القول الثاني أما الماوردي وابن عطية والرازي والقرطبي وابن جزي =

عليه بل الأدلة تدل على نقيضه ."

الترجيح:

يترجح القول إنه من كلام امرأة العزيز، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق؛ فالحوار بين الملك والنساء ومنهن امرأة العزيز ؛ والسؤال متوجه من الملك إلى النساء ومنهن امرأة العزيز ؛ فالجواب قطعاً يكون من النساء ومنهن امراة العزيز فيما يخصهن ؛ وامرأة ال عزيز عليها قدر كبير من الجواب بحجم القضية والمكيدة المدبرة .

قال ابن كثير : " والقول الأول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك."

والله تعالى أعلم

=
والخازن فقد ذكروا القولين انظر تفاسيرهم آية ٥٢.وابن الجوزي ذكر ثلاثة أقوال كما سبق بيانه .

قال تعالى ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " فقال: اجعلني على خزائن الأرض أي : ولني خزائن أرضك إني حفيظ أحفظ ما تستحفظه، عليم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهما مقصود الملوك ممن يولونه، إذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة، ولا خلل معهما لقائل . وقيل: حفيظ للحساب، عليم بالألسن. وقيل: حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجوع . وهذا التخصيص لا وجه له."[1]

الدراسة:

في المسألة سبعة أقوال:

القول الأول : المراد حفيظ أحفظ ما تستحفظه، عليم بوجوه التصرف .وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان[3] .

قال الزمخشري :" أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف."

وقال البيضاوي:" إِنِّي حَفِيظٌ لها ممن لا يستحقها. عَلِيمٌ بوجوه التصرف ."

وقال النسفي :" أمين أحفظ ما تستحفظنيه ،عَلِيمٌ عالم بوجوه التصرف."

القول الثاني: المراد حفيظ للحساب، عليم بالألسن. ذكره الطبري[4] .

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٠) (٣١٨/٥).

٢ -الزمخشري (٣٢٨/٢)،البيضاوي (٢٩٥/٣)،النسفي (٣٢٦/٢)،أبي السعود(٢٨٤/٤)،الألوسي (٩/٣١).ابن عاشور (٧/١٣).

٣ - ووجه اختياره رده القولين الآخرين الدالين على التخصيص .

٤ - جامع البيان (٤/١٣). عن الأشجعي، عبيد الله بن عبيد الرحمن، أبو عبد الرحمن الكوفي، =

قال الطبري :"..عن الأشجعي(□) إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ: حافظ للحساب، عليم بالألسن."

القول الثالث : المراد حفيظ لما استودعتني، عليم بسني الجوع ، ذكره الطبري.(□)

قال الطبري :".... عن شيبة الضبي(□) في قوله: إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ يقول: إني حفيظ لما استودعتني، عليم بسني المجاعة."

القول الرابع : المراد حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني . قاله ابن إسحاق ورجحه الطبري .

قال الطبري :" وأولى القولين عندنا بالصواب، قول من قال : معنى ذلك: إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني، لأن ذلك عقيب قوله : اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرة في ذلك، وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ومعرفته بالألسن."

القول الخامس : المراد حفيظ لما وليتُ، عليم بأمره قاله قتادة كما ذكر الطبري وهو قول الواحدي والقرطبي(□) .

قال الواحدي :"قال قتادة حفيظ لما وليتُ، عليم بأمره.

وقال القرطبي :" المراد حفيظ لما وليتُ، عليم بأمره.."

=

الحافظ، الثبت، الإمام، توفي سنة ١٨٢هـ. تاريخ بغداد(١٠/٣١١)، سير أعلام النبلاء (٨/٥١٤)، تهذيب التهذيب(٧/٣٤).

١ - وسنده قال :" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن الأشجعي."

٢ - جامع البيان (١٣/٤). عن شيبة بن نعامة الضبي ، أبو نعامة ضعيف الحديث لايحتج به، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/٣٣٥)، ميزان الاعتدال (١/٤٥٢)، لسان الميزان (٣/١٥٩).

٣ - وسنده قال:" حدثنا ابن حميد، قال: ثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبة الضبي."

٤ -الواحدي في الوسيط (٢/٦١٨).والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٢١٢).

القول السادس :المراد حافظ للأموال وأعلم المواضع التي يجب أن أجعلها فيها. وهو قول النحاس والشوكاني[1] .

قال النحاس :"أي حافظ للأموال وأعلم المواضع التي يجب أن أجعلها فيها."

وقال الشوكاني :" إِنِّى حَفِيظٌ لما جعلته إليّ من حفظ الأموال لا أخرجها في غير مخارجها، ولا أصرفها في غير مصارفها . عَلِيمٌ بوجود جمعها وتفريقها ومدخلها ومخرجها".

القول السابع : المراد حفيظ أي خازن أمين، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه.وهو قول ابن كثير[2] .

قال ابن كثير:" حفيظ أي خازن أمين، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

أن الأقوال متقاربة ومدارها على معنى الحفظ والع لم فمنها ما خصص بسني المجاعة، ومنها ما هو أعم من ذلك ، والخاص يندرج تحت العام.

الترجيح:

يترجح أن المراد هو عموم لفظ حفيظ وعليم في كل ما يطلق عليه من أمور فيها صلاح حالهم ومعاشهم .وكل ما عبر عنه المفسرون مما يدل على العموم فهو صالح للدخول في مجال الحفظ والعلم دون تخصيص وجه من الوجوه .

قال ابن جزي :"(إني حفيظ عليم)صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن ،وقيل :حفيظ للحساب عليم بالألسن، واللفظ أعم من ذلك ."[3]

ولموافقته قاعدة الترجيح:" يجب حمل نصوص الوحي على العموم."[4]

---

١ - النحاس في معاني القرآن (٥٤٨/١)،والشوكاني في فتح القدير (٣٤/٣).

٢ - التفسير (٣٣٨/٤).

٣ - التسهيل (٢٢٣/٢).

٤ - قواعد الترجيح (٥٢٧/٢).

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يوسف: ٦٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما الداعي لفعل يوسف مع إخوته ؟

قال أبو حيان :" وظاهر كل ما فعله يوسف عليه السلام معهم أنه بوحي، وإلا فإنه كان مقتضى البر أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه، لكن الله تعالى أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته: ولتتفسر الرؤيا الأولى."[1]

الدراسة[2] :

في المسألة قولان:

القول الأول : إن فعله كان بوحي من الله . وهو قول ابن عطية والقرطبي والألوسي[3] واختاره أبو حيان.[4]

قال ابن عطية :" وظاهر كل ما فعله يوسف عليه السلام معهم أنه بوحي وأمر وإلا فكان بر يعقوب يقتضي أن يبادر إليه ويستدعيه، لكن الله تعالى أعلمه بما يصنع ليكمل أجر يعقوب ومحنته وتتفسر الرؤيا الأولى."

وقال القرطبي :" مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف عليه السلام إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له : عن هذا أربعة أجوبة : أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب عليه السلام، ليعظم له الثواب؛ فاتبع أمره فيه .

---

١ - البحرالمحيط (ح٥/ ل٢٣٢) (٥/ ٣١٩).

٢ - تطرق إلى هذه المسألة قليل من المفسرين.

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٧)،القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٢١)،الألوسي في روح المعاني (٣١/ ١١).

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام. الثالث: لتتضاعف المسرّة ليعقوب برجوع ولديه عليه . الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته؛ لميل كان منه إليه؛ والأوّل أظهر، و الله أعلم.".

وقال الألوسي:" والظاهر أن ما فعله معهم كان بوحي وإلا فالبر يقتضي أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه لكن الله سبحانه أراد تكميل أجر يعقوب في محنته وهو الفعال لما يريد في خليقته.".

القول الثاني: إن فعله كان باجتهاد منه. وأشار إليه القرطبي كما تقدم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما الأقوال أو الاحتمالات الأخرى التي ذكرها القرطبي سابقا، وكلها احتمالات بعيدة لاتؤيدها القرائن.

الترجيح :

يترجح أن ما فعله يوسف كان بوحي من الله تعالى. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لوجود قرائن تؤيده وهي :

١. معرفة يوسف مدى تعلق أبيه يعقوب بأخيه فكيف يطلب منهم إحضاره معهم.
٢. البر يستدعي أن يبادر بإحضار والده لا زيادة البلاء وأخذ ابنه منه .
٣. تحقيق قدر الله في تحقق الرؤيا الأولى .

والله تعالى أعلم

قال تعالى﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يوسف: ٦٣].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المشار في قوله ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وقولهم: (منع منا الكيل)، إشارة إلى قول يوسف عليه السلام: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . ويكون منع يراد به في المستأنف، وإلا فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرة، لكنْ لما أنذروا بمنع الكيل قالوا : منع. وقيل: أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من الميرة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم : فأرسل معنا أخانا نكتل، ويقويه قراءة يكتل بالياء أي: يكتل أخونا، فإنما منع كيل بعيره لغيبته، أو يك ن سببا للاكتيال. فإن امتناعه في المستقبل بسببه وهي قراءة الأخوين[1]."[2].

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إشارة إلى قول يوسف عليه السلام: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي. ويكون منع يراد به في المستأنف أو المستقبل قاله السدّي و ابن إسحاق[3]. وهو قول بعض المفسرين.[4]

قال الماوردي:" ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ أي سيمنع منا الكيل إن عدنا

---

١ - قال ابن الجزري في النشر (٢/٢٢٢):" واختلفوا في (نكتل) فقرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء وقرأ الباقون بالنون ." والأخوان هما: حمزة والكسائي. البدور الزاهرة ص١١.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٢) (٥/ ٣٢٠).في المطبوع: فإن امتناعه في المستقبل تشبيه.

٣ - انظر تفسير الطبري جامع البيان (١٣/ ٧).

٤- الماوردي آية ٦٣،الواحدي في الوسيط(٢/ ٦٢٠)، ابن عطية (٣/٢٥٨)، وابن جزي (٢/ ٢٢٥). وأشار إلى القول الزمخشري(٢/ ٣٣٠)، النسفي(٢/ ٣٢٨) .

بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه.."

وقال الواحدي :"﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ أي فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي."

قال ابن عطية :" وقوله ﴿مُنِعَ مِنَّا﴾ ظاهره أنهم أشاروا إلى قوله: ﴿فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي ﴾[يوسف: ٦٠] فهو خوف في المستأنف؛ وقيل : أشاروا إلى بعير بنيامين – الذي لم يمتر – والأول أرجح."

القول الثاني : أشاروا إلى بعير بنيامين الذي منع من الميرة ، وهو قول بعض المفسرين،[1] واختاره أبو حيان .

قال البيضاوي :"﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين. ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه . وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا."

وقال ابن كثير :" يعنون بعد هذه المرة، إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين لا نكتل، فأرسله معنا نكتل، وإنا له لحافظون، قرأ بعضهم بالياء أي يكتل هو."

وقال البقاعي :" قولهم: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ لأخينا بنيامين على بعيره لغيبته."

نلاحظ مما سبق ما يلي:

كلا القولين يدلان على معنى المنع سواء في الحاضر أو المستقبل والسبب عدم حضور أخيهم معهم .

الترجيح:

١- البيضاوي (٣/٢٩٧)، ابن كثير (٤/٣٤١)، البقاعي (٤/٦٥)، الجلالين آية ٦٣، أبي السعود (٤/٢٨٤)، الشوكاني (٣/٣٦)،وابن عاشور (١٣/١٥).

كلا المعنيين المشار إليهما صحيح وذلك:

١. لتأييد كل قول بقراءة صحيحة ودلالة الآية عليه .

قال الطبري :" واختلفت القراء في قراءة قوله: نَكْتَلْ، فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة نَكْتَلْ بالنون، بمعنى : نكتل نحن وهو. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة : (يَكْتَلْ) بالياء، بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم أنه مَنَع منهم زيادة الكيل على عدد رؤوسهم، فقالوا:﴿ مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه، فهو إذاً اكتال لنفسه واكتالوا هم لأنفسهم، فقد دخل الأخ في عَدَدهم. فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه، أو عن جميعهم بلفظ الجميع، إذ كان مفهوما معنى الكلام وما أريد به."[1].

وقال الرازي :" ثم إنه تعالى حكى عنهم أنهم لما رجعوا إلى أبيهم قالوا : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ وفيه قولان: الأول: أنهم لما طلبوا الطعام لأبيهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه، فقولهم: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ﴾إشارة إليه. والثاني: أنه منع الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف عليه السلام : ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي ﴾[يوسف: ٦٠] والدليل على أن المراد ذلك قولهم :﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ قرأ حمزة والكسائي : بالياء، والباقون بالنون،

والقراءة الأولى تقوى القول الأول، والقراءة الثانية تقوي القول الثاني."[2]

---

١ - جامع البيان (١٣/ ٧).

٢ - مفاتيح الغيب (١٨/ ٤٨٠)،وكذا ذكر القولين البغوي آية ٦٣، ابن الجوزي(٤/ ١٨٩)، الخازن =

٣. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه][1].

والله تعالى أعلم

=
آية ٦٣.

١ - قواعد الترجيح (١/ ١٠٠).

قال تعالى ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف: ٦٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل قوله (وهو خير الحافظين) قراءة أم تفسير ؟

قال أبو حيان:" وقال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود، فالله خير حافظاً وهو خير الحافظين .[1] وينبغي أن تجعل هذه الجملة تفسيراً لقوله : فالله خير حافظاً، وهو خير الحافظين. لا أنها قرآن."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن قوله : (وهو خير الحافظين) قراءة . وهو قول الفراء والزمخشري[3] وعزا القراءة لأبي هريرة .

قال الفراء:"...وهي في قراءة عبدالله (والله خيرالحافظين). وهذا شاهد للوجهين جميعا ...."

وقال الزمخشري:" وقرأ أبو هريرة: (خير الحافظين)."وكذا نقله عنه أبوحيان .

القول الثاني: إن قوله (وهو خير الحافظين) تفسير لا قراءة، وهو قول أبي حيان وتبعه الألوسي[4].

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أماالقول الأول فهو بعيد عن كونه قراءة[5] وإنما هو تفسير لما قبله .

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٥٩).

٢ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٢) (٥/ ٣٢٠).

٣ - الفراء (٢/ ٤٩) ، الزمخشري (٢/ ٣٣٠).

٤ - روح المعاني (٣١/ ٤٢).

٥ - ولم أجدها في كتب القراءات الشاذة. وقد سبق بيان مثل هذا عند آية (٣٦) من سورة يوسف

الترجيح:

يجب القول إن قوله(وهو خير الحافظين) تفسير لا قراءة، وهو اختيار أبي حيان.

قال ابن عطية :" قرأ ابن مسعود: (فالله خير حافظ وهو خير الحافظين) وفي هذا بعد.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ ﴾[يوسف: ٦٥].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إنّ البعير هو من الإبل . وقال مجاهد: كيل حمار، قال: وبعض العرب تقول للحمار: بعير، وهذا شاذ."[1].

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد حمل بعير، والبعير من الإبل. قاله ابن جريج وابن إسحاق وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" وقوله: ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ يقول: ونطلب لأهلنا طعاما فنشتريه له... ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ الذي ترسله معنا ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ يقول: ونزداد على أحمالنا من الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا ، ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ يقول: هذا حِمل يسير."

وقال البغوي:" ﴿وَنَزۡدَادُ﴾ على أحملنا ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ أي: حمل بعير يكال لنا من أجله لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير ."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٣٣) (٥/ ٣٢١).

٢ - الطبري (١٣/ ٩)، البغوي آية ٦٥،ابن عطية (٣/٢٥٩)، ابن كثير (٤/ ٣٦)، أبي السعود (٤/ ٢٨٤) ،الشوكاني (٣/ ٣٦)،الألوسي (٣١/ ٥٢).

وقال ابن عطية :" وقوهم: ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾ يريدون بعير أخيهم ."

القول الثاني: المراد حمل حمار قاله مجاهد .وذكره عنه بعض المفسرين.[1]

قال الطبري :"... قال مجاهد: ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖ﴾ حمل حمار. قال: وهي لغة..."

وقال ابن كثير:" وقال مجاهد: حمل حمار، وقد يسمى في بعض اللغات بعيراً."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول : إنّ البعير هو من الإبل، فهذا هو المعروف.
- وأما القول الثاني فلايخفى ضعفه كما ذكر ذلك ابن عطية وأبو حيان .

قال النحاس:" فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعير، والله أعلم بما أراد ."[2]

وقال ابن عطية :" وقال مجاهد: ﴿ كَيۡلَ بَعِيرٖ ﴾ أراد كيل حمار. قال: وبعض العرب يقول للحمار بعير...وهذا شاذ ."

الترجيح:

يترجح أن المراد كيل بعير من الأبل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه [يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر.][3] وهذه قاعدة مهمة من قواعد الترجيح .

قال البغوي :".. والأول أصح أنه البعير المعروف."

والله تعالى أعلم

١ - الطبري (٩/١٣)، ابن كثير (٣٦/٤)،أبي السعود(٢٨٤/٤)،الشوكاني (٣٦/٣)، الألوسي (٥٢/٣١).

٢ - معاني القرآن (٥٤٩/١).

٣ - قواعد الترجيح (٣٦٩/٢).

المسألة الثانية

من قائل ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر أنّ قوله : ذلك كيل يسير، من كلامهم لا من كلام يعقوب عليه السلام."[1]

الدراسة:

في المسالة قولان :

القول الأول : إنه من كلام إخوة يوسف عليه السلام، وقد أشار إليه كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الواحدي : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ ﴾ ما حملوه من مصر ﴿ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ ﴾ منك شيئاً تردُّنا به وتصرفنا إلى مصر ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾ فنتصرّف بها ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ نجلب إليهم الطّعام ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ نزيد حِمْل بعيرٍ من الطّعام ، لأنّه كان يُكال لكلّ رجلٍ وِقْر بعير ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ متيسّرٌ على مَنْ يكيل لنا لسخائه."

وقال البغوي:" ﴿وَنَزۡدَادُ﴾على أحملنا ﴿كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾أي: حمل بعير يكال لنا من أجله لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ أي: ما حملنا قليل لا يكفينا وأهلنا."

القول الثاني : إنه من كلام يعقوب عليه السلام، ذكره الزمخشري والبيضاوي

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٣) (٥/ ٣٢١).

٢ - الطبري(١٣/ ٩)، الواحدي في الوجيز آية ٦٥، البغوي آية ٦٥، وابن عطية (٣/ ٢٥٩)، وابن الجوزي (٤/ ١٩٠)،الرازي(١٨/ ٤٨١)، القرطبي (٩/ ٢٢٣)، والنسفي (٢/ ٣٢٩)، الخازن آية ٦٥، وابن جزي (٢/ ٢٢٥)، الجلالين آية ٦٥،الشوكاني (٣/ ٣٦).

والألوسي[1].

قال الزمخشري :" ويجوز أن يكون من كلام يعقوب ﷺ، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد."

وقال البيضاوي:" وقيل إنه من كلام يعقوب ﷺ ومعناه، إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد."

وقال الألوسي:" وجوز بعضهم كون ذلك من كلام يعقوب ﷺ والإشارة إلى كيل البعير أي كيل بعير واحد شيء قليل لا يخاطر لمثله بالولد."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول : فهو ظاهر.
- أما القول الثاني : فهو بعيد بدلالة السياق ، وعلى فرض صح ته كان الظاهر على هذا ذكره مع كلامه – أي كلام يعقوب ﷺ – السابق أو اللاحق.

الترجيح:

يترجح القول إنه من كلام إخوة يوسف ﷺ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فالحديث من أول الآية من كلامهم افتتح ب (قالوا) وأخذوا يسردون ماحدث لهم من رد البضاعة معهم وطلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم وأوضحوا سبب هذا الطلب ...، فكيف يقول لهم يعقوب ﷺ إنه كيل قليل في مقابل المشقة عليه في فراق ابنه وعلى ابنه بطول مسافة السفر وهم في عصر قلة طعام وحاجة.

٢. لأنه ظاهر الآية والمتبادر إليه عند سماعها

---

١ – الزمخشري (٢/ ٢٣١)، البيضاوي (٣/ ٢٩٨)،الألوسي (٣١/ ٥٢).

٣. موافق للنسق القرآني في سرد الحدث والمقال.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يوسف: ٦٨].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان :"﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ ﴾ يعني لقوله: إن الحكم إلا لله، وما بعده وعلمه بأنّ القدر لا يدفعه الحذر . وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام. وقال قتادة: لعامل بما علمناه. وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً، ولفظة ذو علم لا تساعده على هذا التفسير وإن كان صحيحاً في نفسه."[1]

الدراسة :

في الآية أربعة أقوال:

القول الأول : إن يعقوب لذو علم لما علمه الله تعالى، وإليه أشار كثير من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان .

قال الفراء:"يقول: إنه لذو علم لتعليمنا إياه ."

وقال الطبري:" وإن يعقوب لذو علم لتعليمنا إياه."

وقال البغوي:" كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل ﴿ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ أي: لتعليمنا إيّاه."

---

١ - البحر المحيط (٥/٢٢٣) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية، ووجه اختياره أنه وجّه القول الثاني بأنه لايندرج في لفظة ذوعلم .

٢ - الفراء (٢/ ٥٠)، الطبري(١٣/ ١٠)، الماوردي والبغوي آية ٦٥، ابن عطية (٣/ ٢٦٢) ،ابن الجوزي (٤/ ١٩٠) ، البيضاوي (٢/ ٢٩٨) ، ابن كثير (٤/ ٣٤٢) ، الخازن آية ٦٥، أبو السعود (٤/ ٢٨٤)، الألوسي(٣١/ ٦٢)،ابن عاشور (١٢/ ٢٤).

القول الثاني : أن يعقوب لعامل بما علمه الله تعالى، قاله قتادة وذكره بعض المفسرين.[1]

قال الطبري :"... عن قتادة[2]:﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ﴾قال: إنه لعامل بما علم."

وقال ابن عطية :" وقيل: معناه: إنه لعامل بما علمناه - قاله قتادة - وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً."

وقال القرطبي:" ﴿ لَذُو عِلۡمٍ ﴾ أي عمل؛ فإن العلم أوّل أسباب العمل، فسمي بما هو بسببه."

القول الثالث: إن يعقوب عليه السلام لذو يقين ومعرفة بالله، قاله الضحاك، وذكره الماوردي والواحدي وابن الجوزي[3].

قال الماوردي –بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أوجه -:"الثاني : لمتيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك."

وقال الواحدي:" ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ﴾لذو يقينٍ ومعرفةٍ بالله سبحانه."

وقال ابن الجوزي –بعد أن ذكر أن فيه سبعة أقوال -:"والرابع: وإنه لمتيقن لوعدنا، قاله الضحاك."[4]

---

١ - الطبري (١٣/ ١٠)، ابن عطية (٣/ ٢٦٢)،القرطبي (٩/ ٢٢٨)، الخازن آية ٦٥، الألوسي (٣١/ ٦٢).

٢- وسنده قال:" فحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة..."

٣ - الماوردي آية٦٨، الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٢)،ابن الجوزي (٤/ ١٩٠).

٤- والأقوال التي ذكرها مدارها على الأقوال الأربعة المذكورة في المسألة .قال ابن الجوزي :" فيه سبعة أقوال:

أحدها: إنه حافظ لما علمناه ، والثاني: وإنه لذو علم أن دخلوهم من أبواب متفرقةلا يغني عنهم من الله شيئا،

والثالث: وإنه لعامل بما علم ، والرابع: وإنه لمتيقن لوعدنا ، والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا ، =

القول الرابع : إن يعقوب عليه السلام لحافظ، ذكره الماوردي والبغوي وابن الجوزي[1] .

قال الماوردي :" الثالث: إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنى قول الكلبي."

وقال البغوي :" وقيل: وإنه لذو حفظ لِمَا علّمناه."

وقال ابن الجوزي :" أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس... والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب..".

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول الأول فهو الظاهر من معنى الآية.
- وأما القول الثاني فهو صحيح المعنى ولكن لا يدخل في مفهوم لفظ ذو علم وأنما العمل يتبع العلم. وقد نقل الاختلاف فيه عن قتادة.

قال الطبري :" واختلف عن قتادة فـي ذلك:

...عن قتادة، قوله:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ﴾: أي مـما علـمناه..

...عن قتادة:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَـٰهُ ﴾ قال: إنه لعامل بـما علـم..".

وقال ابن عطية -بعد ذكره قول قتادة -:" وهذا لا يعطيه اللفظ ، أما إنه صحيح في نفسه يرجحه المعنى، وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام ."

- وأما القول الثالث والرابع فإنهما يندرجان في القول الأول فاليقين والحفظ من العلم .

=

والسادس: وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه ا لله، والسابع: وإنه لذو علم لتعليمنا إياه ."ا.ه باختصار.

١ – الماوردي آية٦٨، البغوي آية٦٨،ابن الجوزي (٤/ ١٩٠).

الترجيح:

يترجح القول: إن يعقوب عليه السلام ذو علم لما علمه الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك :

١. لدلالة السياق فما فعله يعقوب ظاهره أنه عن علم من لدن عليم حكيم.

٢. مناسبة اللفظ لختام الآية قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٦٨]. فالله تعالى أثنى على يعقوب عليه السلامبأنه ذو علم في مقابل أكثرية من الناس لايعلمون فأي ثناء أعظم منه ومن من ؟!؟!

قال ابن عطية :" ثم أثنى الله عز وجل على يعقوب بأنه لقن ما علمه الله من هذا المعنى، واندرج غير ذلك في العموم وقال إن أكثر الناس ليس كذلك."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[يوسف: ٦٩].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله : ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وعن ابن عباس: تعرف إليه أنه أخوه، وهو الظاهر. وهو قول ابن إسحاق وغيره."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إنه تعرف إليه أنه أخوه، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال البغوي:" ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ ﴾ أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به ... قام إليه وعانقه وقال له: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾."

وقال الزمخشري:" ضم إليه بنيامين...قال له ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ يوسف."

وقال الرازي :" قام إليه وعانقه وقال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾."

القول الثاني : أخبره إنه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب، ولم يكشف إليه

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٤) (٥/ ٣٢٥).وانظر الروايات في جامع البيان للطبري (١٣/ ١١).

٢- البغوي آية ٦٩، الزمخشري (٢/ ٢٣٣)، الرازي (١٨/ ٤٨٧)، القرطبي (٩/ ٢٢٨)، النسفي (٢/ ٣٣١)، ابن كثير (٤/ ٢٤٣)،الخازن آية ٦٩،البقاعي (٤/ ٧٥)،الألوسي (٣١/ ٧٢)،ابن عاشور (١٣/ ٢٦).

الأمر، بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته ، قاله وهب بن منبه [1]؛ وقد ذكره بعض من المفسرين.[2]

قال الطبري:" يقول: وسئل عن قول يوسف : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ كيف أجابه حين أخِذ بالصواع، وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكراً لهم يكايدهم، حتى رجعوا، فقال: إنه لم يعترف له بالنسبة، ولكنه قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يقول:لا يحزنك مكانه."

وقال الماوردي :"إنه قال له: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب ."

وقال ابن عطية :" وقال وهب بن منبه : إنما أخبره أنه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب، ولم يكشف إليه الأمر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته.."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فهو مخالف لظاهرالقرآن.

الترجيح:

يترجح القول أن يوسف عرف نفسه إلى أخيه بأنه يوسف، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

---

١ - وهب بن منبه بن كامل ، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الذماري الصنعاني، أخو همام، العلامة الأخباري القصصي، توفي سنة١١٣هـ. طبقات ابن سعد (٥/٥٤٣)، تاريخ البخاري(٨/١٦٤)، سير أعلام النبلاء (٤/٥٤٤)

٢ - الطبري (١٣/١١) ،الماوردي آية ٦٩،ابن الجوزي (٤/١٩٣). وأبو حيان (٥/٣٢٥)، أبوالسعود (٤/٢٨٤).

١. لموافقته لظاهر الآية .

٢. لأن يوسف ماكان ليفعل ما فعله مع أخيه وهو لم يعرفه بنفسه حقيقة لأن ذلك يدخل الرعب والخوف في نفس أخيه .

قال الرازي :" وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ فيه قولان: قال وهب: لم يرد أنه أخوه من النسب، ولكن أراد به إني أ قوم لك مقام أخيك في الإيناس لئلا تستوحش بالتفرد . والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب، لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الأنس، ولأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة."

ثم ما الداعي إلى عدم تعريفه بنفسه حقيقة ؟

قال البقاعي :" هل أعلمه بنفسه أو كتم ذلك عنه كما فعل بسائر إخوته؟ فقيل: بل قال معلماً له، لأنه لا سبب يقتضي الكتم عنه."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

على من يعود الضمير المرفوع في قوله : ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وعن ابن عباس: تعرف إليه أنه أخوه، وهو الظاهر. وهو قول ابن إسحاق وغيره، أعلمه أنه أخوه حقيقة واستكتمه، وقال له : لا تبالي بكل ما تراه من المكروه في تحيلي في أخذك منهم . قال ابن عطية : "وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله : بما كانوا يعملون إلى ما يعمله فتيان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك "[1] انتهى. ولا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كان، لأمكن على بعده، لأن الكلام إنما هو مع أخوة يوسف . وأما ذكر فتيانه فبعيد جداً، لأنهم لم يتقدم لهم ذكر إلا في قوله : وقال لفتيانه، وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الأخوة اتساقاً لا ينبغي أن يعدل عن أن الضمير عائد إليهم، وأن ذلك إشارة إلى ما كان يلقى منهم قديماً من الأذى، إذ قد أمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف ."[2]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن المراد هم فتيان يوسف عليه السلام. وهو قول ابن عطية في أحد الاحتمالين وابن جزي.[3]

قال ابن عطية: "وعلى هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله : بما كانوا يعملون إلى ما يعمله فتيان يوسف عليه السلام من أمر السقاية ونحو ذلك" .

وقال ابن جزي:" ويحتمل أن يكون لفتيانه."

---

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٢).

٢- البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٥) (٥/٣٢٥).

٣- التسهيل (٢/٢٢٦).

القول الثاني : إن المراد هم إخوة يوسف ﷺ ، وهو قول أكثر المفسرين .[1]
واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" فتأويل الكلام إذن: فلا تحزن ولا تستكن لشيء سلف من إخوتك إليك في نفسك وفي أخيك من أمك، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك."

وقال الماوردي :" ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾... بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك."

وقال الواحدي :"﴿بما كانوا يعملون﴾ من الحسد لنا، وصرف وجه أبينا عنا ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول:فهو ضعيف، وقد قاله ابن عطية على سبيل الاحتمال، وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة لكن بعد إمعان النظر يتبين بعده.

قال الألوسي–بعد أن ذكر احتمال ابن عطية -:" ... وهو لعمري مما لا يكاد يتوول به من له أدنى معرفة بأساليب الكلام."

- وأما القول الثاني:فهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول بأن المراد هم إخوة يوسف، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لفظ (لاتبتئس)ومعناها لاتحزن ولاتغتم وكيف يحزن بشيء سيفعله أخوه يوسف ﷺ مما يزيد في قربه منه والمكوث عنده .

١- الطبري (١٣/١١)،الماوردي آية ٦٩،الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٦٩،الزمخشري (٢/٢٣٣)، ابن عطية (٣/٢٦٢)،ابن الجوزي (٤/١٩٤)، الرازي (١٨/٤٨٧)، القرطبي(٩/٢٢٨)، البيضاوي (٣/٢٩٨)، ابن جزي (٢/٢٢٦)، الخازن آية٦٩،ابن كثير (٤/٢٤٣)، البقاعي (٤/٧٥)، الجلالين آية ٦٩، أبي السعود (٤/٢٨٤)،الشوكاني (٣/٤٠)،الألوسي(٣١/٧٢). ابن عاشور (١٣/٢٦).

٢. عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهم إخوة يوسف أما الفتيان فتقدم ذكرهم.

قال ابن عاشور : " والضميران في ﴿ كَانُواْ ﴾ و﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ راجعان إلى إخوتهما بقرينة المقام، وأراد بذلك ما كان يجده أخوه (بنيامين) من الحزن لهلاك أخيه الشقيق وفظاظة إخوته وغيرتهم منه."

٣. لفظ (كانوا) الدالة على الماضي، وليس فيها دلالة على فعل مستقبل.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾[يوسف: ٧٠].

في الآية ثلاث مسائل :

المسألة الأولى

من الذي جعل السقاية في رحل أخي يوسف عليه السلام ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إنّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف عليه السلام، ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه لم يباشر ذلك بنفسه، بل جعل غيره من فتيانه، أو غيرهم أن يجعلها."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إنّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف عليه السلام، أشار إلى ذلك بعض من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وقوله: ﴿ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ يقول: جعل الإناء الذي يكيل به الطعام فـي رحل أخيه."

وقال ابن عطية :" وقيل: إنما أوحي إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط."

وقال ابن الجوزي :" قال المفسرون : أوفى لهم الكيل، وحمل ل (بنيامين) بعيراً باسمه كما حمل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع."

القول الثاني: إنّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه ه م فتيان يوسف عليه السلام، وهو قول بعض المفسرين.[3]

---

١ -البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٥) (٥/٣٢٥).

٢- الطبري (١٣/ ١١) ،الماوردي و البغوي آية ٧٠،ابن عطية (٣/٢٦٣)،ابن الجوزي (٤/ ١٩٤)، البيضاوي (٣/٢٩٨) ، وصرح بذلك الشوكاني (٣/ ٤٠) والألوسي(٣١/ ٧٢).

٣ - ابن عطية (٣/٢٦٣)،ابن كثير (٤/٣٤٣)، والألوسي(٣١/ ٧٢).

وقال ابن عطية :" وقوله: ﴿جعل﴾ أي بأمره خدمته وفتيانه،"

وقال ابن كثير : لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاماً، أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية."

وقال الألوسي:" ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه عليه السلام لم يباشر الجعل بنفسه بل أمر أحداً فجعلها ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين من حيث يشعر أو لا يشعر."

نلاحظ مما سبق : أن القول الثاني بعيد وذلك لمخالفته ظاهر الآية ، ولكون الأمر بينه وأخيه ومن غير المستحسن أن يطلع عليه أحد ولو كانوا فتيانه .

الترجيح:

يترجح القول إنّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لموافقته ظاهر الآية.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : [لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل][1].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/١٧٣).

المسألة الثانية

من الآمر بالتأذين ؟

قال أبو حيان :" والذي يظهر إنّ تأذين المؤذن كان عن أمر يوسف عليه السلام."[1]

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الآمر هو يوسف عليه السلام ، ذكره الماوردي والنسفي .[2] واختاره أبو حيان .

قال الماوردي - بعد أن ذكرفيه أربعة أقوال -:" والثالث :أن النداء كان بأمر يوسف عليه السلام .."

وقال النسفي :" ثم نادى مناد آذنه أي أعلمه وأذن أكثر الإ علام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ار تحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمربهم فأدركوا."

القول الثاني: إن يوسف عليه السلام لم يأمر بالتأذين، وهوقول الرازي والبيضاوي والخازن.[3]

قال الرازي :" فإن قيل: هل كان ذلك النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله أن يتهم أقواماً وينسبهم إلى السرقة كذباً وبهتاناً، وإن كان الثاني وهو أنه ما ك ان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة.

قلنا: العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوهاً : الأول: أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف عليه السلام قال له: إني أريد أن أحبسك ههنا، ولا سبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك، وع لى

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٥) (٥/ ٣٢٥).

٢- الماوردي آية ٧٠ ، النسفي (٢/ ٣٣١).

٣- الرازي (١٨/ ٤٨٧)،البيضاوي (٣/ ٢٩٨)،الخازن آية ٧٠.

هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنباً . والثاني: أن المراد إنكم لسارقون يوسف عليه السلام من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام والمعاريض لا تكون إلا كذلك. والثالث: أن ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام، وعلى هذا التقدير يخرج ع ن أن يكون كذباً . الرابع: ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد إلا هم غلب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها ثم إن إخوة يوسف ﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴾".

وقال البيضاوي :" ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد. ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه السلام أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين."

وقال الخازن : :"... ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف عليه السلام وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴾".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : ففيه نظر.
- وأماالقول الثاني : فهو أقرب لما ذكره الرازي. لأن الفتيان لا يفعلون شيئاً إلا بأمر سيدهم والمسؤول عنهم وهو يوسف عليه السلام .

الترجيح:

يترجح القول إن يوسف عليه السلام لم يأمر بالتأذين وذلك :

١. لأن القرآن لم ينص على أن الآمر يوسف عليه السلام.

٢. لأن اتهام أناس بالسرقة مع علمه ببر اءتهم يتعارض مع مقام النبوة،

ومن قواعد الترجيح القول الذي لايتعارض مع مقام النبوة مقدم على ما يتعارض منها.

٣.لدلالة السياق في الآية التي تليها .

قال تعالى ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ [يوسف: آية ٧١] . فإخوة يوسف عليه السلام أقبلوا عليهم وتكلموا مع المنادين، ولو كان يوسف عليه السلام هو الآمر لردوا الأمر إليه وليتكلم معهم.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

على أي شيء يطلق لفظ العير؟

قال أبو حيان:" والظاهر وقول الجمهور: إن العير الإبل."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن العير الإبل وهو قول كثير من المفسرين [2]، واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري :" والعير: الإبل التي عليها الأحمال."

وقال ابن الجوزي :" ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ ﴾ يريد: أهل العير، فأنث لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتيبة: العير: القوم على الإبل."[3].

وقال البيضاوي:" عير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد، فقيل لأصحابها."

القول الثاني: إن العير الإبل والبغال والحمير؛ وبه قال بعض المفسرين[4] .

قال الزجاج :" معناه :ياأصحاب العير وكل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير ."

وقال الرازي :" كل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٣٥) (٥/ ٣٢٦).

٢ - الزمخشري (٢/ ٣٣٣)،ابن الجوزي (٤/ ١٩٤)،البيضاوي (٣/ ٢٣٨)، النسفي (٢/ ٣٣١)، أبي السعود(٤/ ٢٨٤).الشوكاني (٣/ ٤٠)،الألوسي(٣١/ ٧٢).

٣ - لم أجد قول الفراء في معاني القرآن ؛وكذا قول أبي عبيدة لم أجده في مجاز القرآن.

٤- الزجاج في معاني القرآن (٣/ ١٢٠)،ونقل الواحدي كلامه في الوسيط (٢/ ٦٢٣)،الرازي (١٨/ ١٨٧)، القرطبي (٩/ ٢٢٨)،البقاعي (٤/ ٧٥).

وقال القرطبي :" العير ما امتير عليه من الحمِير والإبل والبغال."

القول الثالث: إن العير القافلة، وقاله بعض المفسرين[1] .

قال الطبري :" ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ ﴾: وهي القافلة فيها الأحمال إِنّكُمْ لَسارِقُون ..".

وقال البغوي :" ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ ﴾: وهي القافلة التي فيها الأحمال."

وقال ابن عطية :" و مخاطبة العير تجوز ، والمراد أربابها، وإنما المراد: أيتها القافلة أو الرفقة."

القول الرابع: إن العير الرفقة، قاله بعض المفسرين[2] .

قال الماوردي :" إنها الرفقة."

وقال الواحدي :" أيتها العير: الرُّفقة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول وهو: إن العير الإبل، فهو الصحيح؛ وإطلاقه على غير الإبل شاذ

الترجيح :

يترجح القول إن العير هي الإبل خاصة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه هو المعروف عن العرب، وإطلاقه على غيره شاذ والمعروف مقدم على الشاذ.

٢. لأنه قد سبق بيان أن لفظ (بعير) يراد بها الإبل خاصة [3] ، وكان القصد من النداء في هذه الآية هو مخاطبة أصحابها ولفت

---

١ – الطبري (١٣/ ١١)،البغوي آية ٧٠،ابن عطية (٢٦٣/٣)،الجلالين آية ٧٠.

٢ – الماوردي والواحدي في الوجيز آية ٧٠ ، ابن عطية (٢٦٣/٣)،ابن جزي (٢٢٧/٢).

٣ – عند آية (٦٥) سورة يوسف.

أنظارهم إلى الأمر المهم وهو سرقة صواع الملك الذي يكال به وليس المراد الدواب كما مر سابقاً.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[يوسف: ٧٤ - ٧٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والضمير في جزاؤه عائد على السا رق. فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في قولكم : وما كنا سارقين له؟ قاله ابن عطية .[1] وقال الزمخشري: "فما جزاؤه الضمير للصواع أي : فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه "[2] انتهى. وقوله: هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله: قالوا جزاؤه من وجد في رحله، إذ التقدير إذ ذاك قال: جزاء الصاع، أي: سرقته من وجد الصاع في رحله . وقولهم: جزاؤه من وجد في رحله، كلام من لم يشك أنهم برآء مما رموا به، ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته، وكأنهم يقولون : لا يمكن أن نسرق، ألا يمكن أن يوجد الصاع في رحالنا "[3].

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير في جزاؤه عائد على السارق ، وهو قول كثير من المفسرين[4].

قال الماوردي :" أي ما عقوبة من سرق منكم إن كنتم كاذبين في أنكم لم

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٣).

٢ - الكشاف (٢/٣٣٤).

٣ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٣٦) (٥/٣٢٧).

٤- الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٧٤،الرازي (١٨/٤٨٨)،القرطبي (٩/٢٣٤)،ابن جزي (٢/٢٢٧)،الخازن والجلالين آية ٧٤، والشربيني (٢/١٣٩).

تسرقوا منا."

وقال الواحدي :" ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ أَيْ: ما جزاء السّارق ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين.".

وقال البغوي :" ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ أي: جزاء السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في قولكم: " وَمَا كُنَّا سارِقِينَ."

القول الثاني : الضمير في جزاؤه عائد على الصواع ، وهو قول جماعة من المفسرين.[1] واختار أبو حيان.

قال النسفي :" الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته."

وقال البقاعي :" ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾أي الصواع ."

وقال أبو السعود :" ﴿ قَالُواْ ﴾ أي أصحاب يوسف عليه السلام ﴿ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ الضمير للصُّواع على حذف المضاف أي فما جزاء سرقتِه عندكم وفي شريعتكم."

القول الثالث : الضمير في جزاؤه عائد على السرق ، وهو قول الطبري؛ وذكره ابن الجوزي عن الأخفش مع القول الأول؛ والبيضاوي مع القولين.[2]

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السارِّق إن كنتـم كاذبين ."

وقال ابن الجوزي :" المعنى: قال المنادي وأصحابـه: فما جزاؤه . قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق."

---

١ - النسفي (٢/٣٣٢)،البقاعي(٤/٧٥)، أبو السعود (٤/٢٨٤)،الألوسي (٣١/٤٣).

٢- الطبري جامع البيان (١٣/١٥)، ابن الج وزي زاد المسير (٤/١٩٥)، البيضاوي التفسير (٣/٣٠١) .

وقال البيضاوي :" ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ فما جزاء السارق أو السرق أوالصُوَاعَ على حذف المضاف. ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ في ادعاء البراءة ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

إن عود الضمير على السارق أو السرق أو الصّواع محتملة إلا عودته على الصّواع أرجح كما سبق أن بينه أبو حيان وسيأتي تفصيل ذلك.

الترجيح:

يترجح عود الضمير إلى الصّواع، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. أن الصّواع هو المحدث عنه في السياق فرجوعه إليه أولى من رجوعه إلى غيره إذا تعددت الاحتمالات في مرجعه طالما أنه جاء في السياق القرآني ، وهذا يوافق قاعدة الترجيح القائلة :[إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره .][1] .وهو موافق لما ذكره أبو حيان من أوجه الترجيح .

٢. في إعادة الضمير إلى الصّواع [توحيد مرجع الضمائر في السياق وهو أولى][2] وأحسن لانسجام النظم ، واتساق السياق، وقوة الإعجاز .

٣. أن الصّواع هو أقرب مذكور ووفقا لقاعدة الترجيح : أن [الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد الدليل بخلافه][3] ولا دليل هنا.

والله تعالى أعلم

---

١ - قواعد الترجيح(٢/٦٠٣).

٢ - قواعد الترجيح(٢/٦١٣).

٣ - قواعد الترجيح (٢/٦٢١).

قال تعالى﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف: ٧٧].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير في قوله : فأسرها يفسره سياق ا لكلام أي : الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم كما فسره في قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر[1] ".[2]

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن الضمير يعود على الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم . وهو قول ابن عطية وأبي السعود والألوسي[3]. واختاره أبو حيان.[4]

قال ابن عطية : والضمير في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ عائد يراد به الحز ازة التي حدثت في نفس يوسف من قولهم، والكلام يتضمنها وهذا كما تضمن الكلام الضمير الذي في قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

---

١ - البيت لحاتم الطائي ، انظر ديوانه ص (١١) والهمع (١/٦٥)، والدرر (١/٤٤) ، واللسان (٢/٨٨٤) حشر.

٢ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٣٨) (٥/٣٢٩).

٣ - ابن عطية المحرر الوجيز (٣/٢٦٦)،أبي السعود إرشاد العقل السليم (٤/٢٨٤)،الألوسي روح المعاني (٣١/٨٣).

٤- ووجه اختياره هو توجيهه للقول بتفسير سياق الكلام .

وهذا كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٠ ﴾[النحل: ١١٠] فهي مراد بها الحالة المتحصلة من هذه الأفعال.".

وقال أبو السعود : ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ ﴾ أي أكنّ الحزازةَ الحاصلة مما قالوا ."

وقال الألوسي : الضمير لما يفهم من الكلام والمقام أي أضمر الحزازة التي حصلت له عليه السلام مما قالوا."

القول الثاني : إن الضمير يعود على الكلمة أو الجملة أوالكلام أو القول، وهو قول كثير من المفسرين[1] ؛ ثم اختلفوا فيه على قولين :

الأول: إن الذي أسره قولهم : ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾.

الثاني : إن الذي أسره هو قوله: ﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ ﴾ .

قال الطبري : يعني بقوله: ﴿فَأَسَرَّهَا ﴾: فأضمرها، وقال: ﴿فَأَسَرَّهَا ﴾ فأنث، لأنه عنى بها الكلمة، وهي : ﴿ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾."

وقال النحاس :ثم بين الذي أسر بقوله قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مّكَانًا ."

وقال الماوردي : فيه وجهان:

أحدهما: أنه أسر في نفسه قولهم ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾.

الثاني: أسر في نفسه ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ ﴾الآية.",

وقال القرطبي :" أسرّ في نفسه قولهم: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾.

---

١ - الطبري(١٣/ ١٩)،النحاس (٥٥٢/١)، الماوردي والبغوي آية ٧٧، الزمخشري(٣٣٥/٢)،ابن الجوزي (١٩٥/٤)، ال رازي(٤٩١/١٨)،القرطبي(٢٣٨/٩)، البيضاوي (٣٠٢/٣)، ابن كثير (٣٤٤/٤)، ابن عادل (١٦٨/١١)،الجلالين آية ٧٧،الشربيني(١٤١/٢)،الشوكاني(٤٤/٣) .

...وقيل: إنه أسرّ في نفسه قوله ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ".

القول الثالث: إن الذي أسره هو المجازاة.

القول الرابع: إن الذي أسره هو الحجة.

قال ابن عطية :" وقال قوم: أسر المجازاة، وقال قوم: أسر الحجة وما قدمناه أليق.."

وقال ابن الجوزي – بعد أن ذكر أنها ثلاثة أوجه -:" أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري.."

وقال أبو حيان:" وقيل: أسر المجازاة، وقيل: الحجة."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أن الحزازة هي إحساس قلبي لا يمكن ظهوره بحال وإنما يظهر أثرها بشكل قول أو فعل .
- وأما قول بعض المفسرين في القول الثاني إنه أسرّ في نفسه قولهم : ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ فكيف يسرّ قولا هم أظهروه وإنما الأفضل أن يقال أسر إجابة قوهم هذ، وقد عبر عنه الواحدي والبقاعي .

قال الواحدي :"أي أسر إجابة هذا الكلام وأضمرها في نفسه و قَالَ- لهم- ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾."[1].

وقال البقاعي :" ﴿ فَأَسَرَّهَا ﴾أي إجابتهم عن هذه القولة القبيحة ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ على تمكنه مما يريد بهم من الانتقام."[2].

---

١ - الوسيط(٢/ ٦٢٤).

٢ - التفسير(٣/ ٣٠٢).

- وأما القولان الثالث والرابع : فلا يخفى بعدهما مع احتمال دخول الرابع وهو الحجة ضمن قولهم أسر إجابتهم عن قولهم فإجابته حجة.

الترجيح:

يترجح الجمع بين القولين الأول والثاني بما يأتي : وهو لما سمع قولهم هذا - في حقه وحق أخيه- ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ حدثت في نفسه حزازة من الصاق إخوته السرقة به وبأخيه فكأنهم اختصوا بها فأراد إجابتهم عن قولهم علنا لكنه آثر السكوت وعدم الإفصاح لا قولا ولا فعلا ولاتأثرا بل صفحا وحلما وتحقيقا لأمر قدره الله .

قال سيد قطب[1] :" ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ ...لقد قذفوا بها يوسف وأخاه، ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أسرهذه الفعلة وحفظها في نفسه ،ولم يبد تأثره منها وهو يعلم براءته وبراءة أخيه."[2]

والله تعالى أعلم

١ - سيد قطب بن إبراهيم ، مفكر إسلامي من مصر، من جماعة الإخوان إعدم سنة ١٣٨٧هـ. الأعلام (١٤٧/٣).

٢ - في ظلال القرآن (٢٠٢٢/٤).

المسألة الثانية

قوله ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ هل أفصح لهم الخطاب أم أسره ؟

قال أبو حيان :" والظاهر من قوله: أنتم شر مكاناً، خطابهم بهذا القول في الوجه، فكأنه أسر كراهية مقالتهم، ثم وبخهم بقوله: أنتم شر مكاناً."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إنه أفصح لهم الخطاب في الوجه، وهو قول ابن عطية، واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية :" وقوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ الآية، الظاهر منه أنه قالها إفصاحاً فكأنه أسر لهم كراهية مقالتهم ثم تجهمهم بقوله : ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ أي لسوء أفعالكم، والله يعلم إن كان ما وصفتموه حقا."[2]

القول الثاني: إنه أسر الخطاب لهم، وهو قول كثير من المفسرين.[3]

قال الطبري:" لما رأى بنو يعقوب ما صنع أخو يوسف ولم يشكوا أنه سرق قالوا أسفاً عليهم لما دخل ﴿إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فلما سمعها يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ سرًا في نفسه وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٣٨) (٥/٣٣٠).

٢ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٦).

٣ - الطبري(١٣/١٩)،النحاس (١/٥٥٢)، الماوردي والبغوي والواحدي في الوجيز آية ٧٧، الزمخشري (٢/٣٣٥)، ابن الجوزي (٤/١٩٥)، الرازي(١٨/٤٩١)، القرطبي(٩/٢٣٨)، البيضاوي (٣/٣٠٢)،ابن كثير(٤/٣٤٤)،ابن عادل(١١/١٦٨)،الجلالين آية٧٧،الشربيني(٢/١٤١)، الشوكاني (٣/٤٤)، الألوسي(٣١/٨٣).وقد تقدم في المسألة السابقة سرد أقوال بعضهم .

وقال النحاس:" ثم بين الذي أسر بقوله ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾".

وقال الماوردي :" أسر في نفسه ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾.. الآية."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه أفصح لهم الخطاب في الوجه، فهو غير ظاهر . لأنه لايليق بخلق الأنبياء.
- وأما القول إنه أسر الخطاب لهم، فهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح أنه أسر الخطاب وذلك:

١. لأن هذا أليق بحال الأنبياءعليهم السلام، [فكل قول فيه تعظيم مقام النبوة فهو أولى][1]،وهذا من قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٢٨/١).

قال تعالى ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ (٨١) ﴾[يوسف: ٨١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من القائل في قوله ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إنّ الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إنّ الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم ، وهو قول كثير من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان .

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل رُوبيل لإخوته حين أخذ يوسف عليه السلام أخاه بالصوّاع الذي استخرج من وعائه:﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ ﴾ إخوتي ﴿إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ يعقوب ﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ ﴾ بنيامين ﴿سَرَقَ﴾."

وقال الواحدي :" ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمۡ ﴾ وهو روبيل، وكان أكبرهم سنّاً :﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.. وقال لإخوته ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ يعنون في ظاهر الأمر ."

وقال البغوي :" ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا

١- البحر المحيط (ح٥/ل٢٤٠) (٥/٣٣٢).

٢ - الطبري (١٣/٢٤)،الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٨١،ابن عطية (٣/٢٧٩)،ابن الجوزي (٤/٢٠٠)، الرازي (١٨/٤٩٥)،القرطبي (٩/٢٤٤)،البيضاوي (٣/٣٠٣)،النسفي (٢/٣٣٤)،ابن جزي (٢/٢٢٩)، الخازن آية ٨١، ابن كثير (٤/٣٤٦)، ابن عادل (١١/١٧٧)،البقاعي (٤/٨٦)، الشربيني (٢/١٤١)، أبي السعود (٤/٢٩٩)،الشوكاني(٣/٤٤) ،الألوسي (٣١/٣٤)،ابن عاشور (١٣/٣٨).

إلى أبيكم ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ﴾ بنيامين ﴿سَرَقَ﴾".

القول الثاني : إن الأمر بالرجوع هو من قول يوسف عليه السلام . وذكره بعض المفسرين[1] ابن عطية وابن جزي و أبو حيان والألوسي .

قال ابن عطية :" وقيل: بل هو من قول يوسف عليه السلام لهم ."

وقال ابن جزي:" وقيل: هو من قول يوسف عليه السلام."

وقال أبو حيان :" وقيل: بل هو من قول يوسف لهم ."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.
- أما القول الثاني : بعيد جدا ولا دلالة عليه من أي وجة.

قال ابن جزي :" وقيل: هو من قول يوسف عليه السلام وهو بعيد ."

وقال الألوسي :" الظاهر إن هذا القول من تتمة كلام كبيرهم ؛ وقيل: هو من كلام يوسف عليه السلام وفيه بعد."

الترجيح:

يترجح أنّ الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لدلالة السياق .

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

---

١ - ابن عطية (٣/٢٧٩)، ابن جزي (٢/٢٢٩)، أبو حيان (٥/٣٣٢)، الألوسي (٣١/٣٤).

[يوسف: ٨٠ – ٨١].

قال ابن عطية :" الأمر بالرجوع قيل: هو من قول كبيرهم ، وقيل: بل هو من قول يوسف لهم، والأول أظهر."

٢. ولأنهم أعطوا أباهم عهد الرجوع بأخيهم وعدم التفريط به.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[يوسف: ٨٢].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ؟

قال أبو حيان :" فالظاهر أن ذلك على إضمار أهل كأنه قيل : وسل أهل القرية وأهل العير، إلا أن أريد بالعير القافلة، فلا إضمار في قوله والعير ، وأحالوا في توضيح القصة على ناس حاضرين الحال في شهدون بما سمعوا، وعلى ناس غيب يرسل إليهم فيسألون . وقالت فرقة: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هو نبي، ولا يبعد أن يخبره بالحقيقة، وحذف المضاف هو قول الجمهور."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن المراد و اسأل أهل القرية واسأل أهل العير، وهو قول كثير من المفسرين[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول: وإن كنت متهما لنا لا تصدّقنا على ما نقول من أن ابنك سرق، فاسأل القرية التي كنا فيها، وهي مصر . يقول: سل من فيها من أهلها، والعِيرَ التي أَقْبَلْنا فيها وهي القافلة التي كنا فيها."

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٠) (٥/ ٣٣٢).

٢ - الطبري (١٣/ ٢٥)،الماوردي آية ٨٢،الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٢٦)، البغوي آية ٨٢، الزمخشري (٢/ ٣٣٧)،ابن عطية (٣/ ٢٧٠)،ابن الجوزي (٤/ ٢٠١)، الرازي (١٨/ ٤٩٥)،القرطبي (٩/ ٢٥٤)، البيضاوي (٣/ ٣٠٤)،النسفي (٢/ ٣٣٥)،ابن جزي (٢/ ٢٣٠) ،الخازن آية ٨٢، ابن كثير (٤/ ٣٤٦)، ابن عادل (١١/ ١٧٧)،البقاعي (٤/ ٨٦)، الجلالين آية ٨٢، الشربيني (٢/ ١٤١)، أبي السعود (٤/ ٢٩٩)،الشوكاني(٣/ ٤٤) ،الألوسي (٣١/ ٤٤)،ابن عاشور (١٣/ ٣٨).

وقال الماوردي :" قوله عز وجل: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ وهي مصر، والمعنى واسأل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً، لأن الحال تشهد به.

﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ... والمعنى أهل العير.".

وقال الواحدي :" ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ أي قولوا لأبيكم سل أهل القرية ليتبين لك صدقنا ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ يعني أهل الرفقة التي كنا فيها ..".

القول الثاني : إن المراد إسأل القرية و اسأل العير على الحقيقة في سؤال الجمادات والبهائم لأنه نبي سوف تخبره بالحقيقة من باب المعجزة له ، وذكره بعض المفسرين[1] .

قال الماوردي :" وقيل فيه وجه ثالث : أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً ، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً."

وقال ابن عطية :" وقالت فرقة: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هو نبي فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة ."

وقال الرازي :"والثاني : قال أبو بكر الأنباري المعنى : إسأل القرية والعير والجدار والحيطان فإنها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرناه لأنك من أكابر أنبياء الله فلا يبعد أن ينطق الله هذه الجمادات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه ."

القول الثالث : إن المراد هو ظهور الأمر وشيوعه بحيث لايخفى على أحد ،

---

١ - الماوردي آية ٨٢، ابن عطية (٣/٢٧٠)، الرازي (١٨/٤٩٥)، الخازن آية ٨٢، ابن عادل (١١/١٧٧)، الشربيني (٢/١٤١).

وهو قول الرازي ،وذكره ابن عادل[1] .

قال الرازي : وفيه وجه ثالث، وهو: أن الشيء إذا ظهر ظهوراً تاماً كاملاً فقد يقال فيه، سل السماء والأرض وجميع الأشياء عنه، والمراد أنه بلغ في الظهور إلى الغاية التي ما بقي للشك فيه مجال.".

وقال ابن عادل :" وقيل: إنّ الشيء إذا ظهر ظهوراً تامًّا كاملاً فقد يقال فيه: سل السماءَ والأرض وجميع الأشياء عنه ، والمراد أنه بلغ في الظُّهور إلى الغاية حتّى لم يبق للشكِّ فيه مجالٌ ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن المراد واسأل أهل القرية واسأل أهل العير فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فإنه بعيد لأنهم لو يعلمون أن ذلك من معجزات يعقوب عليه السلام لكان أولى أن لا يطلبوا منه ذلك لأن لهم سابقة في إحضار قميص يوسف عليه السلام فلو كان من معجزاته لعرفوا ذلك ولم يخفى عليهم ولاكتفوا بسؤاله للعير لأنها أقرب إليه ولم يطلبوا سؤاله القرية لبعدها عنهم .

قال ابن عطية :" وهذا وإن جوز فبعيد."

- وأما القول الثالث وإن كان صحيح المعنى فإنه لا يناسب تفسير الآية لأنه يقال: لأي شيء خص القرية والعير ؟

الترجيح:

يترجح أن المراد و اسأل أهل القرية و اسأل أهل العير، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأن الإضمار أسلوب يستخدم بكثرة في كلام العرب، ف ـ"إذا اختلف

---

١ - الرازي (١٨/٤٩٥)، ابن عادل (١١/١٧٧).

المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فمنهم من يقول بالإضما ر في الآية، ومنهم من يقول بالزيادة فيها ،والكلام محتمل لذلك، فقول القائل بالإضمار أولى؛ لأنه في كلام العرب أكثر من الزيادة ."[1]وقد أشار إلي ذلك أبو حيان .

قال ابن عطية :" والأول أقوى."

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٢/٣٨٥)، وقد ذكر هذه القاعدة بعض الأصوليين انظر التمهيد للأسنوي ص٢٠٦،وشرح الكوكب (١/١٩٦).

قال تعالى ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[يوسف: ٨٤].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : وابيضاض عينيه من توالي العبرة، فينقلب سواد العين إلى بياض كدر. والظاهر أنه كان عمي لقوله : فارتد بصيراً. وقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾[فاطر: ١٩] فقابل البصير بالأعمى."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد إنه كان عمي؛ قاله مجاهد ومقاتل؛ وهو قو ل كثير من المفسرين[2]؛ واختاره أبو حيان .

قال الماوردي :" إنه ذهب بصره، قاله مجاهد.".

قال الواحدي :" وابيضت عيناه انقلبت إلى حال البياض، فلم يبصر بهما."

وقال البغوي :" ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ يعني: عُمي بصره، قال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين."

القول الثاني: المراد أنه كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، وعلل الابيضاض بالحزن ،

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤١) (٥/ ٣٣٣).

٢- الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٨٤،الزمخشري (٢/ ٣٣٨)، ابن الجوزي (٤/ ٢٠٣)، القرطبي (٩/ ٢٤٧)، البيضاوي (٣/ ٣٠٤)،ابن جزي(٢/ ٢٣٠)،البقاعي (٤/ ٨٦)، الجلالين آية ٨٤، أبي السعود (٤/ ٢٩٩)،الشوكاني(٣/ ٤٧) ،الألوسي (٣١/ ٧٤) .

وذكره بعض المفسرين.[1]

قال الماوردي :" إنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه.".

وقال الزمخشري :" وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً."

وقال ابن عاشور :" وابيضاض العينين : ضعُف البصر . وظاهره أنه تبدّل لون سوادهما من الهزال. ولذلك عبّر بـ ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾ دون عميت عيناه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : فهو ظاهر.
- وأما القول الثاني : فهو بعيد ولا دليل عليه.

قال أبو حيان :" وقيل: كان يدرك إدراكا ضعيفاً، وعلل الابيضاض بالحزن، وإنما هو من البكاء المتوالي، وهو ثمرة الحزن، فعلل بالأصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن."

الترجيح:

يترجح أن المراد أنه كان عمي؛ وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

١. لدلالة السياق قال تعالى ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ [يوسف: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩﴾ [فاطر: ١٩] فقابل البصير بالأعمى وهو ما استدل به أبو حيان .

٢. لأن الابيضاض من البكاء المتواصل الذي مصدره العين فيؤثر في قوة الإبصار أما الحزن فمصدره القلب فيؤثر فيه وسبب البكاء الحزن الشديد بفقده ثلاثة من الولد .

١ – الماوردي آية ٨٤،الزمخشري (٣٣٨/٢)، ابن الجوزي (٢٠٣/٤)،القرطبي (٢٤٧/٩)،البيضاوي (٣٠٤/٣)،ابن جزي(٢٣٠/٢)، أبي السعود (٢٩٩/٤)،الشوكاني(٤٧/٣) ،الألوسي (٧٤/٣١) .ابن عاشور(٤٢/١٣).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾؟

قال أبو حيان : والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب عليه السلام أي: شديد الكظم كما قال تعالى﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾[آل عمران: ١٣٤]، ولم يشك يعقوب عليه السلام إلى أحد، وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همه في صدره، فكان يكظمه أي : يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر. وإما أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، وهو لا ينقاس، وقاله قوم كما قال في يونس: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[القلم: ٤٨]. قال ابن عطية:" وإنما يتجه على تقدير أنه مليء بحزنه، فكأنه كظم حزنه في صدره"(١). وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود... وقال الزمخشري: "فهو كظيم، فهو مملوء من الغيظ على أولاده، ولا يظهر ما يسوؤهم"(٢) انتهى. وقد ذكرنا أنّ فعيلاً بمعنى مفعول لا ينقاس، "(٣)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد به شديد الكظم أي الكاظم الممسك على حزنه في صدره لا يشكو ولا يظهر ه لأحد. قاله قتادة؛ وهو قول بعض المفسرين، (٤)واختاره أبو حيان .

قال النحاس:"قال قتادة :أي لم يقل بأسا، وكذلك هو في اللغة ،يقال فلان كظيم ،وكاظم :أي حزين لا يشكو حزنه ."

١- المحرر الوجيز(٣/٢٧٢).

٢ – الكشاف (٢/٣٣٨).

٣ – البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤١) (٥/٣٣٣).

٤ – النحاس في معاني القرآن (١/٥٥٣)،الواحدي في الوسيط (٢/٦٢٧) ،ابن كثير (٤/٣٤٦).

وقال الواحدي :"الكظيم ها هنا بمعنى الكاظم وهو الممسك على حزنه فلا يظهره ولا يشكوه قال قتادة : فلا يقول بأسا ."

وقال ابن كثير :" أي ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق، قاله قتادة وغيره."

القول الثاني: المراد به الكظيم بالمكروب وبالمكمود، وهو قول الجلالين[1] .

قال الجلالان :" مغموم مكروب لا يظهر كربه ." .

القول الثالث :المراد به مملوء بالحزن [2] أو مملوء من الغيظ على أولاده [3]، ولا يظهر ما يسوؤهم، وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبري :" ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يقول: فهو مكظوم على الحزن، يعني أنه مملوء منه ممسك عليه لا يبينه ."

وقال البغوي :" ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه."

وقال الزمخشري :" فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم ."

وقال البيضاوي :" مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره، فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ من كظم السقاء إذا شده على ملئه.".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر، ويندرج فيه القول الثاني.
- وأما مملوء من الحزن فهو يندرج في القول الأول؛ وأما قول من قال

---

١ - التفسير آية ٨٤.

٢ - قاله الطبري (٢٦/١٣)، البغوي آية ٨٤،ابن عطية (٢٧٢/٣) ،ابن الجوزي (٤٢/١٣)، القرطبي (٢٤٧/٩)،النسفي (٣٣٥/٢) ، ابن جزي (٢٣١/٢)،ذكر القولين ،الخازن آية ٨٤،البقاعي (٨٦/٤)، الألوسي (٧٤/٣١)ذكر القولين.

٣ - قاله الزمخشري (٣٣٨/٢)،البيضاوي (٣٠٤/٣) وذكر معه القول الأول،أبو السعود (٢٩٩/٤) الشوكاني (٤٧/٣)،ابن عاشور (٤٢/١٣).

مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فالسياق يرده من حيث أن هذا الغيظ لا يسبب الحزن وإنما قد يسبب الغضب عليهم لتفريطهم بإخوتهم وقد يظهر لهم استياؤه منهم كونه والدهم .

الترجيح:

يترجح أن المراد به شديد الكظم أي الكاظم الممسك على حزنه في صدره لا يشكو ولا يظهره لأحد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأن هذا الخلق يليق بمقام الأنبياء، ولما ذكره أبو حيان من وجوه الترجيح.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾[يوسف: ٩٤] .

في الآية ثلاث مسائل :

المسألة الأولى

أين كان يعقوب عليه السلام؟

قال أبو حيان :" ومعنى فصلت العير : انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب، وكان قريباً من بيت المقدس . وقيل: بالجزيرة، وبيت المقدس هو الصحيح، لأنّ آثارهم وقبورهم هناك إلى الآن."[1]

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : كان قريباً من بيت المقدس ، وهو قول ابن عطية والألوسي[2] واختاره أبو حيان .

قال ابن عطية :" وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ الآية، معناه: فصلت العير من مصر متوجهة إلى موضع يعقوب ، حسبما اختلف فيه ، فقيل: كان على مقربة من بيت المقدس ."

وقال الألوسي :" خرجت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام وكان قريباً من بيت المقدس."

القول الثاني : كان ببيت المقدس .وهو قول ابن جزي[3] .

قال ابن جزي :" كان يعقوب عليه السلام ببيت المقدس ."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٥) (٥/ ٣٣٩).

٢ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٨)،الألوسي في روح المعاني (٣١/ ٧٥).

٣ - التسهيل (٢/ ٢٣٣).

القول الثالث :كان بأرض كنعان قاله الحسن ؛وهو قول بعض من المفسرين[1] .

قال الطبري : " ...عن الحسن[2]: ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذٍ ثمانون فرسخاً، يوسف عليه السلام بأرض مصر ويعقوب عليه السلام بأرض كنعان، وقد أتى لذلك زمان طويل."

وقال الواحدي :"قال المفسرون: لما خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان."

وقال البغوي : "﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ أي: خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان."

القول الرابع: كان بالجزيرة. ذكره ابن عطية وأبوحيان والألوسي.[3]

قال ابن عطية:" وقيل كان بالجزيرة."

وقال الألوسي :" والقول بأنه كان بالجزيرة لا يعول عليه ."

القول الخامس: كان بالشام . قاله السدي ذكره ابن أبي حاتم ؛ وهو قو ل الماوري والقرطبي.[4]

قال ابن أبي حاتم :"..عن السدي قال: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ من مصر إلي الشام."

قال الماوردي :" قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾أي خرجت من مصر منطلقة

---

١ - الطبري (٣٨/١٣)،الواحدي في الوسيط (٦٣٢/٢)،البغوي آية ٩٤،ابن الجوزي (٢١٢/٤)، الرازي (٥٠٩/١٨)،الخازن آية ٩٤.

٢ - وسنده:" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن."

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٧٨/٣)،الألوسي في روح المعاني (٧٥/٣١).

٤ - ابن أبي حاتم في التفسير (٢١٩٧/٧) وسنده قال:حدثنا عبدالله، ثنا الحسين ثنا عامر ،عن أسباط،عن السدي الماوردي في النكت والعيون آية ٩٤،القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩/٩).

إلى الشام."

وقال القرطبي :" أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- القول الأول والثاني يندرجان في القول الخامس، فبيت المقدس وما كان قربها في أرض الشام.
- أما القوول الثالث فلم أعرف أرض كنعان أين،وكذا لم أعرف ما المراد بالجزيرة بعد بحث. والله أعلم.
- أما القول الخامس فهو عام يندرج تحته كل ما يصح أن يسمى أرض الشام.

الترجيح: لا مرجح عندي لمكان معين.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما معنى قوله﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" ومعنى تفندون قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة : تسفهون. وعن ابن عباس أيضاً: تجهلون، وعنه أيضاً: تضعفون. وقال عطاء وابن جبير: تكذبون. وقال الحسن : تهرمون. وقال ابن زيد، والضحاك ومجاهد أيضاً : تقولون ذهب عقلك وخرفت . وقال أبو عمرو : تقبحون. وقال الكسائي : تعجزون. وقال أبو عبيدة : تضللون. وقيل: تخطئون. وهذه كلها متقاربة في المعنى، وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفند إما لجهله، أو لهوى غالب عليه، أو لكذبه، أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه."[1]

الدراسة :

في المسألة عدة أقوال :

وقد ذكر المفسرون المعاني [2] التي ذكرها أبو حيان تزيد وتنقص ؛ وأضاف الماوردي معنى أخر وهو تلوموني، فقال :" لولا أن تلوموني، قاله ابن بجر."

الترجيح:

يترجح أن المعاني المذكورة كلها متقاربة المعنى. كما ذكر ذلك المفسرون .

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٥) (٥/ ٣٣٩).

٢- الطبري (٣٨/١٣)،ابن أبي حاتم (٢١٩٨/٧)،الماوردي آية ٩٤،الواحدي في الوسيط (٢٣٣/٢)، البغوي آية ٩٤،الزمخشري (٣٤٢/٢)، ابن عطية (٢٧٨/٣)، ابن الجوزي (٢١٢/٤)، الرازي (٥٠٩/١٨)، القرطبي (٢٥٩/٩)، البيضاوي (٣٠٨/٣)، النسفي (٢٣٩/٢)، ابن جزي (٢٣٣/٢)، الخازن آية ٩٤،ابن كثير (٣٥٠/٤)،البقاعي (٩٦/٤)، الجلالين آية ٩٤، أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني(٣/ ٥١)،الألوسي (٧٥/٣)، ابن عاشور (٥٢/١٣). ولم أر فائدة تطال من ذكر كل مفسر وما ذكره من المعاني .

قال الطبري :" فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا أن الأقوال التي قالها مَن ذكرنا قوله في قوله : لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعاني، محتمل جميعها ظاهر التنزيل، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معنيّ به بعض ذلك دون بعض."

وقال ابن عطية :" والتفنيد يقع إما لجهل المفند ، وإما لهوى غلبه، وإما لكذبه، وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه، فلهذا فسّر الناس التفنيد في هذه الآية بهذه المعاني ومنه قوله ﷺ: **((أو هرماً مفنداً))** ."[1]

وقال ابن الجوزي :" وأقوال المفسرين تتقارب معانيها."

وقال القرطبي :" وكله متقارب المعنى."

والله تعالى أعلم

١- هو جزء من حديث ((**بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا مرضاً مفسداً ، أو هوماً مفنداً ،** أو غنى مطغياً ، أو فقراً منسياً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر منتظر أو الساعة الساعة أدهى وأمر)) .

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٦٣/٤) رقم (١٦٦٦) : ضعيف رواه العقيلي في الضعفاء (٤٢٥) وابن عدي (١/٣٤١) عن محرز بن هارون قال سمعت الأعرج يحدث عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال العقيلي محرز بن هارون ، قال البخاري : منكر الحديث ...) .

المسألة الثالثة

من المخاطب في قوله ﴿ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والمخاطب بقوله: تفندون، الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون، إذ كان أولاده جماعة. وقيل: المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : المخاطب من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون.

ذكره القرطبي[2] على وجه الاحتمال ؛ واختاره أبو حيان .

قال القرطبي :" وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه، فقال لمن بقي : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ ."

القول الثاني : المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته ، وهو قول جماعة من المفسرين.[3]

قال الواحدي :" قال أبوهم لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده، وأولاده كانوا غائبين عنه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾."

وقال البغوي :" ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ ﴾أي: قال يعقوب عليه السلام لولد ولده ﴿إِنِّي لَأَجِدُ

---

١ – البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٥) (٥/ ٣٤٠).

٢ – الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٥٩).

٣ – الواحدي في الوسيط (٢/ ٦٣٢)،البغوي آية ٩٤،ابن الجوزي (٤/ ٢١٢)،الرازي (١٨/ ٥٠٩)، البيضاوي (٣/ ٣٠٨)، النسفي (٢/ ٣٣٩)،الخازن آية٩٤،البقاعي (٤/ ٩٦)، أبي السعود (٤/ ٢٩٩)، الشوكاني (٣/ ٥١)، الألوسي(٣١/ ٧٥).

رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

وقال ابن الجوزي :" ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ يعني يعقوب عليه السلام لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾".

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول يرده السياق لأن أولاد يعقوب خرجوا إلى مصر أولا كلهم، ثم عادوا إليها كلهم كما أمرهم أبوهم .

الترجيح:

يترجح أن المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته وذلك:

١. لدلالة السياق

قال تعالى ﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾[يوسف: ٥٨ - ٥٩]. فهم خرجوا جميعاإلى مصر أول مرة عدا شقيق يوسف عليه السلام.

وقال تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٧ ﴾[يوسف: ٨٧]. وعادوا جميعاإلى مصر كما أمرهم أبوهم ؛عدا من كان في مصر وهو شقيق يوسف عليه السلام وكبيرهم .

قال القرطبي :" ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ

وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾[يوسف: ٩٥ - ٩٧].

في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا يا أبانا؛ وهذا يدلّ على أن الذي قال له: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ بنو بنيه أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده؛ فإنهم كانوا غُيبًا، وكان يكون ذلك زيادة في العقوق."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[يوسف: ٩٦].

في الآية ثلاث مسائل :

المسألة الأولى

علام يعود ضمير الفاعل في قوله ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير المستكن في (ألقاه) عائد على البشير، وهو الظاهر، لقوله: فألقوه. وقيل: يعود على يعقوب ﷺ ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على البشير، وهو قول بعض من المفسرين[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري : " وقوله: ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يقول: ألقى البشير قميص يوسف ﷺ علـى وجه يعقوب ﷺ."

وقال البغوي :" يعني: ألقى البشيرُ قميصَ يوسف ﷺ على وجه يعقوب ﷺ ."

وقال الخازن:" يعني فألقى البشير قميص يوسف ﷺ على وجه يعقوب ﷺ."

القول الثاني : إن الضمير يعود على يعقوب ﷺ .وقد ذكره جماعة من المفسرين.[3]

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٤٥) (٥/ ٣٤٠).

٢- الطبري(١٣/ ٤١)، البغوي آية ٩٦، الخازن آية ٩٦،ابن كثير (٤/ ٣٥١)،ابن عادل (١١/ ٢٠٨)، البقاعي (٤/ ٩٦)،الجلالين آية ٩٦.الألوسي (٣١/ ١٦).وأ شار الماوردي وابن الجوزي والقرطبي إلى ذلك .

٣ - الزمخشري (٢/ ٣٤٢)،الرازي(١٨/ ٥٠٩)، البيضاوي (٣/ ٣٠٨)،النسفي (٢/ ٢٤٠)،الشربيني (٢/ ١٤٨)، أبي السعود (٤/ ٢٩٩)،الشوكاني (٣/ ٥١).

قال الزمخشري :" ﴿أَلْقَـٰهُ ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام. أوألقاه يعقوب عليه السلام."

وقال الرازي :" قوله: ﴿أَلْقَـٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾أي طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يقال ألقاه يعقوب عليه السلام على وجه نفسه."

وقال البيضاوي :" ﴿أَلْقَـٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه."

مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما القول الثاني فإن دلالة السياق ت رده فيعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف عليه السلام ولكن لا يعلم بأمر القميص؛ وكذا فإن يوسف عليه السلام قال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ فأمرهم أن يلقوه فيكون من باب المفاجأة له.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على البشير،وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه،وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لعود الضمير إلى أقرب مذكور وهو البشير، فقاعدة الترجيح تقول : [الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه][1].

قال الألوسي :" أي ألقى البشير القميص ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ أي وجه يعقوب عليه السلام، وقيل: فاعل (أَلْقَـٰهُ) ضمير يعقوب عليه السلام أيضاً والأول أوفق لقوله: ﴿فَأَلْقُوهُ﴾ على وجه أبي."

١ - قواعد الترجيح (٢/ ٦٢١).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَجْهِهِۦ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إنه أريد الوجه كله كما جرت العادة أنه متى وجد الإنسان شيئاً يعتقد فيه البركة مسح به وجهه . وقيل: عبر بالوجه عن العينين. لأنهما فيه. وقيل: عبر بالكل عن البعض"[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد به الوجه، قاله ابن إسحاق؛وهو قول كثير من المفسرين[2]؛ واختاره أبو حيان.

قال الطبري :"... عن ابن إسحاق[3]: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ ألقى القميص على وجهه."

وقال الماوردي :" ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يعني ألقى قميص يوسف عليه السلام على وجه يعقوب عليه السلام.."

وقال ابن الجوزي :" ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ يعني القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يعني يعقوب عليه السلام."

القول الثاني: المراد به العينان وهو قول القرطبي[4] ، وذكره أبو حيان.

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٥) (٥/ ٣٤٠).

٢- الطبري (١٣/ ٤١)، البغوي آية ٩٦، الزمخشري (٢/ ٣٤٢)،ابن الجوزي (٤/ ٢١٤)، الرازي (١٨/ ٥٠٩)، البيضاوي (٣/ ٣٠٨)،النسفي (٢/ ٢٤٠)،ابن جزي (٢/ ٢٣٣)، الخازن آية ٩٦،ابن كثير (٤/ ٣٥١)،ابن عادل (١١/ ٢٠٨)،البقاعي (٤/ ٩٦)،الجلالين آية ٩٦، الشربيني (٢/ ١٤٨)،أبي السعود (٤/ ٢٩٩)،الشوكاني (٣/ ٥١) ، الألوسي (٣١/ ١٦).

٣ – وسنده قال:" حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلـمة، عن ابن إسحاق."

٤ – الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٥٩).

قال القرطبي :" قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي على عينيه..".

القول الثالث: المراد أنه ألقاه على بعض وجهه وليس على كل الوجه، ذكره أبو حيان.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول فهو صريح اللفظ القرآني.
- وأما القول الثاني فهو بعيد وذلك لمخالفته لصريح اللفظ القرآني فليس هناك حاجة أن يفسر الوجه بالعين وإن كانت هي المقصوده من ألقاء القميص .
- وأما القول الثالث فهو من إطلاق الكل على البعض، ويندرج في القول الأول.

الترجيح:

يترجح أن المراد هو الوجه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأنه [لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل].[1] وهي قاعدة مهمة من قواعد الترجيح.
٢. أن العين هي المقصوده من الإلقاء وذلك مفهوم من لفظ الوجه فهي داخله في نطاقه، فدلالة لفظ الوجه تعطي مساحة أوسع للتأمل.

والله تعالى أعلم

١ – قواعد الترجيح (١/١٣٧).

المسألة الثالثة

ما المراد بقوله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر أن قوله : إني أعلم، محكي بالقول ويريد به إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول : إن قوله : إني أعلم، محكي بالقول ، وهو قول جماعة من المفسرين[2]، واختاره أبو حيان، واختلفوا بالمراد به على أقوال :

الأول : المراد قوله إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله.واختاره أبو حيان .

الثاني : ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام، وأن الله يجمع بيننا وبينه.

الثالث : من صحة رؤيا يوسف عليه السلام.

الرابع : من بلوى الأنبياء بالحزن، ونزول الفرج.

الخامس :المراد من أخبار ملك الموت إياي، وكان أخبره أنه لم يقبض روحه.

السادس : أن يشير إلى حسن ظنه بالله فقط.

قال الطبري : " ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يقول ﷻ: قال يعقوب عليه السلام لمن كان بحضرته حينئذٍ من ولده: ألم أقل لكم يا بنيّ إني

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٦) (٥/ ٣٤٠).

٢- الطبري (١٣/ ٤١)،الماوردي والبغوي آية ٩٦،ابن عط ية (٣/ ٢٨٠)،الرازي(١٨/ ٥٠٩)، البيضاوي (٣/ ٣٠٨)،النسفي (٢/ ٢٤٠)،ابن جزي (٢/ ٢٣٣)، الخازن آية ٩٦،ابن كثير (٤/ ٣٥١)، ابن عادل (١١/ ٢٠٨)،البقاعي (٤/ ٩٦)،الجلالين آية ٩٦، الشربيني (٢/ ١٤٨)،أبي السعود (٤/ ٢٩٩)، الشوكاني (٣/ ٥١) ، الألوسي (٣١/ ١٦).

أعلم من الله أنه سيردّ عليّ يوسف عليه السلام، ويجمع بيني وبينه، وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه، لأن رؤيا يوسف عليه السلام كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن أخِرّ أنا وأنتم له سجودا، فكنت موقنا بقضائه."

وقال الماوردي :" ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إني أعلم من صحة رؤيا يوسف عليه السلام ما لا تعلمون.

الثاني: إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف عليه السلام ما لا تعلمون.

الثالث: إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول الفوج ونيل الثواب ما لا تعلمون."

وقال البغوي :" ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف عليه السلام وأن الله يجمع بيننا."

وقال ابن عطية :" ثم وقفهم على قوله : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا - والله أعلم - ه و انتظاره لتأويل الرؤيا - ويحتمل أن يشير إلى حسن ظنه بالله تعالى فقط."

قال الرازي :" والمراد علمه بحياة يوسف عليه السلام من جهة الرؤيا، لأن هذا المعنى هو الذي له تعلق بما تقدم، وهو إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[يوسف: ٨٦].

القول الثاني : قوله (إني أعلم) ، كلام مبتدأ لم يقع عليه القو ل.وهو قول الزمخشري[1]

١ - الكشاف (٢/٣٤٢).

قال الزمخشري :" ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني قوله ﴿إِنِّى لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٨٧] وقوله: ﴿إِنِّى أَعْلَمُ ﴾كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[يوسف: ٨٦]."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثاني يرجع إلى القول الأول في تفسير المراد من إني أعلم .

الترجيح:

يترجح أن المراد من قوله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ كل ما يشمل هذه العبارة مما يقوي إيمان العبد ويزيد من ثقته وتوكله على الله وحسن الظن به أضف إلى ذلك صدق مشاعر الأب تجاه ابنه وإحساسه القوي من فيض هذا العلم أن الله سيجمعه بابنه ويعوض صبره خيرا وفيرا وكل ما حدث بعد ذلك دل السياق القرآني على معنى قوله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) ﴾[يوسف: ٩٩].

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ ؟

قال أبو حيان :"آوي إليه أبويه أي : ضمهما إليه وعانقهما، والظاهر أنهما أبوه وأمه راحيل. فقال الحسن وابن إسحاق: كانت أمه بالحياة."[١]

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد أبوه وأمه ، قاله الحسن وابن إسحاق؛ وفيه قولان:

الأول : كانت أمه بالحياة.واختاره أبو حيان .

الثاني : كانت ماتت من نفاس بنيا مين، وأحياها له ليصدق رؤياه في قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف:٤]؛ وهو قول جماعة من المفسرين[٢] .

قال الطبري :" وقال آخرون: بل كان أباه وأمه ... عن ابن إسحاق : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ قال: أبله وأمه."

وقال الماوردي :" إنهما أبوه وأمه وكانت باقية إلى دخول مصر، قاله الحسن وابن إسحاق."

---

١ - البحر المحيط (٥/ل٢٤٦) (٥/ ٣٤١).

٢- الطبري (٤٢/١٣)،الماوردي ، والبغوي آية ٩٩، ابن عطية (٢٨٠/٣)،ابن الجوزي (٢١٥/٤)، الرازي (٥١٤/١٨)،القرطبي (٢٥٩/٩)،البيضاوي (٣٠٨/٣)، النسفي (٣٤٠/٢)، ابن جزي (٢٣٤/٢)، الخازن آية ٩٩،ابن كثير (٣٥٢/٤)، ابن عادل (٢١٢/١١)، البقاعي (٩٨/٤)، الجلالين آية٩٩، الشوكاني (٥٣/٣)، الألوسي(٥٦/٣١)، ابن عاشور (٥٤/١٣).

وقال البغوي :" قال الحسن: هو أبوه وأمه وكانت حيّة."

القول الثاني: المراد أبوه وخالته، وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل، والخالة أم؛ وكانت ربت يوسف، والرابة تدعى أمّاً قاله ابن عباس والسدي وهو قول كثير من المفسرين[1].

قال الطبري :" عُنِي بقوله: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ : أبوه وخالته. وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أمّ يوسف قد ماتت قبلُ . وإنما كانت عند يعقوب يومئذٍ خالته أخت أمه، كان نكحها بعد أمه ...عن السديّ[2]: فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ قال: أبوه وخالته.."

وقال الماوردي :" إنهما أبوه وخالته راحيل، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أُماً، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين، قاله وهب والسدي."

وقال الواحدي :" قال عامة المفسرين: يعني أباه وخالته وذلك أن أمه كانت قد ماتت في نفاسها بنيامين.."

القول الثالث : المراد أبوه وجدته أم أمه، ذكره ابن عطية و أبو حيان والألوسي[3] .

قال ابن عطية :" وقال بعضهم: أباه وجدته – أم أمه – حكاه الزهراوي."

قال أبو حيان :" وقال بعضهم: أبوه وجدته أم أمه، حكاه الزهراوي."

١- الطبري (٤٢/١٣)،الماوردي آية ٩٩، الواحدي في الوسيط (٦٣٥/٢)، والبغوي آية ٩٩، الزمخشري (٣٤٤/٢)، ابن عطية (٢٨٠/٣)،ابن الجوزي (٢١٥/٤)،الرازي (٥١٤/١٨)،القرطبي (٢٥٩/٩)، البيضاوي (٣٠٨/٣)، النسفي (٣٤٠/٢)،ابن جزي (٢٣٤/٢)،الخازن آية ٩٩،ابن كثير (٣٥٢/٤)، ابن عادل (٢١٢/١١)،البقاعي (٩٨/٤)، الجلالين آية ٩٩، وأبي السعود (٢٩٩/٤). الشوكاني (٥٣/٣)، الألوسي(٥٦/٣١، ابن عاشور (٥٤/١٣).

٢ – وسنده قال:" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ."

٣ – ابن عطية (٢٨٠/٣)، الألوسي(٥٦/٣١).

وقال الألوسي :" وقال بعضهم: المراد أبوه وجدته أم أمه حكاه الزهراوي."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما المراد أبوه وأمه، فهو الظاهر.
- أما ما ذكر في القول الأول من أنه أحيى أمه فهو بعيد لعدم الدليل كذلك.
- وأما القول الثاني وإن كان هو الأشهر إلا أنه يفتقر إلى الدليل أيضا.
- أما القول الثالث فهو ضعيف لعدم الدليل وبعده.

الترجيح:

يترجح أن المراد هو أبوه وأمه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأظهر والأقرب للفظ القرآني .

٢. لدلالة السياق .

٣. أن من خلاله تتحقق رؤيا يوسف عليه السلام على التمام.

قال الطبري :" وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في (أبوين)، إلا أن يصحّ ما يقال من أن أم يوسف عليه السلام كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها، فيسلمّ حينئذٍ لها.".

وقال ابن عطية :" والأول أظهر – بحسب اللفظ – إلا لو ثبت بسند أن أمه قد كانت ماتت."

وقال ابن كثير :" قال ابن جرير: ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها، وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وظاهر قوله: ادخلوا مصر، إنه أمر بإنشاء دخول مصر . قال السدي: قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى . فيبقى قوله: فلما دخلوا على يوسف كأنه ضرب له مضرب، أو بيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه . وقيل: دخلوا عليه في مصر . ومعنى ادخلوا مصر أي: تمكنوا منها واستقروا فيها."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد إنه أمر بإنشاء دخول مصر ، وهو قول بعض المفسرين[2]، واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" يقول جلّ ثناؤه : فلما دخل يعقوبُ ﷺ وولده وأهلوهم على يوسف ﷺ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ يقول: ضمّ إليه أبويه، فقال لهم : ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ .

فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف ﷺ: ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ بعد ما دخلوها، وقد أخبر الله ﷻ عنهم أنهم لما دخوها على يوسف ﷺ وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: إن يعقوب ﷺ إنما دخل على يوسف ﷺ هو وولده، وآوى يوسف ﷺ أبويه إليه قبل دخو ل مصر، قالوا : وذلك أن يوسف ﷺ تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٦) (٥/ ٣٤١).

٢ - الطبري (١٣/ ٤٢)،الواحدي (٢/ ٦٣٥)،الزمخشري (٢/ ٣٤٤)الرازي(١٨/ ٥١٤).

إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ بها قبل الدخول."

وقال الواحدي :"فقال لهم قبل دخولهم مصر ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾."

وقال الزمخشري : " فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟ قلت: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم، فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه، ثم قال لهم ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾."

القول الثاني : المراد أنه قال لهم بعد الدخول عليه تمكنوا منها واستقروا فيها . وهو قول جماعة من المفسرين.[1]

قال ابن عطية :" وقوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ معناه: تمكنوا واسكنوا واستقروا، لأنهم قد كانوا دخلوا عليه."

وقال البيضاوي :" أماً ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ من القحط وأصناف المكاره، والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ."

وقال النسفي :" ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم بعد ذلك ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٩] من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز أو من القحط."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

١ - ابن عطية (٣/٢٨٠)،ابن الجوزي (٤/٢١٥)،البيضاوي (٣/٣٠٨)،النسفي (٢/٣٤٠)،ابن جزي (٢/٢٣٤)،الخازن آية ٩٩،ابن كثير (٤/٣٥٢)،ابن عادل (١١/٢١٢)،البقاعي (٤/٩٨) ، الشوكاني (٣/٥٣)، الألوسي(٣١/٥٦)،

أنه ذكر في الآية دخولان :

الأول : في قوله ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾.

الثاني : في قوله ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾.

والمتأمل للسياق يعرف أن الغرض من مجيئهم هو دخول مصر والسكنى فيها فليس هناك حاجة أن يأمرهم بلفظ الأمر بالدخول فهو الذي طلب إليهم القدوم اليها بقي أن يقال قوله ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ هو إخبار بدخولهم على يوسف عليه السلام وهو دخولهم مصرسواء كان الدخول عليه في داره أم مدخل مصر، وأن قوله ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾. إبلاغهم أن هذا الدخول سيكون مصحوبا بالأمن والاستقرار والرخ اء فيكون من باب التأكيد بالمكانه والرفعة والاطمئنان.

وقد يكون من باب الدعاء كما قال ابن عاشور :" وقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ جملة دعائية بقرينة قوله : ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لكونهم قد دخلوا مصر حينئذٍ. فالأمر في ﴿ٱدۡخُلُواْ ﴾ للدعاء كالذي في قوله تعالى : ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾[الأعراف: ٤٩].

والمقصود: تقييد الدخول بـ﴿ءَامِنِينَ﴾ وهو مناط الدعاء ."[1]

الترجيح :

يترجح القول أن المراد هو دخول مصر مع الأمن والاستقرار فيها، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لأنه المفهوم من السياق .

قال الخازن :" ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ قيل المراد بالدخول الأول في قوله فلما

---

١ - التحرير والتنوير (١٣/ ٥٤) .

دخلوا على يوسف عليه السلام أرض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل إنه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستطيان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيهما."

وقال ابن كثير: " وما المانع أن يكون قال لهم بعدما دخلوا عليه وآواهم إليه: ادخلوا مصر، وضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمنين، أي مما كنتم فيه من الجهد والقحط."

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما الذي تعلق على مشيئة الله ؟

قال أبو حيان : " والظاهر تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمره م بالدخول، علق ذلك على مشيئة الله لأن جميع الكائنات إنما تكون بمشيئة الله، وما لا يشاء لا يكون. قال الزمخشري: التقدير ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال . ومن بدع التفاسير أن قوله : إن شاء الله من باب التقديم والتأخير، وأن موضعه بعد قوله : سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب ﷺ انتهى. وهذا البدع من التفسير مروي عن ابن جريج، وهو في غاية البعد، بل في غاية الامتناع."[1]

في المسألة قولان :

القول الأول : تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول ، وهو قول كثير من المفسرين[2]،واختاره أبو حيان .

قال الطبري : " ..إن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ بها قبل الدخول .

... عن السديّ[3]: فحملوا إلـيه أهلهم وعيالهم، فلـما بلغوا مصر كلم يوسف ﷺ الملك الذي فوقه، فخرج هو والملوك يتلقونهم، فلما بلغوا مصر

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٧) (٥/ ٣٤١).

٢ - الطبري (١٣/ ٤٢)،الماوردي والبغوي آية ٩٩،ابن عطية (٣/ ٢٨٠)،ابن الجوزي (٤/ ٢١٥)، الرازي (١٨/ ٥١٤)،القرطبي (٩/ ٢٥٩)،البيضاوي (٣/ ٣٠٨)،النسفي (٢/ ٣٤٠)،ابن جزي (٢/ ٢٣٤)، الخازن آية ٩٩،ابن كثير (٤/ ٣٥٢)،ابن عادل (١١/ ٢١٢)،البقاعي (٤/ ٩٨)الجلالين آية٩٩، الشوكاني (٣/ ٥٣)، الألوسي(٣١/ ٥٦)، ابن عاشور (١٣/ ٥٤).

٣ - وسنده قال:" حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسلط، عن السديّ."

قال ﴿ادْخُـلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِـينَ فَلَ مّا دَخَلُوا على يُوسُفَ آوَى إلَ يْهِ أَبَوَيْهِ ﴾."

وقال الماوردي :" إن يعود إلى استيطان مصر ، وتقديره استوطنوا م صر إن شاء الله."

وقال ابن عطية:" قال لهم ذلك في الطريق حين تلقاهم - قاله السدي وهذا الاستثناء هو الذي ندب القرآن إليه ، أن يقوله الإنسان في جميع ما ينفذه بقوله في المستقبل."

القول الثاني : إن قوله: إن شاء الله من باب التقديم والتأخير، و إن موضعه بعد قوله: سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب قاله ابن جريج .وذكره عنه كثير من المفسرين[1].

قال الطبري :" قال آخرون: بل قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ استثناء من قول يعقوب عليه السلام لبنيه أَسْتَغفِرُ لَكُمْ رَبِيّ قال: وهو من المؤخر الذي معناه التقديم، قالوا: وإنما معنى الكلام : قال: أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم. فَلَمّا دَخَ لُوا علـى يُوسُفَ آوَى إلَـيْهِ أبَوَيْهِ وقالَ ادْخـلوا مصْر ورفع أبويه. ذكر من قال ذلك:

...عن ابن جريج[2]:﴿ قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّي﴾ إن شاء الله آمنين. وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن يعني ابن جريج : (وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن) أنه قد دخل بـين قوله : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّـي وبـين قوله : إنْ شاءَ

١- الطبري (٤٢/١٣)،النحاس في معاني القرآن (٥٥٥/١)،الماوردي والبغوي آية ٩٩،ابن عطية (٢٨٠/٣)، ابن الجوزي (٢١٥/٤)،الرازي (٥١٤/١٨)،القرطبي (٢٥٩/٩)، النسفي (٣٤٠/٢)، ابن جزي (٢٣٤/٢)، الخازن آية ٩٩،ابن كثير (٣٥٢/٤)،ابن عادل (٢١٢/١١)، ، الشوكاني (٥٣/٣)، الألوسي(٥٦/٣١)، ابن عاشور (٥٤/١٣).

٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج."

اللَّهُ من الكلام ما قد دخل، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ".

وقال النحاس:" قال ابن جريج: أي سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله؛ قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره؛ قال النحاس : يذهب ابن جُرَيج إلى أنهم قد دخلوا مصر فكيف يقول: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾".

وقال الماوردي :" إنه راجع إلى قول يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم ، ويكون اللفظ مؤخراً ، وهو قول ابن جريج.".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما القول الثاني ففيه ضعف لأنه لم يقم على دليل واضح يقوي القول بالتقديم والتأخير.

قال ابن عطية:" وقال ابن جريج: هذا مؤخر في اللفظ وهو متصل في المعنى بقوله: ﴿سوف أستغفر لكم ﴾... وفي هذا التأويل ضعف."

الترجيح:

يترجح تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. ولا وجه للقول بالتقديم والتأخير.

قال الطبري :" والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السُّديّ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو

تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة."

قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[يوسف: ١٠٠].

في الآية ثلاث مسائل:

المسألة الأولى

هل الرفع والخرور قبل الدخول إلى مصر أم بعد الدخول ؟

قال أبو حيان : " ويحتمل أن يكون الرفع والخرور قبل دخول مصر بعد قوله: ادخلوا مصر، فكان يكون في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال أو الإبل، فحين دخلوا إليه آوى إليه أبويه وقال : ادخلوا مصر، ورفع أبويه . وخروا له."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الرفع والخرور قبل الدخول إلى مصر، وذكر هذا القول أبو حيان من باب الاحتمال ولم يذكره غيره من المفسرين مما اطلعت علي كتبهم .

القول الثاني: إن الرفع والخرور كان بعد الدخول إلى مصر، قد ذهب إليه بعض من المفسرين[2].

قال النسفي : " قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة الأحد

١ - البحر المحيط (٣٤١/٥) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية.

٢ - النسفي (٣٤١/٢)،ابن كثير (٣٥٢/٤)،البقاعي (٩٨/٤)،أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني (٥٥/٣).

عشر والأبوين سجداً."

وقال ابن كثير :" ومعنى الكلام ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ وآوى إليه أبويه ورفعهما على العرش... ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ أي سجد له أبواه وإخوته الباقون. وكانوا أحد عشر رجلاً."

وقال البقاعي:" ولما ذكر الأمن الذي هو ملاك العافية التي بها لذة العيش ، اتبعه الرفعة التي بها كمال النعيم، فقال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ ﴾ أي بعدما استقرت بهم الدار بدخول مصر مستويين ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أي السرير الرفيع ..﴿ وَخَرُّواْ ﴾ أي انحطوا له سجداً الأبوان والإخوة تحقيقاً لرؤياه ممن هو غالب على كل أمر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول بعيد ويرده السياق .

الترجيح:

يترجح أن الرفع والخرور كان بعد دخول مصر وذلك:

١. لدلالة السياق وترتب أحداث القصة.

٢. لكون الخرور تحقيقا لرؤيا يوسف عليه السلام فمن تمام تحققها أن تكون على مرأى من الناس ولا يتحقق ذلك إلا بعد الدخول إلى مصر.

قال الشوكاني :" إنه تلقاهم إلى خارج مصر، فوقف منتظراً لهم في مكان أو خيمة، فدخلوا عليه فـ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ فلما دخلوا مصر ودخلوا عليه دخولاً أخر في المكان الذي له بمصر ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أي: أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾ أي: الأبوان والأخوة،."

المسألة الثانية

ما المراد بالسجود في قوله ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وظاهر قوله: وخروا له سجداً أنه السجود المعهود ... وكان السجود إذ ذاك جائزاً من باب التكريم بالمصافحة، وتقبيل اليد، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير . وقال قتادة: كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . وقيل: هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط . وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض. ولفظة وخروا تأبى هذين التفسيرين."[1]

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول: إنه السجود الم عهود، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن جريج وهو قول كثير من المفسرين[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" وقوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ يقول: وخرّ يعقوبُ عليه السلام وولده وأمه ليوسف عليه السلام سجدا." ثم ذكر من قال من الصحابة والتابعين .

وقال الماوردي – بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أوجه - :" إنهم سجدوا ليوسف عليه السلام تعظيماً له ، قال قتادة: وكان السجود تحية من قبلكم وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة."

وقال البغوي :"وقيل : وضعوا الجباه على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة . وكان ذلك جائز اً في الأمم السالفة

---

١ - البحر المحيط (٣٤٢/٥) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية.

٢ – الطبري (٤٢/١٣)،الماوردي والبغوي آية ١٠٠،الرازي (٥١٤/١٨)،البيضاوي (٣٠٩/٣)، النسفي (٣٤١/٢) ،ابن جزي (٢٣٤/٢)،الخازن آية ١٠٠،ابن كثير (٣٥٢/٤)،أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني (٥٥/٣)،الألوسي(٦٦/٣١).

فنسخ في هذه الشريعة."

القول الثاني: إن هذا السجود كان انحناء أو إيماء بالرأس فقط، قاله الحسن وهو قول الواحدي والجلالين.(١)

قال الواحدي :" ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ سجدوا ليوسف عليه السلام سجدة التّحيّة وهو الانحناء."

وقال البغوي :" وكانت تحيةَ الناس يومئذ السجود ولم يُرِدْ بالسجود وضعَ الجباه على الأرض وإنما هو الانحناء والتواضع."

وقال الجلالان :" ﴿وَخَرُّوا ﴾أي أبواه وإخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا ﴾سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتَهم في ذلك الزمان ."

القول الثالث: إنه كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض. ذكره القرطبي(٢) وأبو حيان .

قال القرطبي :" وقيل: كان انحناء كالركوع، ولم يكن خروراً على الأرض."

القول الرابع: إن السجود هنا التواضع، والخرور بمعنى المرور لا السقوط على الأرض لقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الفرقان: ٧٣] أي لم يمروا عليها." ذكره الرازي(٣) وأبو حيان.

قال الرازي:" أن الخرور قد يعني به المرور فقط قال تعالى : ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣] يعني لم يمرو."

وقال أبو حيان :" وقيل: السجود هنا التواضع، والخرور بمعنى المرور لا

---

١ - الواحدي في الوجيز والجلالين آية ١٠٠.

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٦٤).

٣ - مفاتيح الغيب (١٨/ ٥١٤).

السقوط على الأرض لقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الفرقان: ٧٣] أي لم يمروا عليها."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن الأقوال كلها عدا القول الأول بعيدة لأنها صرف للفظ القرآني عن ظاهره؛ ولايتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ السجود غير وضع الجباه على الأرض.

الترجيح:

يترجح أن المراد بالسجود المعهود وضع الجباه على الأرض . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة الظاهر، ومعهود اللفظ.

قال الشوكاني :" فإن الخرور في اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلاّ بوضع الوجه على الأرض."

وقال الألوسي:" خروا له ﴿سُجَّدًا﴾ أي على الجبله كما هو الظاهر، وهو كما قال أبو البقاء حال مقدرة لأن السجود يكون بعد الخرور وكان ذلك جائزاً عندهم وهو جار مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير."

ومما ينبغي التنيه عليه حتى يزول الإشكال في المعنى أن السجود كان سجود تعظيم وتحية لاسجود عبادة تحقيقا لأمر الله في تأويل الرؤيا ؛ كما سجد الملائكة لآدم سجود تكريم بأمر من الله ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤] .

قال القرطبي :" وأجمع المفسِّرون أن ذلك السجود ع لى أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة."

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وإن الضمير في له عائد على يوسف عليه السلام لمطابقة الرؤيا في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]الآية..."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: الضمير يعود على يوسف عليه السلام، وهو قول كثير من المفسرين[2] واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" وقوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ يقول: وخرّ يعقوبُ عليه السلام وولده وأمه ليوسف عليه السلام سجداً."

وقال الماوردي :" إنهم سجدوا ليوسف عليه السلام تعظيماً له."

وقال البغوي :" ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ يعني: يعقوب عليه السلام وخالته وإخوته."

القول الثاني: الضمير يعود على الله، وهو قول النحاس والرازي والخازن[3] وذكره بعض المفسرين[4] مع القول الأول .

---

١ - البحر المحيط (٣٤٢/٥). وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية، وقوله : (وإن الضمير ...الخ) معطوف على قوله (وظاهر قوله وخروا له سجدا)؛ فيكون هذا وجه اختياره .

٢- الطبري (٤٢/١٣)،الماوردي والبغوي آية ١٠٠،الزمخشري ٣٤٤/٠٢)، ابن عطية (٢٨٢/٣)، ابن الجوزي (٢١٦/٤)، القرطبي (٢٦٤/٩)، البيضاوي (٣٠٩/٣)، النسفي (٣٤١/٢)، ابن جزي (٢٣٤/٢)، ابن كثير (٣٥٢/٤)، ابن عادل (٢١٢/١١)، الجلالين آية ١٠٠، أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني (٥٥/٣)، الألوسي (٦٦/٣١)،ابن عاشور (٥٤/١٣).

٣ - النحاس في معاني القرآن (٥٥٦/١)،الرازي في مفاتيح الغيب (٥١٤/١٨)،الخازن في لباب التأويل آية ١٠٠.

٤- الماوردي والبغوي آية ١٠٠، ابن الجوزي (٢١٦/٤)، القرطبي (٢٦٤/٩)، البيضاوي (٣٠٩/٣)، النسفي (٣٤١/٢)، الألوسي (٦٦/٣١)،

قال النحاس :"والمعنى :وخروا لله سجداً ."

وقال الرازي :" وأما قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ ففيه إشكال، وذلك :

لأن يعقوب عليه السلام كان أبا يوسف عليه السلام وحق الأبوة عظيم قال تعالى :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣] فقرن حق الوالدين بحق نفسه، وأيضاً أنه كان شيخاً، والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ.

والقول الثالث: إنه كان من أكابر الأنبياء ويوسف عليه السلام وإن كان نبياً إلا أن يعقوب عليه السلام كان أعلى حالاً مره.

والقول الرابع: إن جد يعقوب عليه السلام واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جد يوسف عليه السلام ولما اجتمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبالغ يوسف عليه السلام في خدمة يعقوب عليه السلام فكيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له يعقوب عليه السلام هذا تقرير السؤال.

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: وهو قول ابن عباس في رواية عطاء أن المراد بهذه الآية أنهم خروا له أي لأجل وجدانه سجداً لله تعالى، وحاصل الكلام : أن ذلك السجود كان سجوداً للشكر فالم سجود له هو الله، إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله والدليل على صحة هذا التأويل أن قو له:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير، ثم سجدوا له، ولو أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام لسجدوا له قبل الصعود على السرير لأن ذلك أدخل في التواضع فإن قالوا: فهذا التأويل لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد منه قوله: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[يوسف: ٤].

قلنا: بل هذا مطابق ويكون المراد من قوله : ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ لأجلي أي أنها سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي في إعلاء منصبي، وإذا كان هذا محتملاً سقط السؤال . وعندي أن هذا التأويل متعين، لأنه لا يستبعد من عقل يوسف ﵇ ودينه أن يرضى بأن يسجد لـه أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة.

والوجه الثاني: في الجواب أن يقال: إنهم جعلوا يوسف ﵇ كالقبلة وسجدوا للـه شكراً لنعمة وجدانه . وهذا التأويل حسن فإنه يقال : صليت للكعبة كما يقال: صليت إلى الكعبة. قال حسان شعراً:

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن[1]

وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال فلان صلى للقبلة، وكذلك يجوز أن يقال سجد للقبلة وقوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ أي جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث: في الجواب قد يسمى التواضع سجوداً ..."

وقال الخازن :" فإن قلت كيف استجاز يوسف ﵇ أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصباً في النبوة والشيخوخة؟ قلت : يحتمل أن الله تعالى أمر بذلك لتحقيق رؤياه، ثم في معنى هذا السجود قولان : أحدهما أنه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا إشكال فيه ، والقول الثاني : أنه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مشكل لأن السجود على هذه الصورة لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى ، وأجيب عن هذا الإشكال بأن السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وإنما كان يوسف ﵇

١ – لم أجده في ديوانه .

كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وظاهر هذا يدل على أنهم لما صعدوا على السرير خروا سجداً لله تعالى ولو كان ليوسف عليه السلام لكان قبل الصعود لأن ذلك أبلغ من التواضع فإن قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وقوله ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾فإن الضمير يرجع إلى أقرب المذكورات وهو يوسف عليه السلام .

قلت: يحتمل أن يكون المعنى وخروا لله سجداً لأجل يوسف واجتماعهم به."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فظاهر.
- وأما القول الثاني فهو بعيد من عدة وجوه :

الأول: إن سجودهم ليوسف عليه السلام فضل من الله عليه ورفعة في منزلته في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الثاني: إن سجود يعقوب عليه السلام وهو الأب ليوسف عليه السلام الابن ليس نقصا في قدر يعقوب حاشا وكلا وإنما هي كرامة أكرم الله بها الكريم ابن الكرماء .

الثالث : أن هذا له نظير في نبي الله داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص: ٣٠].

وقال تعالى ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنبياء: ٧٨ – ٧٩]. فالآية واضحة تمام الوضوح أن حكم سليمان عليه السلام الابن أصوب من حكم الأب

داود ﷺ لأنه فضل الله ومع ذلك فكلا أتاه الله حكما وعلما .

الرابع: أنه مما ذكر العلماء أن السجود كان تحية عندهم فحينئذ لا أشكال في أن يلقي الأب التحية بما هو متعارف عليه عندهم؛ لاسيما أنه كان في منصب رفيع قال الطبري:" وإنما عنى من ذ كر بقوله: إن السجود كان تحية بينهم، أن ذلك كان منهم على الخُلُق لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض.".

الخامس: حب يعقوب ﷺ الشديد ليوسف ﷺ تجعله يحيّه بهذه التحية إذا أضفنا لهذا الحب فترة غيابه عنه وانقطاع أخباره تجعله يلقاه بأفضل تحية.

السادس: قال الخازن :"وقيل : يحتمل أن الله أمر يعقوب ﷺ بتلك السجدة لحكمة خفية وهي أن إخوة يوسف ﷺ ربما احتملتهم الأنفة والتكبر عن السجود ليوسف ﷺ فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضاً فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزاً في ذلك الزمان فلما جاء الإسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه"

السابع: مما لاشك فيه أن أنبياء الله أشد الناس بعداً عن كل ما يكرهه الله ويبغضه .

وهم أعلى الناس خلقا ومنزلة فإن كان في سجود يعقوب ﷺ نقصاً في قدره لكان يوسف ﷺ من أشد المانعين له .

الثامن : دلالة السياق ترد هذا القول .

قال القرطبي :" الهاء في ﴿خَرُّوا لَهُ ﴾ قيل: إنها تعود على الله تعالى؛ المعنى: وخرّوا شكراً لله سجداً؛ ويوسف كالقِبْلة لتحقيق رؤياه، .....وهذا خطأ؛ والهاء راجعة إلى يوسف لقوله تعالى في أوّل السورة : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين ﴾ [يوسف:٤]."

التاسع: أن أسلوب القرآن وروعة بيانه يجعل هذا القول بعيدا .

العاشر: أن سجود الشكر لله لا يتنازع عليه اثنان وهو أول ما يتبادر إليه عن حصول النعمة، ولكان هنا عند أول اللقاء أو دخول مصر وليس بعد أن رفع أبويه على العرش. لأته سيكون سجود متأخرا على حصول النعمة.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على يوسف وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق في حصول تفسير الرؤيا القديمة ليوسف عليه السلام وتحققها على أكمل وجه.

٢. عود الضمير إلى أقرب مذكور وهو يوسف عليه السلام . وهو موافق لقاعدة الترجيح :[الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه].

قال البغوي : " ورُوي عن ابن عباس أنه قال : معناه خرُّوا لله عز وجل سُجّداً بين يدي يوسف. والأول أصح."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف: ١٠١].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالملك في قوله ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إن الملك هنا ملك مصر."[1]

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول : المراد ملك مصر، وهو قول كثير من المفسرين[2] ؛ واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ يعني: من ملك مصر."

وقال الماوردي :" إنه أراد مُلْك الأرض وهو الأشهر . وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون."

وقال البغوي :" ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ يعني: ملك مصر."

القول الثاني :المراد ملك نفسه من إنفاذ شهوته، ذكره أبو حيان .

قال أبو حيان :" وقيل: ملك نفسه من إنفاذ شهوته."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٤٧) (٥/ ٣٤٣).

٢ - الطبري (١٣/ ٤٧)،الماوردي والبغوي آية ١٠١،الزمخشري (٢/ ٣٤٤) ،ابن الجوزي (٤/ ٢١٦)، الرازي (١٨/ ٥١٨)،القرطبي (٩/ ٢٦٩)، البيضاوي (٣/ ٣)،النسفي (٢/ ٣٤٢) ،ابن جزي (٢/ ٢٣٥)، الخازن آية ١٠١ ، ابن عادل (١١/ ٢١٢)،أبي السعود (٤/ ٢٩٩) ،الشوكاني (٣/ ٥٥)، الألوسي(٣١/ ٧٦)،ابن عاشور (١٣/ ٥٩).

القول الثالث : المراد ملك حساده بالطاعة، ونيل الأماني من الملك وهو قول عطاء وذكره الماوردي وأبو حيان .

قال الماوردي :" إن الملك هو احتياج حساده إليه، قاله عطاء."

وقال أبو حيان :" وقال عطاء: ملك حساده بالطاعة، ونيل الأماني من الملك ."

القول الرابع : أراد تصديق الرؤيا التي رآها، ذكره الماوردي .

قال الماوردي :" أراد تصديق الرؤيا التي رآها.".

القول الخامس: إنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء ، ذكره الماوردي .

قال الماوردي :" إنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء."

نلاحظ مما سبق إيراده مايلي:

- أما القول الأول فظاهر.
- وإما بقية الأقوال فكلها بعيدة لبعد معناها من اللفظ وهو الملك .

الترجيح:

يترجح أن المراد هنا ملك مصر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق قال تعالى ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[يوسف: ٥٥ - ٥٦].

٢. ولأنها من أعظم النعم التي حصلت له بعد النبوة والحكمة، لاسيما وقد طلبها من الملك بنفسه فهو أهل لها.

٣. وكذلك لم يحصل له من العزة والتمكين إلا بكونه في هذا المنصب الرفيع.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

هل تمنى يوسف الموت أم لا عندما قال﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وذكر كثير من المفسرين أنه لما عد نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه، ورأى أنّ الدنيا كلها فانية فتمنى الموت . وقال ابن عباس ﷺ: لم يتمن الموت حي غير يوسف عليه السلام، والذي يظهر أنه ليس في الآية تمنى الموت، وإنما عدد نعمه تعالى عليه، ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره أي: توفني إذا حان أجلي على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين . وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول : إنه تمنى الموت،قاله ابن عباس وقتادة؛وذكره جماعة من المفسرين.[2] قال الطبري :" وقيل: إنه لم يتمنّ أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف عليه السلام ..كان ابن عباس: يقول: أوّل نبيّ سأل الله الموت يوسف عليه السلام."

وقال البغوي:" ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا ﴾ يقول: اقبضني إليك مسلماً ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يريد بآبائي النبيين، قال قتادة: لم يسأل نبيّ من الأنبياء الموت إلاّ يوسفعليه السلام، وفي القصة: لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربّه ﷻ فقال هذه المقالة."

وقال الزمخشري:" طلب للوفاة على حال الإسلام، ولأن يختم له بالخير

---

١ - البحر المحيط (ح٥/٢٤٧) (٥/٣٤٣).

٢ - الطبري (٤٧/١٣)، البغوي آية ١٠١،الزمخشري (٣٤٤/٢) ،ابن عطية (٢٨٣/٣)، الرازي (٥١٨/١٨)، البيضاوي (٣/ ٣١٠)،النسفي (٣٤٢/٢) ،ابن جزي (٢٣٥/٢)، الخازن آية ١٠١ ، ابن عادل (٢١٢/١١)،البقاعي (٩٩/٤)، أبي السعود (٢٩٩/٤) ، الألوسي(٧٦/٣١).

والحسنى، كما قال يعقوب لولده﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٢]
ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل."

القول الثاني : إنه لم يتمن الموت ولكن دعا الله أن يتوفاه على الإ سلام، وهو قول كثير من المفسرين.[1]واختاره أبو حيان.

قال الطبري :" يقول: اقبضني إليك مسلماً، وأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ يقول : وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك."

وقال الواحدي :" ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾اقبضني على الإِسلام."

وقال ابن عطية:" وذكر المهدوي[2] تأويلاً آخر – وهو الأقوى عندي – أن ليس في الآية تمني موت – وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره أي ﴿ توفني ﴾ – إذا حان أجلي – على الإسلام، واجعل لحاقي بالصالحين، وإنما تمنى الموافاة على الإسلام لا الموت."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ضعيف وذلك :

١. لمخالفته دلالة السياق فالمفهوم منها أنه لم يتمن الموت وأنما دعا بحسن الختام .
٢. لأن هذا لا يليق بأنبياء الله ورسله .
٣. لأن الإنسان في أغلب أحواله يتمنى الموت في حالة الكرب والفتن والبلاء الشديد ولا يتمناه في حالة الرخاء واليسر والملك

---

١ – الطبري (١٣/٤٧)، الواحدي في الوجيز آية ١٠١،الزمخشري (٢/٣٤٤) ،ابن عطية (٣/٢٨٣)، ابن الجوزي (٤/٢١٦)، القرطبي (٩/٢٦٩)، البيضاوي (٣/ ٣١٠)،النسفي (٢/٣٤٢)، ابن جزي (٢/٢٣٥)، الخازن آية ١٠١ ، ابن كثير (٤/٣٥٤)،الشوكاني (٣/٥٥) ، الألوسي (٣١/٧٦).

٢ – أحمد بن عمار المهدوي، أبو العباس، مقرئ أندلسي له تفسير " التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل". توفي سنة٤٤٠هـ. كشف الظنون (٥/٧٥)، الأعلام(١/١٨٤).

والمنصب بل أنه يكون أشد حرصا على الحياة والسلامة .

٤. لأنه قد ورد عن ابن عباس ما يناقض قوله الأول فلا يصح الاستدلال بقوله.

الترجيح:

يترجح أن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت بل دعا الله أن يختم له وهو على الإسلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن هذا الدعاء هو اللائق بمقام الأنبياء وهم القدوة للمؤمنين .

٢. لأن هذا مقام شكر من نبي الله يوسف عليه السلام ومقام تذلل لله وإخبات فهو عدد نعم الله عليه ولسان حاله يقول يارب أعطيتني من النعم الكثيره والعظيمة وأنا لم أسالك إياها بل بفضلك وكرمك وإحسانك إلي وبدلت العسر يسرا فانا أسألك أن تتم عليّ نعمك بأن تتوفاني على الإسلام فإنه مسك الختام وهي وصية أبيه يعقوب لهم قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[البقرة: ١٣٢].

قال ابن الجوزي :" ﴿رَبِّ قَدْ﴾ أي: الذي تلي أمري. توفني مسلما قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه . وكان ابن عقيل يقول: لم يتمن يوسف عليه السلام الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة . والمعنى: توفني إذا توفيتني مسلما قال الشيخ: وهذا الصحيح."

وقال القرطبي :" وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمنّ المو ت، وإنما تمنّى الوفاة على الإسلام؛ أي إذا جاء أَجَلِي تَوَفَّنِي مسلماً؛ وهذا قول الجمهور."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٣ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بالناس في الآية ؟

قال أبو حيان : " والناس، الظاهر الع موم لقوله : ولكن أكثر الناس لا يؤمنون." [1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد عموم الناس وهو قول كثير من المفسرين؛ [2] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري:" ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ يريد العموم، كقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٧ ﴾ [هود: ١٧].

قال النسفي:" ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم."

وقال ابن جزي : " ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين."

القول الثاني : المراد أهل مكة قاله ابن عباس، وهو قول بعض المفسرين[3] .

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: وما أكثر مشركي قومك يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك، و يتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بم صدّقيك

١ - البحر المحيط (ح٥/٢٤٧) (٥/٣٤٤).

٢ -الزمخشري(٢/٣٤٥) ،الرسفي (٢/٣٤٣)،ابن جزي (٢/٢٣٥)،ابن كثير (٤/٣٥٧)، البقاعي (٤/١٠٥)،أبي السعود(٥/٢)،الشوكاني (٣/٥٧)،والألوسي (٣١/٧٦)،ابن عاشور (١٣/٦١).

٣ - الطبري(١٣/٥٠)، ابن عطية (٣/٢٨٤)، الرازي (١٨/٥٢٠)،القرطبي (٩/٢٧١)،الجلالين آية ١٠٣.

ولا متبعيك..".

وقال ابن عطية:" هاتان الآيتان[1] تدلان أن الآية التي قبلهما فيها تعريض لقريش ومعاصري محمد ﷺ."

وقال الرازي:" إن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺعلى سبيل التعنت، واعتقد رسول الله ﷺ أنه إذا ذكرها فربما آمنوا، فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية، وكأنه إشارة إلى ما ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الثاني فيندرج تحت القول الأول، وإن ذكره البعض كسبب للنزول الآية .

الترجيح:

يترجح القول بالعموم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :
لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب؛وهي قاعدة مهمة في الترجيح.

والله تعالى أعلم

١ - أي آية رقم [١٠٣ و١٠٤] يوسف وهى قوله ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ ﴾[يوسف: ١١٠].

في الآية مسألة واحدة وهي :

علام يعود الضمير في قوله﴿ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان .

قال الطبري:" حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله، ويصدّقوهم فيما أتوهم به من عند الله، وظنّ الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذّبة أن الرسل الذين أرسلناهم، قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده إياهم نصرهم عليهم، جاءهم نصرنا .

... عن ابن عباس[3]، في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ قال: من قومهم أن يؤمنوا بهم، وأن يستجيبوا لهم، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءَهُمْ نَصْرُنا يعني الرسل ."

وقال الماوردي:" جاء الرسل نصر الله تعالى، قاله مجاهد."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ل٢٥٠) (٣٤٨/٥).

٢- الطبري (٥٣/١٣)،الماوردي آية ١١٠ ، الواحدي في الوسيط (٦٣٨/٢)، ابن عطية (٢٨٦/٣)، ابن الجوزي (٢٢٠/٤) ، القرطبي (٢٧٤/٩)،ابن عادل (٢٢٥/١١)،البقاعي (١١٣/٤) ، الجلالين آية ١١٠،أبي السعود(٢/٥)،الشوكاني(٦٠/٣) ، الألوسي(٧٩/٣١)،ابن عاشور (٢٨٦/١٣).

٣ – وسنده قال :" حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس."

وقال الواحدي :"قال ابن عباس : يريد نصر النبيين ،والمعنى :أن نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى ظن قومهم الظ نون ثم نصروا فأهلك المكذب وأنجى المصدق ."

القول الثاني : إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل وعلى من آمن بهم،وهو قول البيضاوي والنسفي وابن كثير.[1]

قال البيضاوي:" ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لايشاركهم فيه غيرهم."

وقال النسفي:" ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب."

وقال ابن كثير :" يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- إن كلا القولين صواب فإذا نصر الرسل فهو نصر لمن آمن بهم، وإن لم يصرح بذكرهم فإنه لاشك أن العاقبة لرسل الله تعالى ومن تبعهم.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على الرسل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك: لأنهم هم الذين ذكروا في سياق الآية ولم يجر لمن آمن بهم ذكر في السياق، ومع ذلك فإن نصر الله إذا جاء للرسل فهو لمن آمن بهم أيضاً . قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

---

١ - البيضاوي (٣/٣١٢)،النسفي (٢/٣٤٥)،ابن كثير (٤/٣٦٣).

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف: ١١١].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" الضمير (في قصصهم) عائد على الرسل، أو على يوسف عليه السلام وأبويه وأخوته، أو عليهم وعلى الرسل ثلاثة أقوال."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: الضمير يعود على الرسل، وهو قول جماعة من المفسرين.[2]

قال الزمخشري:" الضمير في ﴿قَصَصِهِمْ﴾للرسل وينصره قراءة من قرأ: (في قصصهم) بكسر القاف[3]."

وقال ابن كثير:" لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم."

وقال البقاعي:" ﴿في قصصهم﴾ أي الخبر العظيم الذي تلي عليك تتبعاً لأخبار الرسل الذين طال بهم البلاء حتى استيأسوا من نوح عليه السلام إلى يوسف عليه السلام ومن بعده- على جميعهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام."

القول الثاني: الضمير يعود على يوسف عليه السلام وأبويه وإخوته، وهو قول جماعة

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٥٠) (٣٤٨/٥) ، والأقوال الثلاثة كلها محتملة عند أبي حيان .

٢ - الزمخشري (٣٤٧/٢) ، وابن كثير (٣٦٥/٤)،البقاعي (١١٣/٤) ،والجلالين آية ١١١ .

٣ - قال أبو حيان يرد على قول الزمخشري :" ولا ينصره إذ قصص يوسف وأبيه وأخوته مشتمل على قصص كثيرة وأنباء مختلفة. والذي قرأ بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي، والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمر وجمع قصة." انظر البحر المحيط (٣٤٨/٥).

من المفسرين.[1]

قال الطبري :" لقد كان في قصص يوسف عليه السلام وإخوته عِبرة لأهل الحِجا والعقول، يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها."

وقال الواحدي:" لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِم يعني إخوة يوسف عليه السلام."

وقال البغوي:" ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾أي: في خبر يوسف عليه السلام وإخوته."

القول الثالث: الضمير يعود على الرسل وعلى يوسف عليه السلام وأبويه وإخوته، وهو قول بعض الفسرين.[2]

قال ابن عطية :" الضميرفي قصصهم عام ليوسف عليه السلام وأبوية وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة."

وقال البيضاوي:" لقد كان في قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف عليه السلام وإخوته."

وقال النسفي :" ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾أي في قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف عليه السلام وإخوته."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثالث يجمع بين القول الأول والثاني.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على الرسل وعلى يوسف عليه السلام وأبيه وإخوته وذلك: لدلالة السياق فالله فصل في قصة يوسف عليه السلام ثم ذكر حال المرسلين.

---

١ - الطبري (١٣/ ٥٩)،الواحدي في الوسيط(٢ /٦٣٨)،البغوي آية ١١١،ابن الجوزي (٤/ ٢٢١)، الرازي (١٨/ ٥٢٤)،القرطبي (٩/ ٢٧٧)، ، الشوكاني (٣/ ٦٠).

٢ - ابن عطية ص١٠٢٥ طبعةدار الأندلس وهو ساقط من الطبعة الأخري ،البيضاوي (٣/ ٣١٢)، النسفي (٢/ ٣٥٤)، ابن جزي (٢/ ٢٣٦) أبي السعود (٥/ ٢)،والألوسي (٣١/ ١٠١).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر إنّ اسم كان مضمر يعود على القصص أي : ما كان القصص حديثاً مختلقاً، بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب، ولا تتلمذ لأحد، ولا خالط العلماء، فمحال أن يفتري هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت. وقيل: يعود على القرآن أي: ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف عليه السلام وغيره حديثاً يختلق ... وتقدم أول السورة قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[يوسف: ٢] وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[يوسف: ٣]، وفي آخرها: ما كان حديثاً يفتري إلى آخره، فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن، وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم ."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: يعود على القرآن؛ وهو قول كثير من المفسرين.[2]

قال الواحدي:" قوله ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾أي:ما كان هذا القرآن حديثاً يتقوله بشر."

وقال البغوي:" ﴿مَا كَانَ﴾يعني: القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾."

---

١ - البحر المحيط (ح٥/ ل٢٥١) (٥/٣٤٨).

٢- الواحدي في الوسيط (٢/٦٣٩)،البغوي آية ١١١،الزمخشري (٢/٣٤٧)،ابن عطية ص١٠٢٥ طبعة دار الأندلس ،ابن الجوزي (٤/٢٢١)، الرازي (١٨/٥٢٤)، القرطبي (٩/٢٧٧)، البيضاوي (٣/٣١٢) ،النسفي (٢/٣٤٥)، ابن جزي(٢/٢٣٦)،ابن كثير(٤/٣٦٥)،البقاعي(٤/١١٣)الجلالين آية١١١، أبي السعود(٥/٢)الشوكاني (٣/٦٠)،الألوسي(٣١/١٠١)

وقال الزمخشري:" أي: ما كان القرآن حديثاً يفترى."

القول الثاني : يعود على القصص ذكره ابن الجوزي، واختاره أبو حيان .

قال ابن الجوزي:" ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثاني مندرج تحت القول الأول ففي القرآن القصص والأخبار والأحكام والمواعظ والأوامر والنواهي ..الخ.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على القرآن وذلك:

لعموم اللفظ ودلالة السياق.

قال تعالى ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

فالقرآن مصدق لما بين يديه قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨].

والقرآن هدى ورحمة قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٥٢].

والله تعالى أعلم

تمت بحمد الله ترجيحات سورة يوسف عليه السلام

ترجيحات أبي حيان

في سورة الرعد

قال تعالى ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [الرعد: ١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ ؟

قال أبو حيان :" وأكثر الناس قيل: كفار مكة لا يصدقون أن القرآن منزل من عند الله تعالى. وقيل: المراد به اليهود والنصارى، والأولى أنه عام."[1]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد كفار مكة وهو قول جماعة من المفسرين[2] .

قال الطبري:" وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ من مشركي قومك لا يصدقون بالحقّ الذي أنزل إليك من ربك، ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه."

وقال الواحدي:" ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: أهل مكة."

وقال البغوي :" ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة."

القول الثاني :المراد اليهود والنصارى وذكره الماوردي [3]وأبو حيان والألوسي.

قال الماوردي:" أكثر اليهود والنصارى، لأن أكثرهم لم يسلم."

وقال الألوسي :" وقيل: اليهود والنصارى."

---

١ - البحر المحيط (ح٦/ ل٣) (٥/٣٥٣).

٢ - الطبري (١٣/ ٦٠)، الواحدي في الوجيز والبغوي آية ١،ابن الجوزي (٤/ ٢٢٣)،القرطبي (٩/٢٧٨)،الخازن والجلالين آية ١،الألوسي(٣١/ ٧٠١).

٣ - النكت والعيون آية ١.

القول الثالث : المراد به العموم ، وهو قول جماعة من المفسرين[1] واختاره أبو حيان.

قال الماوردي :" أكثر الناس في زمان رسول الله ﷺ."

وقال ابن كثير :" وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ كقوله: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾[يوسف: ١٠٣] أي مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول والقول الثاني فبعيد لأنه لادليل على التخصيص.
- وأما القول الثالث فهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول بالعموم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لمفهوم دلالة الآية.

قال الألوسي:" والأولى أن يراد أكثرهم مطلقاً."

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل نصوص الوحي على العموم][2].

والله تعالى أعلم

---

١ - الماوردي آية ١، ابن كثير (٣٦٧/٤)، البقاعي (١١٧/٤)، أبي السعود (٢/٥)، الشوكاني (٦٣/٣)، الألوسي(٧٠١/٣١)،ابن عاشور (٧٨/١٣).

٢ - قواعد الترجيح(٥٢٧/١).

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الرعد: ٢].

في الآية ثلاث مسائل :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " يحتمل وجهين : أحدهما أنها لها عمد، ولا ترى تلك العمد، وهذا ذهب إليه مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس: وما يدريك أنها بعمد لا ترى؟ وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف المحيط بالأرض، والسماء عليه كالقبة.

والوجه الثاني: أن يكون نفي العمد، والمقصود نفي الرؤية عن العمد، فلا عمد ولا رؤية أي: لا عمد لها فترى. والجمهور على أن السموات لا عمد لها البتة، ولو كان لها عمد لاحتاجت تلك العمد إلى عمد، ويتسلسل الأمر، فالظاهر أنها ممسكة بالقدرة الإلهية . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥] ونحو هذا من الآيات."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إنها لها عمد، ولا ترى تلك العمد، قاله ابن عباس وذكره جماعة من المفسرين[2] .

١ - البحر المحيط (ح٦/ ل٣) (٥/ ٣٥٤).

٢ - الفراء(٢/ ٥٧)،الطبري(١٣/ ٦١)،الماوردي آية ٢،ابن عطية (٣/ ٢٩٠)، القرطبي (٩/ ٢٧٩)، الخازن آية ٢، البقاعي(٤/ ١١٧)،الشوكاني (٣/ ٦٣)،الشنقيطي(٣/ ٢٤).

قال الفراء:" ويقال :خلقها بعمد لا ترونها، لاترون تلك العمد . والعرب قد تقدم الحجة[1] من آخر الكلام إلى أولها:يكون ذلك جائزاً ."

قال الطبري :" واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمَد لا ترونها....

..عن عكرمة[2]، قال: قلت لابن عباس: إن فلاناً يقول: إنها على عَمَد، يعني السماء؟ قال: فقال: اقرأها ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾: أي لا ترونها..

..عن مجاهد[3]، في قول الله : ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ قال: هي لا ترونها."

وقال الماوردي:" فيه تأويلان:

أحدهما: يعني بِعُمد لا ترونها، قاله ابن عباس."

القول الثاني: إنه ليس لها عمد وهو قول كثير من المفسرين، [4] واختاره

---

١ - هكذا في المطبوع، وفي تفسير الطبري (١٦/٣٢٣-٣٢٤) تحقيق محمود شاكر ما نصه :" فقال بعضهم: تأويل ذلك: الله الذي رفع السموات بعمد لا ترونها ذكر من قال ذلك ... ومن تأول ذلك كذلك، قصد مذهب تقديم الجحد من آخر الكلام إلى أوله كقول الشاعر:

ولا أراها تزال ظالمة   تحدث لي نكبة وتنكؤها

يريد :أراها لا تزال ظالمة، فقدم الجحد عن موضعه من(تزال).

٢ - وسنده قال الطبري:" حدثنا أحمد بن هشام، قال : ثنا معاذ بن معاذ، قال : ثنا عمران بن حدير، عن عكرمة.."

٣ - وسنده قال الطبري:" حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا عفان، قال: ثنا حماد، قال: ثنا حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد.."

٤- الفراء(٢/٥٧)، الطبري (١٣/ ٦١)، النحاس (١/ ٥٦١)، الماوردي آية ٢، الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٢، الكشاف(٢/٣٤٨)،ابن عطية (٣/ ٢٩٠)،ابن الجوزي(٤/ ٢٢٣) ،الرازي(١٩/ ٥)، القرطبي(٩/ ٢٧٩)، البيضاوي (٣/ ٣١٦)،النسفي(٢/ ٣٤٧)،ابن جزي (٢/ ٢٣٧) ،الخازن آية ٢، =

أبو حيان.

قال الفراء:"يقول خلقها مرفوعة بلا عمد ، ترونها : لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر."

وقال الطبري :" وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد...

عن قتادة[1]، قوله: ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ قال: رفعها بغير عمد."

وقال النحاس:" المعنى : ترونها بغير عمد ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

إن مدار الخلاف هو في مرجع الضمير في قوله﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ .

قال ابن عطية :" والضمير في قوله : ﴿ترونها﴾ قالت فرقة: هو عائد على (السماوات). فـ (ترونها) – على هذا – في موضع الحال، وقال جمهور الناس: لا عمد للسماوات البتة، وقالت فرقة: الضمير عائد على العمد، فـ (ترونها) – على هذا – صفة للعمد، وقالت هذه الفرقة: للسماوات عمد غير مرئية – قاله مجاهد وقتادة – وقال ابن عباس: وما يدريك أنها بعمد لا ترى؟ وحكى بعضهم: أن العمد جبل قاف المحيط بالأرض، والسماء عليها كالقبة."

وأما معنى العمد فهو :

قال الفراء : العمد والعمد جمع العمود مثل أديم وادم وادم، وقضيم وقضم وقضم، والعماد والعمود ما يعمد به الشيء، ومنه يقال : فلان عمد قومه إذا كانوا يعتمدون فيما بينهم."

فالقول إن السماء مرفوعة بغير عمد يراها الناس ، دل عليه السياق و

=

ابن كثير (٣٦٧/٤)،البقاعي(١١٧/٤)،الجلالين آية ٢،أبي السعود (٢/٥)، الشوكاني (٦٣/٣)، الألوسي (٧٠١/٣١)،السعدي ص ٤١٢،الشنقيطي(٢٤/٣)،ابن عاشور(٧٩/١٣).

١ – وسنده قال الطبري:" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.."

تعضده آيات وردت في القرآن تدل على هذا المعنى : قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٣٢].

وقال تعالى ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾[الطور: ٥].

وقال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾[الرحمن: ٧].

وقال تعالى ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾[النازعات: ٢٧ – ٢٨].

وقال تعالى﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾[الغاشية: ١٧].

وهي مرفوعة بقدرة الله سبحانه قال تعالى﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحج: ٦٥].

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[فاطر: ٤١].

وقد فسر بعض العلماء العمد بأنها قدرة الله .

قال الرازي: " وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فنتج أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك."

أما في العصر الحديث فقد ذكر علماء الإعجاز العلمي في القرآن أن العمد غير المرئية في العلوم الكونية قد أشارت الدراسات الكونية إلى وجود قوى مستترة في اللبنات الأولية للمادة وفي كل من الذرات والجزيئات وفي كافة

أجرام السماء تحكم بناء الكون وتمسك بأطرافه إلى أن يشاء الله تعالى فيدمره ويعيد خلق غ يره جديد .ومن القوى التي تعرف عليها العلماء في كل من الأرض والسماء أربع صور، يعتقد بأنها أوجه متعددة لقوة عظمى واحدة تسري في مختلف جنبات الكون لتربطه برباط وثيق وإلا لانفرط عقده وهذه القوى هي :

١. القوه النووية الشديدة.

٢. القوة النووية الضعيفة.

٣. القوة الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).

٤. قوة الجاذبية .

وهي على المدى القصير تعتبر أضعف القوى المعروفة لنا ،ولكن على المدى الطويل تصبح القوة العظمى في الكون نظرا لطبيعتها التراكمية فتمسك بكافة أجرام السماء ،وبمختلف تجمعاتها، ولولا هذا الرباط الحاكم الذي أودعه الله تعالى في الأرض وفي أجرام السماء ما كانت الأرض ولا كانت السماء ولو زال هذا الرباط لانفرط عقد الكون وانهارت مكوناته .

ولا يزال أهل العلم يبحثون عن موجات الجاذبية المنتشرة في أرجاء الكون كله ،منطلقة بسرعة الضوء دون أن ترى، ويفترض وجود هذه القوة على هيئة جسيمات خاصة في داخل الذرة لم تكشف بعد يطلق عليها اسم الجسيم الجاذب أو الجرافيتون، وعلى هذا فإن الجاذبية هي أربطة الكون ...."[1]

وعلى كل حال فهل من الممكن إطلاق مسمى العمد على هذه الروابط الكونية .

وأما القول بأن العمد جبل قاف المحيط بالأرض، والسماء عليه كالقبة.فقد

---

١ – مقال د.زغلول النجار بعنوان (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) باختصار شديد ، في جريدة الأهرام تأريخ ١٧/ ٢٠٠١/٩ وموجود على موقعه .

قال الرازي:" أن قوله:﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ صفة للعمد، والمعنى : بغير عمد مرئية، أي للسموات عمد. ولكنا لا نراها قالوا: ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونها . وهذا التأويل في غاية السقوط، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة لأنه يقال إن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأي دلالة لثبوتها على وجود الإله."

وكذا ما مدى صحة وجود جبل قاف وما مصدر هذا الكلام؟؟

وأجد أن الجواب هو: من الإسرائيليات.

الترجيح:

يترجح أن القول الأول محتمل؛ وكل هذا من قدرة الله ﷻ .

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾؟

قال أبو حيان : " والظاهر إنّ المحذوف هو ضمير الشمس والقمر أي : كليهما يجري إلى أجل مسمى."[1]

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد الشمس والقمر، وهو قول جماعة من المفسرين .[2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي : " ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ذلّلهما لما يُراد منهما ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى وقتٍ معلومٍ، وهو فناء الدُّنيا."

وقال البغوي : " ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ذلّلهما لمنافع خلقه فهما مقهوران ﴿كُلٌّ يَجْرِى﴾ أي: يجريان على ما يريد الله ﷻ ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا."

وقال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾اي: ذللهما لما يراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾أي: إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا."

القول الثاني: المراد الشمس والقمر وسائر الكواكب، وهو قول جماعة من المفسرين[3] .

---

١ - البحر المحيط (ح٦/٣) (٣٥٤/٥).

٢- الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٢.ابن الجوزي (٢٢٣/٤)،البيضاوي(٣١٦/٣)،الخازن آية ٢، البقاعي (١١٧/٤).الجلالين آية ٢،أبي السعود(٢/٥)،الشوكاني(٦٣/٣)،الألوسي(٧٠١/٣١).

٣-الطبري(٦١/١٣)،ابن عطية(٢٩٠/٣)،الرازي(٥/١٩)،القرطبي(٢٧٩/٩)،ابن كثير (٣٦٧/٤)، ابن عادل (٢٣٤/١١).

قال الطبري:" وقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول جلّ ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى: أي لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكوّر الشمس، ويُخسف القمر وتنكدر النجوم وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأنّ (كلٌّ) لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به."

وقال ابن عطية:" وقوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾ تنبيه على القدرة، و ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب – وكذلك قال: ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من التسخير، و (كل) لفظة تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدرة، و(الأجل المسمى) هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية ، وقيل: يريد بقوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ الحدود التي لا تتحداها هذه المخلوقات أن تجري على رسوم معلومة."

وقال القرطبي:" أي إلى وقت معلوم؛ وهو فناء الدنيا، وقيام الساعة التي عندها تُكوّر الشمس، ويُخسَف القمر، وتنكدر النّجوم، وتنتثر الكواكب."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول يندرج في القول الثاني .

الترجيح:

يترجح أن المراد الشمس والقمر وسائر الكواكب، وذلك :

١. لأن الشمس والقمر هما أبرز الأجرام السماوية المعروفة والمشاهدة وما يجري لهما ينطبق على بقية الكواكب كما ذكر الله في آيات اخرى .

قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ

بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾[التكوير: ١ - ٢].

٢. إنّ (كلٌّ) لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به، وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما المراد بالآيات في قوله ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" ويفصل الآيات يجعلها فصولاً مبينة مميزاً بعضها من بعض. والآيات هنا دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته، أو آيات الكتب المنزلة، أو آيات القرآن أقوال."(1)

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد بالآيات دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته، وهو قول كثير من المفسرين.(2)

قال الواحدي:" ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ ﴾يبيّن الدلائل التي تدلُّ على التّوحيد والبعث ."

وقال البغوي:"﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ ﴾ يبين الدلالات."

وقال ابن عطية :" و ﴿ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ هنا إشارة إلى ما ذكر في الآية وبعدها."

القول الثاني: المراد آيات الكتب المنزلة.وهو قول بعض المفسرين(3) .

قال الطبري:" وقوله:﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ ﴾ يقول: يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجاً بها عليكم أيها الناس."

وقال الزمخشري:" ﴿يُفَصِّلُ﴾آياته في كتبه المنزلة."

١- البحر المحيط (ح٦/ ل٣) (٥/ ٣٥٤).

٢- الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٢، ابن عطية (٣/ ٢٩٠)،ابن الجوزي (٤/ ٢٢٣)، الرازي (١٩/ ٥)، البيضاوي (٣/ ٣١٦)، الخازن آية ٢، ابن كثير (٤/ ٣٦٧)، البقاعي (٤/ ١١٧)، ابن عادل (١١/ ٢٣٤)، الجلالين آية ٢، أبي السعود(٥/ ٢)،الشوكاني(٣/ ٦٣).

٣- الطبري (١٣/ ٦١)،الزمخشري (٢/ ٣٤٨)، النسفي (٢/ ٢٤٧)،ابن جزي(٢/ ٢٣٧)، الألوسي (٣١/ ٧٠١).

وقال النسفي:" ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين آياته في كتبه المنزلة."

القول الثالث: المراد آيات القرآن، وذكره أبو حيان .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن كل الأقوال يعضد بعضها البعض فكل ما يدل على وحدانيته سبحانه يبينه بالقول بما أنزل على رسله، والفعل بما خلق من خلقه .

الترجيح:

يترجح أن المراد كل ما ذكر من آيات الله في خلقه أو في كتبه المنزلة على رسله ، وقد دل السياق على ذلك قال تعالى : ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ١ – ٢].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد: ٣].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ ؟

قال أبو حيان :"...فتحصل في قوله ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ ثلاثة تأويلات، بسطها بعد أن كانت مجتمعة، واختصاصها بمقدار معين، وجعل حجمها كبيرا لا يرى منتهاه."[1]

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول : المراد بسطها بعد أن كانت مجتمعة، وهو قول كثير من المفسرين.[2]

قال الفراء :" أي بسط الأرض عرضا وطولا ."

وقال أبو عبيدة : "أي بسطها في الطول والعرض."

وقال الطبري :" يقول تعالى ذكره: والله الذي مدّ الأرض، فبسطها طولاً وعرضا."

---

١ - البحر المحيط (ح٦/ل٤) (٥/٣٥٥).

٢ - الفراء(٢/٥٨)،أبو عبيدة معمر بن المثنى (١/٣٢١)،الطبري (١٣/٦٣)،الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٣،الزمخشري (٢/٣٤٨)،ابن عطية (٣/٢٩٣)، ابن الجوزي(٤/٢٢٤) ، الرازي (١٩/٨) ،القرطبي (٩/٢٨٠)،البيضاوي(٣/٣١٦)،النسفي(٢/٣٤٨)،ابن جزي (٢/٢٣٧)،الخازن آية٣، ابن كثير (٤/٣٦٩)، ابن عادل (١١/٢٣٤)، البقاعي (٤/١٢٢)،الجلالين آية ٣،أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٣)،الألوسي(١٣/١١).

القول الثاني : المراد اختصاصها بمقدار معين، ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي :" فقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه هو الذي جعل الأرض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا أزيد ولا أنقص والدليل عليه أن كون الأرض أزيد مقداراً مما هو الآن وأنقص منه أمر جائز ممكن في نفسه فاختصاصه بذلك المقدار المعين لا بد أن يكون بتخصيص وتقدير."

القول الثالث : المراد جعل حجمها كبيراً لا يرى منتهاه ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي :" قال أبو بكر الأصم[1] المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه فقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجماً عظيماً لا يقع البصر على منتهاه، لأن الأرض لو كانت أصغر حجماً مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به."

القول الرابع : المراد مدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا، ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي :" قال قوم كانت الأرض مدورة فمدها ودحا من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا."

القول الخامس : المراد أنها كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها : اذهبي كذا وكذا، ذكره الوازي وأبو حيان .

قال الرازي :" وقال آخرون: كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها : اذهبي كذا وكذا."

---

١ - شيخ المعتزلة، توفي سنة ٢٠١هـ، وله تفسير، وكتاب خلق القرآن وغيرها . سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٩)، الفهرست لابن النديم ٢١٤.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما الأقوال الثلاثة الأولى فهي يكمل بعضها البعض الأخر . ولا تتنافي مع القول بكروية الأرض .

قال ابن عطية : وقوله: ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾يقتضي أنها بسيطة لا كرة - وهذا هو ظاهر الشريعة وقد تترتب لفظة المد والبسط مع التكوير والله أعلم."

وقال أبو عبدالله الداراني [1]: " ثبت بالدليل أن الأرض كرة ،ولا ينافي ذلك قوله ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ وذلك أن الأرض جسم عظيم ،والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح ،والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله تعالى ألا ترى أنه قال ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[النبأ: ٧]، مع أن العالم والناس يسيرون عليها ،فكذلك هنا وأيضا إنما ذكر مد الأرض ليستدل به على وجود الصانع ،وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع ..."[2]

وقال أبو حيان - في معرض رده على بعض قول أبي بكر الأصم :"وهذا الذي ذكره من أنها لو كانت أصغر إلى آخره غير مسلم ،لأن المنتفع به من الأرض المعمور والمعمور أقل من غير المعمور بكثير، فلو أراد تعالى أن يجعلها مقدار المعمور المنتفع به لم يكن ذلك ممتنعاً ."

ويمكن أن يقال أن غير المعمور يمكن الانتفاع به أيضا،و هل يمكن معرفة نسبة المعمور من الأرض إلى غير المعمور، الله أعلم .

- وأما القول الرابع والخامس يندرجان في القول الأول.

الترجيح:

---

١ - لم أقف على ترجمته.

٢ - نقل كلامه أبو حيان في تفسيره .(٣٥٥/٥).باختصار

يترجح القول بأن المراد بـقوله ﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ بسطها في الطول والعرض و اختصاصها بمقدا ر معين و حجم كبير لا يرى منتهاه، وذلك لأن الأقوال مجتمعة تفيد معنى مد الأرض ، وتكمل صورته ولا تتنافى في ما بينها، وهو اختيار أبو حيان ومن وافقه.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾ ؟

قال أبو حيان :"والظاهر إن قوله ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ متعلق بـ(جعل)ولما ذكر الأنهار ذكر ما ينشأ عنها وهو الثمرات ،والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقيض الاثنين، يعني أنه حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت ."[1]

الدراسة:

في الآية قولان:

القول الأول : المراد به صنفان و ضربان ونوعان فكل صنف زوجان واحد ذكر وواحد أنثى، وهو قول كثير من المفسرين.[2] .

قال الفراء:" الزوجان اثنان الذكر والأنثى والضربان يبين ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥﴾[النجم: ٤٥] فتبين أنهما اثنان بتفسير الذكر والأنثى لهما ."

وقال الطبري:" وقد بيّنا فيما مضى [3] أن العرب تسمي الاثنين زوجين، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجة لذكرها، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥﴾[النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأنثى

---

١ - البحر المحيط (ح٦/ل٤) (٣٥٥/٥).

٢- الفراء (٥٨/٢)، الطبري (٦٣/١٣)، الماوردي والبغوي آية ٣، الزمخشري (٣٤٨/٢)، ابن عطية (٢٩٣/٣)، ابن ا لجوزي(٢٢٤/٤) ،الرازي(٨/١٩)،القرطبي (٢٨٠/٩)، البيضاوي (٣١٦/٣)، الخازن آية ٣، ابن كثير (٣٦٩/٤)،ابن عادل (٢٣٤/١١) ،الجلالين آية ٣،أبي السعود (٢/٥)، الشوكاني (٦٣/٣)،الألوسي(١١/٣١).

٣ -جامع البيان (١٣٢/١و١٨١)آية٢٥و٣٥سورة البقرة ،و(٤٨/٨)آية١٤٣سورة الأنعام .

زوجين. وإنما عنى بقوله:﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: نوعين وضربين."

وقال الماوردي:" أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها ، كذلك كل النبات وإن خفي."

القول الثاني: المراد به الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة.وهو قول بعض المفسرين[1] .

قال الواحدي:" حلواً وحامضاً."

وقال النسفي:" أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك."

وقال ابن جزي:"يعني صنفين من الثمر :كالأسود والأبيض،والحلو والحامض ."

وقال الخازن:" يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلواً وحامضاً."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فيفيد نوع الاختلاف.
- ولا مانع من وجود أكثر من نوعين.

قال ابن عطية:" هذه الآية تقتضي أن كل ثمرة موجود م نها نوعان، فإن اتفق أن يوجد في ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار في معنى الآية."

وقال ابن جزي :"فإن قيل : تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافا كثيرة، والجواب:أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر ا لاثنين، لأن دلالة غيرهما من باب أولى ."

١- الواحدي في الوجيز آية ٣،النسفي(٣٤٨/٢)،ابن جزي(٢٣٧/٢)،الخازن آية ٣،

الترجيح:

يترجح أن المراد بزوجين اثنين صنفان اثنان والاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو الطبيعة كالحار والبارد أو اللون كالأبيض والأسود.وذلك :

١. لورود آيات أخرى تدل على ذات المعنى وهي:

- قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يس: ٣٦] .
- وقوله تعالى﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾[ق: ٧].

٢. أن السبب في تقيّد الاثنين هو إشارة إلى أول الخلق.

قال الرازي: " لما خلق الله تعالى العالم وخلق فيه الأشجار، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط. فلو قال: خلق زوجين، لم يعلم أنّ المراد النوع أو الشخص، فلما قال: اثنين علمنا أنه أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد. فالشجر والزرع كبني آدم، حصل منهم كثرة، وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص وهما آدم وحواء..."[١]

والله تعالى أعلم

١ - مفاتيح الغيب (١٩/٨).

قال تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾[الرعد: ٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

لمن الوصف وما المراد في قوله ﴿صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ ﴾؟

قال أبو حيان :" والظاهر من تفسير أكثر المفسرين للصنوان أن يكون قوله: صنوان، صفة لقوله : ونخيل. ومن فسره منهم بالمثل جعله وصفاً لجميع ما تقدم أي: أشكال، وغيره إشكال."[1]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: أن صنوان، صفة لقوله: ونخيل. والمعنى : يجمعهن أصل واحد. وهو قول كثير من المفسرين.[2] واختاره أبو حيان.

قال الفراء:"الرفع فيه سهل ،لأنه تفسير لحال النخل ...والصنوان النّخلات يكون أصلهن واحداً .وجاء في الحديث عن النبي ﷺ :((إن عم الرجل صنو أبيه))[3]."

وقال أبو عبيدة :" ﴿ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ﴾ أي يكون أصله واحداً

---

١ – البحر المحيط (ح٦/ ل٥) (٥/٣٥٧).

٢ – الفراء(٢/٥٨)،أبو عبيدة معمر بن الثنى (١/٣٢٢)،الطبري (١٣/ ٦٤)، النحاس (١/٥٦٢)، الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٤ ،ابن عطية (٣/٢٩٣)،ابن الجوزي (٤/٢٢٥) ، الرازي (١٩/ ٩)، القرطبي (٩/ ٢٨١)، البيضاوي(٣/٣١٧)،ابن جزي(٢/٢٣٨)، الخازن آية ٤،ابن كثير (٤/٣٦٩)، ابن عادل (١١/٢٣٤) ،الجلالين آية٣،أبي السعود (٥/ ٢)،الشوكاني (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/ ١١).

٣ – صحيح مسلم / كتاب الزكاة/ باب في تقديم الزكاة ومنعها/ حديث رقم(٩٨٣).

وفرعه متفرق و واحده صنو والاثنان صنوان ..."

وقال الطبري :" ونَخِيـلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ فإن الصنوان : جمع صنو، وهي النخَلات يجمعهن أصل واحد.."

القول الثاني: إن يكون قوله :صنوان ، صفة لما تقدم والمعنى أشكال ، وغير أشكال ، وذكره الماوردي والرازي.[1]

قال الماوردي:" إن الصنوان الأشكال، وغير الصنوان المختلف، قالـه بعض المتأخرين."

وقال الرازي :": الصنو المثل[2]، ومنه قوله ﷺ **((ألا إن عم الرجل صنو أبيه))** أي مثله ... وإذا فسرناه ... كان المعنى : أن أشجار النخيل قد تكون متماثلة متشابهة، وقد لا تكون كذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أن كلا القو لين محتمل لأن صنو يصح إطلا قه في اللغة [3] على النخل فيما كان أصله واحد ؛ وعلى جميع الشجر .

الترجيح:

يترجح أن المراد بصنوان أي الأصل الواحد والمثل ويصح أن تكون صفة للنخل والزرع والجنات. وذلك :

١. لجواز إطلاق اللفظ على كلا المعنيين .

٢. لجواز تفسير الحديث على كلا المعنيين .

١ – الماوردي آية٤، الرازي (١٩/ ٩).

٢ – قال الرازي:"وذكر ثعلب عن ابن الأعرابي."

٣ – انظر القاموس المحيط مادة صنو ،وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٤٤٦).وعمدة الحفاظ ص٣٠١.

قال ابن الأثير[1]:"يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي أو مثلي."[2]

والله تعالى أعلم

١ – علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم،عز الدين، أبو الحسن، الشيخ الإمام المحدث الأديب النسابة،توفي سنة ٦٣٠هـ. سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي(١٣٩٩/٤)، البداية والنهاية(١٣٩/١٣).

٢– النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٧/٣).

قال تعالى ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾[الرعد: ٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل توجد الأغلال في الأخرة حقيقة ؟

قال أبو حيان :"والظاهر أنّ الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم في الآخرة[1]، كما قال : ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾[غافر: ٧١]."[2]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إنّ الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم ، وهو قول كثير من المفسرين.[3] واختاره أبو حيان .

قال الطبري :" يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب، وَقالُوا أئِذَا كُنَّا تُرَاباً أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذّبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الأ غلال يوم القيامة في نار جهنم. فأولئك أصحاب النار : يقول: هم سكان النار يوم القيامة، هُمْ فيها خَالِدُونَ يقول: هم فيها ماكثون أبداً، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها."

---

١ - في المطبوع :والظاهر أن الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم كالأغلال، ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة.

٢ - البحر المحيط (ح٦/ل٧) (٥/٣٥٩).

٣ - الطبري(١٣/٦٩)،البغوي آية ٤، ابن عطية (٣/٢٩٥)،ابن الجوزي (٤/٢٢٦)، القرطبي (٩/٢٨٣)، البيضاوي (٣/٣١٧) ،ابن جزي(٢/٢٣٩)،الخازن آية ٥،الشوكاني (٣/٦٦)، الألوسي (١١/٣١)، ابن عاشور(١٣/٨٩).

وقال البغوي:" قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ يوم القيامة."

وقال ابن عطية:" وقوله:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: الحقيقة وأنه أخبر عن كون ﴿ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ في الآخرة فهي كقوله تعالى:﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[غافر: ٧١]."

وقال ابن الجوزي:" إنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون."

القول الثاني: إن تكون مجازاً أي : هم مغلولون عن الإيمان، فتجري إذاً مجرى الطبع والختم على القلوب وهو قول بعض من المفسرين.[1]

قال الزمخشري:" ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ وصف بالإصرار، كقوله:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ﴾[يس: ٨] ونحوه:

.... لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ[2]

وقال ابن عطية :" ويحتمل أن يكون مجازاً وأنه أخبر عن كونهم مغللين عن الإيمان، فهي إذن تجري مجرى الطبع والختم على القلوب ، وهي كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾[يس: ٨]."

وقال الرازي:" قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ وفيه قولان:

الأول: قال أبو بكر الأصم : المراد بالأغلال : كفرهم وذلتهم وانقيادهم

---

١ - الزمخشري (٢/٣٤٨)،الرازي(١٩/ ١١)،النسفي (٢/٣٤٨)، وأبي السعود (٥/ ٢)،والسعي ص٤١٣، وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي والبيضاوي وابن جزي والشوكاني ذكروه مع القول الأول وليس اختياراً.

٢ - لا أعرف قائله والشق الأول هو قول الشاعر : كيف الرشاد وقد خلفت في نفو .ذكره الألوسي (٣١/ ١١).

للأصنام، ونظيره قوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ قال الشاعر:

.... لَـهُمْ عَنِ الرُّشْـدِ أَغْـلاَلٌ وَأَقْيَـادُ

القول الثالث : إن الأغلال هنا عبارة عن أع ماهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال.

قال الزجاج :" أنها الأعمال التي هي أغلال."[1]

وقال ابن الجوزي:" أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج."

وقال القرطبي:" وقيل: الأغلال أعماهم السيئة التي هي لازمة لهم."

وقال أبو حيان :" وقيل: الأغلال هنا عبارة عن أع ماهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : ظاهر.
- وأما القول الثاني : يندرج فيه القول الثالث فالمراد بهما المجاز وليس الحقيقة

وهما بعيدان عن المعنى المطلوب لأنه ما الذي يمنع من وجود الأغلال حقيقة عقوبة من الله للكفار يوم القيامة .

الترجيح:

يترجح أن الأغلال حقيقة في أعناقهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق.

٢. قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾[الرعد: ٥].

١ - معاني القرآن (٣/٨٣).

٣. أنه قد ورد في آية أخري ما يدل على المعنى بوضوح . قال تعالى :﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[غافر: ٧١].

٤. أن قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾[يس: ٨]فسره أبو حيان على أنه حقيقة لا مجازاً .

٥. لأنه [يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة][١].وهي قاعدة من قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٨٧/٢).

قال تعالى﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾[الرعد: ٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالحسنة والسيئة؟

قال أبو حيان : " قال ابن عباس : السيئة العذاب، والحسنة العافية . وقال قتادة: بالشر قبل الخير . وقيل: بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، وهذه الأقوال متقاربة."[1]

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد السيئة العذاب، والحسنة العافية قاله ابن عباس، وهو قول كثير من المفسرين[2] .

قال البغوي:" والسيئة هاهنا هي: العقوبة والحسنة: العافية."

وقال الزمخشري:" بالنقمة قبل العافية."

وقال ابن الجوزي:" بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس."

القول الثاني: المراد السيئة الشر، والحسنة الخير قاله قتادة ،وهو قول الطبري والماوردي[3] .

قال الطبري :"﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ وهم مشركو العرب استعجلوا بالشرّ قبل الخير."

١- البحر المحيط (ح٦/ل٧) (٥/٣٥٩).

٢- البغوي آية٦، الزمخشري (٢/٣٤٩)، ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الرازي (١٩/١٢)، البيضاوي (٣/٣١٨)، النسفي (٢/٣٤٩)،ابن جزي (٢/٢٣٩)، الخازن آية ٦،أبي السعود (٥/٢)، الألوسي (١١/٣١)، ابن عاشور (١٣/٩١).

٣ – الطبري (١٣/٧٠)،الماوردي آية ٦.

وقال الماوردي:" بالشر قبل الخير."

وقال ابن الجوزي:" بالشر قبل الخير، قاله قتادة."

القول الثالث : السيئة البلاء والعقوبة ، والحسنة الرخاء والعافية . وهو قول الطبري والنحاس و ابن كثير والشوكاني[1] .

قال الطبري:" ويستعجلونك يا محمد مشركوا قومك بـالهلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية."

وقال النحاس :" روى معمر عن قتادة ،قال :بالعقوبة قبل العافية ."

وقال الماوردي :"يعني بالعقوبة قبل العافية، قاله قتادة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أن الأقوال متقاربة فالعقوبة والبلاء والنقمة والعذاب كلها شر، والعافية والرخاء كلها خير .

الترجيح:

يترجح أن المعاني المذكورة متقاربة ومدلولها واحد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وقد وردت آيات تدل على مثل هذه المعاني :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال: ٣٢].

قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾[يونس: ١١].

وقال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الحج: ٤٧].

١ – النحاس(١/ ٥٦٢)،ابن كثير(٤/ ٣٧١)،الشوكاني(٣/ ٦٦).

وقال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [العنكبوت: ٥٣ - ٥٤].وغيرها.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[الرعد: ٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المراد بقوله ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" عن ابن عباس : لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: ((أنا منذر)) وأومأ بيده إلى منكب عليّ وقال : ((أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي))[1]....وإن صح ما روي عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنما جعل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب مثالاً من علماء الأمّة وهداتها إلى الدين، فكأنه قال : أنت يا علي هذا وصفك، ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم كذلك علماء كل عصر، فيكون المعنى على هذا : إنما أنت يا محمد منذر، ولكل قوم في القديم والحديث دعاة هداة إلى الخير."[2]

الدراسة:

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول : المراد به العموم ومعناه: وداع إلى الهدى قاله قتادة ، وذكره كثير من المفسرين.[3] واختاره أبو حيان.

قال الفراء :"وقال بعضهم :لكل قوم هاد يتبعونه ،إما بحق أو باطل."

---

١ - يأتي تخريجه عند القول السابع.

٢ - البحر المحيط (ح٦/ ل٨) (٣٦٠/٥).

٣ - الفراء(٢/ ٥٩)،الطبري(١٣/ ٧١)،الماوردي آية٧،والواحدي في الوسيط (٢/ ٦)، البغوي آية٧، ابن عطية (٢٩٥/٣)، ابن الجوزي (٢٢٧/٤)، ابن جزي(٢/ ٢٤٠)، ابن كثير (٣٧٢/٤)، البقاعي (١٢٧/٤).

وقال الطبري:"... عن قتادة[1]: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هذا قول مشركي العرب، قال الله : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ لكلّ قوم داعٍ يدعوهم إلى الله."

قال الماوردي:" ولكل قوم هاد، أي دعاة، قاله الحسن."

القول الثاني : المراد ولكل أمة سلفت هاد أي: نبي يدعوهم،قاله قتادة ومجاهد وابن زيد ، وذكره كثيرمن المفسرين[2] .

قال عبد الرزاق الصنعاني: "...عن قتادة[3] في قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ قال نبي يدعوهم إلى الله."

وقال الفراء:" قال بعضهم :نبي."

وقال الطبري :"... عن مجاهد[4]، قال : المنذر محمد ﷺ. وَلِكُلّ قَوْمٍ هادٍ قال: نبيّ."

وقال الزجاج:"نبي يدعوهم بما يعطي من الآيات ، لا بما يتحكمون فيه من الاقتراحات ."

القول الثالث : المراد بالهادي العمل .قاله أبو العالية [5] ، وذكره بعض

---

١ – وسنده قال الطبري :"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.."

٢ – عبد الرزاق الصنعاني(٢/٢٢٧)، الفراء(٢/ ٥٩)،الطبري(١٣/ ٧١)،الزجاج(٣/١٤٠)،البغوي آية٧، الزمخشري (٢/٣٥٠)، ابن عطية (٣/٢٩٥)،ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الرازي (١٩/ ١٤)، القرطبي (٩/٢٨٤)، البيضاوي (٣/٣١٩)، ابن جزي(٢/٢٤٠)،الخازن آية ٧،أبي السعود (٥/ ٢)، الشوكاني (٣/٦٦)،الألوسي (٣١/٧١١).

٣ – وسنده قال عن معمر عن قتادة.."

٤– وسنده قال :"حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد."

٥– رفيع بن مهران، الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أحد الأعلام،أدرك زمان الرسول ﷺوهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ودخل عليه،توفي سنة ١٠٦هـ. طبقات ابن سعد(٧/١١٢)، تاريخ البخاري(٣/٣٢٦)، سير أعلام النبلاء(٤/٢٠٧).

المفسرين(□) .

قال الطبري:" عن أبي العالية(□): ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ قال: الهادي: القائد، والقائد: الإمام، والإمام: العمل."

قال الماوردي:" معناه ولكل قوم عمل، قاله أبو العالية."

قال ابن الجوزي:" إن الهادي: العمل، قاله أبو العالية."

القول الرابع : المراد هاد قائد إلى الخير أو إلى الشر قال تعالى في الخير : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾[الحج: ٢٤] وقال في الشر: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣] قاله أبو صالح .وذكره بعض من المفسرين(□) .

قال الطبري :" وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ : يقول ولكلّ قوم إمام يأتمون به وهاد يتقدّمهم، فيهديهم إما إلى خير وإما إلى شرّ."

قال النحاس:"وقال أبو صالح :المعنى لكل قوم داعي هدى أو داعي ضلالة ."

قال الماوردي:" ولكل قوم هاد معناه ولكل قوم قادة وهداة، قاله أبو صالح."

القول الخامس : المراد سابق بعلم يسبقهم إلى الهدي .قاله أبو عيسى ،ذكره الماوردي والقرطبي من المفسرين(□) .

قال الماوردي :" معناه ولكل قوم سابق بعلم يسبقهم إلى الهدى ، حكاه ابن عيسى."

قال القرطبي:" أي مُعْلِم."

---

١ - الطبري(١٣/ ٧١)، الماوردي آية٧ ،ابن الجوزي(٤/٢٢٧) ،الخازن آية ٧.

٢ - وسنده قال:" حدثني المثنى، قال : ثنا إسحاق، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية.."

٣ - الطبري(١٣/ ٧١)، النحاس(١/٥٦٤)، الماوردي آية ٧،ابن الجوزي(٤/٢٢٧)،الخازن آية ٧.

٤ - الماوردي آية ٧،القرطبي(٩/ ٢٨٤).

القول السادس: المراد به النبي محمد ﷺ ، وذكره بعض من المفسرين[1] .

قال الطبري:"...[2]: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ قالا: محمد هو المنذر وهو الهاد."

وقال البغوي:" قال عكرمة: الهادي محمد ﷺ يقول: إنما أنت منذر وأنت هادٍ لكل قوم أي: داعٍ.

قال ابن الجوزي:" إن الهادي: رسول الله ﷺ أيضا، قاله عكرمة، والمعنى: أنت منذر، وأنت هاد."

القول السابع : المراد بالهادي في هذه الآية هو الله تعالى .قاله سعيد ابن جبير ومجاهد وابن عباس والضحاك .وهو قول كثير من المفسرين[3] .

قال الطبري:"... عن سعيد بن جبير[4]: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ قال: محمد المنذر، والله الهادي."

قال النحاس:"..عن الضحاك ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال :الله ﷻ ."

قال الماوردي:" أنه الله تعالى، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير."

القول الثامن : المراد بالهادي علي بن أبي طالب ؓ. ذكره الطبري وذكره

---

١ -الطبري (١٣/ ٧١)،البغوي آية ٧،ابن الجوزي(٤/٢٢٧)،الخازن آية٧،ابن عادل (١١/٢٤٩)، ابن عاشور(١٣/ ٩٤).

٢ - وسنده قال:" حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السُّديّ، عن عكرمة ومنصور، عن أبي الضحى.."

٣ - الطبري(١٣/ ٧١)،النحاس(١/ ٥٦٤)،الماوردي والبغوي آية ٧، الزمخشري(٢/ ٣٥٠)،ابن عطية (٣/ ٢٩٥)، ابن الجوزي (٤/٢٢٧) ،الرازي(١٩/ ١٤)، القرطبي(٩/ ٢٨٤)، البيضاوي (٣/ ٣١٩)، ابن جزي (٢/ ٢٤٠)،الخازن آية٧،ابن عادل(١١/ ٢٤٩)،أبي السعود(٥/ ٢)، الشوكاني (٣/ ٦٦).

٤ - وسنده قال:" حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان،عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير." وقد نقل قول مجاهد وابن عباس والضحاك.

بعض المفسرين[1].

قال الطبري:"وقال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب ﷺ. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن يحيى الصوفيّ، قال: ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: ثنا معاذ بن مسلم، بياع الهروي[2]، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَومٍ هادٍ وضع ﷺ يده على صدره، فقال : ((**أنَا الْمُنْذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**))، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: ((**أنْتَ الهادِي يا عَليّ، بك يَهْتَدِي الْمُهْتَدُون بَعْدِي**))."

قال ابن عطية :" وقالت فرقة " الهادي ": علي بن أبي طالب ، وورويت عن النبي ﷺ- من طريق ابن عباس - أنه قرأ هذه الآية وعلي حاضر ، فأومأ بيده إلى منكب علي وقال: " أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي."

قال ابن الجوزي :" وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله ﷺ

---

١ - الطبري(١٣/ ٧١)،ابن عطية(٣/٢٩٥)، ابن جزي(٢/ ٢٤٠)،ابن كثير(٤/٣٣٧٢).

٢ - قال محمود شاكر :"أحمد بن يحي الصوفي ، شيخ الطبري :ثقة، والحسن بن الحسين الأنصاري ...كان من رؤساء الشيعة ،ليس بصدوق ولا تقوم به حجة .وقال ابن حبان :"يأتي عن الأثبات بالملزقات ،ويروى المقلوبات والمناكير ."مترجم في ابن أبي حاتم (١/ ٢/ ٦)،وميزان الاعتدال (١/١٩٨).

ومعاذ بن مسلم بياع الهروي ،لم يذكر بهذه الصفة (بياع الهروي)في غير التفسير ،و(الهروي) ثياب تنسب إلى هراة .وجعلها في المطبوعة (حدثنا الهروي)فأفسد الإسناد إفسادا .و(معاذ بن مسلم) مجهول .هكذا قال ابن أبي حاتم (٤/ ١/٢٤٨)،وميزان الاعتدال (٣/١٧٨)،ولسان الميزان (٦/٥٥) وهذا خبر هالك من نواحيه،وقد ذكره الذهبي وابن حجر في ترجمة الحسن بن الحسين الأنصاري ، قالا بعد أن ساقا الخبر بإسناده ولفظه ،ونسبته لابن جرير أيضا :"معاذ نكرة ،فلعل الآفة منه "وأقول- أي محمود شاكر - بل الآفة من كليهما :الحسن بن الحسين ومعاذ بن مسلم ."جامع البيان (١٦/٣٥٧).

يده على صدره، فقال: ((**أنا المنذر**)) وأومأ بيده إلى منكب علي، فقال: ((**أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي**)) قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول يفيد العموم ويمكن أن يردرج تحته القول الثاني والقول الثالث والقول الرابع والقول الخامس فالنبوة والقيادة والعمل والسابق بعلم كلها من الممكن أن تندرج تحت مسمى الداعي إلى الهدى.
- وأما كون الهادي هو النبي محمد ﷺ فجائز فهو بعث لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾[الشورى: ٥٢ – ٥٣].

ومع ذلك فقد قال تعالى ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾[القصص: ٥٦].

فالهداية قسمان :

١. هداية إرشاد . ويقوم بها الأنبياء والمصلحون ..الخ كل حسب علمه

وغايته.

٢. هداية توفيق. وهي من الله وحده لا يستطيعها أحد كائنا من كان.

وأما كون الهادي هو الله فهذا مما لاشك فيه ولكن ليس هو المفهوم من الآية.

قال ابن عطية :" وقالت فرقة : " الهادي " في هذه الآية الله عز وجل ،... والألفاظ تطلق بهذا المعنى ، ويعرف أن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع."

وأما أن المراد به على بن أبي طالب ﷺ فهو ضعيف وذلك:

١. لعدم صحة الرواية.

قال ابن الجوزي :" وهذا من موضوعات الرافضة."

وقال ابن كثير :" وهذا الحديث فيه نكارة شديدة."

الترجيح:

يترجح القول إن المراد به العموم ومعناه: وداع إلى الهدى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك :

- لدلالة السياق. فلفظ (كل) تدل على العموم، بل هي أعمها[1].
- أنه لم يرد نص بالتخصيص فيجب حمل نصوص الوحي على العموم . وهذه من قواعد الترجيح[2] التي أخذ بها المفسرون .

قال الطبري:" لا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جلّ

---

١ - انظر التمهيد لأبي الخطاب (١/ ٩)،والبحر المحيط للزركشي (٦٢/٣) وغيرها من الكتب التي تحدثت عن صيغ العموم .

٢ - انظر قواعد الترجيح (٥٢٨/٥).

ثناؤه: إن محمداً هو المنذر مَن أُرْسِلِ إليه بالإنذار، وإن لكلّ قوم هادياً يهديهم فيتبعونه ويأتمون به."

قال ابن عطية :" والقولان الأولان أرجح ما تأول في الآية ."- وهو القول بالعموم والنبي.

قال تعالى﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾[الرعد: ٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " قال الزمخشري :.. ويعلم ما تغيضه الأرحام تنقصه، وما تزداد أي تأخذه زائداً تقول : أخذت منه حقي وازددت منه كذا، ومنه : ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾[الكهف: ٢٥] ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد. وما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد، فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة.. ومنه جسد الولد، فإنه يكون تاماً ومخدجاً، ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر، فما زاد عليها إلى سن تين عند أبي حنيفة [١]، وإلى أربع عند الشافعي [٢]، وإلى خمس عند مالك [٣]...ومنه الدم فإنه يقل ويكثر . وإن كانت مصدرية فالمعنى : أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، فلا يخفى عليه شيء من ذلك من أوقاته وأحواله . ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أنّ الفعل غير متعد ويعضده قول الحسن: الغيضوضة أن يقع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أ ن يزيد على تسعة أشهر . وعنه: الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ولد التمام انتهى [٤]. وهو جمع ما قاله المفسرون

---

١ - المبسوط (٦/ ٤٤).

٢ - المبسوط (٦/ ٤٤).

٣ - الشرح الكبير (٤/ ٤٠٧)، منح الجليل شرح مختصر خليل (٢/ ٣٥٥).

٤ - الكشاف(٢/ ٣٥٠).

مفرقاً."[1]

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ بالسقط الناقص ﴿وَمَا تَزْدَادُ ﴾ بالولد التام، قاله ابن عباس والحسن.وذكره كثير من المفسرين[2] .

قال الزمخشري :" ومنه الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام."

قال ابن الجوزي –بعد أن ذكر أن فيه أربعة أوجه -:" وما تغيض: بالسقط الناقص، وما تزداد : بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين."

وقال الخازن:" وقيل: النقصان السقط والزيادة تمام الخلق."

القول الثاني: (وما تغيض الأرحام) بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، (وما تزداد) بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير والضحاك . وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وق د خرجت سني.

قال الفراء :"(تغيض)يقول:فما تنقص من التسعة الأشهر التي هي وقت الحمل ،(وما تزداد) أي تزيد على التسعة.أو لا ترى أن العرب تقول :غاضت

---

١ - البحر المحيط (ح٦/ ل٩) (٥/ ٣٦٢).

٢ - وذكر المفسرون الأقوال الأخرى تزيد وتنقص وهم :الفراء(٢/ ٥٩)، الطبري(١٣/ ٧٢)، ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٢٦)،النحاس(١/ ٥٦٤)،الماوردي آية٨،الواحدي في الوسيط (٣/ ٧)،البغوي آية٨، الزمخشري (٢/ ٣٥٠) ،ابن عطية (٣/ ٢٩٧)،ابن العربي (٣/ ٥٥)،ابن الجوزي (٤/ ٢٢٧)، ا لرازي (١٩/ ١٦)، القرطبي (٩/ ٢٨٥)، البيضاوي (٣/ ٣١٩)،النسفي(٢/ ٣٤٩)،ابن جزي (٢/ ٢٤٠)، الخازن آية ٨،ابن كثير (٤/ ٣٧٣)،ابن عادل (١١/ ٢٥٨)،البقاعي(٤/ ١٢٧)،الجلالين آية ٨،أبي السعود (٥/ ٢)،الشوكاني(٣/ ٦٦)، الألوسي(٣١/ ٨١١).

المياه أي نقصت .وفى الحديث :(إذا كان الشتاء قيضاً ،والولد غيظاً ،وغاضت الكرام غيضاً ،وفاضت اللئام فيضاً) [1] فقد تبين النقصان في الغيض."

وقال الطبري:" يقول: وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض، وما تزداد فـي حملها علـى الأشهر التسعة لتـمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض."

قال النحاس:"قال الحسن والضحاك :هو نقصان الولد عن تسعة أشهر ، وزيادته عليها."

القول الثالث: (وما تغيض الأرحام)بانقطاع الحيض في الحمل (ما تزداد) بدم النفاس بعد الوضع.

قال القرطبي:" وقيل: الغيض انقطاع دم الحيض. ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ بدم النفاس بعد الوضع."

وقال الشنقيطي:" وقيل الغيض: انقطاع دم الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع." ونقله عن القرطبي كما وضح.

القول الرابع: (وما تغيض الأرحام) بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد (وما تزداد) في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل ، لأنها كلما حاضت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً، قال عكرمة وقتادة.

قال البغوي:" وقال أهل التفسير: غيض الأرحام: الحيض على الحمل؛ فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتمُّ

---

[1] – هو من قول أبي هريرة : (إذا كان الشتاء قيظاً ، والولد غيضاً ، وفاض اللئام فيضاً ، وغاض الكرام غيضاً ، فشويهات عفر بجبل خير من ملك بني النضير) رواه ابن أبي الدنيا في العزلة ، انظر جامع المسانيد والمراسيل .

فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم."

قال ابن عطية:" وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ معناه: ما تنقص، وذلك أنه من معنى قوله: ﴿وغيض الماء﴾[هود: ٤٤] وهو بمعنى النضوب فهي - هاهنا - بمعنى زوال شيء عن الرحم وذهابه، فلما قابله قوله: ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾فسر بمعنى النقصان: ثم اختلف المتأولون في صورة الزيادة والنقصان : فقال مجاهد :" (غيض الرحم) أن يهرق دماً على الحمل ، وإذا كان ذلك ضعف الولد في البطن وشحب، فإذا أكملت الحامل تسعة أشهر لم تضع وبقي الولد في بطنها زيادة من الزمن يكمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بمهراقة الدم، فهذا هو معنى قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ وجمهور المتأولين على أن غيض الرحم الدم على الحمل."

قال ابن الجوزي – بعد أن ذكر أن فيه أربعة أوجه -:" وما تغيض: بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد : إذا أمسكت الدم فيعظم الولد، قاله مجاهد."

القول الخامس: (وما تغيض الأرحام) من ولدته قبل (وما تزداد) من تلده من بعد، حكاه السدي وقتادة.

قال الزمخشري:" ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد، فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة."

وقال الرازي:" ثم اختلفوا فيما تغيضه الرحم وتزداده على وجوه . الأول: عدد الولد فإن الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة وأربعة."

وقال البقاعي :" (وما تغيض) أي تنقص (الأرحام) من الماء فتنشفه فيضمحل لعدم صلاحيته لأن يكون منه ولد ، وأصل الغيض - كما قال الرماني: ذهاب المائع في العمق الغامض ، وفعله متعد لازم (وماتزداد) أي

الأرحام من الماء إلى الماء الذي قدر تعالى كونه حملاً فيكون توأماً فأكثر."

القول السادس: الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها. وهو قول القرطبي والشنقيطي.

قال القرطبي:" وقيل: الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها."

وقال الشتقيطي:" وقيل الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد كنقصان إصبع وغيرها وزيادة إصبع وغيرها."ونقله عن القرطبي كما وضح .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن المفسرين متفقون على أن معنى (الغيض)هو النقص،وأن الزيادة في معناها المقابل للنقص .

والخلاف في صورة الزيادة والنقصان .

الترجيح:

يترجح أن المراد من الغيض هو النقص وأن مقابلها الزيادة ، وأن ما ذكره المفسرون من الأقوال كلها محتملة لدلالة العموم .

قال القرطبي:" قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ** ﴾ يعني من النقصان والزيادة. ويقال: (**بِمِقۡدَارٍ**) قدر خروج الولد من بطن أمّه، وقَدْر مكثه في بطنها إلى خروجه . وقال قَتَادة: في الرزق والأجل. والمقدار الْقَدْر؛ وعموم الآية يتناول كل ذلك، والله سبحانه أعلم."

وقال الشنقيطي:" قال مقيده ـ عفا الله عنه : مرجع هذه الأقوال كلها إلى شيء واحد وهو أنه تعالى عالم بما تنقصه الأرحام وما تزيده لأن معنى تغيض تنقص وتزداد أي تأخذه زائداً فيشمل النقص المذكور نقص العدد ونقص

العضو من الجنين ونقص جسمه إذا حاضت عليه فتقلص ونقص مدة الحمل بأن تسقطه قبل أمد حمله المعتاد، كما أن الاز دياد يشمل زيادة العضو وزيادة العدد وزيادة جسم الجنين إن لم تحض وهي حامل وزيادة أمد الحمل عن القدر المعتاد، والله جل وعلا يعلم ذلك كله والآية تشمله كله."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان :" والظاهر عموم قوله: وكل شيء عنده بمقدار، أي: بحد لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه."[1]

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد العموم. وهو قول كثير من المفسرين،[2] واختاره أبو حيان.

قال الواحدي:" ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾علم كلّ شيءٍ فقدّره تقديراً."

وقال البغوي:" ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾أي: بتقدير واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه."

وقال الزمخشري:" ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه، كقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩]."

القول الثاني: المراد وكل شيء م ن الثواب والعقاب عنده بمقدار أي : بقدر الطاعة والمعصية.قاله ابن عباس، ذكره الماوردي وأبو حيان .

قال الماوردي:" أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية."

القول الثالث:المراد من الغيض والازدياد، قاله الضحاك، ذكره الماوردي وأبو حيان.

---

١ - البحر المحيط (ح٦/ل١٠) (٣٦٢/٥).

٢- الواحدي في الوجيز آية ٨،البغوي آية٨،الزمخشري (٣٥٠/٢) ،ابن عطية(٢٩٧/٣)،ابن الجوزي (٢٢٧/٤)، الرازي ١٦/١٩، القرطبي (٢٨٥/٩)، البيضاوي (٣١٩/٣)، النسفي (٣٤٩/٢)، الخازن آية ٨، ابن كثير (٣٧٣/٤)، ابن عادل (٢٥٨/١١)،البقاعي(١٢٧/٤)،الجلالين آية ٨،أبي السعود (٢/٥)، الشوكاني(٦٦/٣)،الألوسي(٨١١/٣١)،ابن عاشور(٩٦/١٣).

قال الماوردي:" فيما تغيض الأرحام وما تزداد، قاله الضحاك."

القول الرابع :المراد من الرزق والأجل .قاله قتادة .وهو قول بعض المفسرين[1] .

قال الطبري:"...عن قتادة[2] قوله: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ إي والله، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم، وجعل لهم أجلاً معلوما."

قال ابن أبي حاتم :" .. عن قتادة[3] قوله ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ أي بأجل حفظ أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلا معلوما."

وقال الماوردي:" في الرزق والأجل، قاله قتادة."

القول الخامس: المراد صحة الجنين ومرضه، وموته، وحياته، ورزقه، وأجله . ذكره أبو حيان.

قال أبو حيان:" وقيل: صحة الجنين ومرضه، وموته، وحياته، ورزقه، وأجله."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن ألأقوال المذكورة تندرج تحت القول بالعموم .وأنها ذكرت كمثال .

قال أبو حيان :" والأحسن حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص، لأنه لا دليل عليه."

الترجيح:

يترجح القول بالعموم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأنه جاء ذلك المعنى في آيات أخرى

قال تعالى﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ

---

١ – الطبري(١٣/ ٧٢)،ابن أبي حاتم (٢٢٢٨/٧) ،الماوردي آية٨، وذكره أبو حيان (٣٦٢/٥).

٢ – وسنده قال:" حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة."

٣ – وسنده قال:" أخبرنا علي بن الحسين الهسنجاني ، ثنا أبو الجماهر، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة."

فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[الفرقان: ٢].

وقال تعالى﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩].

٢. [يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتخصيص] ، وهي من قواعد الترجيح[1] .

قال ابن عطية :" وقوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ لفظ عام في كل ما يدخله التقدير."

والله تعالى أعلم

تم بحمد الله آخر الترجيحات في الجزء المخصص

١ – انظر قواعد الترجيح (٢/٥٢٧). وقواعد التدبر الأمثل ص٥٩.

الخاتمـة

الحمد لله المتفضل بالإنعام والإجلال والإحسان والإكرام وحسن الختام. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام خاتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة وأزكى السلام.

وبـعـد:

فمسك الختام وختام المسك مع البحر المحيط. وفي خضم رحلة البحر المتلاطم الموج، المحيط بكل فن ولون، برزت لي جملة من النتائج أذكرها في هذه الخاتمة، وهي:

أولا: في المؤلف والمنهج

١. مكانة أبي حيان بين العلماء عامة، والمفسرين خاصة، فهو ضمن مقدمة المفسرين بالرأي المحمود.
٢. منزلة تفسيره "البحر المحيط " بين كتب التفسير، فهو كذلك ضمن مقدمة تلك التفاسير.
٣. تميزه بمنهج علمي دلالة على غزارة علمه ودقة فهمه.
٤. حاجة تفسير البحر المحيط إلى مزيد من العناية والاهتمام من الباحثين المتخصصين، وذلك بمراجعتها على النسخ الخطية على أقل تقدير لتصويب الأخطاء المطبعية والسقط والخلل فيها، ثم الإفادة من هذا التفسير من جميع زواياه.

ثانيا: في ترجيحات واختيارات أبي حيان:

١. سيره على قواعد علمية في الترجيح.
٢. بعده عن التقليد والتعصب المقيت.
٣. الجرأة في بيان الحق، والتواضع عند قبوله.

٤. بيان منهج المخالف ولاسيما بعض الفرق مع تفاوت عبارته حسب مقدار الخطأ وقوته.

٥. الحاجة إلى تكرار قراءة عبارة أبي حيان في البحر المحيط غالبا وإمعان النظر فيها إلى أن يهدأ الموج ويصفو الذهن لاستخراج موطن الترجيح وفهمه جيدا حتى يتضح قصد المؤلف في المسألة.

٦. تفرده في بعض المسائل من حيث الاستدلال والترجيح.

ثالثا: في كتب التفسير عامة:

١. اعتماد بعض المفسرين على النقل النصي ممن تقدمهم دونما إشارة إلى هذا النقل، ويعرف ذلك من خلال القراءة في كتب التفسير حسب الأقدمية.

٢. قد يصعب معرفة الاختيار والترجيح أحيانا لعدم وضوح ذلك من خلال صيغ معينه أو منهج واضح.

رابعا: في دراسة الترجيحات والموازنة بين كتب التفسير:

مما لاشك فيه أنني بحمد الله استفدت أيما استفادة من دراسة الترجيحات والقراءة في عدد كبير من كتب التفسير، وبهذا حققت جزءا من هدفي في التحاقي بقسم الكتاب والسنة في المرحلة الجامعية وهو الدراسة المنهجية الجادة المتأنية والاطلاع على عدد كبير من كتب التفسير من خلال دراسة سور من القرآن أو سورة واحدة في أضعف الإيمان.

والجزء الأخر قد تحقق في مرحلة الماجستير وهو الدراسة المنهجية الجادة المتأنية والاطلاع على عدد كبير من كتب السنة النبوية وشروحها. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾[النحل:٥٣].

ومما خلصت إليه في ذلك:

١. أن القراءة المتأنية الجادة في كتب التفسير تعطي الباحث ملكة قوية في التميز والتدقيق، تقوي كلما أمعن النظر في الأدلة وقارن بين أقوال المتقدمين والمتأخرين.

٢. أن ما يتوصل إليه الباحث في الترجيح يجب أن يكون مبنيا على أسس وقواعد وأدلة وقرائن، بعيدا عن الهوى والتعصب والتقليد والميل ، وأسأل الله أن يمن عليّ بهذا.

٣. أن ما يقرره الباحث في الترجيح ويقويه لا يعني أن المخالف له دائما على خطأ، بل نقول كما قال السلف: كلام غيري خطأ محتمل الصواب، وكلامي صواب يحتمل الخطأ. وكم ترك الأول للأخر، ويكفي أن المخالف قد فتح أفقا جديدا للنظر من ناحية أخرى ما دام أنه يجتهد لبيان الحق .

٤. الحذر كل الحذر من الاغترار بما يصل إليه الباحث من النتائج المبني على طريقته في العرض والاستدلال، أن يكون مدخلا للشيطان في العجب و حبوط العمل ، بل عليه الاعتقاد الجازم واليقين الصادق أن ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس.

التوصيات

١. الضرورة الملحة إلي مزيد من العناية والاهتمام بكتب التفسير، من ناحية معالجة السقط والخلل والتصحيف، وتنقيح الكتب من الشوائب الإسرائيلية والعقدية، والكلامية والفلسفية، والتفرعات اللغوية البعيدة عن التفسير، وكذا الفقهية، ولو بالتنبيه عليها في الحواشي في أضعف الإيمان.

٢. إفراد ردود أبي حيان على المعتزلة وبعض الفرق في الجانب العقدي.

٣. جمع ما انفرد به في بعض المسائل التفسيرية والنحوية والبلاغية في جزء من الفوائد المتنوعة.

٤. استخراج مختصرا لتفسير البحر المحيط.

وأخـــيـرا:

رحم الله العلماء الأفذاذ السابقين فقد أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى، وبرعوا في علوم شتى لأجل بيانه وإيضاح إعجازه ومكنوناته، ويكفينا أنهم قد فتحوا لنا الطريق بل ومهدوه.

وها نحن في زمن التخصص كل يدلى بدلوه في كتب السلف فيخرج ماء عذبا زلالا يرتوي به ويسقى السائرين وينفع السالكين لدرب العلم والحق المبين.

نسأل الله أن يدركنا برحمته لنلحق بركبهم، فإن لم تبلغنا أعمالنا، فنسأله أن لا تخذلنا النوايا.

فيارب العفو والستر والقبول يا أكرم مسؤول.

أحمدك على فضلك ونعمك فهي تترى ولا تحصى.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف:١٥].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الفهارس

محرم. فهرس الآيات القرآنية.

صفر. فهرس القراءات.

ربيع أول. فهرس الأحاديث.

ربيع ثان. فهرس الآثار.

جمادى أول. فهرس الأعلام.

جمادى ثان. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

رجب. فهرس الفرق والقبائل.

شعبان. فهرس الأماكن والبلدان.

٩. فهرس الشواهد الشعرية.

١٠. فهرس المصادر والمراجع.

١١. فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ	٥٩	يونس	٧٨-٨٣-١٩٤
وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ	٦٠	يونس	٧٦
وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ	٦١	يونس	٥٢
أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ	٦٢	يونس	٤٥-٦٢
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ	٦٣	يونس	٥٨
لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ	٦٤	يونس	٥٩-١٩٧ ٢٠٤-٢٠٦
وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا	٦٥	يونس	٤٢-٢٠٨
أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ	٦٦	يونس	١٢٣-٢١٢ ٢١٥
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ	٧١	يونس	٢٢٠
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ	٧٤-٧٧	يونس	٤٣-٢٢٣
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ	٧٥	يونس	٢٢٧
إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ	٧٦	يونس	٢٤١
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ	٧٧	يونس	٢٣٠
قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا	٧٨	يونس	٧٥-٢٣٤ ٥٠٥
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ	٨١-٨٢	يونس	٢٣٨-٢٤٤
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟	٨٤	يونس	٦٢١
فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ	٨٣	يونس	١٢٧-٢٤٧

وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ	١٠٣	يوسف	٧٨٤ـ٧٩٤
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ	١١٠	يوسف	٧٨٦
لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ	١١١	يوسف	٧٨٥ـ٧٨٨ ٧٩٠
الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ	١	الرعد	٧٩٣ـ٨٠٥
ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ	٢	الرعد	٧٩٥ـ٨٠١ ٨٠٤
وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ	٣	الرعد	٨٠٦ـ٨١٠
وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ	٤	الرعد	٨١٣
وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا	٥	الرعد	٨١٦
وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ	٦	الرعد	٨٢٠
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ	٧	الرعد	١٢١ـ٨٢٣
ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ	٨	الرعد	٨٣١ـ٨٣٧
أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ	٣٣	الرعد	٦٢٧
إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	٩	الحجر	٢
وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	٩٧ـ٩٨	الحجر	٣٧٩
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ	٤٤	النحل	٥٧ـ١١٥
مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ	٩٧	النحل	٣١٨
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ	١١٠	النحل	٧٢٥ـ٧٢٨
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ	١٢٧	النحل	٣٧٩
فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ	٧	الإسراء	٢٣١ـ٢٣٣
إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ	٩	الإسراء	٢٠٣

فهرس القراءات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
أن رسول الله ﷺ قرأ: قل بفضل الله وبرحمته	١٨٧
إذا كان الشتاء قيظا والولد غيضا	٨٣١
فضل الله: القرآن، وبرحمته أن جعلكم من أهله	١٩٠
فضله: الإسلام، ورحمته القرآن	١٧٩
لم يشك رسول الله ولم يسأل	٢٨٧
لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره	٨٢٦
ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان	٤٠١
نزلت في الأخنس بن شريق	٣٣٨
نزلت في الوليد بن المغيرة	٣٧٢
نزلت في اليهود والنصارى	٣٩٣
نزلت في بعض المنافقين	٣٣٩
نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو؟	١٨٤

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

فهرس الفرق والقبائل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المخطوطات والرسائل الجامعية:

- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، الجزء الخامس والسادس.

- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعا ودراسة، للباحث : بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير / ١٤١٢هـ.

- اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث: عبد الله الطريقي، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.

- البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحق يق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير/ ١٩٨٥م.

- تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث محمد القرشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، ١٤١٦هـ.

- تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط، للباحثه معوضة محمد حكمي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ.

- دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤته، الأردن، رسالة ما جستير٢٠٠٠م.

- القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال، للباحث: أحمد شكري،الجامعة الإسلامية،رسالة ماجستير١٤٠٤هـ.

- القراءات في تفسير البحر المحيط. للباحث عبد اللطيف الخطيب، كلية الآداب جامعة الكويت، رسالة دكتوراه.

- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النحوي لسورة

البقرة، للباحث: محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب،رسالة دكتوراه / ١٩٩٠م.

- المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف، للباحث: ناجي عبدالجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧هـ.
- مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعا ودراسة، للباحث : عبدالله العمير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠هـ.
- منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث: بوشعيب محمادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه/ ١٩٩٣م .
- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث: عبد المجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة دكتوراه/ ١٩٦٨م.
- مواقف أبي حيان الأندلسي النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعا ودراسة.للباحث: على بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراه.

المطبوعات:

- الإبانه عن القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، ١٣٩٩هـ.
- أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، د. بدر البدر، مكتبة الرشد، الرياض.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لمحمد بن أحمد الدمياطي البناء وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٢هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة.
- آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد القزويني، نشر: مطبعة بيروت، ١٩٦٠م
- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٥هـ.
- إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان للباجي ، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢،١٤١٥هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الأمدي، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- إرشاد الفحول إلي تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ط ١ ١٤١٢هـ.
- أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدي،تعليق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق،بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمري، تحقيق : علي البجاوي، دار الجيل،بيروت، ١٤١٢هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، تحقيق:علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٥هـ.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد أبو شبهة، مكتبة السنة، ط٤، ١٤٠٨هـ.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،
- أصول السرخسي، لمحمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة.١٣٧٢هـ.
- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، دراسة وتحقيق: محمد السيد عزوز، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ.
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير زاهد، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ٩، ١٩٩٠م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر، بيروت.
- الإكمال، لابن ما كولا، صححه: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتاب الإسلامي، الهند، ط٢.
- الأم، للإمام الشافعي، دارإحياء التراث العربي .
- إملاء ما من به الوحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبدالله العكبري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر .
- الأنساب، للسمعاني، تقديم: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المنار، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، لابن كثير،تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ١/
تحقيق:عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
٢/ طبعة دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه،لبدر الدين الزركشي، تحقيق : عبد القادر العاني وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢،١٤١٣هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، ط دار الكتاب العربي –بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة بيروت .
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي،دار الكتاب العربي

بيروت لبنان، ط١، ١٤٠١هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، ١٤٠٠هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق:عبد العليم الطحاوي، من إصدارات الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ١٣٩٠هـ.
- الغية في ترتيب أحاديث الحلية، عبدالعزيز الصديق، دار القرآن، بيروت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- تاج العروس، للمرتضى الزبيدي تحقيق:مجموعة، دار الهداية للنشر والتوزيع .
- تاريخ البخاري الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، دار المعرفة، بيروت لبنان .
- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد سكر،دار إحياء العلوم، ط١، ١٤٠٢هـ.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق:أحمد هاشم، دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.ط٣، ١٤٠٨هـ.
- التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن، للسهيلي، تحقيق : الأستاذ عبد.أ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان، دار الكتب العلمية.
- تفسير الثعلبي = الكشف والبيان في تفسير القرآن. بدون طبعة.
- تفسير ابن أبي حاتم= تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.
- تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة

- تفسير ابن الجوزي= زاد المسير، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٨٥هـ.
- تفسير ابن الجوزي= زاد المسير، دار الفكر،
- تفسير ابن عادل = اللباب في علوم الكتاب.دار الكتب العلمية.
- تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير، مكتبة العبيكان.
- تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز، بدون طبعة.
- تفسير ابن عطية= المحرر الوجيز، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- تفسير ابن كثير، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الألوسي = روح المعاني، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الألوسي = روح المعاني، دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير البقاعي = نظم الدرر، بدون طبعة.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر.
- تفسير الجلالين = دار الكتب العلمية.
- تفسير الجلالين = دارالجيل، ط٢، ١٤١٥هـ.
- تفسير الجمل = الفتوحات الألهية، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- تفسير الخازن = لباب التأويل في معالم التنزيل. بدون طبعة.
- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث الإسلامي.
- تفسير الزمخشري= الكشاف، دار الفكر.
- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير السمرقندي = بحر العلوم، دار الفكر.
- تفسير الشربيني = السراج المنير، بدون طبعة.
- تفسير الشنقيطي = أضواء البيان ، دار علام الكتب.
- تفسير الشوكاني= فتح القدير، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الطبري = تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

- تفسير الطبري = جامع البيان، دار المعرفة، ١٩٩٠م.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، دار الفكر.
- تفسير العز بن عبد السلام = تفسير القرآن، دار ابن حزم.
- تفسير القاسمي = محاسن التأويل، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية.
- تفسير القرطبي = تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- التفسير الكبير لابن تيمية = تحقيق:د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- تفسير المراغي ، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
- تفسير النبهاني = المنتخب في تفسير القرآن، دار الفكر.
- تفسير النسفي = كنز الدقائق، دار النفائس.
- تفسير النووي الجاوي = مراح لبيد ، دار الفكر.
- تفسير الواحدي = الوجيز، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق.
- تفسير الواحدي = الوسيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- التفسير بالمأثور د.جمال مصطفى عبد الحميد النجار طبعة الحسين الإسلامية ط١/ ١٩٩٨هـ.
- التفسير والمفسرون، د. محمد الذهبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
- التفسير ورجاله، لمحمد حوا ، دار نور المكتبات بجدة، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- التقريب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد سوريا حلب،ط٣، ١٤١١هـ.
- تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجزري،دار الحديث القاهرة.
- التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب الكلوذاني، تحقيق: مفيد أبو عمشة، جامعة أم

القرى، ط١، ١٤٠٦هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، لمحي الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق:د.بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ.
- تهذيب اللغة، لمحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية، ١٣٨٤هـ.
- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، هذبه:عرفان حسونه، المكتبة العصرية، بيروت.
- التوقيف على مهمات التعريف، لعبد الرؤوف المناوي، تحقيق : محمد الداية، دار الفكر المعاص، بيروت.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، مكتبة المثنى بغداد.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق الشيخ حسن أبي الأشبال .
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق.
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، دار الفكر، ط١، ١٣٧٢هـ.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، لمحي الدين عبد القادر القرشي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٩هـ.
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب بيروت لبنان.
- حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، للحسن بن عاكش، تحقيق: د. إسماعيل البشري، ط١، ١٤١٣هـ.
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق:د.أحمدالخراط، دار القلم، دمشق.ط١، ١٤١١هـ.
- الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، دار الفكر.

- الدرر في اختصار المغازي، لابن عبد البر النمري، تحقيق : د.محمد ديب البغا، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.
- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي إلياس أحمد الشهير بابن القاضي، تحقيق :محمد الأحمدي، دار التراث بالقاهرة.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنه، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق : مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، طط١، ١٤١٧هـ.
- ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ديوان جرير، شرح محمد الصاوي، مكتبة محمد النوري، دمشق.
- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- رسالة في الحقيقة ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- الروض الأنف، للسهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل.
- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، مع شرحها" نزهة الخاطر العاطر" لعبد القادر بدران، طبعة مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن ابن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود السجستاني، تعليق: عزت الدعاس، نشر محمد علي السيد، ط١، ١٣٩١هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر. دار الحديث، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٩هـ.
- سيرة ابن إسحاق، تحقيق: محمد حميد اللههه، ١٤٠١هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ.
- شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، دار القلم بدمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

- الشرح الكبير
- شرح الكوكب المنير المسمى ب" مختصر التحرير" لمحمد بن أحمد الفتوحي ابن النجار، تحقيق:د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، جامعة أم القرى الأولى ، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، المطبعة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٥٠هـ.
- شواذ القراءات، للكرماني، طبعة مؤسسة البلاغ، بيروت.
- الصحاح، لإسماعيل الجوهري، تحقيق:أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠هـ.
- صحيح ابن حبان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،ترتيب : علاء الدين على بن بلبان الفارسي، تحقيق: كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربيۃ العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم، ترقيم:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر .
- صلاح الأمة في علو الهمة، د.سيد العفاني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ.
- طبقات ابن سعد، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
- طبقات الشافعية، لجمال الدين الإسنوي، تحقيق : كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- طبقات المفسرين، لأحمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٧هـ.

- طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد الداووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.

- طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٣٩٢هـ.

- طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي، تحقيق : أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة القاهرة، ١٩٧٤هـ.

- طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ط ٢، ١٤٢١هـ.

- العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى البغدادي، تحقيق: أحمد المباركي، ط٣، ١٤١٤هـ.

- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج: د. وصي الله عباس المكتب الإسلامي، ط١،١٤٠٨هـ.

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف الشهير بالسمين الحلبي، تحقيق:محمود الدغيم، دار السيد، ط ١،١٤٠٧هـ.

- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ.

- عيون الأثر، لابن سيد الناس، تحقيق: د.محمد العيد، محيي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٣هـ.

- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره :ج برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ.

- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري السفاقسي، تحقيق: أحمد محمود الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١، ١٤٢٥هـ.

- الفتح الرباني، لأحمد عبدالرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- فرق معاصرة تنتسب إلي الإسلام، د.غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، ط ٥، ١٤٢٦هـ.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، تحقيق : د.محمد نصر،ود.عبدالرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، ط١، ١٤٠٢هـ.

- فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٣هـ.

- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ تحقيق وهبي سليمان .

- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي،تحقيق: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٧هـ.

- فهارس أحاديث الموطأ، جمع وترتيب: خالد الخراز، فيصل الشامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

- فهارس صحيح وضعيف ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.

- فهارس المعجم الكبير للطبراني، عدنان عرعور، دار الراية، الرياض .

- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد بن عبد الحي اللّكنوي، نشر : ملتقبة المعارف، القاهرة،١٣٢٤هـ.

- الفوائد المسمي بمعاني الأخبار للكلاباذي

- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق،ط ١٠، ١٤٠٢هـ.

- فهارس مسند الإمام أحمد،المكتبة التجارية، مصطفى الباز، مكة .

- فهرست، لابن النديم،

- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،

١٩٧٤م.

- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

- القراءات الشاذة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ.

- القطع والائتناف (الوقف والابتداء)، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، لعبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.

- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، دار القاسم،ط ١، ١٤١٧هـ.

- قواعد التفسير، لخالد السبت، دار ابن عفان، الخبر، ط ١، ١٤١٧هـ.

- قواعد الفقه، لمحمد المجددي، دار الصدف، كراتشي، ط ١،١٤٠٧هـ.

- القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن السعدي، مطابع الصانع .

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٣هـ.

- الكاف الشاف تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، ملحق مع الكشاف.

- كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤١٠هـ.

- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ.

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، ط٢.

- لوامع الأنوار البهية ، للعلامة محمد السفاريني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١هـ.

- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٧، ١٤٠٠هـ.

- المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٦هـ.

- متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني . تحقيق د. عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث القاهرة .

- مجاز القرآن، لأبي عبيد معمر بن المثنى، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- مجموع شرح المهذب، للإمام النووي، دار الفكر .
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبدا لرحمن بن قاسم، الطبعة المصرية.
- المحتسب في تبيين وجوه القراءات، لابن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
- المحصول في علم الأصول، لفخر الدين الرازي، تحقيق: جابر فياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،ط١.
- مختصر الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.
- مختصر في شواذ القرآن ، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- المختصر في أخبار البشر، لعماد الدين أبو الفداء، المطبعة الحسينية، مصر .
- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير (عرض ونقد) ، إعداد أ صالح بن غرم الله الغامدي دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، ط٢ ،١٤٢٢هـ .
- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- مسند الإمام أحمد، دار الفكر .
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- المصباح المنير، لأحمد الفيومي، مكتبة لبنان .
- مصنف ابن أبي شيبة، قدم له كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- مصنف عبد الرزاق بن همام، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي
- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. يحي مراد، دار الحديث القاهرة.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي الفراء، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت،ط ٢،١٩٩٩٥م.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٦هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام، دار الجيل بيروت، ١٤٢٠هـ.
- معرفة القراء الكبار، للذهبي، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- المعرفة والتاريخ، ليعقوب الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، ١٩٨١ م.
- المعين في طبقات المحدثين، للذهبي، تحقيق: همام سعيد، نشر الفرقان، عمان، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- مفتاح كنوز السنة، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر .
- مقالات الإسلاميين، لأبي الأشعري، تحقيق:محمد محي الدين، كتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط٢، ١٣٨٩هـ.
- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق: محمود نصار ، مكتبة التراث الإسلامي .
- الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- منجد المقرئين، لابن الجزري، دار عالم الفوائد،ط ١، ١٤١٩هـ.
- منح الجليل شرح مختصر خليل، لمحمد الخراشي، دار صادر .
- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ الشنقيطي، ملحق بأضواء البيان،

عالم الكتب بيروت.
- الموطأ، للإمام مالك، مؤسسة الرسالة، تحقيق :بشار عواد، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ.
- موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: د. عبدالله التركي، ط١،١٤٢٦هـ.
- ميزان الاعتدال، للذهبي، دار الفكر.
- الناسخ والمنسوخ للنحاس، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، نشر المؤسسة المصرية.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكت ب العلمية بيروت لبنان، ط٢،١٤٢٣هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد التلمساني، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر .
- النكت على ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٨٨هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الفكر.
- النهر الماد، لأبي حيان الأندلسي، بحاشية البحر المحيط، دار الفكر.
- هدية العارفين، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، جمعية المستشرقين الألمانية، ط ٢، ١٣٨٩هـ.
- جريدة الأهرام تأريخ ١٧/ ٩/ ٢٠٠١.
- موقع د. زغلول النجار.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة